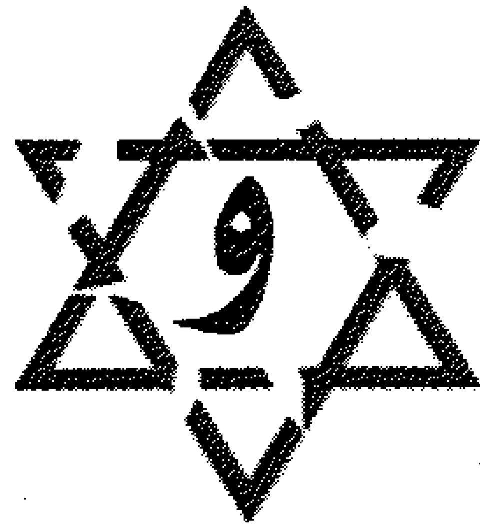
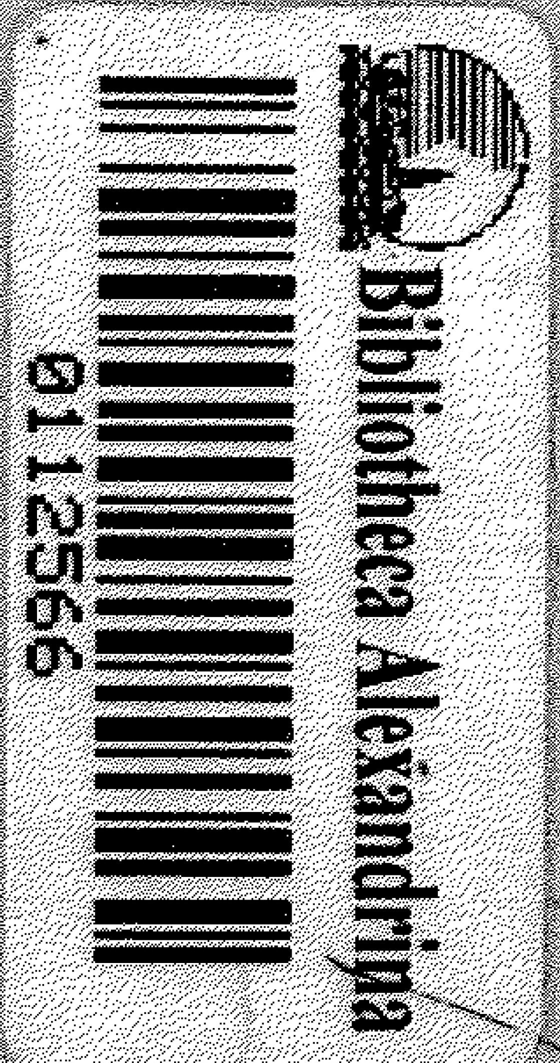
د. على ابراهيم

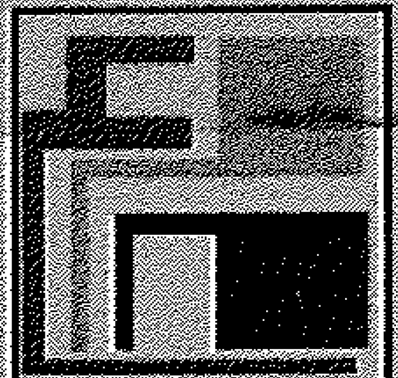
وأخيراً .. نجرؤ على الكلام

الإستراتيجية



الأساطير الصهيونية





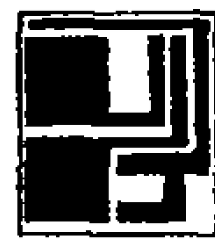
وأخيراً نجرؤ على الكلام

الاستراتيجية..والأساطير الصهيونية

وأخيراً نجرؤ على الكلام

الاستراتيجية..والأساطير الصهيونية

د. على إبراهيم



الناشـــــــــر : مؤسسة المسيرة العربية للثقافة والنشر والإعلام

العنـــــــوان : 34 أ عمارات حدائق العبور - مدينة نصر - القاهرة - ج.م.ع

تليفون وفاكس : 2630715

الطبعـة الأولى : 1998

رقم الإيداع : 98-8827

الرقم الدولي : I.S.B.N. 977-5547-24-5

إهداء ....

- إلى القائد العربى الذى علمنا معنى الحرية والوفاء ..

إلى القائد الذى وهب حياته من أجل الوحدة العربية

فاستحق أن يكون أميناً للقومية العربية ..

وقائداً للقيادة الإسلامية العالمية ..

إلى من فجر فينا الجرأة على سحق الظلام ..

إلى مفجر عصر الجماهير ..

.. معمر القذافى ..

- وإلى روح الذى قال : لا صلح .. لا اعتراف .. لا استسلام للعدو الصهيونى

جمال عبد الناصر

- إلى روح شهداء الأمة العربية فى دفاعهم عن الأرض والعرض والحقوق العربية

لمسة وفاء

لأطفالى :

طارق .. وشــادى .. وشــريف

وكل أطفـــال الحجـــــارة

وللإنسانـة التى سهرت وضـحـت بجـدارة

ما قبل الكتاب

حينما يُستشهد بالتاريخ ، فإن هناك من ورائه بحثاً عن الحقيقة بالتأكيد ، وهذا يعنى أن هناك خلافاً تاريخياً على أحقية شيء (ما) يدور من حوله الجدل .. أو يتواصل الجدل إلى حد الصراع .. والصدام .

وحينما يُستدعى التاريخ ، فإنه عادة يُستدعى بطريقة معلوماتية وثائقية تعبر عن حالة (مجردة) فى وقت (مجرد) من كل المؤثرات . بل أيضاً من التراث الحضارى وحركة التاريخ بكامله ، فيتم قتل هذه المعلومات التاريخية وتحويلها من بُنى مركبة حية إلى مجرد معلومات أرشيفية وبقدر ما هى حقيقة ، إلا أن تجريدها يحولها إلى هدف يراد به باطل !!

ولأن هذا الهدف يأتى من الماضى (التاريخ) خاصة عندما يكون الماضى هو الماضى البعيد أو السحيق ، فإن هذا الهدف يصبح (أسطورة) كذلك كانت الأساطير الصهيونية الدينية والتى طورتها الصهيونية السياسية ، وبدأت تستدعى التاريخ لتأصّل الأسطورة بعد إعادة تركيبها وتأليفها لكى تؤدى سحرها الذى يبدأ من التعبئة التى تقود إلى المواجهة .. فالصراع .. ثم الحرب للحصول على الهدف.

وفى محاولة للفصل بين التاريخ وحقائقه .. والأساطير وعُقدها .. نُقّدم لأجيالنا الحالية والقادمة هذا الكتاب .. فى محاولة جريئة وجديدة لا أدّعى أنها تأليفٌ أو توثيق تاريخى بقدر ما هى استشهاد / وتجميع للأحداث من واقع حركة

التـاريخ بنبضـه وجـريانه لنصنع منه أو نحـفر فى ذاكـرتنا نهـراً بحجم الأحـداث وبطول الفـترة الزمـنية التى وقـعت فـيهـا حتى حـاضـرنا ، واقتـصـرت محـاولتنا المتواضعـة هذه على قوة المعلومات لنجعل من رصانة المعلومـات ، وليس رصها ، توجيـهاً لمسار هذا النهر حيـاً متدفـقاً فى المستقبل ليصب بأحداثه وقدراتـه راسماً صورة واضـحة عن مستـقبل الصراع العـربى - الإسرائيلى حيث حـرص الكتاب الذى نقدمه بعنوان :

"وأخيراً نجرؤ على الكلام

الاستراتيجية .. والأساطير الصهيونية"

على دفع الحقائق فى مواجهة الأساطير الصهيونية لتعريتها من العقد والخرافات معتمـدين ، على التاريخ ، سواء كان سياسيـاً أو دينياً ، لا من أجل ، فقط ، إثبات حق أو توضيـح حقيـقة ، بل من أجل التـصدى لوهم الأسـاطير الصـهيونيـة التى تحولت إلى "فكرة" شيطانهـا هو "خرافة الأرض الموعودة" فلسطين ، وشبـحها هو "أرضك يا إسرائيل من الفـرات إلى النيل" ، هذا الشبح الذى أصـبح يرفرف على أكـثر من عـاصمـة عربيـة (عَلَمْ إسرائـيل) رافعـاً اللونين الأزرقين يمثلان الفـرات والنيل، ووسطهما نجمة داود تمثل القدس عاصمة مملكة داود .

شبح مرعب ، وشيطان يخطط لأكثر من ٢٠٠ رأس نووى محملة على طائراته وصواريخه ، بفكرة أسطورية تجسدت فى عقل كل صـهيونى يعتقد أنه شعب الله المختار ، الذى يجب أن يُبيد كل العـالم ، وتحديداً العرب ، هدياً بـ"يشوع بن نون" وانتقاماً لعقدة الاضطهـاد التى زرعوها فى تفكيره .. لذا ، فكان لا بد من التصدى لهذه الخرافات لحرق الشيطان وطرد الشـبح الجاسم ، ليس فقط ، على عقولنا، بل على عقول الغرب الذى صنعه .

فجـاء هذا الكتاب متضـمناً سيلاً من الوثائق والمعلومـات ، تم نسجها ، لتـقدم لأجـيالنا والأجـيال القـادمـة حجم المؤامـرة ، ليس فـقط من القادة أو على القـادة العرب ، بل لـتصوّر هذه المعلومـات حجم الكارثة الـتى انتابت الشعـب العربى ،

وكيف استطاع اليهود أن يتغلغلوا ، ليس فقط فى قصور ملوكه وفوق مضاجعهم الخاصة؟! بل كيف اغتالت الصهيونية الحركة الثقافية والفكرية العربية ؟

فلم يعد بعض المثقفين العرب يملكون القدرة على التمييز بين عدوهم وصديقهم!!

- وكيف كانت الهزائم العسكرية المتتالية للأنظمة العربية فى مدىً زمنى قصير (١٩٤٨ - ١٩٨٢) قادرة على اختزال مقاومتهم فى مبادرة أطاحت بأمن الأمة ؟! وساقتهم تحت فرقعة سياط السلام إلى مدريد وأوسلو .. وما بعدهما .

- إن هذا الكتاب وهو يعلن : 'وأخيراً نجرؤ على الكلام' ليبين بالوثائق العلمية والدراسات ، حتى الإسرائيلية ، أن السلام الإسرائيلى (سلام الردع) ليس فقط أوهاماً ، بل شيطان الأسطورة فى صورة سلام .

إننا نقدم بكل جرأة وتواضع حقائق لأول مرة ، ليس فقط لمجرد نشرها ، بل من أجل دراستها واستخلاص كيفية صنع مستقبل عربى قادر على قتل المؤامرة ، ووأد الخيانة ، وبناء الفكرة .

دكتور على إبراهيم

١٥/٥/١٩٩٨

مدخل

إن الأساطير المؤسسة للحركة الصهيونية بجانب دواعي الأمن الأوروبي والسيطرة الاستعمارية الغربية ، نسجت مؤامرة كبرى على مصر ومستقبل الوطن العربي في محاولة لضعفه وإخضاعه باستمرار كسوق للسلع الغربية ، ومصدر لإمداد الغرب بالثروات الطبيعية والطاقة ، فعملت الدوائر الغربية على تمزيق الوطن العربي وصنع جغرافيا جديدة وتاريخ مُفترى عليه للأمة العربية ، فرُسمت الخرائط الجديدة، وصُنعت الأسر الحاكمة ، كما اختُرِعَت أيضاً الأسلاك الشائكة بين هذه الأسر والممالك العربية الجديدة ، وبذرت وروت ونَمَّت بينها العداوة والبغضاء .

ولم تكتف الدوائر الاستعمارية الغربية في استراتيجيتها الموجهة لتمزيق الوطن العربي بهذه الكيفية ، فعملت على زرع شوكة في خاصرة الأمة العربية (بخلق) دولة جديدة ببشر جدد في قلب الوطن العربي لتقسم شرق الوطن عن غربه وتعزل مصر ، (مصدر القوة ومكمن توحيد الأمة) عن أمتها .

واعتمدت الاستراتيجية الغربية على الأساطير الصهيونية الدينية وأولها أسطورة الوطن القومي المسلوب من اليهود (فلسطين) ، ومن نابليون لبالمرستون لدزرائيلي حتى تشرشل وروزفلت ، كانت الأساطير الصهيونية قد لعبت دورها وانطلقت الصهيونية السياسية كحركة جديدة من رحم الحضارة الغربية والتفكير الاستراتيجي الغربي ، كحركة سياسية جديدة مثلها مثل الفاشية والنازية والشيوعية .

وتحولت هذه الحركة من عمل تحت الأرض إلى الإعلان السياسى عنها واختيار زعيم لها (هرتزل) ليعلن ذلك فى المؤتمر الصهيونى الأول للحركة الصهيونية فى مدينة بازل بسويسرا عام 1897 ، وفى عام 1917 ، وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى كانت الاستراتيجية الغربية قد أعلنت هى الأخرى قرارها العلنى بإعطاء فلسطين كوطن قومى لليهود .

وبعد نكبة 1948 ، أصبحت فلسطين هى الدولة الصهيونية الجديدة تحت اسم "إسرائيل" لها عَلَم يعبِّر عن الأساطير الصهيونية "أرضك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل" .

وبعد عدة جولات غير متكافئة بين العرب المشتتين والمقسمين على أيدى الاستراتيجية الغربية ، والتابعين لها ، دار الصراع العربى - الصهيونى ، ووقعت الهزيمة على العرب ، كنتيجة طبيعية للخريطة الجغرافية والسياسية الجديدة التى رسمتها الإمبراطورية البريطانية والدوائر الغربية ، وبمشاركة جديدة للقوة الصاعدة فى غرب الكرة الأرضية (الولايات المتحدة الأمريكية) .

وكنتيجة لهذه الانتصارات أيضاً ، وتعاقب الأجيال العربية على مدى قرن مضى من الزمان وحتى الآن ، انطلق شيطان الأسطورة الصهيونية كشبح جاثم على عقول وقلوب العرب ، محاولاً زرع الرعب فى قلوبهم ، فارضاً اليأس على عقولهم ، ملوحاً بفرض سلام الردع أو الإبادة (الاستسلام أو الإبادة) مقابل الدعوات العربية التى انطلقت من أبناء الأمة الشرفاء (النصر أو الشهادة) .

ولأن بعض الحكام العرب تصوروا أن النصر مستحيل ، والشهداء كثر ، والقوة الصهيونية ومن خلفها القوى الغربية لا طاقة لهم بها ، فكانت المبادرة ، واختزلت إرادة الأمة فى رجل ومصير الوطن فى قرار أو اتفاقية وقّع عليها .

ونتيجة لهذا الاستسلام أو (الحل) أو (السلام) ، أصبح شبح الأسطورة يرفرف

فى زهو وغرور على أكثر من عاصمة عربيـة فارضاً أساطير وخرافات وعقد وصلت لمستوى العقيدة علينا منها :

١ - أن كلمة إسرائيل هى اسم الدولة الصهيونية التى زرعتـها الاستراتيجية الغربية فى قلب الوطن العربى .

2 - أن الأسطورة الأخـرى هى "أرض إسـرائيل من الفـرات إلى النيل" ، "أرض بلا شـعب لشعب بلا أرض" ، وأسطورة "السـاميـة" بأنهم القوم الـساميـون وإلى آخـره من عقـد وخرافـات وصلت إلى حد أن أعلن بيـجين أن الأهرام (حضارة مصر) اليهود هم الذين شيدوها .

لذا ، كـان علينا أن نفـرغ هذا الشـبح من محتـواه ، وأن نكشف هذه المجـموعـة الأوروبية التى انتـمت وكونت الحركة الصـهيونيـة السياسيـة ، ومدى علاقتـها باسم "إسرائيل" والقـوم "السامـيين" وأجبرنا أن نسـتدعى التاريخ من أولـه لنفرق بين هذه الحركة الصـهيونية السـياسية "مجـموعة من اليهـود الأوروبيين" وبين التاريخ الدينى لبنى إسرائيل ، وتاريخ نشأتهم وعلاقتهم بالسامية والعرب ، وعلاقة العرب بهم ، ثم نصل فى النهاية إلى تحديد من هو السامى والعـبرى والإسرائيلى واليهودى ؟، ثم من هو الصهيونى الدينى؟ ، ومن هو الصهيونى السياسى؟ .

حتى نضع أمام أجيالنا الحـالية والمستقبلية دراسة لم ندّع أننا نؤلفهـا ، بل نصيغها فى نسـيج تاريخى مـترابط القـوة ، مدعم بـالوثائق لتـرى الأجيـال من هم مـحـتلو فلسطين؟، وعـلى أى حـقـيـقـة أو أكـذوبـة بنوا اسـتـلابهم للأرض ، وتـشـريدهم لأصحابها؟ .

وبأى منطق أو حقيـقة يهرول البعض لكسب رضاهـم؟! لذلك كانت البداية من التاريخ ومن بدايته لنُعرِّف أو نعرف من هم الساميون ، والعبرانيون ، والإسرائيليون، واليهود ، والصهيونيون ؟.

الفصل الأول

الساميون ، العبرانيون ، بنو إسرائيل ، اليهود

"إن "سام" أبو كل بنى "عابر" وإن عابر
هو ابن شالح بن أرفكشاد بن سام"

سِفْر التكوين – التوراة

الساميون :

إذا كان الساميون ينتمون إلى "سام" ابن نوح ، فإلى من ينتمى "نوح" ؟

ولماذا اختار اليهود أن يكون نسبهم إلى "سام" ؟!

وهل هم وحدهم (اليهود) من سائر البشر الذين ينتسبون إلى "سام" ؟!

فهذا يجرنا من البداية إلى رحلة مع الأساطير الصهيونية الدينية ، أو اللجوء إلى شرعية اليهود التى يستمدون منها السامية .

وبهذا نعنى منذ البداية أن تعريفنا للساميين لم يجر على تعريف آخر غير تعريف أو تعاريف الأساطير التاريخية أو الدينية اليهودية نفسها ، وهذا يقودنا بالسفر والإبحار فى التاريخ السحيق فنبحر فى طوفان "نوح" إلى ما قبل الطوفان حتى نرى أن الأساطير الدينية ، إن صحّ لها هذا الاسم ، فتبحر بنا حتى تحط عند "آدم" و"حواء" لننطلق من زريتهما حتى نصل إلى "نوح" و "سام" ، ومن سام ننطلق حتى نصل إلى العبرانيين لنشاهد الخريطة السياسية التى رسمت شجرة الإنسان منذ اللحظة الأولى التى وطأ فيها آدم وحواء كوكبنا الأرضى .

. يقول سفر التكوين الإصحاح الرابع فى الصفحة الأولى والثانية :

"وعرف آدم حواء امرأته ، فحبلت وولدت قايين . وقالت " اقتنيت رجلاً من عند الرب ، ثم عادت فولدت أخاه هابيل" .

لكن سرعان ما نشب الخلاف بين "هابيل" الذى تفرغ للرعى ، وقابيل الذى تفرغ للزراعة ، على إثر رفض الرب لقربان قابيل وقبوله قربان هابيل ، فوقعت على الأرض أول جريمة قتل إنسانية ، وسالت على الأرض أولى قطرات الدماء البشرية بعد هبوط آدم وحواء أو بعد طردهما من الجنة إلى الأرض .

"وكلّم قايين أخاه وحدث إذ كنا فى الحقل أن قايين قام على هابيل أخيه وقتله" .

سفر التكوين 4 : 8

وبدأ قابيل حياته بعد أن تاب الرب (يهوه) عليه وتزوج من أخته (بالتأكيد) لأنه الرجل الوحيد فى الكون بعد أبيه (آدم) .

"فتزوج قايين من لدن الرب ، وسكن فى أرض نود ، شرقى عدن ، وعرف قايين امرأته فحبلت وولدت حنوك ، وكان يبنى مدينة فدعا اسم المدينة كاسم ابنه "حنوك" .

سفر التكوين 4 : 16 - 17

ويستمر الإصحاح الرابع فى سفر التكوين ، فى وصف ذرية قابيل :

"حنوك" ولد "عيراد" ، وعيراد ولَدَ "محويائيل" ، الذى وَلَدَ "متوشائيل" الذى ولدَ "لامك" .
و"لامك" هو أول إنسان على الكرة الأرضية يجمع زوجتين فى وقت واحد، الأولى "عادة" والجيت له ولدين هما : "يابال" و "يوبال" ، والثانية "صلّة" وولدت له "توبال" وأخته "نعمة" .

ثم تنتقل الأساطير الدينية ، أو ما يسمونه بالتوراة ، إلى تسجيل واقعة ولادة جديدة لآدم .

"وعرف آدم امرأته أيضاً ، فولدت ابناً ودعت اسمه "شيثا" قائلة : لأن الله قد وضع لى نسلاً عوضاً عن "هابيل" ، الذى قتله "قايين" ، ولشيث أيضاً وَلَدَ

ابناً فدعا اسمه "أنوش" ؛ حينئذ ابتدئ يُدعى باسم يهوه" .

سفر التكوين 4 : 25 – 26

ويستمر التاريخ الدينى أو الأساطيرُ الدينية فى تسلسل الإنسانية ، فتترك أولاد قابيل على جانب ، ثم يبدأ الإصحاح الخامس من سفر التكوين من رسم شجرة الإنسانية من آدم – شيث – أنوش ، قينان – مهللئيل – يارد – أخنوخ – متوشالح – لامك – نوح .

ولكن ما يثير الفضول فى هذا الإصحاح هو طول عمر هؤلاء الأجداد ، وتحديد أعمارهم بالضبط ، فقد كان آدم فى 130 من عمره عندما ولد له شيث ، وعاش بعد ذلك 800 عام ، ومات شيث عن عمر 912 عاماً ، وعاش أخنوخ 905 أعوام ، وقينان 910 أعوام ، أما لامك فلم يعش سوى 777 عاماً ، أما أخنوخ فلم يمت ، لقد رفعه الله إليه واستقر عنده .

"وعاش أخنوخ خمساً وستين سنة وولد متوشالح . وسار أخنوخ مع الله بعدما ولد متوشالح ، ثلاث مائة سنة ، وولد بنين وبنات ؛ فكانت كل أيام أخنوخ ثلاث مائة وخمساً وستين سنة . وسار أخنوخ مع الله ، ولم يوجد لأن الله أخذه" .

سفر التكوين 5 : 21 – 24

"وكان نوح ابن خمس مائة سنة ، وولد نوح ساماً وحاماً ويافثاً"

سفر التكوين 6 : 32

وتحدثنا الأساطير فى سفر التكوين عن نزول الملائكة ليتزوجوا من بنات البشر الحسنوات اللاتى بجمالهن أنزلن الملائكة من السماء إلى الأرض وتمت الزيجات بين الملائكة وبنات البشر الحسنوات فأنجبن العماليق .

وما يؤكد هذه الأساطير حسب مزاعم اللاهوتيين ورجال الدين أنهم قالوا إن أخنوخ كتب سفراً قبل صعوده مع الله ، وإنه لم يأخذ هذا السفر معه فى رحلته مع

الله بل تركه على الأرض لابنه متوشالح ، فلامك ، فنوح الذى أخذه معه على سفينته وحماه من الطوفان وبقى هذا الكتاب (كتاب أخنوخ) أول كتاب دينى على الكرة الأرضية ، لا يعرف عنه أحد شيئاً ، إلى أن وقع الرحالة الهولندى "جيمس بريوس" على هذا الكتاب الشهير فى أثيوبيا ، وحمله إلى مكتبة جامعة أوكسفورد ، وصدرت الترجمة الإنجليزية لهذا الكتاب المكتوب باللغة الأثيوبية (وبالطبع لم تكن اللغة السائدة فى فترة "أخنوخ" هى اللغة الأثيوبية) .

وصدرت الترجمة الإنجليزية للكتاب فى عام 1838 م بقلم الأسقف الأيرلندى .

"ريتشارد لودرنيس"

المصدر : ليوتاكسل - التوراة كتاب مقدس أم جمع
من الأساطير - ترجمة : حسان ميخائيل إسحاق -
دار الجندى - 1994 - ص 56 - 57

حيث يروى هذا الكتاب المؤلف من أحد عشر إصحاحاً قصة عشق الملائكة لبنات البشر ، هذا بالإضافة إلى ما ذكره سفر التكوين عن زواج الملائكة من بنات البشر وإنجابهم العماليق .

ونعود إلى "نوح" ، وبعد الطوفان ، ومن الغرائب أيضاً ، لكنها عالقة حتى الآن هذه اللقطة المثيرة :

"بعدما انتهى الطوفان فى اليوم السابع عشر من الشهر السابع رسى فلك "نوح" فوق قمة جبل "أرارات" فقد أطلق نوح "الغراب" أولاً ، فطار ولم يحط إلا بعد أن جفت المياه عن الأرض ، ثم أرسل الحمامة ، لكنها لم تجد مكاناً لرجلها ، فعادت إليه ، إلى الفلك .
فعاد وأطلقها بعد سبعة أيام ، فعادت إليه تحمل ورقة زيتون بمنقارها . عندئذ علم نوح أن المياه قد قلت عن الأرض، ثم تخبرنا التوراة بأن نوحاً كان قد بلغ عامه 601 ."

وتضيف قصة الطوفان فى الأساطير الصهيونية قصة غريبة أخرى تقربهم من

معنى علو لفظ أو قبيلة سام (الساميون)

"وابتدأ نوح يكون فلاحاً ، وغرس كرماً ، وشرب من الخمر فسكر ، وتعرى داخل خبائه ، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه ، وأخبر أخويه خارجاً ، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجههما إلى الوراء ، فلم يبصرا عورة أبيهما .
فلما استيقظ نوح من خمره ، علم ما فعل به ابنه الصغير فقال : ملعون كنعان ، عبد العبيد يكون لأخوته ، وقال مبارك الرب إله سام ، وليكن كنعان عبداً له" .

سفر التكوين 9 : 20 - 27

إذن مؤلف هذا السفر الذى كتبه على ضفاف الفرات فى الفترة من 586 ق . م إلى 536 ق . م أثناء الشتات البابلى الأول لليهود ، قد حدد معنى الساميين تحديداً شكلياً جعل اليهود من نسلهم وجعل الكنعانيين من نسل حام ، كما حدد أيضاً أن الكنعانيين حسب قول الرب يكونون عبيداً للساميين ، ونسى هذا العملاق أن سام هو أبو بنى كل عابر ومن نسل عابر جاء إبراهيم ، وأن إبراهيم هو أبو إسماعيل وإسحاق .

وذلك أيضاً حسبما قاله كاتب هذا السفر فى رسمه لشجرة آدم - فنوح - فسام .. الخ .

"نوح - سام - أرفكشاد - شالح - عابر - فالج - رعو - سروج - ناحور - تارح - ابرام (إبراهيم) - (إسحاق) - يعقوب - الأسباط الاثنى عشر" .

العبريون - العبرانيون

فى عام 2225 ق . م . تلك السنة التى حُدّدت فيها تواريخ الأسرة البابلية الأولى فى التقويم العالمى ، والتى تعتبر من أهم السنين فى تاريخ الشرق الأوسط ، حيث تدل الحفريات والعلم الحديث أن فى تلك السنة قد بدأ البحث الجاد فى الحضارات القديمة فى منطقة بلاد ما بين النهرين ، ففى ذلك العام نادى "سومو – أبوم" الغمورى نفسه ملكاً على "بابل" ، بعد أن قوض الإمبراطورية السومرية الأولى فى "أور" وقضى على عائلتى "لارسا" و"إيسين" وبسط نفوذه على سائر بلاد ما بين النهرين .

وتعنى كلمة "سومو – أبوم" "الأب سام" والذى حكم بلاد ما بين النهرين من الفترة 2225 – 2211 ق .م وهو مؤسس الأسرة البابليّة الأولى، ومنهم سادس ملوكها، الذى تألق نجمه فى التاريخ واتسعت شهرته العالمية، "حمورابى" 2123 –2020 ق.م، الذى حفر على الحجر شريعته الوضعية وعَلقَ فى معرض التاريخ ذلك القانون الموحد والمعروف بـ "قانون حمورابى" ، وإلى تلك الأسرة ومؤسسها الأول سام ينتمى العبرانيون من سام إلى أرفكشاد فشالح فعابر ، ثم فالج ثم رعو ثم سروج ثم ناجور ثم تارح إلى أبرام (إبراهيم) عليه السلام ، إذن يكون إبراهيم هو (أبرام بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام) .

قليل جداً التاريخ العلمى الذى نجد فيه اسم "أبرام" أو "إبراهيم" ولكننا سنحاول تسليط كل مجاهر البحث ، وبدقة ، لنتأكد من أصل هذا الاسم معتمدين على ما جاء فى الكتب السماوية محاولين إيجاد الأدلة المادية البحتة وراء أصل هذا الاسم وقبيلته ونسبها فى التاريخ فنجد أن :

فى عام 2225 – 2211 ق . م . ظهور "سام" مؤسس الأسرة البابلية الأولى للدولة

العمورية ، ثم حكم حمورابى 2123 – 2020 ق . م ، وفى1925 ق . م أغار الحيثيون على بابل وقتلوا "سمشو – ديتانا" أى شمس الدين آخر ملوك الأسرة العمورية ، وذلك العام يقابل منتصف الأسرة الثانية عشرة المصرية ، أما 1900 ق . م فترة حكم "سنوسرت الثانى" قد شهدت هجرة كثير من القبائل والرحّل من بلاد ما بين النهرين (أور) ، خاصة من العموريين ، بعد انتصار الحيثيين عليهم وطردهم من بلاد ما بين النهرين إلى أرض كنعان ، فالوادى بمصر إلى الدلتا وجنوب الوادى ، ونرى تلك الهجرة مسجلة فى لوحات بمصر الوسطى وعلى جدران مقابر "بنى حسن" التى يعود تاريخها إلى عام 1900 ق.م ، وبين عامى 1925 – 1762 ق . م من الغزو الحيثى إلى الغزو الكاسى ، والذى تذكر بعض المراجع أن تلك الفترة دامت حوالى قرناً ونصف قرن ، ظهرت أسرة حاكمة من العموريين تسميها الوثائق بالأسرة الثانية ، وتبين هذه الوثائق أنها الأسرة الثانية التى حكمت "أور" ، وحاولت حكم البلاد من تلك الجهة التى كونتها رواسب النهرين فى الجنوب فجعلت منها منطقة مستنقعات وسُميت بـ "أرض البحر" ، وأن ملوكها الذين اقتصر عددهم على ثلاثة فقط قد باشروا سلطة غير مستقرة من عام 1925–1762 ق . م حتى أغار الكاسيون وجاء "جنداش" مؤسس الأسرة الكاسية والثالثة فى "بابل" وطرد الملك الثالث والأخير من ملوك "أرض البحر" واضطراره إلى مغادرة "أور الكلدان" والمصادر القليلة والألواح، الممسوحة التى تؤكد ذلك ، لا نجد عليها إلا اسم الملك المخلوع الذى يدعى "داميق – إيليشيو" وترجمتها "خليل الله" .

المصدر : أبكار السقاف – إسرائيل وعقيدة الأرض
الموعودة – الناشر : مدبولى ط 2 1997 ص 62 .

ومع أن التاريخ يذكر اسم ملك يدعى أيضاً "داميق – إيليشيو" ورد ذكره فى السجلات البابلية من تاريخ الرافدين، وعلى وجه التحديد فى أعقاب الغزو "العيلامى" الذى اجتاح بابل حوالى سنة 2145 ق . م بقيادة "كدر مابوك" وأسّس مملكة له فى "لارسا" توالى على حكمها أبناء "كدر مابوك" ثم "واراد–سن.."، و"ريم – سن" وهذا الأخير الذى انتصر على الملك "داميق–إيليشيو" وغنم "ايسين" وامتلك

كل ما فيـها عام 2132 ق.م . "وقد سـجل هذا الانتصار على لوح صلصـالى مكتوب عليهُ : فى تلك السنة 2132 ق .م استـحوذ الراعى (ريم – سن) على مـدينة "داميق – إيليـشيـو" وغنم إيسين وامتلك كل مـا فى إيسين – متـحف اللوفر" إلا أن "دمـيق – إيليـشيـو" الذى هزمـه "ريم – سن" غـير "دمـيق – إيليـشيـو" الذى هزمـه "جنداش الكاسى" وطرده من مملكته "أرض البحـر" ، وحتى نتأكد مَنْ منهمـا يحتمل أن يكون خليل الله إبراهيم عليه السلام نرجع إلى التاريخ نجد :

أن الفـترة الزمنيـة من 2225 ق . م مـروراً بحكم حمـورابى (2123 – 2020 ق.م) حتى انهـيار أسرة أرض البحـر عام 1760 ق .م تقع فى مدى زمنـى مقداره أربعـمائة وخمس وستـون سنة وهو زمن أسرة سام حتى أبرام (فرضا) ، وحـيث أن الإصحاح الحادى عشر من سفر التكوين يقول :

"هذه مواليد سام – لما كان سام ابن مائة سنة ولد أرفكشاد ، وعاش أرفكشاد خـمسـاً وثلاثين سنة وولد رعو .... وعـاش رعـو اثنين وثلاثين سنة وولد سروج ... وعـاش سروج ثلاثين سنـة وولد ناحور .. وعـاش ناحور تسـعاً وعشرين سنة وولد تارح وعاش تارح سبعين سنة وولد أبرام".

أى أن الفترة الزمنيـة من سام حتى ولادة إبراهيم هى 390 سنة، أى أنه يحتمل أن يكون ميـلاد إبراهيم عليه السلام قـد وقع عام 1835 ق.م وحيث أن الإصحـاح الثانى عـشر من سِفْر التكوين يقـول : "وكان أبـرام ابن خمس وسـبعين سنة لما خـرج من حاران" .

أى بعد حـوالى 465 سنة ، وبهـذا يتفق تمامـاً التاريخ الدينى مع التـاريخ العلمى، ويكون من المحتـمل الأكثر قبـولاً أن إبراهيم عليه السلام هو آخـر ملوك أسرة أرض البحـر ، ومما يؤكد على ذلك أن سـقوط أسـرة أرض البحـر عام 1760 ق . م يقابـلها مستـهل حكم الأسرة الثالثة عـشرة فى مصر . أو بالأحـرى بداية حكم الهكسوس ، وقد ارتحل خليل الله عن الفرات الأدنى إلى "حاران" فى أرض "كنعان" ومنها انطلق إلى مصر فى عهد الهكسوس .

وفى الإصحاح الحادى عشر سِفْر التكوين يقول :

"أخذ تارح أبرام ابنه ولوطاً بن هاران ابن أخيه وساراى كنته امرأة أبرام ابنه فخرجوا جميعاً من "أور" الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان فأتوا حاران وأقاموا هناك" .

وأور الكلدان : هو الموقع الذى يسمّى الآن "المقبر" والواقع على الفرات الأدنى عند ذلك السهل الفضى الذى كان يسمى "أرض البحر" .

ومن هنا نعرف أو نُعرِّف العبرانيين بأنهم بنو عابر ، وإن كانت بعض الكتب تطلق عليهم هذا الاسم لكونهم عبروا النهر من "أور" إلى كنعان - حوران" لكن الأصح و الأدق هو نسبهم إلى بنى عابر ، وهذا ما يؤكده التاريخ العلمى والدينى .

ثم ننتقل إلى جذور تلك القبيلة لنعرف معنى "الساميين" ومن أين انطلقوا من خلال المراجع المذكورة لإثبات نسب "إبراهيم" عليه السلام ، فنجد أن بنى عامر هم أحفاد "سام" ومن هنا أُطلق عليهم الساميون .

الساميون هم أبناء سام فعابر فأبرام ، ومن نسل إبراهيم يأتى الساميون .

إسرائيل - الإسرائيليون - اليسرائيليون *

ما معنى كلمة إسرائيل ؟ ومتى ظهرت هذه الكلمة لأول مرة فى التاريخ ؟ ومن هم بنو إسرائيل ؟

ونحن نقصد بتقديم هذه التعاريف (الساميون - العبرانيون - الإسرائيليون - اليهود - الصهيونيون) أن يعرف أو يتعرَّف القارئ على المدلول التاريخى الدينى والسياسى لهذه المسميات ، متى ظهرت وَمنْ هم ؟ وإلى أين انتهوا ؟!

ونعود إلى تسليط الضوء على أول ظهور لكلمة إسرائيل فى التاريخ الدينى آنذاك من سفر التكوين أو من الأساطير ، وإذا أمسكنا بالتاريخ الدينى اعتماداً فقط على ما جاء بسفر التكوين فى التوراة (العهد القديم كما يسمونه) ، وكما أشرنا فى السابق حين جرى البحث عن العبرانيين ، فإن إبراهيم عليه السلام قد رُزق بإسماعيل وإسحاق عليهما السلام ، وأن إسحاق تزوج من "رفقة" وكان له منها بعض الأبناء أكبرهم "عيسو" ومن أبناء إسحاق يعقوب الابن الأصغر ، وتُحدثُنا الأساطير أو الأسفار وخاصة سفْر التكوين أنه لما شاخ إسحاق وكلَّت عيناه عَن النظر أنه دعا "عيسو" ابنه الأكبر وقال له :

"يا بنى .. إننى قد شخت ولست أعرف يوم وفاتى فالآن خذ عدتك ، جعبتك وقوسك ، واخرج إلى البرية وتصيّدْ لى صيداً واصنع لى أطعمة كما أحب وائتنى بها لآكل حتى تباركك نفسى قبل أن أموت.. ، وكانت رفقة سامعة حين تكلم إسحاق مع "عيسو" ابنه ، فذهب عيسو إلى البرية كى يصطاد صيداً ليأتى به ، وأما "رفقة" فكلمت يعقوب ابنها قائلة :

---

* الإسرائيليون اسم أطلق على المملكة اليهودية التى تأسست فى شمال فلسطين (المملكة الشمالية) فى القرن العاشر قبل الميلاد (الضفة الغربية) تمييزاً لهم عن المملكة اليهودية التى تأسست فى جنوب فلسطين واتخذت أورشاليم عاصمة لها ، (مملكة يهوذا وبنيامين) .

إنى قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلاً ائتنى بصيد واصنع لى أطعمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتى ، فالآن يا بنى اسمع لقولى فى ما أنا آمرك به ، اذهب إلى الغنم ، وخذ لى من هناك جديين جيدين من الماعز فاصنعهما أطعمة لأبيك كما يُحب، فتحضرها إلى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته .. فقال يعقوب لرفقة أمه : هو ذا عيسو أخى الأكبر رجل أشعر ، وأنا رجل أملس ، وربما يجسّنى أبى فأكون فى عينيه كمتهاون ، وأجلب على نفسى لعنة لا بركة . فقالت له أمه : لعنتك علىّ يا بنى . اسمع لقولى فقط واذهبْ خذ لى ، فذهب وأخذ وأحضر لأمه فصنعت أمه أطعمة كما كان أبوه يحب ، وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التى كانت عندها فى البيت وألبست ابنها الأصغر ، وألبست يديه وملاسة عنقه (صدره) جلود جدى الماعز ، وأعطت الأطعمة والخبز التى صنعت فى يد يعقوب ابنها ، فدخل إلى أبيه وقال : يا أبى ، فقال ، ها أنذا ، من أنت يا بنى؟ فقال لأبيه : أنا عيسو بكرك ، قد فعلت ما أمرتنى ، قم واجلس وكُل من صيدى لكى تباركنى نفسك ، فقال إسحاق لابنه : ما هذا الذى أسرعت لتجد يا ابنى؟

فقال : إن الرب إلهك قد يسّر لى ، فقال إسحاق ليعقوب : تقدم لأجسك يابنى أأنت هو ابنى عيسو أم لا ؟

فتقدم يعقوب إلى إسحاق أبيه ، فجسه وقال : الصوت صوت يعقوب ، ولكن اليدين يدا عيسو !! ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدى عيسو أخيه، فباركه ،

وقال : أنت عيسو ابنى ؟

فقال : أنا هو !

فقال إسحاق : قدم لى لآكل من صيد ابنى حتى تباركك نفسى !

فقدم له فأكل وأحضر له خمراً فشرب ، فقال له إسحاق أبوه : تقدم ، فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض وكثرة حنطه وخمراً ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل !!"كن سيداً لإخوتك" .

الإصحاح 27 من سفر التكوين

"وحدث عندما فرغ إسحاق من بركة يعقوب ، أن عيسو أخاه أتى من صيده فصنع هو أيضاً أطعمة ودخل بها على أبيه وقال لأبيه : ليقم أبى ويأكل من صيد ابنه حتى تباركنى نفسك .
فقال له إسحاق أبوه : من أنت ؟
فقال له : أنا ابنك بكرك عيسو !
فارتعد إسحاق ارتعاداً عظيماً جداً وقال : فمن هو الذى باركته ؟
فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومُرة جداً وقال لأبيه :
باركنى أنا أيضاً يا أبى !
فقال إسحاق : لقد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك ! ! إنى قد جعلته سيداً لك ودفعت إليه جميع أخوته عبيداً" .

الإصحاح 27 من سفر التكوين

تقول الأساطير إن يعقوب عندما علم بعودة أخيه عيسو، وإن أباه قد كشف خداعه ومؤامرته مع أمه، قد فر هارباً ليلاً من بئر سبع إلى حاران عند أخواله (أهل أمه رفقة)، وعند السؤال عنه أخبروا أباه وأخاه أن يعقوب أسرى ليلاً إلى أخواله وهكذا سمى (بإسرائيل) .

وتقول أساطير الأسفار خاصة سِفْر التكوين الإصحاح 33 :

"فى تلك الليلة بقى يعقوب وحده ، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ، ضرب حُقّ فخذه فانخلع حُقّ فخذ يعقوب فى مصارعته معه ، وقال : أطلقنى لأنه قد طلع الفجر ! فقال : لا أطلقك إن لم تباركنى فقال له : ما اسمك؟ فقال : يعقوب . فقال : لايدعى اسمك فيما بعد بيعقوب بل "إسرائيل" لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت !" .

ومعنى كلمة إسرائيل "إسر" تعنى عبد ، و"إيل" تعنى الله أى أن معنى كلمة إسرائيل "عبد الله" .

أما "بنو إسرائيل" فهم أبناء يعقوب ، الأسباط الأثنا عشر والذى يحدثنا التاريخ

الدينى للتوراة عنهم كالتالى :

دعا يعقوب بنيه وقال : اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم فى آخر الأيام ، اجتمعوا واسمعوا ، واصغوا إلى إسرائيل أبيكم :

- راؤبين (الابن الأول) ، فائراً كالماء لا تتفضل لأنك صعدت على مضجع أبيك حينئذ دنسته .

- شمعون ولاوي* (الابن الثانى والثالث) آلات ظلم سيوفهما فى مجلسها لا تدخل نفسى ، بمجمعهما لا تتحد كرامتى ! لأنهما فى غضبهما قتلا إنساناً وفى رضاهما عرقبا "ثوراً" ، أقسمهما فى يعقوب وأفرقهما فى إسرائيل .

- يهوذا (الابن الرابع) : إياك يحمد إخوتك، يدك على قفا أعدائك، يسجد لك بنو أبيك، يهوذا جرو أسد من فريسة صعدت يا ابنى.**

- زيولون (الابن الخامس) عند ساحل البحر يسكن.

- يساكر(الابن السادس) حمار جسيم رابض بين الحظائر.

- دان (الابن السابع) حية على الطريق ، إفعوان على السبيل يلسع .

- جاد (الابن الثامن) يزحمه جيش ، ولكنه يزحم مؤخرة

- أشير (الابن التاسع) خبزه سمين ، وهو يعطى لذات ملوك

- نفتالى (الابن العاشر) أيله مصبية .

- يوسف (الابن الحادى عشر) غصن شجرة مثمرة على عين .

- بنيامين (الابن الثانى عشر) ذئب مفترس فى الصباح يأكل غنيمة ، وعند المساء يقسم نهباً .

الإصحاح 49 سفر التكوين

هؤلاء هم أبناء يعقوب - بنو إسرائيل وهذا هو إسرائيل نفسه كما صورته التوراة (محتال - نصاب - كذاب - مخادع) أستغفر الله أن يُنعت نبى بهذه الصفات وهؤلاء هم أبناؤه كما وصفهم يعقوب ، بنو إسرائيل منهم القاتل والحمار والمصيبة

* والمعروف أن الابن الثالث لاوي هو الجد الأعلى لموسى عليه السلام .

** الجد الأعلى لداود .

والأفعى ...إلخ من صفات .

ثم التآمر على بعض ، ومحاولة قتل "يوسف" عليه السلام ثم إنقاذه ووصوله إلى مصر فاعتلاؤه مكاناً رفيعاً وصل إلىٰ حد الوزير أو الحاكم - ثم رحيل جميع الأسباط الأثنا عشر مع عميدهم "إسرائيل" إلى مصر ليعيشوا مع يوسف هناك ولقرابة أربعة قرون .

وتؤكد سجلات تحوت موسى (تحتمس الثالث) ، على تلك البرديات ذكراً لبعض أسماء الملوك الرعاة (الهكسوس) ، والتى تعنى كما يحدثنا (يوسوفيوس) والذى سمى أو أطلق على فترة احتلال الهكسوس لمصر ذلك الاسم ، ومعناه فى المقطع الأول من الاسم (حُج أو هج) بمعنى ملك ، وفى المقطع الأخير من الاسم هو (سوس) بمعنى رعاة . حيث ورد فى سجلات "تحتمس الثالث" لهؤلاء الملوك "يعقوب - إيلو" ، و"يوسف - يلو" وتلك الفترة من التاريخ السياسى تؤكد التاريخ الدينى على فترة وجود يعقوب ويوسف بمصر .

"كلّم فرعون يوسف قائلاً : أبوك وإخوتك جاءوا إليك ، أرض مصر قدامك فى أفضل الأرض أسكنْ أباك وأخوتك . ليسكنوا فى أرض جاشان ، وسكن إسرائيل فى أرض جاشان وتملكوا فيها وأثمروا وكثروا جداً" .

الإصحاح 47 سفر التكوين

وفى أرض جاشان (أرض غوشن) وادى طليمات الآن أو الشرقية أو شرقى الوادى انتشرت بيوت بنى إسرائيل . . بعدها :

"مات يوسف وكل إخوته وجميع ذلك الجيل ، وأما بنو إسرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيراً جداً، وامتلأت الأرض منهم ....

....

استعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف ومرّروا حياتهم بعبودية قاسية فى الطين واللبن وفى كل أعمال فى الحقل" .

الإصحاح الأول سفر الخروج

وهنا يؤكد التاريخ السياسى التاريخ الدينى على تلك الرواية ، حيث توجد برديتان تعودان بتاريخهما إلى عهد رمسيس (رع موسى) الكبير ، حيث ورد فى البردية الأولى رسالة من (كويسر) إلى (بكنفتاح) وفيها يقول : "أعط الجنود قوتهم وأعط أيضاً "العبريو" ، الذين ينقلون الحجارة لبناء الملك رع موسى والذين وُكِّلَ أمرهم إلى رئيس الشرطة "عَلْنيمان" فأنا أجريت عليهم رزقهم فى كل شهر بمقتضى الأوامر السامية" .

وأما البردية الأخرى فهى رسالة من "كينا" إلى "كجاناهو" وفيها يقول :

"أطعت ما أمرنى به سيدى قائلاً ، أعط الجنود أرزاقهم "والعبريو" أيضاً الذين ينقلون الحجارة لهيكل الشمس الذى انصرفت إليه عناية رمسيس (رع موسى) "

المصدر : أبكار السقاف - إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة - الطبعة الثانية 1997 ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ص117.

فى ذلك العهد ، ومن بيت (لآوى) ظهر أو ولد موسى عليه السلام حيث يقول التاريخ الدينى التوراتى :

"وحدث فى تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج إلى إخوته لينظر فى أثقالهم، فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من إخوته، فالتفت إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد، فقتل المصرى وطمره فى الرمل"

....

ثم خرج فى اليوم الثانى وإذا رجلان عبرانيان يتخاصمان فقال للمذنب : لماذا تضرب صاحبك فقال : من جعلك رئيساً وقاضياً علينا؟ أمفتكر أنت بقتلى كما قتلت المصرى، فسمع فرعون هذا الأمر فطلب أن يقتل موسى، فهرب موسى من وجه فرعون".

الإصحاح الثانى سفر الخروج

وهرب موسى عليه السلام إلى سيناء وسكن فى أرض مديان وتزوج من

"صفورة" بنت رعوئيل أو "يثرو" كاهن مديان وولدت له ابناً سماه "جرشوم" لأنه قال : كنت نزيلاً فى أرض غريبة (معنى الاسم) ، وولدت له ابناً ثانياً فسماه "اليعاذر" لأن إله أبى ناصرى أنقذنى من يد فرعون .

الإصحاح الثانى سفر الخروج

"وكان موسى يرعى غنم "يثرو" حميه كاهن مديان ، فساق الغنم إلى ما وراء البرية حتى أفضى إلى جبل الله"

حيث كلم الله موسى وفق ما قاله الإصحاح الثالث سفر الخروج ، وذهب موسى إلى فرعون ، ثم هرب هو وجميع بنى إسرائيل إلى سيناء ، وذلك حوالى عام 1300 ق. م حتى عام 1190 ق . م فى عهد منفتاح ، وتحديداً فى السنة الخامسة من حكمه (منفتاح هو ابن رمسيس الثانى) . حيث قادهم يشوع بن نون لاحتلال أرض كنعان بعد موت موسى .

والتاريخ الدينى يؤكد أحداث التاريخ السياسى حيث ذكر فى الإصحاح 14 من سفر الخروج أن :

"إقامة بنى إسرائيل التى أقاموها فى مصر فكانت أربع مائة وثلاثين سنة" .

ونحن نعلم أن عصر الهكسوس قد بدأ حوالى سنة 1790 ق.م وأن أحمس الأول قد طردهم عام 1570 ق.م ، وأن إبراهيم عليه السلام ولد تقريباً عام 1835 ق.م ، وهاجر إلى حاران ثم إلى مصر ثم العودة عندما كان عمره 75 عاماً ، أى عام 1760 ق.م وهو عام سقوط "دولة البحر" ، وإذا حسبنا متوسط عمر الفرد فى تلك الفترة ما بين 100 - 150 عاماً فإن إسحاق يحتمل أن يكون قد ولد وإبراهيم عمره 100 عام على الأقل ، أى ولد عام 1735 ق .م تقريباً ، وأن يعقوب أصغر الأولاد، قد ولد تقريباً بعد ميلاد أبيه بـ 50 عاما، أى أنه يحتمل أن يكون ولد عام 1685 ق .م .

وحيث أن هجرة الأسباط الاثنى عشر مع أبيهم إلى يوسف فى مصر أتت فى أواخر عمر يعقوب الذى مكث فى مصر خمسة عشر عاماً فقط وبعدها مات ، فإن هجرة الأسباط من المحتمل أن تكون قد حدثت ويعقوب فى سن 100 عام على الأقل

أى فى عام 1585 ق .م تقريباً .

وحيث أن التوراة الإصحاح (14) من سِفْر الخروج يقول :

إن بنى إسرائيل مكثت حوالى 430 عاماً فى مصر، فإن تاريخ رحيلهم أو طردهم من مصر احتمال أن يقع فى عام 1155 ق . م تقريباً ، وهذا مستعبد تماماً لماذا ؟

لأننا نرى من التاريخ السياسى المؤيد بالبرديات ، وخاصة فى عهد رمسيس الثالث كما ذكرنا والذى حكم مصر قرابة ثلاثين عاماً ، أى أن رمسيس الثالث حكم من عام 1265 - 1235 ق . م ، وتلك الفترة التاريخية تؤكد وجود الإسرائيليين (العبريين) كما جاء بالبرديات (الرسائل) الصادرة إلى حكام الجيش أو الأقاليم والمذكورة سابقاً .

وتقول المصادر إن موسى ولد فى تلك الفترة ، أى فترة حكم رمسيس الثانى، أى حوالى 1300 ق .م ، لأنه عاش فى "حوريب" مع والد زوجته كاهن مديان وتزوج وأنجب طفلين ، ونزلت عليه الرسالة وهو شيخ كبير ، أى وعمره على الأقل ما بين 65 - 70 عاماً ، أى من الفترة 1235 - 1230 ق .م ، وهى الفترة التى عاد فيها إلى مصر بعد موت رمسيس الثانى فرعون مصر وتولى الحكم بعده رمسيس الثالث 1265 ق .م ، فمن هنا يمكننا أن نلخص تلك الأحداث التاريخية السياسية بالإضافة إلى ما ورد فى الأحداث الدينية اعتماداً على الأسفار لنصل إلى التالى :

حوالى 1835 ق.م ولد إبراهيم عليه السلام فى مملكة البحر .

حوالى1760 ق.م انتهاء مملكة البحر ومغادرته فى سن خمسة وسبعين عاماً .

حوالى 1735 ق.م ولد اسحاق (حيث تذكر المصادر أنه ولد وإبراهيم شيخ كبير).

حوالى 1685 ق.م ولد يعقوب .

حوالى 1615 ق.م ولد يوسف .

حوالى 1570 ق.م دخول إسرائيل مصر فى زمن طرد الهكسوس وامتلاك فرعون مصر العجلات الحربية (عزيز مصر أحمس Amosis) .

حوالى 1230 خروج بنى إسرائيل من مصر .

ظهور "يشوع بن نون" فى حياة بنى إسرائيل

يعتبر ظهور "يشوع بن نون" فى التاريخ الإسرائيلى أو التوراتى من أهم الأحداث فى حياة بنى إسرائيل أو عبر تنقلهم من سيناء حتى دخول بلاد "الكنعانيين" بقيادته وذلك بعد موت موسى عليه السلام .

ولكن كيف مات موسى عليه السلام ؟

يقول الإصحاح (32) سِفْر التثنية

"كما مات هارون فى جبل "هور" حيث ، كلم الرب موسى فى نفس ذلك اليوم قائلاً : اصعد إلى جبل عباريم هذا جبل "نبو" فى أرض موآب الذى قبالة "أريحا" وانظر أرض كنعان التى أنا معطيها بنى إسرائيل ملكاً ومت فى الجبل" .

ثم استطرد هذا الإصحاح ليقول :

"كلم الرب موسى قائلاً :

"مت فى الجبل ، كما مات هارون أخوك فى جبل هور لأنكما خنتمانى" .

استغفر الله العظيم أن يخون الأنبياء (بدون تعليق) لأننا لسنا بصدد مناقشة هذه الأسفار، وإنما أردنا أن نطلق الكلمات التى قالها يشوع بن نون ، فور إعلانه عن موت "موسى" عليه السلام وتسلمه قيادة بنى إسرائيل حيث ورد فى الإصحاح 27 سفر التثنية :

"قال الرب لموسى ، خذ يشوع بن نون ... وضع يدك عليه .... وأوقفه قدام اليعاذر الكاهن .... كى يسمع له كل جماعة بنى إسرائيل .... حسب قوله يخرجون، وحسب قوله يدخلون" .

ويعتبر ظهور "يشوع بن نون" وتقلده قيادة بنى إسرائيل من أهم الفترات التاريخية

فى حياتهم ، حيث يجرنا التاريخ الدينى أو ما يسمى بالأسفار الخمسة ، (التوراة) فنجد أن هناك بظهور 'يشوع بن نون' قد ظهر 'سفر سادس' وسمى هذا السفر 'بسفر يشوع' ، ويستمر هذا السفر يخبرنا بأن يشوع بن نون مثله مثل موسى تماماً أصبح نبياً ينزل عليه الوحى ويكلم الله تكليماً حيث ورد بالإصحاح الأول سفر يشوع :

"كان بعد وفاة موسى أن الرب كلّم يشوع بن نون قائلاً : موسى عبدى قد مات ، فالآن قم أعبر هذا الأردن ، أنت وكل هذا الشعب ، إلى الأرض التى أعطيها لهم لبنى إسرائيل .. من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات" .

وانطلقت معجزات يشوع حسب أقوال سِفْره ، الإصحاح العاشر سِفْر يشوع :

"وقال أمام عيون إسرائيل ، يا شمس دومى على جبعون ويا قمر قف على وادى أيلون ، فدامت الشمس ووقف القمر ... وقفت الشمس فى كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل" .

وهنا لا نريد أن ننقد هذا السفر ، سِفْر يشوع بأنه جعل الشمس تقف عن الحركة يوماً كاملاً، إنما نريد أن نبرهن كيف أن يشوع بن نون أو من كانوا وراءه حاولوا تصوير يشوع بن نون مثله مثل موسى عليه السلام أو أكثر قوة وأكثر معجزة ؛ ليتسنى له قيادة بنى إسرائيل .

ولكن كيف كانت القيادة ؟

وعلى ماذا اعتمدت تلك القيادة ؟

ولماذا كما ذكرنا سابقاً تعتبر تلك مرحلة هامة من تاريخ بنى إسرائيل ؟

وعلى الفور تجلت الطاعة العمياء لبنى إسرائيل لزعيمهم يشوع بن نون بعد أن كانوا قد تمردوا على موسى حيث أتى فى الإصحاح الأول من سِفْر يشوع :

"أجابوا يشوع قائلين ، كل ما أمرتنا به نعمله ، وحيثما ترسلنا نذهب ... كل إنسان يعصى قولك ولا يسمع كلامك فى كل ما تأمر به يُقتل" .

وانطلق يشوع ، وانطلقت المرحلة الثانية من حياة بني إسرائيل، حياة القتل ، ودمار كل ما يقابلهم ، سواء من إنسان أو حيوان ، وساروا إلى ما وراء "أريحا" حتى عبر بهم الأردن إلى ضفته الغربية ، واستولى على الجزء الغربي ، الذى قسمه بين "بيوت إسرائيل" ، وتؤيد ذلك المعاول الأثرية التى تشير إلى آثار هذه الموجة العاتية التى زحفت فدمرت "الأشيش" ثم أوغلت فأغرقت شمال "البحر الميت" واحترقت "جريكو" ، ثم انحرفت فقوضت "بيت إيل" وأحرق يشوع المدن الكنعانية الواحدة تلو الأخرى ، وقتل أهلها برمتهم من رجال ونساء وأطفال ، حتى البهائم لم يبق منها واحدة البقر والغنم والحمير أحرقها يشوع أحياء ، كل ما استولى عليه "يشوع" دمره تدميراً وقتله قتلاً وأحرقه حياً .. أباد يشوع كل شيء باستثناء المعادن وسبائك الذهب والفضة .

المصدر : أبكار السقاف - مرجع ورد ذكره - ص279 .

وفى سفر يشوع الإصحاح العاشر من 28 - 40 يقول :

"واستولى يشوع فى ذلك اليوم على مقيدة وقتل بالسيف ملكها وكل نفس فيها ، فلم يفلت منها ناج، وصنع بملك مقيدة ما صنعه بملك أريحا . ثم توجه يشوع على رأس جيشه من مقيدة إلى لبنه وحاربها ، فأسلمها الرب هى أيضاً إلى يد إسرائيل مع ملكها ، فدمرها وقتل كل نفس فيها بحد السيف فلم يفلت منها ناج ، وصنع بملكها ما صنعه بملك أريحا . بعد ذلك تقدم يشوع من لبنه إلى لخيش وحاصرها وهاجمها ، فأسلم الرب لخيش إلى يد إسرائيل ، فاستولى عليها فى اليوم التالى ودمروها وقتلوا كل نفس فيها بحد السيف ، نظير ما صنعوا بلبنه . عندئذ أقبل "هورام" ملك جازر لمعونة لخيش فقضى يشوع عليه وعلى جيشه فلم يفلت منهم ناج . ثم تحرك يشوع وجيش إسرائيل من لخيش نحو عجلون فحاصروها وحاربوها واستولوا عليها ، فى ذلك اليوم ودمروها وقضوا على كل نفس فيها بحد السيف ودمروها ، على غرار ما صنعوا بلخيش . ثم اتجه يشوع بقواته من عجلون إلى حبرون وهاجموها، واستولوا عليها ودمروها مع بقية ضواحيها

التابعة لها ، وقتلوا ملكها وكل نفس فـيها بحد السيف فلم يفلت منها ناج ، على غرار مـا صنعوا بعجلون ، وهكذا قـضوا على كل نفس فيهـا . ثم عاد يشوع إلى دبير وهاجمها واستولى عليـها ودمرها مع ضواحيها وقتل ملكها وكل نفس فيها بحد السيف فلم يفلت مـنها ناج ، فصنع بدبير وملكها نظير ما صنع بلبنه وملكها .

وهكذا هاجم يشوع كل أرض الجبل والمناطق السهلية والسفح ودمرها وقتل كل ملوكها ولم يفلت منها ناج ، بل قـضى على كل حى كما أمر الرب إله إسرائيل" .

وسـيطر بنو إسرائيل على أرض كـنعان أو على جـزء من أرض كنعان ، بعـد أن دمروا كل شىء وكل نفس فى طريقهم من سيناء بعد التـيه الذى أخذهم أربعين عاماً لينطلق بهم يشوع ويدمر كل نفس بشرية أو برية .

وتمكن يشوع من الـسيطرة على نهر الأردن ، وفى فـجر الألف الأولى قـبل الميلاد وبالضـبط عام 1000 ق .م ، وحّد داود الأسـباط الأثنى عـشر بعـد أن تعرضـوا لعدة هزائم فى تلك المنطقة وهزم اليبـوسيين والفلسطينيين ، وأسس ووسع مملكة إسرائيل حتى امـتدت أرض إسرائيـل فى عهده من دان فى الشـمال إلى بيـر سبع فى الجنوب واتخذ من يبوس بعد أن تحول اسمها إلى أورشاليم عاصمة له .

وهكذا وبقـيادة داود عليه السـلام الذى يعد من أشـهر أنبـياء بنى إسرائـيل ، بعد مـوسى عليـه السلام ، هذا الـنبى الذى ينتـسب إلى السبط الرابع أو الابن الرابع من أبناء يعقوب عـليه السلام (يهوذا) تنطلق أعظم فـترات بنى إسرائيل وتثبت أقـدامها على تراب أرض كنعان وتبـنى ملكاً ومملكة عظيمة ، استمرت قـوتها وعظمتـها فى عهد سليمان بن داود الذى بنى الهيكل .

بعد وفاة سليمان بن داود انقسمت مملكته إلى قسمين :

1 - **مملكة الجنوب** : وعاصمتها أورشاليم أو بيت المقدس ، وقد اقتطفه بيت "يهوذا" و"بنيامين" وهؤلاء أقاموا عرشاً اختصر على سلالة داود وسليمان وعرفت تلك المملكة باسم "يهوذا" أو "المملكة" اليهودية .

2 - **مملكة الشمال** : وكانت حول "سامرا" الضفة الغربية لنهر الأردن وكانت تلك المملكة من نصيب الأسباط العشرة الآخرين من نسل يعقوب ، ومن هنا عرفت باسم "مملكة يسرائيل" .

ومن جراء هذا التنازع والتقسيم والانفصال بين أبناء يعقوب (إسرائيل) الاثنى عشر ، دب الوهن والضعف بينهم ، وسرعان ما شعر الآشوريون ، بهذا الضعف .

وفى عهد "شلمنصّر الثالث" الذى أغار على مملكة الشمال "مملكة يسرائيل" عام 853 ق .م (أى بعد قرن ونصف قرن من قيام المملكة الإسرائيلية القوية على يد داود ، وذلك فى موقعة "كركر"، وفى عام 721 ق .م تمكن "سرجون الثانى" الآشورى من سحق القبائل العشر نهائياً ، وقضى على مملكة الشمال تماماً عام 720 ق .م وحمل من تبقى منهم إلى بلاده أسرى وانتهت مملكة يسرائيل نهائياً .

وفى عام 586 ق .م استطاع البابليون بقيادة "نبوخذ نصّر" الثانى القضاء على مملكة الجنوب قضاءً "تاماً" ودمر هيكل سليمان، ثم حمل الرؤساء من قبيلتى يهوذا وبنيامين إلى "بابل" أسرى .

ويقول الباحثون : "إنه فى ذلك العهد وفى أسر الفرات كُتبت الأسفار الخمسة للتوراة على ضفاف الفرات وكان الحنين فى غضون هذا النفى إلى أورشاليم ، وخاصة ، وهم أحفاد داود الذى كان بطلهم ونبيهم فى أورشاليم وفى قاعدته

(حصن صهيـون ، حتى أصبح الحنين إلى 'صهيـون 'رمزاً' للحنين إلى عودة المملكة الضائعة والحلم الصهيونى بعودتهم إلى أورشاليم)' .

المصدر : أبكار السقاف – سبق ذكره – ص 284 .

وفى حوالـى عام 538 ق .م استـطاع 'كـورش' الفـارسى فـتح بابل ، ولم تمض سنتان على الفـتح الفارسى لبابل إلا وبدأت المجـموعة الأولى من اليهـوذ فى العودة إلى بيت المقدس عام536ق.م .

وعندمـا تولى 'دارا الأول' الحكم بعد كـورش عَـيَّن (زربابل بن شالتـينل) سليل داود وهو الجد الأعلى ليوسف النجـار حاكماً على اليهود وسمح للـيهود بإعادة بناء الهيكل فـبدأوا فى بنائه فى العام التالى من حكم دارا ، وأتموه فى السنـة السادسة من ذلك الحكم عام 518 ق . م ، ورأت اليهـود فى شخـصية 'زربابل' الشـخصـية المثلى والطاهرة التى تسـتطيع أن تعيـد مملكة داود بطريقـة مختلـفة ، وهى طريقـة مخالـفة لطريقة القتل والدمـار،خاصة بعد ما عانوه فى الأسـر والمنفى على شاطئ الفرات فى 'بابل' ، وخاصة أن زربابل من نسل داود ويمتاز بالوداعـة ، حيث لقبوه بالملك المنتظر والوالى الحالى للـيهودية الذى رأته أورشاليم حاملاً الحـجارة على كتفـيه لإعادة بناء المعبد ، وتراه فى تنقلاته راكباً على حـمار تارة وتارة أخرى على جحش ابن أتان كما إلى ذلك يشـير الإصـحاح التـاسع من سِفْـر 'زكريا' النبى العـاشر فى سـجل أنبـياء اليهودية الأثنى عشر .

وفى عام 520 ق .م تلاشى حكم 'زربابل' على أيدى الـكهنوتية ، وهكذا أخـفق بيت داود وانتـصر 'بيت صَدُّوق' من أهل الكـهنوت الذين راحوا مع الأيام يدفـعون بذلك البـيت إلى التوارى فـالانغمـار فى ركـب الحيـاة ، وزحام المعـاش بينما انتـقل الحكم نهائياً إلى اليد الكهنوتية .

وعـبر هـذا التاريخ المصـنوع والخرافى يقـول 'بنيـامين نتنيـاهو' رئيس وزراء مـا يسمونه بدولة إسرائيل فى كتابه 'مكان تحت الشمس' ترجمة محمد عودة الدويرى ، دار الجليل للنشر ، عمان الأردن ، ص 84 :

"ينتهي تاريخ شعب إسرائيل الوارد في التناخ ، بعودة صهيون وتجديد الاستقلال اليهودي في عهد كورش ملك الفرس عام 538 ق .م أما الاسكندر الأكبر الذي احتل البلاد من أيدي الفرس فلم يمنح السيادة لليهود ، لكنه في عام 167 ق .م تمرد اليهود على الحكم اليوناني ، ونجحوا بقيادة "الحشمو نائيم" لكنهم فقدوا استقلالهم من جديد ، لدى استيلاء الرومانيين على البلاد في عام 63 ق .م" .

وهو ما يؤكد صحة تاريخ اليهود الذي نجمعه ، وفي حوالي عام 44 ق .م تزعم 'عزرا' الدعوة إلى 'اجتماع خطير' وأخذ يقرأ عليهم ما أسماه 'شريعة موسى' وعندما فرغ 'عزرا' من قراءتها أقسم الجميع على أن يتخذوا من هذه الشرائع 'دستوراً' يسيرون وفقه وأطلق على نتيجة ذلك الاجتماع 'الإصلاح الديني' أو 'سِفْر عزرا' مخالفاً لطيبة ووداعة 'زربابل' ، حيث أطلق 'عزرا' نداء قال فيه :

"إن زربابل لم تتوافر فيه شروط "الملك المسيح المنتظر" ، وإن الحكم إذا كان قد غدا كهنوتياً ، فليس ذلك إلا لإدارة دفة الأمور ولفترة موقوتة ستنتهي بمجيء من ستتوفر فيه الشروط المطلوبة لفرد من بيت داود يمكن أن تمسحه يد الكنهوت "مسيحاً" فيكون ملك اليهود" .

وأمام تسلط اليد الكهنوتية على المجتمع اليهودي ومن خلال التحول الاجتماعي لمقاومة الارهاب الديني انقسم المجتمع إلى ثلاث شُعب هي :

- **الشعبة الصَدُّوقية** : نسبة إلى بيت 'صَدُّوق' وانتمى إلى تلك الفصيلة أصحاب الثراء المادي رافعين سِفْر يشوع كدستور لهم .

الشعبة الأسينية : ومن هذه الشعبة سيكون «يوحنا المعمدان» ، وقد اعتنقت تلك الجماعة الحب ديناً ونبذت الطقوس الدموية وآمنت بخلود النفس .

الشعبة الفريسية : ومن هذه الشعبة سيكون «يوسف النجار» حفيد الطيب «زربابل» وامتازت تلك المجموعة بالصفاء الروحي والزهد والأعمال الصالحة ، حيث ظهرت فيهم «المزامير» ثم "الامثال" ثم "الجامعة" .

وبدأت النفوس والأرواح اليهودية وسط هذا الجو الجديد من الأسفار الثلاثة (المزامير والأمثال والجامعة) تنظر بروح جديدة إلى منقذ جديد وملك جديد لا يكون الدم وسيلته إلى عودة الأمجاد اليهودية ، ويربط فيما بينهم برباط المحبة والسلام ، ويعلمهم إلقاء الأعمال الصالحة بذوراً لن تفسد أبداً في تربة السماء ، وعليه فإن هذا "المـُخلـّص" لن يحتاج إلى مسحة من اليد الكهنوتية الدموية بل إنه سيكون "ممسوح من يد الرب" .

وفور إعلان الولاية اليهودية إحدى ولايات الدولة الرومانية عام 63 ق.م أصبح هذا الشعور لانتظار المسيح المخلص هو شعور سمة ذلك العصر أو تلك الفترة التي امتدت من عام 63 ق.م حتى عام 37 ق.م .

وخلال العهد "الهيرودي" نسبة إلى "هيرود" الذي حكم الولاية اليهودية من عام 37 ق .م حتى عام 4 ق .م وهو من نسل «آدوم» ، أخي «يعقوب» وقد مكنته شيعة صدّوق من الحكم لدى الرومان لمحاولة القضاء على الشعور الديني الفياض لمجموعة الشعبة الفريسية والقضاء على «أسفارهم» وأفكارهم ، حيث قابل أكثرية اليهود هذا الحكم بزيادة شعورهم وتمسكهم بالروحانية والزهد والأعمال الصالحة.

وانطلق صوت شجاع من "الجليل" في غضون تلك الفترة يعلن :

لقد آن مطلع "المسيح"

وكان ذلك الصوت الشجاع هو صوت «يوحنا المعمدان» الذي لم يغفر له "هيرود الثاني" حاكم اليهود هذا العمل وقام بقتله ، وبقتل يوحنا المعمدان ، وقبل جفاف دمائه ظهر المسيح عيسى بن مريم (يسوع) في جو سياسي ديني ملبد بالغيوم ، حيث الحكم اليهودي الهيرودي الدموي يمسك بحكم اليهود متعاوناً مع الرومانيين والمجتمع منقسم إلى شيع وجماعات منها : الجماعات الكهنوتية الدموية (مجموعة صدوق) وأخرى مخالفة لها على طول الطريق تنتظر مولد "يسوع" عليه السلام .

وحـيـث أننا لا نكتب تاريـخ اليـهود أو المسـيـحـيـة بل نعـرِّف من هم اليـهـود (أصلهم، تاريخ نشأتهم ، الحركات الدينية والسياسية التى أثرت فيهم ، هجرتهم ، من هم اليهود اليـوم) عليه ، فإننا سوف نمر على ظهور 'يسوع' المسـيح عيسى بن مريم عليـه السلام مروراً يعـبر عن ولادته ونشـأته فى ذاك المجتمع اليـهودى الذى يحكمه هيرود اليهودى بتعاونه مع الرومانـيين وبسمة حكمه القائمة على علاقات القتل والدم والقوة ضد الجـماعات الفريسية وغيرها ، ومـا قتل يوحنا المعمدان إلا مؤشراً كـبيراً وخطيراً كمـا يدعون بقتل (صلب يسوع) ، الذى تجـرأ بحمله رسالة سماوية جـديدة وديناً جديداً عليه مسحـة من الرب ، وليس من بيت صدُّوق (اليد الكهنوتيـة) الذى كان يتـزعمـه هيرود فكان لابد أن يلقى مـصيـر يوحنا المعـمدان حـيث ادعى هيـرود ، وكهنة بيت صـدُّوق وهم فى سـدة الحكم مع الرومـانيين أن يسوع هو يوسف النجار ولابد من القصاص منه والقضاء على دينه المعادى لدينهم كما يدعون .

إن ظهور يسـوع أو المسيـحيـة كدين جديد بعـد الديانة اليهـودية ، أو فى قلب ظلمها وجبروتها وأقصى بعدها عن تعالـيم الدين اليهودى الصحيح ، جعل غالبية كبـيرة مـن البشـر القاطنين بقـعة أرض فلسطين والـشرق العـربى يدينون بالديانة المسيـحيـة التى قامت على تعـاليم دينية غـاية فى السمـاحة والطهارة ونبـذ العنف والدم ، وأن ألله هو إله الجـمـيع ورب الجمـيع وليس (إله الجند) ، أو (إله الحـرب والجنود) أو (إله الدم) أو (يهوه) أى إله فقط لبنى إسرائيل كما يدعون .

لقد أحـدث ظهور المسيـحية هزة عنيفـة فى الأرض ، وليس فى أرض فلسطين فحـسب، من هنا فـإن كثـيراً من اليـهود الذين نزلت إليـهم هذه الديانة المسـيحـية الجديدة خاصة من شيـعة (الاسينية) وشيعة (الفريسيـة) قد آمنوا برسالة عيسى بن مـريم عليه الســلام بل كان منهم الحـواريون، وكـان من الطبيـعى بعد مـحاولتـهم صلب المسـيح ، لولا أن رفعـه الله سبـحانه وتعـالى، أن ينشأ بين الديانتـين صراع جدلى بين الحق والبـاطل، الحق فى رسالة عيـسى عليه السلام، والبـاطل فى رسالة الدم والقتل والبطش (كهنوت بيت صَـدُّوق) .

فأصبح الصراع والعداء والتناقض قائماً بين المسيحية ، دين يدعو للمحبة والسلام ، واليهودية الوضعيّة المحرّفة على يد (بيت صدوق) تدعو إلى العلو على الجميع ، وأن الجميع عبيد ، وهم الأسياد ، وأن (الله) هو إله (بيت صَدُّوق) الإسرائيليين فقط، وأن كل البشر أعداؤه والإسرائيليين جنده وعلى الجنود قتل أعداء (يهوه) .

كان لابد أمام الحق والباطل أن تنشأ وتقع المعارك والصراعات .

وعندما انتشرت المسيحية على أيدى الحواريين من أتباع (يسوع) انتشاراً عظيماً كان على كهنة بيت صدّوق ، وما يمثله هذا البيت من خرافات وأساطير أن يبدأ هو الآخر فى كسب أتباع وأنصار حتى لا يتحول الجميع من البشر إلى المسيحية ، ومن هنا بدأت الدعوة والتبشير إلى اليهودية رغم ما ادعوه فى كتبهم بأن اليهودية من دم واحد ، بل أصبح الصراع فى كسب مؤيدين يدخلون إلى اليهودية أمام اكتساح الديانة المسيحية لليهود وغير اليهود من أجناس العالم .

واعتبر الحكم الرومانى الذى كان يحكم منطقة الشرق الأوسط بما فيها فلسطين ذلك تحدياً «كبيراً» له فثار ضد اليهود جميعاً ، وهاجم "تطيس" الرومانى اليهودية واحتل أورشاليم ودمرها وهدم المعبد الثانى من جديد .

وظل الحاكم الرومانى يقتل ويطرد اليهود ، سواء الذين آمنوا بالمسيحية أو الذين كانوا ضد المسيحية ما بين عام 66 م إلى عام 70 م إلى أن أباد معظم اليهود ، ولينتهى وجودهم الفعلى فى القدس فى تلك الفترة .

وبعد هذا الحدث باثنين وخمسين عاماً كانت فترة كافية أن يترعرع فيها من جديد اليهود فى القدس ، حيث ظهر فى عام 117 - 128 م ، يهودى ادعى أنه المسيح المنتظر (هنا نجد تأكيدهم وعقيدتهم بأن المسيح عليه السلام فى نظرهم ليس هو المسيح المنتظر) وكان اسمه "باركو شياس" فهاجمهم هادريان واحتل حارة اليهود فى القدس ودمرها تدميراً "كاملاً" ثم بنى مكان مدينة القدس مدينة جديدة سماها «إيليا» حرّم على اليهود سكناها. ■

الفصل الثانى

الصهيونيـــة

«إن تنازل دولة إسرائيل عن المبادئ
الصهيونية يعتبر تنازلاً عن مصدر
حياتها وعندئذٍ تبدأ بالذبول»

نتنياهو

«رئيس وزراء ما يسمى بدولة إسرائيل»

ما معنى (صهيون) الذى اشتقت منه (الصهيونية) ؟!

"إن هدف الحركة الصهيونية هو تنفيذ النص الوارد فى الكتاب المقدس بانشاء وطن قومى يهودى فى فلسطين"

هرتزل

إن كلمة صهيون نفسها ، وإن كنا لا نجد لها أصلاً فى اللغة العربية متفق عليه ، إلا أنها (صهيون) عربية الأصل ، وأغلب الشراح يرجحون أنها مشتقة من مادة "الصون والتحصين" حيث أطلق العرب الكنعانيون هذا الاسم على أحد الجبال الذى يمتاز بقوة أحجاره (الحجر الصوان) ومنعة هذا الجبل وقدرته على تحصين المدينة ، لأن هذا الجبل كان فعلاً من حصون الروابى العالية والمقصود بالعربية هنا لغة القوم الأصلاء من أبناء شبه الجزيرة العربية التى قذفت بهم إلى أرض فلسطين (كنعان) حيث أطلقوا على هذا الجبل اسم (صهيون) أو (صيوان) .

وهو (أى الجبل) أحد جبال أورشاليم ومن قمة هذا الجبل وتحصيناته كانت تتمركز مملكة داود حيث كانت قمة هذا الجبل (جبل صهيون) قاعدة للملك داود عليه السلام من عام 1000 ق . م واستمرت قاعدة متقدمة لسليمان بن داود عليهما

السلام ، القلعة التى كان يحكم بها مملكة داود حتى عام 935ق.م .

هذا هو المعنى الحرفى لكلمة صهيون ، كما فى التاريخ ، ولكن متى تحول هذا المعنى الحرفى إلى معنى عاطفى أو دينى أو سياسى أى ،

ما هى الصهيونية !؟

عند التعريف باليهود ذكرنا تكوين مملكة الشمال ، ومملكة الجنوب بعد سقوط مملكة داود وسليمان عليهما السلام ، حيث انقسمت إلى قسمين : مملكة الجنوب «مملكة يهوذا» ويتزعمها بيت 'يهوذا وبنيامين' من أسباط يعقوب ومقرها أورشاليم وعاصمتها قلعة الجبل 'صهيون' ومقر حاكمها ، وتكونت مملكة الشمال (مملكة يسرائيل) من الأسباط العشرة الآخرين ، وكما سبق ذكره فإن مملكة الشمال ومقرها الضفة الغربية (السامرا) قد سقطت تماماً وتم تدميرها عام 720 ق .م أى أن مدة هذه المملكة 210 عاماً .

وسقطت مملكة يهوذا عام 586 ق . م أى استمرت حوالى ثلاثة قرون ، ثم تم تدميرها نهائياً على أيدى البابليين ، حيث حمل نبوخذ نصّر الثالث عام 586 ق.م من تبقى من اليهود إلى ضفاف الفرات (بابل) خاصة رؤساء القبائل من اليهود .

وهنا برزت الفكرة الصهيونية ، كيف ؟

حيث جلس اليهود فى المنفى على ضفاف الفرات يبكون ماضيهم ، يبكون ثلاثة قرون من حكم مملكة داود وسليمان ، ويشدهم الحنين الجارف إلى أورشاليم وخاصة مقر الحاكم 'قلعة صهيون' وخاصة عندما يكون الحاكم هو داود أو سليمان أى قوة وعظمة الحاكم ومكانته ، ثم مقارنة ذلك بسوء حالة الأسر ، إن مائة وخمسين ألفاً من اليهود الذين اقتيدوا إلى بابل أسرى بدأ يلفهم الحنين إلى أورشاليم ، وخاصة صهيون ليصبح هذا الحنين إلى 'صهيون' رمزاً للحنين إلى بيت المقدس ، للحنين إلى بيت داود، ثم يمسى الحنين إلى بيت داود حنيناً إلى عودة مملكة يهوذا أو تلك المملكة اليهودية ، ويبدأ الخيال مع الذل فى نسج

الأسطورة لعلها تخفف من جحيم الأسر ، وأخذت الأقلام اليهودية تسطر أول أسس حركة الحنين إلى الماضى ، تسطر أول الأساطير اليهودية (الحركة الصهيونية) التى استمدت من صهيون اسماً ومن قوة داود وسليمان رمزاً ومن بطش البابليين نسيجاً للخلاص فى صورة أمل جنح للخيال كثيراً .. وامتدت الأساطير تسطر برنامجاً لهؤلاء الأسرى .

وقد اعتمد هذا البرنامج الصهيونى ، وهو أول برنامج صهيونى فى التاريخ من عام 586 ق . م إلى عام 536 ق. م أى لمدة خمسين عاماً من الأسر والعذاب والبكاء والحنين ، استطاع فيهم رؤوس بيت يهوذا أو فرع من بيت يهوذا يعود أو ينتمى إلى بيت داود أن يضعوا البرنامج الصهيونى الأول الذى غلب عليه الحلم ، فحوله إلى أسطورة ، ومن الأسطورة نسجت الخيوط الدينية الجديدة ، حيث كتبت لأول مرة التوراة بأقلام حاخامات بيت يهوذا ، حيث خلطوا الدين أو جعلوا الدين أداة تحريضية لقومهم لحفز الهمم وعدم اليأس وبث الروح الشجاعة بأن الله (إله الجند وإله الحرب) هو معهم وأن الأرض (صهيون وأورشاليم) بل تعدى الحلم كل أرض كنعان ليصوروا لهؤلاء البائسين المشردين فى الأسر أن الأرض كلها من حيث يقفوا على ضفاف الفرات إلى النيل هى أرض إسرائيل ، لذا ، فإن الحركة الصهيونية منذ ولادتها عام 586 ق . م قامت على الأسس الدينية الموضوعة بأفكار الحاخامات فى الأسر ، وغلب عليها الطابع الدينى، فكأن الصهيونية هى الوريث الفعلى والحقيقى للديانة اليهودية حيث اختفت التوراة الحقيقية ولم يبق أمام يهود العالم إلا توراة الفرات أو توراة عصر الأسر البابلى الذى روّج لها "اليعاذر" عام 44 ق . م حث نادى إلى اجتماع سمى فى التاريخ "الاجتماع الخطير" وأخذ يقرأ على اليهود توراة عصر الأسر البابلى تحت اسم "شريعة موسى" حيث تصدى مجموعة كبيرة من اليهود إلى هذه التوراة المكتوبة على ضفاف الفرات ، ونشأت الفرق المختلفة فى المجتمع اليهودى ، كما أسلفنا ذكره "جماعة" صدوق والجماعة الأسينية والجماعة الفريسية وشب الصراع الدينى بينها ، بين الحق تمثله الجماعة الأسينية والفريسية وبين الدم والبطش والتعطش للقتل واقتلاع أرض الغير

بدعوات من شريعة أسرى الفرات وتمثله جماعة صدوق ، إلى أن ظهر المسيح عليه السلام ليحسم القضية من السماء بكلمات من الله سبحانه وتعالى ليصحح بها النهج الخطير الذى انتهجته جماعة صدوق الأقوى فى الأذى والدم والقتل ، فما كان منهم إلا أن صلبوا المسيح عليه السلام لولا أن شُبِّهَ لهم .

وحيث أننا لسنا أمام كتاب تاريخ أو محاولة لتجميع تاريخ اليهود ، فإننا فقط أردنا تسليط الضوء على نشوء الحركة الصهيونية ، وما هى وما أهدافها وما قيمتها التاريخية ولمن تنتمى هذه الحركة وما الفرق بينها وبين اليهودية الآن ؟، حيث يقع كثيرون فى الخلط والخطأ ويفرقون بين الصهيونية واليهودية، والحقيقة أنه بعد ظهور المسيحية ، الوريث الطبيعى لليهودية ، والتى أتت لتبطل حجج وكتب "جماعة صدوق" فى الأسر البابلى، وتفرق بين "شريعة موسى السمحاء عليه السلام" وبين الشريعة الموضوعة من يهود الأسرى فى بابل ، وماحاول اليعاذر إضفاء الشرعية السماوية عليها إلا وانقسم المجتمع اليهودى إلى قسمين بعد أن كان ثلاث شيع أو أقسام سابقة ، حيث الشيعة الأسينية والشيعة الفريسية ، وهى الشيع التى ظهر منها معظم الأنبياء والصالحين ، ومن تلك الشيع ظهر "يسوع" والقسم الآخر متمثل فى شيعة صدوق ، تلك الشيعة التى تؤمن بتوراة الفرات من أنصار اليعاذر (40 ق . م) وآمن بالمسيح القسم الأكبر من اليهود من الجماعة الأسينية والجماعة الفريسية ووقف ضده القسم الأصغر عدداً والأقوى نفوذاً وحكماً من بيت صدوق وأتباع اليعاذر ، حيث لم يبق من اليهود على اليهودية إلا تلك الجماعة التى تؤمن بما أعلنه اليعاذر مأخوذاً عما كتبه أسرى الفرات من برنامج أطلق عليه اليعاذر اسم شريعة موسى ، وبالتالى أصبحت اليهودية كدين هى برنامج الجماعة الصهيونية الذى وضع على ضفاف الفرات بما يحتوى من حنين وآمال وأساطير تجعل لهم الأرض هدية ووعداً من الرب (رب الجند والحرب) ... الخ من أساطير ، لذلك نرى أن الصهيونية هى اليهودية وأن اليهودية هى الصهيونية ، الأمس واليوم وغداً ، ومن هنا نرى تعبيرات مؤسسى الحركة الصهيوينة فى العصر الحديث يؤكدون على ذلك فى برامجهم وكلماتهم

وعقائدهم مؤكدين على أن الصهيونية هى اليهودية ، وأن اليهودية هى الصهيونية، هذا من ناحيـة المضمون الدينى ، وقت صيـاغتها على ضـفاف الفرات ومـعارضة ذلك من المتـقين من أنبـياء اليـهود وأنبيـاء بنى إسرائيل بالمـعنى الأكثـر شمـولاً، واعتراضهم على كثير من النصـوص التى تم تغييرها .. الخ وهذا ما يطلقون عليه اليهود أنفسهم "الصهيونية الدينية".

فما الفرق بين الصهـيونية الدينية والصهيونية السيـاسية ؟! وقبل أن نجيب على هذا الاستفسار أو التساؤل فإنه يمكننا تتبـع أولاً اليهود أو الصهيونية الدينية لنفرق بينهم وبين دين بنى إسرائيل ونقول هل كل اليهود من بنى إسرائيل ؟

إننا أصبحنا نعلم من تتبعنا للدراسات التاريخية ، حـتى لكبار العلماء الدينيين من اليهود ، ومن كبـار مفكريهم وقادتهم ، أن الصهيونية هى اليـهودية، والمقصود بالصـهيونيـة هنا الصـهيونيـة الدينية الـتى حاربهـا "يسوع" عيـسى بن مريم عـليه السـلام، لكن وجب علينا أن نطوع البـحث تحت المجهـر لتنجلى وتكبـر الحقـيقـة ساطعـة عن "اليهودية" أو الصـهيونية الـدينية ، هذه الديانة التى أنزل الله سبـحانه وتعالى "يسوع" ليعلن لقومه (بنى إسرائيل - اليـهود) أن الصهيونية الدينية ليست كتـاب الله ، وإن الله أنزل عليهـا تصحيـحاً لكل ، ما حـاولوا تشويهه فى شـريعة الله، ويعلن المسيح بطلان برنامج اليعاذر" وينزل الله سبحانه وتعالى كتابه المقدس "الإنجيل" على عيـسى بن مريم عليه السلام ليـصحح به الأوضـاع ، حتى إن كـثيراً من رجال الدين المسـيحى واليـهودى يطلقون على التـوراة "العهـد القديم" وعلى الإنجيل "العهد الجديد" حيث أن الكتابين المقدسين نزلا على بنى إسرائيل .

ولكن بعد ظهور المسـيحية ، وقبل الغـوص فى الصهيونية لنتـعرف على الفرق بين اليهودية (الصهيونية الدينية) وبين بنى إسرائيل؟ نعود إلى مصادر عقلية لبعض الباحـثين فقـد كتب الدكتـور جمال حـمدان فى مـجلة الفكر المعاصـر العدد 24 ، فبراير 1967 ، القاهرة ، مقالاً تحت عنوان «ليس اليهود من بنى إسرائيل» حيث قدم فى هذا المقال عصارة بحث قيم يثبت فيه بالأدلة القاطعـة أن اليهود جميعهم ليسوا

من بنى إسرائيل .

وهنا سنسرد وسنقتبس وسنحاول بحثاً فى الوصول إلى نفى أو تأكيد هذه الحقيقة هل اليهود هم بنو إسرائيل ؟

ونعود إلى ما كتبناه فى الأجزاء السابقة وخاصة عند تعريف من هم العبرانيون؟!

ومن هم بنو إسرائيل ؟ وما الفرق بينهما ؟ ثم من هم اليهود ؟

لنعود ونقول ما الفرق بين اليهود وبنى إسرائيل ؟

وحسبى أن ما قدمناه من تعاريف مؤكدة بالتاريخ السياسى والدينى قد أعطتنا فكرة عن بنى إسرائيل ابتداء من يعقوب (إسرائيل) والأسباط الأثنى عشر ثم خروجهم مع موسى عليه السلام ثم دخولهم إلى أرض كنعان مع "يشوع بن نون" ثم قيام أكبر مملكة لهم فى أورشاليم عام 1000 ق . م ثم انقسام تلك المملكة إلى مملكتين ، واحدة فى الجنوب عاصمتها القدس (مملكة يهوذا) من أبناء يهوذا وبنيامين والمملكة الثانية فى الضفة الغربية من الأسباط العشرة الآخرين وسميت بمملكة يسرائيل نظراً لما تحتويه الكلمة على عشرة أسباط من بنى إسرائيل ...

وهنا تظهر أولى الانقسامات فى بنى إسرائيل بعد سليمان عليه السلام ، هناك سميت مملكة اليهود ، ومملكة أخرى سميت بمملكة يسرائيل مع أن الأصل واحد وهو يعقوب (إسرائيل) .

ولكن بعد انحسار وهدم تلك الممالك نهائياً أصبح اليهود الذين ينتمون إلى مملكة يهوذا والذين ينتمون إلى مملكة يسرائيل من أصل واحد ، هم سواء كانوا إسرائيلى الشمال أو إسرائيلى الجنوب ، حيث ظهر الفارق بينهما واضحاً بعد ذلك ، خاصة بعد ظهور المسيحية وانضمام جزء كبير من اليهود إليها وتمسك جزء آخر بالديانة اليهودية والصراع القوى الذى كان موجوداً فى المجتمع الإسرائيلى ذاته ، قبل ظهور المسيحية ، والذى مهد لظهور المسيح المنتظر، حيث انتقل هذا الصراع بين المسيحية واليهودية خاصة بعد أن انتصرت المسيحية، وأصبح ينضم

إليها آلاف المؤمنين ، تلك الديانة السمحة الكريمة ، مما جعل الديانة اليهودية تدخل فى نفس المنافسة محاولة استقطاب أنصار لها أمام الانتصارات العظيمة للديانة المسيحية ، خاصة أن اليهودية فى تلك الفترة تعرضت لكثير من البطش والتشريد لمعتنقيها ، وحيث أن التشريد والشتات الذى تعرّض له اليهود يمكن أن يدلنا على الفرق الكبير بين اليهود (الديانة اليهودية) وبين بنى إسرائيل (الأسباط الأثنى عشر) أبناء يعْقوب عليه السلام ، ويمكن أن نلخص هذا البحث ، كما أسلفنا سابقاً بالتفصيل، عن أصل اليهود وأصل بنى إسرائيل ، إلا أننا سنسلط الضوء على الشتات الإسرائيلى أو الشتات اليهودى حيث أنه فى تلك الفترة التاريخية منذ بداية الشتات الأول أن اليهود هم الإسرائيليون والإسرائيليين هم اليهود .

الشتات الأول (الشتات البابلى)

بعد فترة التكوين التى استمرت من خروج حوالى 600 ألف نسمة، هم أبناء يعقوب مع موسى عليه السلام حوالى1230 ق.م ثم بقاؤهم فى سيناء حوالى أربعين عاماً ، ثم دخولهم مع يشوع بن نون إلى أرض كنعان ، وبقائهم فى فلسطين (أرض كنعان) إلى عام 586 ق . م أى حوالى 600 عام تقريباً هى مدة بقاء بنى إسرائيل بقاء حقيقاً فى السيطرة على فلسطين ، بدأت الحركة الطبيعية المميزة لتلك الفترة من أمم تفوز وأمم تخسر وأمم تزول وأمم تظهر ، فبعد هذا التكوين (سفر التكوين) يبدأ سفر الخروج والشتات الذى يمكن أن نميز فيه ثلاث دورات أو ربما أربع ، فقد بدأ سرجون ،كما ذكرنا سابقاً ، بنقل كثير من إسرائيلى السامرا من أبناء القبائل العشر إلى بابل وأسكن مكانهم بعض أسراه من البلاد المفتوحة الأخرى ، ولكن "نبوخذ نصّر" بالذات الذى نقل أغلبية اليهود من مملكة يهوذا ، يقولون إنهم ربع سكان مملكة يهوذا حيث يقدر بعض الباحثين عدد اليهود فى ذلك الوقت بثلاثة أرباع مليون نسمة .

جمال حمدان – مرجع سبق ذكره .

وبعد هزيمة البابليين على أيدى الفرس عام 538 ق . م عاد كثير من اليهود

يقدرون بخمسين ألفاً عام 536 ق . م إلى فلسطين ، وهؤلاء العائدون بالصهيونية الدينية والتلمود وإسكانهم فى المنطقة الجنوبية جعل هناك ، كما ذكرنا سابقاً ، انشقاق بين العائدين بشريعتهم وبين الباقين بالشريعة الأصلية (شريعة موسى) أما الأغلبية المطلقة من اليهود فقد بقيت فى العراق ، وهم الذين لا ينتمون إلى الصهيونية الدينية التى انتشرت لأول مرة فى الفترة من 586 ق . م حتى 536 ق . م والباقون فى العراق كونوا المستعمرات اليهودية حتى بلغت فى عهد المسيح مليوناً، بل وأكثر من المليون فى القرون التالية ، إبان العصور العربية الإسلامية ، وقد امتد انتشار اليهود فى العراق شمالاً إلى كردستان والقوقاز ، غير أن يهود العراق - مع كل سكانه - تعرضوا للإبادة مع الطوفان المغولى ، حيث هوى عددهم إلى بضعة آلاف فقط ، على أن يهود العراق كانوا نواة الشتات شرقاً، فمنهم انشطر يهود فارس الذين غادروا العراق لأول مرة فى عهد كسرى، ولكن هجرتهم الكبرى كانت فى القرن الثانى عشر الميلادى- وبالمثل كان يهود هيرات فى أفغانستان ويهود بخارى وسمرقند فى التركستان شظية من نواة فارس .

ومن هذه المراكز الأولية والثانوية يمكن أن نتتبع انتشار اليهود حتى نهايته ومستعمراته القصوى فى الشرق الأقصى بالهند والصين .

هذا وإن كان شتات الأسر البابلى قد اتجه أساساً نحو الشرق ، فمن المحتمل أن هناك هجرة اتجهت غرباً إلى شمال أفريقيا (المغرب) حيث يدعى اليهود ممن يسكنون الجبال اليوم أن أجدادهم تركوا فلسطين إليها ، قبل الأسر البابلى نفسه ، حيث يسمون أنفسهم "البلشتيم" Plishtim والكلمة دليل أكيد على اشتقاقها من فلسطين أو المهاجرين القادمين من فلسطين .

وهناك من يرى أن من المحتمل أن اليهود دخلوا شمال أفريقيا مع الفينيقيين .

الشتات الثانى (الشتات الهللينى)

يتعاصر ذلك الشتات مع المرحلة الهللينية ، التى تبدأ بفتوح الاسكندر وتستمر

مع السلوقيين والبطالسة ثم البيزنطيين ، والاتجاه العام فى ذلك الشتات هو نحو الغرب هذه المرة ، فإذا كان بعض اليهود فى فلسطين قد قاوموا الصبغة الهللينية بعنف ، وقاموا فى القرن الثانى قبل الميلاد بالثورة المكابية المتعصبة ، فإن الكثيرين منهم انتشروا انتشاراً واسعاً بعيد المدى فى كل العالم الهللنستى والبيزنطى .

ففى مصر قدر أن ثلث سكان الاسكندرية البطلمية كان من اليهود ، كذلك قد وجد اليهود فى سوريا وآسيا الصغرى من قبل بدرجة أو بأخرى ، حيث وجد فى تلك الفترة أن تمركز اليهود كان فى مركزين رئيسيين هما البلقان وسواحل البحر الأسود الشمالية ، ومن البلقان امتد الأثر اليهودى وانتشرت اليهودية فى روسيا خاصة فى «كييف» ومن البحر الأسود انتشرت اليهودية إلى القرم وذلك قبل ظهور السيد المسيح عليه السلام .

الشتات الثالث (الشتات الرومانى)

نتيجة للضغط المتزايد على الأقلية اليهودية فى فلسطين من الاستعمار (الحكم الرومانى) فقد تواترت ثورات اليهود على الحكم الرومانى حيث تم إبادة كثير من اليهود فى مذبحة 'تيتوس' 600 ألف يهودى عام 70 م ، ثم فى عام 135 م حيث ثار بعض اليهود الموجودين على الحكم الرومانى وقوبلوا بمذبحة 'هادريان' والتى صَفّتْ معظم اليهود فى فلسطين والباقى من المذبحة قد فر هارباً إلى مصر وسوريا، ويقدر عدد اليهود الهاربين من تلك المذبحة بحوالى 40 ألفاً ، وهذا يمثل الشتات الثالث ، حيث لم يبق فى فلسطين إلا مجموعات صغيرة متخفية من اليهود ، لا يكاد يذكر ، بجانب السكان الأصليين لفلسطين ، على أن يهود الشتات الرومانى لم يأتوا من طريدى فلسطين وحدها ، وإنما من كل مستعمراتهم السابقة القائمة فى العالم الهلينستى ، فتبعوا الرومان إلى ايطاليا وإسبانيا وفرنسا وألمانيا حتى الراين ، وكان طريق الرون - الراين - فرانكفورت ، وهو طريق التجارة وشريانها التقليدى ، خطاً محورياً فى دخولهم العالم الرومانى ، ومنذ القرن الثالث الميلادى على الأقل كانوا قد وصلوا إلى الراين .

ويقدر البعض عدد اليهود ، فى الإمبراطورية الرومانية ، فى القرن الخامس الميلادى بما يتراوح بين 7.4 مليون نسمة ، أى بمعدّل 7 ٪ من مجموع السكان ، وهذا الرقم - أياً كان نصيبه من الدقة - ينبغى أن نذكره جيداً ، وأن نقرنه فى الذاكرة ، بعدد بقايا يهود فلسطين عند الخروج الأخير ، أو الخروج الثالث والبالغ أربعين ألفاً ، لأن هذا معناه أن اليهود فى الشتات قد تضاعف عددهم بين 100 إلى 180 مرة فى أقل من خمسمائة عام ، وهو معدّل فلكىّ ، لا يمكن الوصول إليه ، ولا معنى له ، إلا إذا كان التزايد السكانى بين اليهود أتى عن طريق آخر ، وليس طريق النمو السكانى الطبيعى، وفى تصورنا ليس هناك طريق آخر إلا طريق التبشير اليهودى ، ودخول عناصر جديدة إلى اليهودية ، وتلك العناصر ليست من دم وسلالة بنى إسرائيل .

والتاريخ يؤكد تلك الحقيقة ، حيث لعب التتار أو قبائل المغول (قبائل الخزر المنغولية) دوراً كبيراً فى زيادة اليهود خارج فلسطين، وكانت تلك القبائل تنتمى إلى سلالة القبائل التركيّة ، والتى كانت تسكن أواسط آسيا ، قبل ارتحالها إلى شرق أوروبا واحتلالها تلك المنطقة الفسيحة الواقعة بين جبال الأورال شرقاً ووسط أوروبا غرباً ، وشمال البحر الأسود جنوباً ، حيث أقامت ، تلك القبائل ، مملكة ضمت تلك الأرجاء ، وهى قبيلة وثنية المعتقد ثم تحولت إلى «اليهودية» ، حيث رغب حاكم تلك القبائل ، وفى عزّ قوتها ومجدها ، أن يعتنق اليهودية (الصهيونية الدينية) وفضلها عن المسيحية والإسلام فى ذلك الوقت ، لأنه وجد فيها تقارباً شديداً فى المفاهيم والهوى والبطش والدم والعنصرية وتبعته حاشيته فشعبه بعد ذلك ، فأعلنت اليهودية ديناً رسمياً لمملكة الخزر القوية الواسعة عام 740 م ، والتى ظلت فى مجد وعزّ من القرن السابع الميلادى حتى القرن العاشر الميلادى ، وهى تدين بالدين اليهودى ، وقد وصل تعدادها إلى حوالى عشرة ملايين نسمة ، وعند انتهاء تلك المملكة على أيدى روسيا ، بعد ذلك انتشر الملايين العشرة فى روسيا والدول المجاورة لها فى شرق أوروبا وجنوبها الشرقى ثم فى سائر بلدان أوروبا ، حيث أصبح يهود الخزر المنتشرين فى كل أوروبا تتضاعف

أعدادهم ، وخاصة فى أوروبا الشرقية، ومن هنا التقوا مع يهود الشتات الثانى والثالث واختلطوا معاً وحاولوا أن يصبحوا جميعاً يهوداً من سلالة إسرائيل (يعقوب) .

وفى هذا السرد السريع نصل إلى تحديد أو تشريح السؤال الذى طرحناه سابقاً، وهو ما الفرق بين اليهود وبنى إسرائيل ؟! والإجابة واضحة ، فبنو إسرائيل هم الأسباط الإثنا عشر ، الذين هاجروا إلى مصر زمن يعقوب وابنه يوسف ، عليهما السلام ، وخرجوا مع موسى إلى الصحراء حوالى عام 1230 ق.م ودخلوا فلسطين مع يشوع بن نون حوالى عام 1190 ق.م وكونوا أكبر وأهم مملكة لهم فى فلسطين عام 1000 ق . م ، وهى مملكة داود وسليمان ، وهم الذين تعرّضوا للإبادة والقتل والتشريد على أيدى البابليين والرومان ، وقد دخل كثير منهم المسيحية ثم الإسلام بعد ذلك ، أما مَنْ تبقّى منهم فقد تم تهجيره إلى العراق ومصر وسوريا وشمال إفريقيا حتى مراكش ، وفئة قليلة جداً هاجرت منهم إلى غرب أوروبا ، كما سبق القول، وذابت فى المجتمع البشرى المتغيّر والمتحول دائماً .

ومن هنا يبيّن لنا التاريخ السياسى أن اليهودية (الصهيونية الدينية) كدين تختلف اختلافاً كبيراً عن بنى إسرائيل كقبيلة من دم واحد، أى من سلالة (يعقوب بن اسحق بن إبراهيم) ولذلك يجب أن نفرّق تفريقاً علمياً وتاريخياً بين اليهود كديانة انتمت إليها، من كل فصائل البشر، أعداد كبيرة ، وبين إسرائيل قبيلة (يعقوب) الأسباط الإثنا عشر، كما يجب أن نفرّق بين المسيحية المنتشرة فى العالم وبين السيّد المسيح وقبيلته وهو الذى لم يتزوج.

كما يجب أن نفرّق أيضاً ، بين الإسلام ، الذى انتشر فى كل أرجاء العالم، ووصل إلى أكثر من مليار مسلم يقطن أرجاء المعمورة ، وبين قبيلة قريش أو حتّى بنى هاشم رهط الرسول محمّد (ص) ، ولا يمكن أن يتقبّل العقل أن كل المسلمين من نسل بنى هاشم وكل المسحيون من نسل عيسى وكل اليهود من نسل بنى إسرائيل .

ورغم ذلك لن نجعل تشريحنا لفكرة اليهودية الصهيونية قاصراً على الجانب العقلى ، المبنى على العلاقة الجدلية ، بل سنتجول بحرية فى استخدام المناهج الحديثة أو العلوم الحديثة كعلمىْ الإنثربولوجيا والتاريخ لنرى أساطير خرافة الحركة السياسية الصهيونية ، والتى تدّعى نقاء اليهود من الناحية الجنسيّة ، وتحاول الآن أن تنسب (اليهود) الحاليّين إلى بنى إسرائيل (يعقوب) ومن هنا كانت التسمية الخطيرة لدولتهم بـ «إسرائيل» على اعتبار السلالة القديمة الممتدة ، وصنعوا مجلساً للنواب أو كما يسمونه الكنيست وكتبوا على بابه «أرضك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل» .

حيث اعتقد الكثير أن هؤلاء المحتلين هم بنو إسرائيل ، أى هم اليهود من بنى إسرائيل ، أى أبناء عمومة العرب ، وهذه دعاية صهيونية سياسية خطيرة، الهدف منها إسقاط الحق التاريخى للعرب الفلسطينيين ، والدخول إلى العقل العربى ، المشهود له بالسماحة والغفران لأبناء عمومته.

ولكن ماذا تقول علوم الانثربولوجيا والتاريخ ، فمن خلالها نرى اليهود القدامى، يهود التوراة ، قد انحدروا ، كما قدمنا سابقاً ، من جماعة سامية من عناصر البحر المتوسط ، ويتفق فى هذا الرأى الباحثون اليهود وغير اليهود، وهذه العناصر معروفة بصفات محدّدة مثل طول الرأس ، والسمرة فى لون الشعر والعين والقامة المتوسطة ، والأنف السقيم ، وبتطبيق هذه الصفات على اليهود الموجودين بفلسطين أو غير الموجودين بها نرى أنها تنطبق على قلّة منهم ، وذلك فى اليهود الشرقيين ، وهم حوالى 5 ٪ فقط أما الباقى من اليهود لا تنطبق عليهم هذه الصفات ، فالعيون ملّونة والشعر أصفر والرأس عريض ، حتى إن هناك يهوداً من الزنوج ، ومن هنا لا يَعرف اليهود الحاليّون أىَّ وحدة جنسية ، ويشتدُّ بينهم التنافر فى الصفات البيولوجيّة ، وتتعدد بينهم السلالات والأنواع إلى أقصى حد .

فيمكن تقسيم اليهود ، طبقاً لانتمائهم الجنسى أو العرقى ، إلى عدة أنواع مختلفة عن بعضها، فمنهم الأوروبى الغربى أو الشرقى أو الشمالى أو الجنوبى ،

كمـا أن كثيـراً من اليهود يمثلون خليطاً من أجنـاس وسلالات مجمـوعات كبـيرة ومـتبـاعدة فـى معـظم بلدان أوروبا ، وذلك من خـلال الانتـقـال بين تلك الأمم الأوروبية والأجناس الأوروبية المخـتلفة من اسبانيا إلـى ألمانيا إلى روما إلى أوروبا الشرقـية حـتى روسيا ، وفى روسـيا تحـديداً يمتاز يهودها بالـصدغ الواسع والأنف العريض الـقصيـر وعظام الوجنة البارزة ، وهم يشـبهـون فى ذلك جمـاعات القِنّ المغوليـة التى تسكن منطقة الفـولجا ، أما اليـهود فى ألمانيا مـثلاً يشبـهون النورديين تماماً ، حتى يمكن القول إنهم "نورديون مثاليون» .

أمـا أعجـب السلالات فى الـيهـود الحـاليين هم اليـهـود السود (الفـلاشـا فى الحـبشـة)، الذين ساعـدهم الرئيس السـودانى السابق جـعـفر نميـرى بالتعـاون مع الصهيونية السياسية فى تهريب جزء كبير منهم إلى فلسطين ، وكذلك هناك اليهود السود قبائل الداجاتون ويهود التـاميل الملونين فى جنوب غرب الهند ، بل واليهود الصفر فى التـركستان ، وقد أثبتت الدراسـات السيرولوجية أن اليـهود يبدو بينهم تفاوت كـبيـر جداً فى فئـات الدم مما ينفى تجانس الأصل، والأعـجب من ذلك أن دماء اليهود تختلف اختلافاً جوهرياً، فى تحليلها ، عن دماء الجنس السامى باستثناء قلة قليلة منهم ، وهم اليهود الشرقيون ، فـالنقاء الجنسى المزعوم هو أحد الأساطير المؤسسة للـحركة الصهيـونية السياسـية ، وذلك من أجل الوصول إلى الصهـيونية الدينية ، كما عبّر عنها العالـم الإنثربولوجى الكبير ربلى Riply (د. جمال حمدان - مرجع سبق ذكره) بقوله :

> «واضح تماماً أن الحديث عـن وحدة جنسية بين اليهـود ككل لا محل له من حقيقة أو علم على الإطلاق ، وأن اليهود لا يعرفون الوحدة الجنسية أكثر مما يعرفون الوحدة الجغرافيـة ، وواضح بالتالى أن النقاوة الجنسية المزعومة لهم إنما هى محض «خرافة» ".

ويشدد ربلى على أن اليهود ليسوا «جنساً» بل مجرد «أناس» بكل بساطـة، كما يؤكـد مـؤلفـو كتــاب «نحـن الأوروبـيـين» We Europieans جوليـان مكسلى

وهادون وكارسوندرز على أن :

"اليهـود لا يمكن أن يصنفوا لا كـأمة ولا حتى كـوحدة إثنولوجـية ، بل هم بالأحرى مـجموعة اجـتماعيـة - دينية تحمل قدراً كـبيراً من عناصر البـحر المتوسط وأرمينيا وغيرهما وتتفاوت هذه العناصر تفاوتاً عظيماً فى الصفات الجـسمـية، وهم ، أى الـيهـود ، إن لم يكونوا أرمـينيين فى الأعم الأغلب ، فإنهم بالتـأكيد يبـدون من الصفـات الأرمينية أكـثر مما يبدون من الصـفات السامية"

المصدر السابق

كما قرر بوتون Booton بجزم قاطع حيث قال :

«حقـيقة هى لا شك فيـها أن اليهود مـختلطون جنسيـاً ومن أصول طبيعـية متنوّعة"

وكذلك أشلى منتجيو Ashley Montagues الذى رأى نفس الرأى فى اليهود وقال عنهم **"إنهم ليسوا وحدة إثنولوجية"** ■

الفصل الثالث

أساطير الصهيونية الدينية
وأثرها فى الحركة الصهيونية السياسية

" العقيدة الصهيونية ليست إلا الإيمان باليهودية ، وما تعنيه من مفاهيم وتاريخ وعادات وتقاليد من ناحية الهجرة إلى فلسطين للإقامة ، ومن ثمّ فلا يمكن تدمير الصهيونية إلا بتدمير اليهودية " .

وايزمان

الأساطير الصهيونية

"العودة إلى صهيون يجب أن يسبقها
عودتنا إلى اليهودية"

هرتزل

بعد أن أوضحنا عبر العلم والتاريخ أن اليهود ليسوا بنى إسرائيل، وأن الصهيونية الدينية، كبرنامج سياسى، بُنى على عقائد دينية موضوعة وليست منزلة من السماء، بل وضعت على ضفاف الفرات وأكدها اليعاذر عام 44 ق.م بسند من بيت صدّوق، وأن الله سبحانه وتعالى أنزل روحه الطاهرة فى 'يسوع' عيسى بن مريم ليكون رسولاً من بنى إسرائيل ليعلّمهم الإنجيل بادئاً عهداً جديداً يصحح به مفاهيم الصهيونية الدينية، ونحن هنا نريد أن نصل إلى الحقيقة من خلال التاريخ والعلم والسلوك والوقائع الدينية والأدلة الآثارية ولا نريد أن نصوغ كلاماً من أجل الوصول إلى نتائج وضعية معينة بل نستند إلى حقائق ونرى أن الصهيونية الدينية بنت برنامجها على الأساطير التالية :

1 - عقدة / أو عقيدة الأرض ، والوعد الإلهى بها .

2 - (اليهود) شعب الله المختار .

3 - عقدة التمييز العنصرىّ على بقية شعوب الأرض .

4 – عقدة / عقيدة الاضطهاد .

5 – عقدة أو عقيدة السامية .

وظلت هذه العقد / العقائد الوضعية ، والتى احتواها البرنامج الدينى للحركة الصهيونية الدينية ، ينتقل من جيل إلى جيل ومن زمن إلى زمن ، ومن عصر إلى عصر حيث تنتفخ أو تتمدد هذه العقد ،وتُضخم أو تؤاثر الانكماش والاضمحلال فى زمن آخر ، متلّونة ومتغيرة مع التغيرات الدولية والعالمية ، وبقيت هكذا سمةً مميزةً لحياة اليهود .

وبإلمامة سريعة وعاجلة دون التعمق التاريخى لإبراز هذه السمات أو تلك العقد التى حملتها أوراق الفرات فى برنامج الصهيونية الدينية ، وكيف تأصلت لتضع عقدة مستمرة متلازمة مع الإنسان اليهودى .

فإننا سنبدأ بالمرور السريع على هذه العقد أو الأساطير الخرافية المكونة للشخصية الصهيونية الدينية ، وكيف أثّرت فى العالم وزعمائه ، علاوة على تأثيرها فى حياة اليهود أنفسهم ، وكيف لعبت هذه الأساطير الخرافية دوراً كبيراً فى حياة الشعوب ، منذ أن كتبت حتى تاريخ اليوم مروراً بالمراحل الحرجة فى حياة المعمورة، سواء من حروب أو ثورات أو غيرها حلّتْ بالعالم .

فما هى هذه الأساطير الخرافية أو العقد التى وصلت إلى حد العقيدة لدى اليهود (الصهيونية الدينية) ؟

وللإجابة فإننا نجمع تلك المقولات والأحداث التاريخية الدينية والتاريخية السياسية متمثلة فى :

1 – عقدة أو عقيدة الأرض الموعودة
(أسطورة الأرض الموعودة)

من أبرز الخرافات والأساطير هذه «خرافة الأرض الموعودة» حيث أثّر جو الهزيمة والغربة والنفى والتشريد على ضفاف الفرات وحفر فى أعماق نفوس

اليهود الذين عانـوا الأسر البابلى الأول عام 586 ق . م حتى عام 536 ق . م الحنين إلى الأرض «أرض صهـيون» أرض مملكة داود ومـركز مملكتهم «جـبل صهـيون» ولشدّة الأسـر وشدة الإحـساس بعـدم امتلاكـهم الأرض ، التى يعيـشون عليـها ، تمددتْ أحـلامـهم وتضـخـمت وبدلاً مـن صـهـيـون .. كل أورشـاليم وبدلاً من أورشاليم، كل أرض كنعان (فلسطين) وبدلاً من فلسطين كل بلاد الشام وبدلاً من كل بلاد الشـام من الساحل حـتى نهر الأردن، امـتدت بهم الأحـلام حتى الأرض التى يقفون عليها وهى ضفاف الفرات، فقرروا أن إسرائيل من الفرات إلى النيل ، وأصبح شعارهم المكتوب على منصة الكنيست الإسرائيلى «أرضك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل» .

هذا هو التحـليل النفسى للشـعور اليهـودى فى الأسر البابـلى، الذى صاغ أولى العقائد المؤسسـة للصهيونية الدينيّة، ولكى لا ننساق وراء البـحث والتحليل النفسى لحالة وشعور اليهود فى الأسر، فإنـنا سنعود مسرعين ممسكين بخيوط التاريخ الديني للصهيونية الدينية نفسها التى بنت برنامـجها وطرحته أنه هو الأسفار الخمسة المكونة للكتاب المقـدس «التوراة» حـيث يتفق شراح العـهد القديم عـلى أن النصّ المتداول حالياً يرجع إلى أربعة مصادر متعاقبة أو متتالية :

الأول : يحمل اسم «يهـوه» ويعود إلى القرن التـاسع قبل الميلاد، وهو مـا يشار إليه باسـم المصدر اليهودى .

الثانى : يحمل «ألوهـيم» أو «الوهيميـة» ويعود إلى القـرن الثامن قـبل الميلاد، ويشار إليه بالمصدر «الألوهيمى» .

الثالث : تشريعى بحت ، وربما يعود إلى القرن السابع قبل الميلاد .

الرابع : وهو الذى أصبح منتشـراً ، وسيطرت عليه الصهيونيـة الدينية ، وأصبح أكثر المصادر شيوعاً ويعود إلى القرن السادس قبل الميلاد.

لكن ، مـاذا تقـول تلك المصادر المخـتلفـة ؟ والذى يصب آخـرها ، كـمصـدر رئيسى ، امتـزج بالمصادر السابقة ، وأخـذ منها وأضاف إليها ، ليـشكّل فى النهاية

المصدر المتـداول ، وماذا يقول البـاحثون والمؤرخـون ورجال الدين المخـتلفون من يهود ومسيـحيين ومسلمين عن هذا المصدرالأخير ، خـاصة ونحن نتناول موضوع عقـدة الأرض ، أو أسطورة أرض الميعـاد ؟ وذلك لنكّون رأياً تاريخياً بـحثيـاً قبل الدخول فى ألفاظ وعبارات أو أسفار الصهيونية الدينية التى قال عنها وايزمان :

"إن يهوديتنا وصهيونيتنا متلازمتان مـتلاصقتان ، ولا يمكن تدمير الصهيونية بدون تدمير اليهودية" .

وقد تنـاول كثيـر غيـر وايزمان تلك العـبارة مـؤكدين على أن الصـهيونـية هى اليهـودية ، واليهـودية هى الصهيـونية ، غيـر أن الباحثـين والمؤرخين لهم رأى آخر يختلف عن الزعـماء والسـاسة ، "فالبـيردى بورى" أستـاذ العهد القـديم فى كلية اللاهوت البـروتستـانتى فى جنيف ينـاقش فى رسالتـه للدكـتوراه «الوعـد الإلهى والأسطورة القصصية الشعائرية فى زمن يعقوب» أعمال كبار المؤرخين المعاصرين والمفسرين ، وبخاصة ألبرخت آلت . ومارتن نوت على النحو التالى :

"إن الموضوع التـوراتى عن وهب البلاد يسـتمد أصـوله من الوعد «الأبوى» أى الوعد الإلهى لإبراهيم حـسب المأثور فى سفر التكوين ، إذ يخبـرنا سفر التكوين فى مـرات عديدة وبصـور شـتى : أن الله وعد الآباء وذريتـهم بأن يرثوا الأرض التى كانوا فى سـبيلها إلى التـوطن فيهـا ، وأعلن الرب وعده هذا لإبراهيم فى مكان يدعى "شكيم" (سفر التكوين 12، 7) **وفى "بيت إيل"** (سفر التكوين 13 : 14 – 16 : 13 – 15 : 35) **ثم فى (قُـمـرا) بالقـرب مـن حـبـرون** (سفر التكوين 15 : 18 – 21 : 17 – 4 : 8) **، أى فى نطاق أراضى يهودا والسامرا، ويبدو أن ذلك ينطبق فى المقام الأول على المناطق الواقعة حالياً فى الضفة الغربية. وقد برهنت أعمال "البرخت آلت"، و"مارتن نوت" على وجه الخصوص على أن تقسيم التاريخ إلى عصور متعاقبة (الآباء – السخرة فى مصر– غزو كنعان) هو تقسيم مصطنع".**

المصدر : روجيه جارودى – الأسـاطير المؤسـسة للسياسة الإسرائيلية – دار الشروق – مصر 1998 – ص 42 – 43

وقـد خلصت «فـرانسواز سـمـيث» عمـيدة كليـة اللاهوت البـروتستـانتى فى باريس إلى :

"أن الروايات التقليدية عند الخروج من مصر وغـزو كنعان والوحدة القومية الإسرائيلية قبل النفى ، لا تعدو أن تكون قصصـاً خيالية ، فالرواية التاريخية التوراتية لا تعرض لنا معلومات عما تقصه ، بل عمن يروونها" .

المصدر : فرانسواز سميث - البـروتستانت والتوراة وإسرائيل - منذ عام 1948 الناشر : مجـلة لاليتز - العدد 313 - نوفمبر 1984 - ص 194

أما "البـيردى بورى" يرى أن هذا الوعد بالأرض قـد أُدرج فى نصوص الآباء ، بغرض جـعل تلك «الملحمة السلفـية» بمثابة مقـدمة، وإعلان لمقدم العـصر الذهبىّ لداود وسليمان ، كما أن الأبحاث اليقـينية ، والتى لازالت باقية ، وشاهدة وناطقة للعالم أجـمع ، تؤكد على أن فى الفـترة من القـرن التاسع عشـر قبل الميـلاد حتى ظهور يسـوع عليه السـلام ، وعلى مدار تسعـة عشر قـرناً ، وبالتحديـد فى منطقة الشرق الأوسط ، وأن جـميع شعوب المنطقـة من بلاد ما بين النهرين إلى مـصر قد تلقوا وعـوداً مثل أول وعد لإبراهيم حـوالى القرن الثـامن عشر حـيث ظهر الرب لأبرام وقال :

"لنسلك أعطى هذه الأرض"

الإصحاح 12 سفر التكوين

وكان ذلك فى عام 1750 ق . م تقريباً ، حتى آخر الوعود التى نزلت على يشوع بن نون بأن يحرق ويدمر ويقتل البشر والطيـر والحيوان، وكل ما يصادفه فى طريقه إلى أرض الميعاد - أرض كنعان حوالى ، 1190 ق . م .

ونحن لو سلطـنا البـحث العلمى ، على تلـك الفـتـرة والمدعم بأبحـاث الآثار والتنقيب فى العصور الوسطى للدولة المصرية القديمة سنجد :

أولاً : أن المسلّة الضخـمة فى معبـد الكرنك ، والتى شيدت فى عصـر تحوتمس

الثالث ما بين عامى 1480 - 1475 ق . م تمجيداً لانتصاراته فى غزة ومجيدو وقادش وقردميش (الواقعة على نهر الفرات) وقد دونت عليها عبارة :

(الإله : أمنحك هذه الأرض بامتدادها فى جميع الجهات ، لتكون لك شرعاً ، لقد جئت لأزودك بكل السبل لكى تجتاح الأراضى الغربية)

نلاحظ أن تلك الفترة التاريخية 1480 - 1475 ق .م هى نفس فترة تكوين بنى إسرائيل، أى بعد دخولهم مصر مع يعقوب إلى يوسف بمائة سنة تقريباً، أى حوالى 1570 ق.م، وقبل ظهور موسى عليه السلام، ونزول التوراة المقدسة الحقيقية عليه ، بما يقارب مائتين سنة على الأقل .

ثانياً : أما فى منطقة ما بين النهرين، نجد فى «أنشودة الخلق البابلية : أن الإله "مردوخ" يحدد لكل نصيبه (البيت 46) ويأمر ببناء بابل وتشييد معبد بها .

المصدر : رينيه لابى - أديان الشرق الأوسط - فايرد 1970 - ص 60

ثالثاً : كان الحيثيون ينشدون لربة الشمس (أرينا) ويقولون (أنت تحرسين أمن السموات والأرض، وتعينين حدود الأرض) .

المصدر السابق ، ص 57 .

وفى العصر الحديث فإن أكبر دليل بحثى أتى من أحد الحاخامات اليهود أنفسهم يؤكد أن الصهيونية الدينية حركة سياسية ، نالت على أيدى هرتزل فرصة عظيمة فى ظل الأوضاع السياسية الدولية آنذاك ليوظفها لخدمة السياسة الدولية العالمية لتقسيم الوطن العربى ، فالحاخام "ألمر برجر" الرئيس السابق للمجلس الأمريكى اليهودى فى الولايات المتحدة الأمريكية يرى أنه:

"لا يمكن لأى إنسان أن يقبل الادعاء بأن إنشاء دولة إسرائيل الحالية ، كان

تحقيقاً للنبوءة (كما تدعى الصهيونية العالمية) وبأن الله قد صدّق سلفاً وبشكل تلقائى على كل الأعمال التى قام بها الإسرائيليون لإنشاء دولتهم والحفاظ على استمرارها ، فقد حطمت دولة إسرائيل السياسية الحالية ، أو على الأقل شوّهت المغزى الروحى لإسرائيل" .

واستمر الحاخام قائلاً فى محاضرته :

"سأطرح للبحث هنا عنصرين من العناصر الأساسية للتراث النبوى (حتى لا ننجرف وراء تحويرات الصهيونية الدينية) :

أولاً : إنه عندما طرح الأنبياء فكرة استعادة (صهيون) لم تكن للأرض فى حد ذاتها صفة القداسة ، فقد كان المعيار المطلق والحاسم فى المفهوم النبوى لفكرة الخلاص هو استعادة العهد مع الرب ، فى وقت كان الملك وشعبه قد نقضوا ذلك العهد» .

ويوضح النبى «ميخا» ذلك الأمر بكل جلاء قائلاً :

(استمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب وقضاة شعب إسرائيل الذين يكرهون العدل ويحرفون الحق ، الذين يبنون صهيون بالدم وأورشاليم بالظلم ، إذ يحكم رؤساؤها بالرشوة ، وكهنتها يعلّمون بالأجرة، ويتعاطى أنبياؤها العرافة لقاء المال ، ومع ذلك يدعون الاتكال على الله قائلين : «أليس الرب فى وسطنا ؟ لذلك لن يصيبنا مكروه» . لهذا من جرّاء أعمالكم ستحرث صهيون كالحقل ، وتصبح أورشاليم كومة من الخرائب ، وجبل الهيكل مرتعاً تنمو عليه أشجار الغاب» .

سفر ميخا – الإصحاح الثالث 9 – 12 .

ويقول الحاخام :

«لن تكون صهيون مقدسة إذن إلا إذا سادت فيها شريعة الله ، ولا يعنى ذلك أن أى قانون يُسن فى أورشاليم قانون مقدس» .

ثانياً : ليست الأرض وحدها هى التى تتعلق حياتها بالامتثال للعهد مع الله والالتزام به ، فالشعب الذى استقر من جديد فى صهيون ملزم بالمثل

بالحفاظ على العدالة والاستقامة وبالوفاء للميثاق المعقود مع الرب" .

ولا يمكن أن تتحقق استعادة صهيون على أيدى شعب يعتمد على المعاهدات والتحالفات وتوازنات القوة العسكرية أو قيادة عسكرية تسعى إلى إرساء تفوقها على جيران إسرائيل .

فتراث الأنبياء يبيّن بجلاء أن قداسة الأرض لا ترجع إلى تربتها ، أو إلى وجود شعبها ، بمفرده فى تلك المنطقة» .

فالأمر الوحيد المقدس والقيم فى صهيون هو العهد الإلهى الذى يتجلّى فى أفعال شعبه .

ومن ثم ليس للدولة إسرائيل الحالية أىّ حق فى أن تدّعى لنفسها أنها تجسيد لإرادة الله التى تقضى بقدوم عصر "الماشيح" إنها لا تعدو أن تكون تجسيداً لغوغائية التربة والدم ، فلا الأرض مقدسةٌ ولا الشعب ، وكلاهما ليس جديراً بأية ميزة روحانية فى هذا العالم ، فالنزعة الشمولية الصهيونية تسعى إلى إخضاع الشعب اليهودى بأسره ، وحتى لو تم ذلك بالعنف والقوة، ولتجعل منه شعباً بين شعوب الأرض الأخرى ومثلها».

المصدر : الحاخام ألمر برجر - النبوءة والصهيونية
ودولة إسرائيل - منظمة بدائل أمريكية يهودية
للصهيونية (محاضرة ألقيت فى جامعة ليدن
هولاندا 20/ 3/ 1968) .

وسوف نكتفى هنا بالأبحاث والمعلومات التى أوردناها عن أسطورة عقدة أو عقيدة الأرض الموعودة ، التى شكلت أساس الصهيونية الدينية فى القرن السادس عشر قبل الميلاد ، والأسباب التى أدت إلى زرع تلك العقدة كعقيدة فى وجدان اليهود ، وكيف أن تلك الأسطورة لم تعد كونها خرافة تحكم الأمثلة التى أوردناها سلفاً ؟، حتى لو كانت هذه الأساطير صحيحة ، فهى موجهة إلى نسل إبراهيم (أبناء إسماعيل وأبناء اسحق ، وليس ليهود اليوم أو للحركة الصهيونية الآن ، وإذا قالوا لنا إننا قوم موسى فإن موسى وقومه هم بنو إسرائيل وهم ليسوا يهود اليوم أو صهاينة اليوم ، إذ أنها مجرد خرافة أو بدعة أو عقدة اكتسبت ما يسمونه

بالشرعية نظراً لقدمها ، منذ القرن السادس عشر قبل الميلاد .

ومما جعل هذه الخرافة الأسطورة تضرب جذورها بقوة هى طبيعة الصهيونية الدينية نفسها أوالظروف التى حلّت باليهود ، فهم مجرد مجموعات مختلفة من البشر منهم اليهود الشرقيون واليهود الغربيون ، ويهود أمريكا ويهود الفرس والهند ، ولم تصل أو تستقر الديانة اليهودية على مجموعة كاملة من أى شعب فى العصر الحديث أو القديم غير دولة الخزر ، وبعدها لم تقم أية دولة لليهود ، ولم تستطع الديانة اليهودية أن تفرض وجودها على أى بقعة من بقاع الأرض مثل الديانة المسيحية ، التى أتت بعد اليهودية لتصحيحها فنجد أن الملايين من البشر والعديد من الدول (جميع الدول الأوروبية - أمريكا - استراليا) فى العالم تدين بالمسيحية .

وأن الإسلام الذى أتى بعد اليهودية والمسيحية وانتشر فى جميع أنحاء العالم ، ويدين به أكثر من مليار مسلم (جميع الدول العربية ومعظم دول أفريقيا وآسيا) ، إلا اليهودية (لأسباب ذكرناها سابقاً) لم تقم لها دولة أو مملكة أو أرض ، بل ظل اليهود مشردين متناثرين حسب جنسهم فى بقاع الأرض ، فظلت عقدة / عقيدة الأرض تشكّل لديهم هاجساً أو حلماً أو أملاً مما أعطى تلك العقدة أو العقيدة بقاءها ، فتضخمها فى بعض الأوقات ، حتى ظل هذا الشعور أو تلك العقدة ميزة خاصة لعب بها كثير من السياسيين فى العالم من أجل تنفيذ أهداف أو أغراض معينة حسب ظروف المجتمع الدولى، وما يتعرض له من أسباب الحرب والسلام .

وسوف نتعرض فى الفصول القادمة ، فى كيفية صنع أحداث العالم ، وأهمها خطورة بناء على هذه العقدة أو عقيدة الأرض ، كما حدث منذ قرن فى صنع أو تحويل الصهيونية الدينية إلى صهيونية سياسية .

أسطورة شعب الله المختار

"يمكن تقسيم العالـم إلى قسمين ، إسرائيل من جـهة ، والأمم الأخـرى مجتـمعـة من جهة أخرى" .
فإسرائيل هي الشعب المختار : وهذه عقيدة أساسية" .

الحاخام كوهين
صاحب كتاب التلمود باريس ١٩٨٦

"إن وجود اليهود هو الدليل على وجود الله"

نحمان كروكل

إن هذه الأسطورة التى حفرهـا كتّاب الرافدين فى القرن السـادس قبل الميلاد ، وعـمقـوها فى وجـدان قـومـهم ، كانت نتـيـجـة مرارة الـذل والهزيمة والتـشـريد والاضطهاد الذى جعل من كـتّاب العهد القديم على ضفاف الـرافدين أن يحفروا فى وجدان قـومهم ما يـهونّ عليهم مـرارة الغربة والاحتـقار والذل ، فـأخذوا من بعض شريعة موسى ، ما يعمقون به الإحـساس بالعلو والفخر حتى يستطيع القوم أن ينتصروا على محنتهم ، وأن يزرعوا فـيهم الأمل بأنهم شعب الله المختار ، وأن ما يلاقونه من بطش وعذاب وتشريد ما هو إلا امتحان بسيط من الربّ ، حتى يظل القوم مـتماسكين ، ومـن المـلاحظ أن تـلك الأساليب هى الأسـاليب السائدة الآن فى الجـماعـات الإرهابية مـهمـا اختلفت أديان هذه الجـماعـات فهم يزرعـون فى قومـهم أو مجمـوعاتهم أنهم القـوم أو الشعب أو المجمـوعة المخـتارة من الله إلى النـاس ، فهذا يرفـع مـن معنوياتهم ويشدّ من أذرهم اعتماداً على بساطة تفكيرهم ويدفعونهم للتمسك بما يملونه عليهم ، هكذا كان تفكير جماعة الأسر البابلى على ضفـاف الفرات ، وهكذا زُرعت هذه العـقدة أو العقـيدة فى وجـدان هذا الشعب

بأنهم شعب الله المختار .

ومثلها مثل أى خرافة أو عقدة / عقيدة كانت تلعب دورها فى نفوس قومها متأثرة بالمد والجزر فى التأثيرات السياسية التى تنتاب الأمم ، لكن ظل هذا الشعور كامناً فى وجدان كل صهيونى دينى (يهودى) أى فى وجدان كل يهودى ، وحيث أن الحركة الصهيونية اعتمدت على هذه الخرافة ، مهما كان مصدرها ، فقد عملت على تصديرها لكل يهود العالم برغم اختلاف جنسهم ولونهم ودمهم .. فكل من يدين بالدين اليهودى ، كما أسلفنا الذكر بالبرهان العلمى والتاريخى ، عمدت الصهيونية إلى ذرع هذه الخرافة فى عقله ، بأنه من "شعب الله المختار" وهنا نعود حتى لبنى إسرائيل الذى قال فيهم الله تعالى .. "وفضلناهم على العالمين" ولكنهم ارتدوا عن دين الله ونسوا الله فأنساهم أنفسهم .

حيث قال الله تعالى فى محكم آياته : **"ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا وضربت عليهم المسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون"** «صدق الله العظيم»
(112 - آل عمران)

هذا هو التحليل النفسى لبداية حشر أو ذرع هذه الخرافة ، كان المقصود بها بنى إسرائيل وليس اليهود ، ولكن الصهيونية الدينية حولت الأسطورة إلى "الجميع" إلى "اليهود" إلى كل من يدين بالديانة اليهودية فهو من شعب الله المختار .

ومع ذلك نعود إلى الماضى البعيد لنقف على الحقائق لنرى كيف وصفت الأسفار نفسها بنى إسرائيل ؟

ماذا قال "يعقوب" عليه السلام ، ماذا قال إسرائيل فى أبنائه ، كما ذكرنا سلفاً ، قال إسرائيل فى وصف أبنائه (الأسباط الإثنى عشر) - وكانت هذه آخر كلمات يعقوب عندما دعا بنيه وقال لهم حيث جاء فى سفر التكوين الإصحاح (49) انظر الفصل الأول .

هؤلاء هم بنو إسرائيل الذين صورهم الإصحاح (49) سفر التكوين والذى لا يدل على أنه أبداً من عند الله سبحانه وتعالى ولا يدل على أنه شريعة موسى عليه

السلام ، ففى الوقت الذى أكد وبرهن فيه هؤلاء الكتبة على أن بنى إسرائيل ثم من بعد ذلك كل اليهود هم شعب الله المختار فى الأسفار التالية لسفر التكوين ، فإن عنصرية المؤلف أو كونه من مملكة الجنوب (المملكة اليهودية) جعلته يكيل التهم والسباب والقذف إلى كل الأسباط الآخرين ماعدا (يهوذا) حيث ينتمون هؤلاء الكتبة إليه .

هذا هو التحليل النفسى لكاتب هذا السفر أو هذا الإصحاح والذى يؤكد على أنه كتبه على ضفاف الفرات بعد زمن طويل من نزول الشريعة (الكتاب المقدس) على موسى عليه السلام (1220 ق . م) وكتابة هذه الأسفار فى الفترة من (586 – 536 ق . م) أى بعد حوالى 640 عاماً ، فقد اضطربت الأحداث واهتزت الصور لدى كتبة الصهيونية الدينية ، ففى الوقت الذى يؤكدون فيه أن بنى إسرائيل هم شعب الله المختار ثم يحولون هذا العهد أو تلك الوثيقة ليلصقوها ، ليس ببنى إسرائيل فحسب ، بل بكل يهود العالم ، نراهم يتناسون ما كتبوه فى سفرهم الأول (سفر التكوين) فى وصف إسرائيل لأبنائه منهم الخائن .. ومنهم الحمار ومنهم المصيبة ، ومنهم القاتل .. ومنهم الحية ... الخ من صفات .

نحن المسلمين نستغفر الله العظيم أن يصف أو أن يكون كلام الله سبحانه وتعالى بهذا الوصف.

هؤلاء هم آباء بنى إسرائيل وأصلهم كما وصفهم سفر التكوين ... فكيف يكونون هم شعب الله المختار . وإن كان الله قد غفر لهم ذنوبهم ... كيف يتحول كل اليهود ليصبحوا بنى إسرائيل ويصبحوا شعب الله المختار .

إن الصهيونية الدينية كما أسلفنا الذكر أرادت أن تلصق هذه العقدة لهدف أكبر وهو التخفيف على المشردين وتهوين العذاب الذى يلاقونه فى الأسر بأنهم شعب الله المختار .

ثم تحول الصهيونية هذه الأسطورة لتكون عاملاً عوناً لليهود فى انتصارهم على أقليتهم وعلى الإحساس الذى كان يوما ما ملازماً كل البشر ، وحسبى أنه ما زال ، وهو احتقار .. اليهودى ... والازدراء منه أو التعامل معه ، حتى أخذ

يضرب به المثل فى البخل والمكر والخيانة... إلخ من صفات منفرة .

يقـول نتنياهو مـعتـرفاً بهـذا التحليل فى كـتابه "مكان تحت الشـمس" ص 429 مرجع سابق :

"خلافاً للشخصية التى ألصقت بـاليهود ، خلال مئات السنين الماضية ، لم يكن أباؤنا فى العصر القـديم معروفين كضحـايا ، لا حول لهمّ ولا قوة ، فالتاريخ الرومانى وغيره يشير إلى أن اليهود لم يكونوا مرغوبين كثيراً فى العالم القديم".

كما يقول نتنياهو فى كتابه أيضاً .

"أصبحت كلمـة يهودى ، كلمة شتيـمة تثير الاشمئـزاز والسخرية ، وفى لغات عديدة فى العالم أصبحت كلمـة يهودى كلمة مرادفة لمعنى «جبان» والأخطر من هذا أن أوسـاطاً واسعة بين الـيهود سلمـوا بهذه الشـخصـية المهنية وبدأوا يرون أنفسهم كما يرونهم الغرباء" .

وبهذا يؤكد نتنيـاهو على ما طرحناه ... وهو فى آخر كلماته وتـعليقه على هذا .. يؤكد أيضـاً استنكاره لاستسـلام اليهودى لهـذه الصفات ، وكأنه يسـتنكر عليه هذا مذكراً إياه بأسطورة أنه شعب الله المختار فكيف يستسلم لهذه الأوصاف .

ثم يقـول السـيد نتنيـاهو مـؤكداً عـلى تغلغل الأسطورة فى دمـه (انظر المرجع السابق ص 461 – 462) :

"ربما نجد الصواب أكثر (على أن الشعب اليهودى غير كل شعوب العالم) فى أقوال أحـد اليهود من تلاميـذ "هيجل" وهو الحـاخام نحمـان كروكل الذى يقول : إن اليهود أيضاً شهـدوا فترات ذبول وانحطاط ، شأنهم شأن الأمم الأخـرى ، لكنهم تهـربوا مـن الموت المرة تلو الأخـرى ، من خـلال ولادة جـديدة ، فتـحت أمـامهم دورة حيـاة جديـدة ويمكن أن تكمن هنا الحقيقة المدهشة :

«عندما طلب فريدريك الأكبر من طبيبـه أن يأتيه ببرهان على وجود الله ، اكتفى بالقول : (إن وجود اليهود هو الدليل على وجود الله) .

عقدة أو عقيدة التمييز العنصرى والتطهير العرقى

"ثم قالت رفقة لإسحق :
«قد كرهت حياتى من جراء البنات الحثيات ،
فإن تزوج يعقوب من الحثيات بنات هذه
الأرض المماثلات لزوجتىّ عيسو ، فإن موتى
خير من حياتى"

سفر التكوين 27 : 46

"إن الفرق بين درجة الإنسان والحيوان يماثل
الفرق بين اليهودى وباقى الشعوب" .

التلمود (طبعة براغ 1839،
طبعة فارسوفيا 1863)

بهذا المكتوب فى سفر التكوين تبدأ الدلائل والبشائر عن التمييز العنصرى فى مهد بنى إسرائيل ، فها هى رفقة أم إسرائيل (أم يعقوب) تصرخ بأعلى صوتها فى سفر التكوين بأقدم تفرقة عنصرية عرفها التاريخ وتعلن : إن تزوج ابنها يعقوب ببنات غير بنات جنسها أو قومها فالموت خير لها من الحياة ، وقبل أن ندخل فيما أتت به الصهيونية الدينية من كتابات الأسفار الخمسة وغيرها من حواشى للأسفار الأخرى وأهمها سفر يشوع ، فإن "التلمود" يعطينا الكثير عن الفصل العنصرى للصهيونية الدينية .

فما هو التلمود أولاً ؟!

إن التلمود كلمة معناها باللغة العبرية (تلمذة) أو تعليم / تعاليم ، حيث يعتبر

التلمـود عند اليهود هـى التوراة الشفـهيـة ، ومثلمـا حدث للكتـاب المقدس الذى أعيدت كتابته تحت الظروف القاهرة من الغربة والتشرد والأسر البابلى (الصهيونية الدينية) فإن تلك الجمـاعات الصهيونية الأولى فى التاريخ أعادت صـياغة التلمود فى عبارات تؤكـد على الحالة النفسيـة التى يعانون منها وعلى ما قـاله وردده سفر يشوع مؤسس الدولة اليهودية وأبو اليهود على حـد تعبيرهم ، والتلمود يؤكد بقوة على عقدة / عقيدة التمييز العنصـرى للصهيونية الدينية (اليهود) وحيث أن تاريخ التلمود ينحصر فى عهود ثلاثة هى نفسها العهود التى استغرقت وضعه حتى إتمامه وهى:

العهد الأول :

عهد «تانابيم» أو المعلمين - وهذا عهد جاء فى أعـقاب سقوط أورشاليم عندما أسس «يوحنا بن زاكاى» فى مـنطقة منعزلة بالقـرب من يافا مدرسـة «هامدراس» وبدأ بنفـسـه فى وضـع السطور الأولى من هذا التلمـود حـتـى أتم هو واثنان من خلفائه وضع القسم الأول : منه وهو المعروف تحت اسم «التلمود الأورشاليمى» .

العهد الثانى :

عهـد الـ «عـموراييم» أو الشـرّاح .. وهذا عهـد جاء عـقب الانتقـال إلى بابل وتأسـيس مدرسـة «سـورا» هناك حوالى عـام 220م حـيث تم القسـم الأخيـر من التلمود وهو المعروف تحت اسم«شلقان عراق» أو «التلمود البابلى» .

العهد الثالث والأخير :

عهد الـ «صبواريم» أو المحققين وهذا عهد جاء وقد تم بناء هيكل التلمود ولم يبق إلا التحقيقات الأخيرة من أنه قد جاء مطابقاً لما جاء فى «الأسفار الخمسة» من نصوص ، وتولى حـاخامات اليـهود هذه المقـارنة وقاموا بهـذا التحقـيق وما أتمت أيديهم دون إضافة أى شىء جديد للمسات الأخيرة لهذا الهيكل وتم الاتفاق فيما

بينهم على أنه قد جاء حقاً يمثل تمثيلاً صحيحاً شريعة «إله إسرائيل» إلا وكانت الأيام قد جرت إلى حوالى سنة 550 م وهذا هو العهد الذى تم فيه وضع «التلمود» .

المصدر : أبكار السقاف – ص 302 مصدر سبق ذكره

هذا هو التلمود ، هذه هى تعاليم الصهيونية الدينية الشفهية والتى تؤكد على الفصل أو الميز العنصرى للصهيوينة الدينية (اليهود) .

تعالوا بنا لنرى ماذا يقول التلمود ؟

(طبعة براغ 1838 ، وطبعة فارسوفيا 1863)

"أرواح اليهود تتميز عن باقى الأرواح ، لأن الأرواح غير اليهودية هى أرواح شيطانية"

ثم يقول التلمود :

"كان آدم يأتى شيطانة عظيمة اسمها «ليليت» لمدة مائة وثلاثين سنة فولد منها شياطين .
وحواء أيضاً اتصلت خلال هذه المدة بذكور الشياطين فصارت لا تلد فى تلك الفترة إلا شياطين .
هؤلاء الشياطين الذين من نسل آدم أيضاً ومن نسل حواء هم غير اليهود من الناس"

ثم يقول التلمود :

"يستطيع الانسان فى بعض الأحوال أن يقتل الشياطين"
"النعيم مأوى أرواح اليهود ولا يدخل الجنة إلا اليهود "
"أما الجحيم فمأوى كل غير اليهود وفى مقدمتهم المسيحيون ولا نصيب لهؤلاء فى الجحيم سوى البكاء لما فيه من الظلام والعفونة والطين .
أو شك فى أن المسيحين مكانهم الجحيم ؟!
أنى يمكن أن يكون غير ذلك وسيلحق المسيحيون حتماً ، بمن اتبعوه فإن :

يسوع الناصرى موجود فى لُـجّـات الجحيم بين الزفت والقطران والنار"

"إن يسوع الناصرى ارتد عن الدين اليهودى؛"

"إن أمه مريم أتت به من الجندى "باندارا" بمعاشرة الزنا" .

ويستمـر التلمود فى عنصريته ضـد المسيحيين (لاحظ أن آخر كـتاب للتلمود ، وهو الكتاب الثالث تمت كـتابته عام 550 م ، قبل ظهور الإسلام وإلا كان الإسلام قد لحق به أكثر مما لحق بالمسـيحية السمحاء والمسيح (يسوع) عـيسى بن مريم عليه السلام) .

ويستمر كتّاب التلمود قائلين :

"من الواجب الديـنى أن يلعن اليـهـودى ، كـل يوم ، ثلاث مـرات رؤسـاء المذاهب المسيحية"

بل إن ؛

"من الواجب الدينى علـى كل يهودى أن يلـعن المسيـحـيين ، كل يوم ثلاث مرات ويطلب من إلهه أن يبيدهم ويفنى ملوكهم وحكامهم" .

إنه من الواجب

"على اليهود أن يعاملوا المسيحيين كحيوانات دنيئة غير عاقلة"

لذلك فإن ؛

"العهد مع المسيحى لا يكون عهداً ، صحيحاً يلتزم اليهود به"

ولذلك تعتبر ؛

"كنائس المسـيحيين كـبيـوت الضالين ومـعابد الأصنام فـيجب على اليـهود تخريبها" .

بل إن ؛

"قتل المسيحى من الأمور الواجب تنفيذها"

اعلموا ؛

"إن كل مسيحى هو عدو ليهوه ولليهود !
وليس من العدل أن يشفق الإنسان على أعدائه ويرحمهم"

ولكن هنا تنبهوا :

إن المسيحيين ليسوا هم وحدهم أعداءكم وإنما سائر الأمم ، يا أيها اليهود ، لكم أعداء ، لأنهم لا يدينون بدينكم

ولذلك فإنه ؛

"لا قرابة بين اليهود وبين الأمم الخارجة عن دين اليهود، لأنهم أشبه بالحمير"
"يجب أن يعتبر اليهود بيوت باقى الأمم نظير زرائب للحيوانات"

بل ،

"إن الخارجين عن دين اليهود خنازير نجسة ، خلقهم الله على هيئة إنسان ليكونوا لائقين لخدمة اليهود الذين خُلقت الدنيا من أجلهم"
"نحن شعب الله فى الأرض !
لأجل رحمته ورضاه عنا سخر لنا هذا الحيوان الإنسانى وهم كل الأمم والأجناس سخرهم لنا لأنه يعلم أننا نحتاج إلى نوعين من الحيوان :
نوع أخرس ، كالدواب والأنعام والطير ، ونوع ناطق كالمسيحيين وغيرهم من سائر الأمم من أهل الشرق والغرب . سخرهم لنا ليكونوا فى خدمتنا ..
وفرقنا فى الأرض لنمتطى ظهورهم ونمسك بعنانهم لمنفعتنا"

ولذلك فإن ؛

"اليهودى لا يخطئ إذا اعتدى على عرض غير اليهودية لأن المرأة غير اليهودية تعتبر بهيمة!"

لا جدال فى ؛

"إن لليهود الحق فى اغتصاب النساء غير اليهوديات!"

كلا ولا شك فى ؛

"إن الزنا بغير اليهود ذكوراً كانوا أو إناثاً ، لا عقاب عليه ، لأن غير اليهود هم من نسل الحيوانات" .

لا شك ؛

"إن الفـرق بين درجة الانـسان والحـيـوان يماثل الفرق بين الـيهـودى وباقى الشعوب" .

"إن اليـهودى عند الله أفـضل من الملائكة ، لولا اليـهـود لزالت البركـة من الأرض واحتجبت الشمس وانقطع المطر"

ولذلك ؛

"يجب على كل يهودى أن يبذل جهـده لمنع استملاك باقى الأمم فى الأرض لتبقى السلطة لليهود دون سواهم"

وهذا حتى ؛

"يحكم اليهود نهائياً باقى الأمم" .

ولكن ؛

"قبل أن يحكم الـيهود نهـائياً على باقى الأمم يجب أن تقـوم الحروب على قدم وساق ويهلك ثلثا العالم !!

وأما إذا سألتم ، ما هى الوسيلة إلى هذه الغاية ؟

فإليكم الجواب وهو ، أن هذه الغاية لا يمكن أن تتحقق إلا عن طريق المال

ولذلك ؛

"يجب أن تصبح الأمة اليهودية غاية فى الثراء"

أتسـألون ما هى الوسـائل إلى الإثراء ؟ إليكم الجـواب ، «إن السرقـة والربا هما أسرع الوسائل إلى الاثراء" .

السرقة ؟ نعم ! ... ؛

"إن السرقة غير جائزة من اليهودى لليهودى ومسموح بها إذا كانت من مال غيـر اليهودى ! السـرقة من غيـر اليهـودى لا تعتبـر سرقة بل اسـترداداً لمال اليهودى .

حلال هى ومباحـة كالأموال المتروكة أو كرمال البـحر التى يمتلكها من يضع يده عليها أولاً"

ثم ينتقل التلمـود (الصهيونيـة الدينية الشفهـية) بعد أن ملأت الدنيـا بالقوانين العنصرية إلى موضوع آخر وهو "التصفية العرقية" .

فيقول التلمود :

"لليهودى أن يستحل فى معاملة غيره ، فيما عدا اليهود ، كل وسائل الغش والخداع بل والقتل أيضاً؛ القتل ؟! ... نعـم ، القتل بدون استثناء ! ؛ يا أيها اليهودى ! اقتل ، وحتى الصالح من غير اليهود حلال قتله بيد اليهودى ،

اقتل ! ... ؛

"اقتل الصالح من غـير اليهود ، فإنما محرم على اليـهودى أن ينجى أحداً من غير اليهود من هلاك !"

كلا ! ؛

"لا يصح لليهودى أن ينقذ حياة أحد من غير اليهود؛ .

لا تشفق ! .. ؛

"إن الشفقة ممنوعة بالنسبة لغير اليهودى !

إذا رأيته واقعاً فى نهر أو مهدداً بخطر فيحرم عليك أن تنقذه! .

إذا رأيته واقعاً فى حفرة لا تنقذه بل عليك أن تسدها عليه بحجر ! ...

هذا هو العدل ! فإنما ؛

"من العدل أن يقتل اليهودى بيده كل غير يهودى !

لأن من يسفك دماء غير اليهودى يقرب قرباناً إلى يهوه ! ..."

يا أيها اليهود : لا تتوانوا ... فإنما ؛

"على اليـهـودى أن يقتل مـن يتمكن مـن قتله فـإذا لم يفـعل ذلك يخـالف الشرع"

هذه هى شريعتكم ، يا أيها اليهـود ، وأنتم فى حال السلم وأما فى حال الحرب فاعلموا أنه ؛

"إذا انتصـر اليهود فى موقـعة ، وجب عليهم اسـتئصـال أعدائهم من بكرة

أبيهم ! ..."

اعملوا بذلك ، يا يهود العالم ، فإن ،

"من يخالف ذلك فقد خالف الشريعة ! ..."

يا يهود العالم ! ....

هذه شريعتكم شريعة إلهكم «يهوه» الذى اختاركم لنفسه «شعباً مختاراً» لا يتخلفن أحد منكم عن العمل بأوامرها حتى يسرع الزمن فيأتى «مسيحكم»

فإنه ؛

"لا يأتى المسيح الحقيقى إلا بعد انقضاء حكم الأشرار هؤلاء الخارجين على دين بنى إسرائيل ! ..."

سارعوا إلى العمل بأوامر شريعتكم حتى يسرع الزمن ويأتى المسيح .. وفى ذلك الزمن ترجع السلطة لليهود وكل الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له ، وفى ذلك الوقت يكون لكل يهودى ألفان وثمانمائة عبد يخدمونه» .

عند ذلك ؛

"يتحقق أمل الأمة اليهودية .. وتكون هى الأمة المتسلطة على باقى الأمم"

وأما حتى ذلك الحين فإن ؛

"اليهود يعيشون فى حرب عوان باقى الشعوب منتظرين ذلك اليوم يوم يأتى المسيح الحقيقى ويحقق النصر المرتقب ويحكم اليهود نهائياً باقى الأمم ، يوم يكون اليهود قد أصبحوا غاية فى الإثراء لأنهم يكونون قد حصلوا على جميع أموال العالم ! ...."

يومذاك ؛

يومذاك ، يا يهود العالم ستكون أيامكم كلها أعياداً ، كأيام هذين العيدين المقدسين عيد «البوريم» وعيد «الفصح» ... هذين العيدين اللذين لا تتم لكم فيها فرحة إلا بأكلكم الفطير بالدماء البشرية ".

راجع المصدر - الذبائح التلمودية

هذه هى شرائع التلمود أو التوراة الشفهية كما يسمونها ... ونحن إيماناً بنا باحترام وتقديس الكتاب المقدس «التوراة» الكتاب المقدس الذى أنزل على موسى بن عمران عليه السلام ، وكل الأحاديث الشفهية (التلمودية الحقيقة) فإننا نرى من العقل والمنطق أن هذه العنصرية والتصفية العرقية المملوءة بالجرائم والقتل .. الخ لا يمكن أن تصدر عن الله سبحانه وتعالى ، وإن موسى عليه السلام برىء من هذا الخلط الذى أباح الفصل العنصرى مع التصفية العرقية فى قانون وضعى للصهيونية الدينية لذلك نزل الانجيل على المسيح عليه السلام ولذلك قال الله تعالى فى محكم آياته فى سورة البقرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

" يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً "

صدق الله العظيم

هذه هى التوراة الشفهية التى يدعون أنها أنزلت على موسى عليه السلام (استغفر الله العظيم أن يكون رسول الله موسى قد أنزل عليه مثل هذه التفرقة العنصرية والتصفية العرقية شفهياً من عند العلى القدير الرحمن الرحيم إله الناس أجمعين ولكنهم لم يقفوا فقط عند التلمود بل إن الأسفار أكدت أيضاً فى كتاباتهم على التمييز العنصرى والتصفية العرقية ، فتعالوا بنا نسمع ما أتى فى الأسفار ، ففى الإصحاح 31 من سفر العدد :

"كلم الرب موسى قائلاً : انتقم نقمة لبنى إسرائيل"

"ثم كلم الرب موسى قائلاً : ضايقوا المديانيين واضربوهم"

الإصحاح 25 سفر العدد

"أرسلهم موسى ألفاً من كل سبط إلى الحرب ، هم وفينحاس ابن اليعاذر الكاهن إلى الحرب"

....

وتحت إمرة فينحاس وقيادته انحدرت إسرائيل على مديان ، كما أمر الرب

وقتلوا كل ذكر وملوك مديان اقتلوهم فوق قتلاهم خمسة ملوك وهم صناوى وراقم وصور وحور ورابع" .

....

"سبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ، ونهبوا جميع بهائمهم ومواشيهم وأحرقوا جميع مساكنهم ومدنهم وجميع حصونهم بالنار وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم"

....

"أتوا إلى موسى واليعاذر الكاهن .. بالسبى والنهب والغنيمة، فخرج موسى واليعاذر الكاهن وكل رؤساء الجماعة لاستقبالهم..
وسخط على وكلاء الجيش وقال لهم : هل أبقيتم كل أنثى حية؟! اقتلوا كل ذكر من الأطفال ! وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها لكن جميع الأطفال من النساء اللواتى لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات" .

الإصحاح 31 سفر العدد

"كلم الرب موسى قائلاً :
"مُتْ فى الجبل ، كما مات هارون أخوك فى جبل هور لأنكما ختتمانى" .
الإصحاح 32 سفر التثنية

ومع أن كاتب سفر التثنية قد جزم بأن موسى عليه السلام وهارون عليه السلام قد أمر الله بموتهما فى الجبل لأنهما على حد تعبير كاتب هذا السفر قد خانا الرب!!

ومعنى ذلك إن الوحى على موسى قد انقطع بموته ، إلا أن كتّاب الأسفار استمروا فى كتابتها حيث أن الوحى ظل ينزل على كل الإسرائيليين أى رؤساء إسرائيل .

وها هو يشوع بن نون يقود إسرائيل ولكن هنا نبحث عن عقدة / عقيدة التفرقة العنصرية والتصفية العرقية دون الخوض أو النقد (لا سمح الله) فى الدين

اليهودى الصحيح ، ولكن فلنبحث فى أفكار كتّاب الصهيونية الدينية (اليهودية) ونستطرد فى طرح ما كتبوه دون تعليق لنؤكد كيف زرعوا هذه العقدة أو العقيدة فى قاع النفس البشرية لكل يهود العالم فى العصر القديم وظلت تترعرع معهم إلى يومنا هذا .

حيث أكد سفر يشوع ، الإصحاح العاشر ص 28 ، 40 على أسطورة التفرقة العنصرية والإبادة العرقية فنرى أن يشوع فى هذا السفر يبيد كل الأمم التى قابلته ونرى أن عبارة "فلم يلفت منها ناج" قد تكررت أكثر من مرة عند إبادته للأمم التى قابلها حتى دخول أرض كنعان .

ونختتم هذا السفر بـ

"وهكذا هاجم يشوع كل أرض الجبل والمناطق السهلية والسفح ودمرها وقتل كل ملوكها ولم يفلت منها ناج ، بل قضى على كل حى ، كما أمر الرب إله إسرائيل" .

هذه مقتطفات مما يسمونه العقيدة اليهودية والكتاب المقدس والمفسرون والشراح يحللونها بأنها الصهيونية الدينية (آمال وأحلام البائسين على الفرات) من ضحايا الشتات البابلى الأول لليهود (586 - 536 ق . م) ثم من بعدهم أحبار التلمود بعد ظهور المسيحية إلى حوالى عام 550 م .

ونسوق بعض الأبحاث والدراسات التى تنقذ شريعة موسى عليه السلام وتبرأها من أساطير الصهيونية الدينية والصهيونية السياسية :

فأولاً : التلمود لا يستحق رداً فما به من جمل وصفية وصل الحد فيها إلى أكبر حد عرفه التاريخ من العنصرية والاسفاف بما وجدنا من عبارات لا يمكن للعقل قبولها ولا للإنسانية هضمها ... حيث تجعل من اليهود بشراً وباقى الانسانية "خنازير" و"حمير" .. الخ من صفات لا يمكن أن يحملها كتاب دينى ، فإن الأبحاث والدراسات انصبت أيضاً من العديد من بُحاث العالم ، وكلهم خارج

الوطن العربى والدين الإسلامى ، ليبحثوا فى حقيقة هذا التطهير العرقى والفصل العنصرى الرهيب على أيدى ما نسبوه إلى يشوع بن نون وقبله وصفهم لموسى وهارون عليهما السلام بأنهم خونة (خانا الرب)

فكيف لنبى (كليم الله) أن يكون خائناً !!؟!

ونعود إلى بعض الدراسات والأبحاث التى تكذب هؤلاء الكتبة وتثبت أن الهدف من أساطير الصهيونية الدينية التى اعتمدت عليها الصهيونية السياسية وقدمتها للعالم على أنها الشريعة اليهودية والكتاب المقدس اليهودى (التوراة) ما هو إلا هدف دنيوى أسطورى خرافى الهدف منه زرع هذه العقدة - عقيدة التطهير العرقى والفصل العنصرى فى وجدان كل يهودى.

ونعود إلى بعض الدراسات خاصة التى انصبت على سفر يشوع الإصحاح العاشر ص (28 – 40) .

فى وصفه للإبادة العرقية للشعوب التى صادفته بأمر من إله بنى إسرائيل (إله الحرب) (يهوه) .

وأول ما تقع الحقيقة عليه فى هذه الدراسات ، خاصة الدراسات المستمدة من علم الآثار ، إذ أثبتت الحفريات أن مدينة أريحا كانت مدينة مهجورة حيث دمرت المدينة التى يرجع تاريخها إلى منتصف العصر البرونزى حوالى عام 1550 ق . م، وفى منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد عاد بعض السكان واستوطنوا أماكن قليلة متفرقة من المدينة ، حيث لم تكن فى ذلك الوقت مدينة بالمعنى العام للمدينة فى تلك الفترة ولها حاكم ورئيس وجيش .. الخ .

حيث عثر على آنية فخارية تؤكد تلك الفترة ، ولم يوجد بأريحا أى شىء أثبتته أبحاث التنقيب عن حياة لها فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وهى الفترة التى يتحدث عنها سفر يشوع ، أى دخول بنى إسرائيل إلى تلك المدينة وإبادتها وقتل ملكها ، وقد خلصت دراسة «ك . م . كينون» إلى نتيجة مؤداها أنه من المستحيل

الربط بين حادث تدمير أريحا وحادثة دخول الإسرائيليين إلى المدينة ، فحادثة التدمير فى منتصف القرن الخامس عشر ق . م ودخول الإسرائيليين إلى المدينة فى منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

المصدر : روجيه جارودى - ص 70 سبق ذكره .

كما أن الأبحاث والدراسات انصبت أيضاً على ما ذكره سفر يشوع عن تدمير قرية 'عاى' ، وتعد هذه القصة أكثر قصص الغزوات تفصيلاً على الإطلاق فى سفر يشوع ، وقد قامت بعثتان مختلفتان بإجراء عمليات تنقيب فى ذلك الموقع وجاءت النتيجة مخيبة لما كُتب فى سفر يشوع .

المصدر : السابق ، ص 71 .

إذن ما الهدف من هذه العقدة / عقيدة التمييز العنصرى والتطهير العرقى ؟!

إن هذه الأسطورة تعد من أخطر الأساطير وأشدها فتكاً بالمجتمع الدولى ، وإذا كانت الدنيا تقوم الآن ، ولم تقعد تنديداً بالإرهاب والإرهابيين أليست هذه الأسطورة ومن يؤمن بها (الصهيونية) أو اليهود هى منبع وبؤرة الإرهاب .

ما الذى يمنع يهودياً تقياً وملتزماً بمبادئ دينه (الصهيونية الدينية) أو اليهودية بما فيها من هذه الأساطير من أى يحذو حذو شخصيات جليلة وعظيمة مثل موسى أو يشوع ؟

ما الذى يمنع أى يهودى متقٍ ومتزن من تطبيق أحكام التلمود؟! فيقتل ويدمر .. الخ ؟

ما الذى يمنع الصهيونية ودولتهم التى يطلقون عليها إسرائيل أن تبيد وتقتل من حولها من الدول حتى لم تبق فيها ناج ، أليس هذا الأسلوب أو النهج هو أسلوب أنبيائهم (كما يدعون) .

ألم تقم منظمة أرجون التى أسسها مناحم بيجين (الحاصل على جائزة نوبل للسلام) وبقيادته فى 9 / 4 / 1948 بقتل ما لا يقل عن 254 من الرجال والنساء

والأطفال من سكان قرية دير ياسين ؟!.

ألم تكن ممارسة "إسحاق رابين" فى نهجه الذى اعتمد على تكسير عظام أطفال الانتفاضة ما هى إلا ترجمة حرفية لتعاليم دينه المكتوب فى صحف الصهيونية ؟!.

ألم تكن مذبحة "قانا" التى قادها شمعون بيريز التى راح ضحيتها مئات الأطفال والشيوخ والنساء العزل ما هى إلا تطبيق حرفى للشريعة اليهودية المكتوبة والشفهية ؟!، وقبلها مذبحة صبرا وشاتيلا التى قادها أحد خريجى مدارس التلمود وهو الجنرال رفائيل إيتان مع الإرهابى شارون وكثيراً من مذابح اليهود (الصهيونية) التى لم ينج منها مكان إلا القليل داخل الوطن العربى فى الماضى والحاضر ، ألم ترتكب كلها باسم مبادئ الصهيونية الدينية ؟! .

أو ليس كل من بن جوريون - جولد مائير - ليفى أشكول - بيجن - شارون - إسحاق شامير - إسحاق رابين - موشى ديان- رفائيل إيتان - شمعون بيريز - نتنياهو .. الخ من أسماء لقيادات بارزة من اليهود المحتلين لفلسطين ، أو ليس كلهم يقلدون يشوع بن نون ويسيرون على نهج أحكامه التى أتته من الرب (إله إسرائيل) (إله التطهير العرقى)، (إله التمييز العنصرى) ؟!

ألم تكن هذه الأسطورة الإرهابية العنصرية الخطيرة هى السبب فى تحويل شخص مثل الدكتور باروخ جولد شتاين المستوطن الأمريكى الأصل الذى يعيش فى مستوطنة كريات أربع فى الضفة الغربية إلى إرهابى باسم تعاليم الصهيونية (تعاليم اليهودية) إلى قتل ما يقرب من 30 فلسطينياً بنيران بندقيته الآلية وهم يؤدون صلاة الفجر فى الحرم الإبراهيمى ، وإرهابى آخر فى المسجد الأقصى الذى راح ضحيته العديد من الفلسطينيين المسلمين وهم يصلون فى شهر رمضان المعظم؟

إن تعاليم ونهج ومقولات وشرائع وأحكام اليهودية (الصهيونية الدينية) مبنية بناء محكماً على التطهير العرقى ، والإرهاب هو المصطلح الذى سماه الصهاينة وأدخلوه بدعة ضد الإسلام والمسلمين وأصبح تهمة لصيقة بالمسلمين ، إنما يدل على بشاعة أتباع يشوع بن نون ، فمع أن الدين الإسلامى هو دين العدل والمساواة

والسلام وعدم التمييز العنصرى وأن الله سبحانه وتعالى هو رب الناس أجمعين "قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس"

"وإن جنحوا للسلم فاجنح لها"

وكثير من الآيات ليس هذا مكانها ، بل كل القرآن الكريم يدعو للسماحة والعدل وعدم التمييز بين عربى أو أعجمى إلا بالتقوى يُتَّهم بالإرهاب ؟

وكل تعاليم التلمود (الإرهابية - العنصرية) ، حسبما كتبوه وقدموه لنا وكل تعاليم اليهودية حسبما كتبوها وقدموها للعالم ، تؤكد على العنصرية والتطهير العرقى الذى هو الإرهاب فى حد ذاته حيث أصبحت هذه الأسطورة ليست أسطورة يهودية فحسب، بل امتدت إلى أماكن بعيدة من الأرض ، فها هو "توماس نلسون" فى موسوعة اليهودية المجلد 16 رقم 2 - 1967 يقول : "فلا شك أن التفسير الحرفى المتزمت يمهد الطريق لارتكاب مذابح مماثلة لتلك المذابح التى ارتكبها يشوع ، ففى أثناء مطاردتهم للهنود الحمر للقضاء عليهم والاستيلاء على أرضهم ، كان المتطهرون الذين استوطنوا أمريكا يستشهدون بيشوع بن نون وبعمليات الإبادة المقدسة التى نفذها للتخلص من العماليق والفلسطينيين» .

أمام كل هذه الحقائق اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً فى 10 / 11 / 1975 يعتبر الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية والتفرقة العنصرية، وتمكنت الصهيونية فى 16/ 12/ 91 بدفع الجمعية العامة للأمم المتحدة نفسها التى أصدرت القرار بإلغاء القرار الصادر فى 1975 بالرغم من أنه لم يطرأ أى تغيير فى واقع الأمر منذ عام 1975 حتى عام 1991 اللهم إلا التغييرات البسيطة التى حدثت وهى :

مزيد من القتل والتنكيل والاحتلال والاستيطان والابادة للشعب العربى ، هذا من ناحية ، ومزيدا مما يسمى بالسلام أو الهرولة والخضوع العربى للعدو الصهيونى من ناحية أخرى ، فهل يا ترى تسبب ما يسمى بالسلام العربى مع الصهيونية إلى الغاء قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة باعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية والتفرقة العنصرية ؟

السامية وأسطورة الاضطهاد

"مبارك الرب صخرتى ، الذى يعلمّ يدىّ
القتال وأصابعى الحرب"

المزمور/ 144

عقدة – أو عقيدة الاضطهاد عند اليهود مرتبطة ارتباطاً وثيقاً مع عقدة / أو عقيدة السامية فى الفكر والثقافة الصهيونية ، وهذا الارتباط لم يأت عفوياً أو يخرج من نسج الصهيونية إلى عاطفة العالم ارتجالاً بلا هدف ، بل إن ربط الاضهطاد والإبادة لليهود ووضعهما فى سلة واحدة دائماً مع "السامية" تقوى المعنى بالجرم أو الإجرام ، ومن جهة أخرى تطبع على عقول وقلوب مستمعى ومتلقى هذه الأساطير أو الادعاءات بالذنب الدينى .

فالمضهد إذاً الآن أو الذى تم اضطهاده حتى الموت فى "أفران الغاز" بألمانيا ليس لكونه بشراً معادياً لمجموعة من البشر الآخرين عداء سياسياً أو اقتصادياً أو تناحراً اجتماعياً عقائدياً أو حتى اختلافاً فى الدين ... بل إن المضطهد دوماً من اليهودية هو لكونه «سامياً» وهذا يجعل أو يحمل المستمع أو المتلقى لهذه الأسطورة الإحساس بالاشمئزاز ويسرع بالتعاطف لمزج الاضطهاد بالدين ، .. ولكن أى دين، ليس اليهودية بما تعنيه فقط .. بل "السامية" المنحدرة منها اليهودية .

وكأن صاحب هذه الأسطورة يريد أن يحمل العالم بأثره الآن ذنباً عظيماً .. وخطيئة لم يرتكبها بحق اليهود أو الساميين منذ ظهورهم على سطح التاريخ بدون جغرافية فى أواخر القرن التاسع عشر قبل الميلاد حتى الآن .

وكوننا فى هذا البحث أو الكتاب لا ننطلق من موقف عدائى أو هجومى ضد

اليهود أو الصهيونية ، وإلا نكون قد اتبعنا طريقهم العنصرى المتميز ، لكننا اخترنا من البداية أن نقدم هذا الكتاب محايداً وميداناً للبحث والدراسة الفلسفية والنظرية ملتحمة مع الدراسة الدينية التاريخية ، مؤكدة بالبحث العلمى والتحليل المنهجى وإلى الأبد حجج وأساطير وخرافات فرضها اليهود على العالم ، أو أن نؤكد هذه الحجج ونسبغ بالبحث العلمى والأدلة المقرونة على الأسطورة فنحولها إلى حقيقة وواقع .

ومن هذا المنطلق فليس معنى ما بدأنا به البحث فى بداية أسطورة الاضطهاد أوالسامية وعقدة الاضطهاد أننا ننكرها أو نؤيدها .. نهاجمها أو ننفيها أو نؤكدها بل شرحنا أو نشرح فقط معنى ارتباط الاضطهاد بالسامية "والسامية" بالاضطهاد .

ولن ينكر أحد اضطهاد اليهود على مر السنين بالقدر الذى لا ينكر فيه أحد اضطهاد كثير من الشعوب على خريطة العالم .. شعوب أُبيدت بكاملها وأخرى اندثرت وغيرها أُقتلعت من جذورها ... وهذه هى حركة التاريخ والجغرافيا منذ أكثر من ستة آلاف سنة قبل الميلاد وحتى الآن ، لكن ، وحسبنا الآن أن نسلط الضوء على اليهود وهو موضوع بحثنا ... فإن التاريخ الدينى والسياسى منذ نشأة اليهود على الخريطة السياسية 1220 ق . م أو بالتحديد عام 1190 ق . م وهو التاريخ التقريبى لدخولهم أرض كنعان نستطيع أن نستطلع من الأسفار الخمسة (شريعة اليهود) وأيضاً الأسفار (الملاحق) خاصة سفر يشوع أن اليهود هم الذين اضطهدوا الأقوام الأخرى اضطهاداً وصل إلى حد التصفية العرقية النهائية (انظر الفصل السابق) عقدة – أو عقيدة الفصل العنصرى والتطهير العرقى فى هذا الكتاب) .

ففى أكثر من فقرة ولمزيداً من التأكيد يوضح سفر يشوع فى وصف إبادة الأجناس والأقوام والشعوب التى مر بها حتى دخوله فلسطين 1190 ق . م بعبارات «فدمرها تدميراً كاملاً ، ولم يبق منها ناج" و"قتل ملكها" .. الخ

حتى إن الطير والحيوان والدواب لم تفلت من يده فلم يبق منها ناج هى الأخرى .

واستمرت الإبادة التامة كما يقرها ويـؤكدها سفر يشوع وغيره من الأسفار لمدة قـرنين من الزمان من تـاريخ خروجـهم من مـصر وحـتى انتـهاء مملكة داود بوفـاة سليمان عليه السلام عام 935 ق.م .

ولكن فى الوقت نفـسه وعلى الجانب الآخـر ولإثبات الحـقائق التاريخـية فـقد تعرض اليهود إلى نفس المصير الذى ابتدعوه ، وإن كان أقل منه وحشية ...

فقد تعرضت مملكة الشمال (مملكة يسرائيل) إلى اضطهاد وصل إلى حد الإبادة على أيدى الآشوريـين ، كما تعـرضت مملكة الجنوب إلى نفس المصيـر على أيدى البابـليين ، ولـم تمض إلا سنوات معـدودة لا تزيد عن الخمـسين عامـاً ، إلا وكانت عجلة التاريخ الحربـى والغارات المميزة لتلك الحقبة تدور .. ويُهـزم البابليون على أيدى الفرس .. وهكذا .

وقد شكل المنفى والتـشرد والشتـات اليهودى عـبئاً ثقـيلاً على عقليـة ووجدان وتفكير اليـهودى ، فشعر بالاضطهـاد فى أغلب الأوقات مما ساعد عـلى حفر هذه العـقدة أو العـقـيدة فى وجـدانه وبدأ ينشـد بها أنشـودته الهـادفة إلى اضطهـاده ، وبدأت تحـتل تلك الاسطورة مكانـها فى الـتاريخ الـيهـودى مـحفـورة فى تاريخ مؤسـسى الحركة الصـهيونـية الدينية ، حـيث كانت كل معـانى حيـاتهم فى الأسر تصرخ من الاضطهاد لتنتقل إلى جيل بعد جيل محفورة فى الذاكرة اليهودية مغلفة بعظمة "السامية" لتؤدى معناها العاطفى من جهة والدينى من جهة أخرى .

يقـول السيد نـتنياهو (رئيس وزراء مـا يسمى بدولة إسـرائيل) فى كتـابه مكان تحت الشمس ص 479 (مرجع سبق ذكره) :

"لقد تم احتلال وطن اليهود مـرات عديدة ، من قبل الآشوريين والبابليين والفرس والمكدونيين والرومانيين والعرب ، لكن الشعب اليهودى ، صمد فى الاحتلال وفى الشتات ، طيلة ما يقرب من ألفى عام وبقى موجوداً"

ولكى نلاحظ الربط بين "الاضطهاد" و"السامية" لتحقيق الهدف الأمثل والأشمل

كما ذكرنا فإننا نجد السيد "نتنياهو" يستمر فى كتابه بنفس الصفحة «قائلاً» :

"خلال المرحلة الأولى والطويلة من تاريخ الشعب اليهودى خرج من أبنائه رجال جيش وزعماء مرموقون قادوه فى صراعه المستمر ، ولا توجد أمم تستطيع الافتخار بأشخاص مثل : موسى ، يهوشع (يشوع بن نون) جدعون ، شمشون ، ديورا ، يهونتان ، داود ... الخ".

وهو هنا يريد أيضاً أن يمزج بين الاضطهاد والتشرد لمدة ألفى عام على الأقل (1220 ق . م إلى الآن) وبين السامية عندما يذكر أن هذه الأمة اليهودية لها أن تفتخر مع كل ذلك الاضطهاد أنه كان من بينها عظماء نبدأهم بموسى ويشوع ... الخ - أراد أن يحشر فى وسط الاضطهاد ذكر عدد من الأنبياء اليهود أو الرسل مثل موسى عليه السلام .

هذا هو المعنى الفلسفى لربط عقدة أو عقيدة الاضطهاد مع عقدة أو عقيدة السامية لدى اليهود ولكنً السؤال الأهم والملّح والذى يطرح نفسه هنا بقوة ؟ ،

لماذا هذه العقدة أو العقيدة ممتزجة مع السامية أو غير ممتزجة ؟!

لماذا الصهيونية الدينية رسخت وزرعت هذه العقدة فى وجدان كل يهود العالم مثلها مثل شعب الله المختار - مثلها مثل عقدة أو عقيدة الأرض .. إلخ من أساطير ؟

وللإجابة فإننا سنعطى أيضاً للتاريخ الدينى والسياسى والبحث العلمى والدراسة حرية الحركة والتنقيب لتفسير تكوين هذه الأسطورة وابتداعها أو تحقيق أنها حقيقة وليست أسطورة.

ومن نتائج الدراسات ، بالإضافة إلى الأبحاث التاريخية ، مع ما أخبرتنا به أسفار الكتاب المقدس ، فإن تاريخ اليهود هم الذين بدأوا باضطهاد وإبادة الشعوب الأخرى إلى استقرارهم فى أرض كنعان وبناء قلعة داود على جبل صهيون فى أورشاليم ، وقد أخبرنا اليهود بعد سقوط مملكة سليمان ومملكتى

الشمال والجنوب قد تعرضوا لكثير من الاضطهاد والتشريد والشتات فكان الشتات الأول هو الشتات البابلي ، والشتات الثاني هو الشتات الهلليني ، والشتات الثالث هو الشتات الروماني الأخير . وإن هذا الشتات والتشرد كان مرده الأفكار والقوانين الدينية للأسفار التي وضعوها أوالتي أنزلت على موسى (شريعة موسى) أو المزامير أو التلمود ... أو الزابور ... الخ من قوانين دينية هذا من جانب ، أما الجانب الآخر فهو كونهم معتدين سالبين أرض الغير بالقوة ، فأرض كنعان ليست بأرضهم ، بل هي الأرض التي استلبوها من أهلها عنوة بعد تدمير كل حي بها - أي أن قيام دولة إسرائيل أو المملكة اليهودية في 1190 ق.م هو قيام أو تأسيس على إبادة الشعوب الأخرى أصحاب الأرض ، إضافة إلى وجود شريعة مكتوبة وقوانين دينية كلها أصبحت تمثل خطراً "فادحاً" على الشعوب الأخرى المجاورة لهم ، فأصبح اليهود في نظر هذه الشعوب يشكلون خطراً جسيماً عليهم ، فالقوانين الدينية التي شرحناها أو شرحنا جزءاً منها في الفصول السابقة قوانين كلها تؤكد على :

أولاً : إن الأرض (أرض إسرائيل من الفرات إلى النيل) ومعنى هذا أن الشعوب التي تسكن هذه الأرض من نهر النيل (مصر الفرعونية) إلى بلاد الرافدين (الآشوريون والبابليون) وما بينهما كلها أرض مشروعة أو مطالب بها لليهود أن يأخذوها كما سلبوا الكنعانيين (الفلسطينيين) أرضهم فأصبح هذا القانون أو هذا التشريع أو تلك العقدة والعقيدة مصدر خطر على الشعوب المجاورة عليهم أن يقاوموها بقوة .

ثانياً : التمييز العنصري والتطهير العرقي في عقيدة اليهود هذه العقدة أو العقيدة والتي أنصبت على الشعوب المجاورة لدولة إسرائيل في الفترة من 1190 ق.م إلى 586 ق . م خلقت ثأراً كبيراً وخوفاً عظيماً من هؤلاء القوم الذي يعتمد قانونهم وشريعتهم على الإبادة الجماعية للشعوب التي من حوله ، ولذلك كان على هذه الشعوب أن تقاوم هذه

الإبادة وتمحو هذا الخوف وأن يقوم بعض الشعوب بمحاولة اقتلاع اليهود أو القضاء عليهم.

ثالثاً : لعبت أسطورة أو خرافة شعب الله المختار أيضاً دورها فى تحريض الشعوب الأخرى ضدهم ، فحيث أكدت معظم قوانين دولة اليهود على احتقار وقتل وإبادة كل الشعوب التى لا تنتمى أو تعبد (يهوه) إله إسرائيل .

وأن كل الشعوب عبارة عن حيوانات ليست من سلالة البشر وجب تطهير الإنسانية منهم ، ... الخ من قوانين أزعجت الشعوب الأخرى وحقرتهم فكان رد الفعل الطبيعى لدى الشعوب الأخرى أن تنتفض لكرامتها وأن تزيل دولة اليهود قبل أن تقضى عليهم .

رابعاً : ظهور المسيحية والإسلام كأديان جديدة غير اليهودية .

كان لظهور المسيحية بشكل خاص أثره الفعال ضد الشريعة الصهيونية ، حيث أن 'يسوع' قد نزل إلى بنى إسرائيل رسولاً من روح الله سبحانه وتعالى من نفس بنى إسرائيل يسفه الشريعة الصهيونية ويقضى على القوانين الدينية الصهيونية ويطرح البديل الحقيقى من عند الله ويصحح الخرافات ويقضى على الأساطير ، فشكلت المسيحية هدماً حقيقياً لهذه الشريعة الصهيونية أو اليهودية ، وبانتشار المسيحية انتشاراً واسعاً بين الأمم سقطت خرافة شعب الله المختار وسقطت خرافة السامية وعقدتها ، وعرت ظهر الصهيونية اليهودية وقوانينها ، وسلبت منهم أعظم شئ كانوا يزايدون به على الأمم الأخرى ، وهو «شريعة الله» وكان الحاصل نشوء رد فعل من الأمم التى عرفت الله على حقيقته من خلال الانجيل «العهد الجديد» وكشفت زيف وكذب القوانين الوضعية أو المحرفة أو الأساطير التى بنى اليهود عليها مكانتهم بين الأمم ، لذا ، كان الصراع الحتمى بين الأغلبية (المسيحية) ، وبين الأقلية (اليهود) وهذا الصراع هو الذى أثمر عقدة الاضطهاد ، فأينما ينشأ صراع غير متكافئ بين قوتين أو مجموعتين فإن مجموعات الأقلية تشعر دائماً

بالاضطهاد ، ومن هنا تراكمت هذه العقدة أوالعقيدة فى وجدان اليهود ، ونماها وضخمها فى وجدانهم ظهور رسالة الإسلام الذى أوضح بجلاء لا نظير له العلاقة الانسانية بين (الله) إله الجميع وبين البشر (عباده جميعاً) وشرع الشرائع التى أبطلت وقضت على الشرائع الصهيونية وصنفتها أنها لا تنتمى إلى الله سبحانه وتعالى ، وشرحت أيضاً المسيحية وتطورها فأودعت عند الإنسان كنزاً لا ينضب من الشرائع والتعاليم والشرح للعلاقة بين الخالق والمخلوق ، وأن الجميع متساوون عند الخالق ولا فرق بين عربى ولا أعجمى إلا بالتقوى ، مما جعل الأساطير الصهيونية تنهار وأن ينكمش اليهود فى تجمعاتهم الصغيرة متفرقين بين الأمم (الچيتو) شاعرين بالاضطهاد وهو شعور كاذب ولكنه ناتج عن انكماشهم ■

الفصل الرابع

الاستراتيجية والأسطورة

"أيها الإسرائيليون، أيها الشعب الفريد،
الذى لم تستطع قوى الفتح والطغيان ،
أن تسلبه نسبهُ ووجوده القومى ، وإن
كانت قد سلبته أرض الأجداد فقط ...
إن الجيش الذى أرسلتنى العناية الإلهية
به ، ويمشى بالنصر أمامه وبالعدل وراءه
قد اختار القدس مقراً لقيادته ، وخلال
بضعة أيام سينتقل إلى دمشق المجاورة
التى استهانت طويلاً بمدينة داود
وأذلتها " .

نابليون بونابرت

الاستراتيجية

تميز القرن التاسع عشر بعد الميلاد عن غيره من القرون التى سبقته بحركة ديناميكية قوية اجتاحت أوروبا بعد انتهاء عصر الأساطير والخرافات ، وبذور عصر القوة العسكرية واكتشاف العالم وتطور أساليب الحياة وإدخال " التقنية " ليس فقط فى مفهوم " الحرب " أو "الجيش" لكن فى كل أساليب الحياة فى ذلك العصر ، وقد كان قرناً من أخطر القرون التى تبلور فيها كثير من المفاهيم إلى جانب الاختراعات الكبرى وعصر النهضة فى جميع الميادين ، فإن هناك عدة عوامل كانت هى سمة ذلك القرن نذكر منها :

ظاهرة الوطنية

وقد برزت نتيجة للبركان المفاجئ للمفاهيم والسلطة والاستراتيجية ومستقبل ذلك القرن ، وكان هذا البركان هو الثورة الفرنسية ، فنمّتْ الحركة الوطنية ووقعت شعوب الأرض جميعاً ، بعد صدمة الثورة فى محاولة البحث عن هويتها وقوميتها ومحاولة استعادة حقوقها وتقرير مصيرها .

ظاهرة القوة العسكرية غير التقليدية

وقد هيمنت عدة قوى فى ذلك القرن على أنقاض إمبراطوريات تقليدية فى القرون الماضية (مثل الإمبراطورية العثمانية) فظهرت القوة البريطانية (الإمبراطورية

التى لا تغيب عنها الشمس) والإمبراطورية الفرنسية وقائدها الكبير نابليون بونابرت، والإمبراطورية الروسية .

ظاهرة الاحتلال والاستحواذ

حيث بدا الشرق الأوسط (إرث الإمبراطورية العثمانية المريضة) والشرق الأدنى بما تمثله الهند وجنوب القارة الآسيوية مطمع وأمل القوة الصاعدة الجديدة فى أوروبا، كما تم غزو البحار والمحيطات واكتشاف القارات الجديدة والاستيطان بها مثل أمريكا الشمالية والجنوبية .

الوجود اليهودى فى أوروبا

حيث بلغ عدد اليهود فى أوروبا فى ذلك القرن ما يقارب من 12 مليون نسمة كانوا متمركزين فى شرق أوروبا منهم 90٪ يعيشون على تخوم ما بين روسيا وبولندا ، ويتعرضون بين الحين والآخر لغارات دموية تولدها احتكاكات دينية واجتماعية وفكرية اشتهرت باسم 'pogrom' وهى كلمة روسية الأصل تعنى 'التدمير المنظم لطبقة أو جماعة ' وقد التصق استعمالها بتاريخ اليهود فى شرق أوروبا .

المصدر : محمد حسنين هيكل ، الأسطورة والإمبراطورية والدولة اليهودية - دار الشروق - 1996 ص 28 .

وكانت هذه الظاهرة رغم ضآلتها تحتل فى عقل ساسة أوروبا وقادتها حيزاً كبيرا لوقوعها بين الظواهر الرئيسية السابقة والمميزة للقرن التاسع عشر ، علاوة على كون اليهود يقعون ما بين القوى العظمى المؤسسة للقرن التاسع عشر ، مما جعل وجودهم يشكل مصدر قلق وخطر ،خاصة وهم يحملون خصائص مكونات الصهيونية الدينية، أى يحملون على رؤسهم وبين أضلعهم مجموعة من الأساطير والعقائد تشكل مصدر خطر على الإمبراطوريات فى ذلك الوقت ، وتجعل القادة الأوروبيين على اختلاف مبادئهم السياسية ، سواء الإمبراطورية الفرنسية التى هى الأخرى تحمل

شعار الوطنية والحرية (الثورة الفرنسية) والإمبراطورية البريطانية التقليدية (والعظمى) ، والإمبراطورية الروسية المتعطشة إلى ضم أكبر عدد ممكن من المستعمرات التى بجانبها مما أدى إلى خلق حالة من الشك والخوف والترقب ومحاولة الخلاص من العدد الكبير من اليهود الذى يحتل أماكن عديدة فى أوروبا والذين بلغ عددهم حوالى 12 مليونا من اليهود منهم من تحكّم فى التجارة والاقتصاد ومنهم من لعب دوراً كبيراً فى الاعلام .. الخ من مواقع ليست بالكثيرة ولكنها مهمة للغاية.

وأصبح الشك والهاجس من اليهود فى أوروبا لدى قادة الإمبراطوريات الثلاث يشكل أحد ظواهر القرن التاسع عشر ، ووقع اليهود بين المد والجزر ، بين الإمبراطوريات الثلاث تارة ، لمحاولة جذبهم وربطهم لمنفعة أى من الإمبراطوريات ، وتارة أخرى بمحاولة الضغط عليهم أو تحجيمهم للخوف من أساليبهم ، ولمع فى فكر كثير من قادة أوروبا أن الخلاص منهم هو الحل، وظلت هذه الأفكار ، لدى قادة أوروبا من الوجود اليهودى، وما تحمله الصهيونية الدينية من أساطير وعقد وعقائد فى حالة ، كما ذكرنا ، من المد والجزر شملت القرنين التاسع عشر والعشرين وحولت بدورها اليهود من مفهوم الصهيونية الدينية البحت ، بأساطيره الجامدة إلى الصهيونية السياسية المتأثرة بحركة القرنين التاسع عشر والعشرين على الخريطة السياسية والجغرافية الجديدة للعالم ، وخاصة المطامع والمستعمرات الجديدة لأوروبا وأمريكا من بعدها فى العالم .

ومن هنا انتعشت الأساطير الصهيونية بحكم المد والجزر بينها وبين التفاعل القوى لقوى العصر فى ذلك الزمان ، وبدأت الأساطير تأخذ مجراها من الغرب إلى الشرق نحو تأكيد أسطورة "**أرض بلا شعب لشعب بلا أرض**" .

وفى أوائل القرن العشرين ، ومع ظهور متغير جديد على أحداث القرن التاسع عشر ، وهو اندلاع الثورة البلشفية ، متأثرة بالثورة الفرنسية ، وكامتداد طبيعى لها . مهما اختلف المحللون حول هذه النقطة ، فإن هذا الحدث الجديد والقريب جداً من مناطق التجمع السكانى اليهودى والكثافة السكانية العالية لليهود ، جعل كثيراً من

أوروبا والعـالم يعتقـدون أن اليهـود وراء تلك الثورة مـتأثرين بما قـد ذاع صيتـه عن موضوع بروتوكولات حكماء صهيون ، هذه البروتوكولات التى لا يعلم أحد حتى الآن مدى صحتها ، والتى لا ينبغى أن نحشرها كسند مادى ضد الصهيونية، حيث أن هذا الأمر مشكوك فيه وغير مؤكد ، إلا أن بروتوكولات حكماء صهيون لعبت دوراً " كبيراً ، فى أوروبا .

وكانت البروتوكولات من أحد الأسباب التى أدت إلى مفهوم أن اليهود وراء الثورة البلشفية ، وكان اعتقاد أوروبا فى ذلك الوقت أن اليهود وراء كل عمل خطير، وأن ما يهمنا هو تحليل الرؤية الأوروبية (المد والجزر) فى علاقتها مع الصهيونية (اليهود) الذين يعتبرونهم سكان آسيا الوسطى (الخزر) ويعتبرونهم خارج الجماعة البشرية بالأساطير التى يحملونها وبتاريخهم الدموى (دم المسيح) .. الخ .

من المشاكل التى تعانى منها أوروبا كما أسلفنا ذكره فى السطور السابقة وأمام الثورة الاشتراكية (البلشفية) فإننا نوجز على عجالة وضع الصهيونية أو محصلة موقع الصهيونية فى التفكير الغربى الأوروبى فى القرن العشرين ما بين الاتجاهات الثلاثة أو الأربعة بعد ظهور القوة الإلمانية وردود فعل الصهيونية .

ونختار هنا من التيار الاشتراكى أو الفكر الاشتراكى الأوروبى أحد أبرز وأهم المفكرين الاشتراكيين وهو شارل فوربيه (1772–1837م) الذى أشار إلى عدة أفكار تترجم موقف الاشتراكيين فى أوروبا من اليهود حيث قال :

" إن التجارة هى مصدر كل الشرور وإن اليهود هم تجسيد لها، كما أنهم المستغلون الاقتصاديون الرئيسيون فى أوروبا " .

وأضاف :

"أن اليهود ليسوا جماعة دينية ، وإنما هم جماعة قومية غير متحضرة وبدائية ومعادية للحقيقة، ولا بد للمجتمع من التخلص منها، إما بالدمج أو الطرد".

وقد أشار "فوربيه" إلى شرح بعض الأساطير المؤسسة للصهيونية الدينية ومنها

بعض العـادات والتـقـاليـد والقـوانين فى الطـعام عـلى أنهـا قـرينة على صـدق كل الشائعـات لهم ولذا يرى " فوربيـه" أن لفظتى "يهودى " و " لص" مـترادفـتان ، وأن الإنسان عند التـعامل معهم لا يـتوقع سوى أكاذيب، ولا شيء سـوى الأكاذيب التى يشجعهم عليها دينهم .

بل يرى "فوربيه"

"أن اليـهـود عنصـر تجـارى لا ارتبـاط ولا انتـمـاء لـه بوطن ، ولذا فـهم لا يتورعون عن ارتكاب أعمال الخيانة العظمى ويعملون جواسيس لكل الأمم وجلادين لها" .

ويستمر فوربيه فى وصفه لليهود :

"وهم إلى جـانـب هذا مـتـمـرسـون فى التـهـرب من دفـع الضـرائب ولا يستـثمرون ، أبدا ، رأسمـالهم فى الصناعة حتى لا يرتـبط مصيرهم بمصـير الدولة التى يعـيشـون فيـها ، ويقـتصـر نشاطهم التـجارى علـى الاستـيراد والتصدير حتى يحرموا تجارة البـلاد المضيفة من الاحتكاك بالبلاد الأخرى ، وهم يحققون الثروات الهائلة على حساب المواطنين خصوصاً وأنهم بخلاء إلى درجة أن بإمكانهـم العيش على أقل القليل مما يسـاعدهم على مراكـمة الثروة بسرعة" .

وقد طرح "فوربيـه" برنامجا لحل المسألة اليهـودية ، وذلك عن طريق دمج اليهود بالقوة اقـتصادياً وروحـياً ، وهذا لن يتأتى إلا بالقـضاء على خصوصـيتهم اليـهودية الاقتصـادية عن طريق تطبيق قوانين قـاسية عليهم ، ومنعـهم من الاشتغال بـالأعمال التجـارية وإبعادهم عـن الحدود والسواحل والأمـاكن التى يمكنهم أن يمارسـوا فيـها التهرب والتجارة ، وكذلك عن طريق توطينهم بالقوة فى القرى .

ويجب أن تواكب عملية الدمج الاقتصادى عملية دمج روحى عن طريق التعليم حتى يتخلى اليهود عن مبادئهم الشريرة .

والحل الثانى للمسألة اليهودية فى برنامج " فوربيه " يقول :

" إذا كان الحل الأول يفترض إمكانية التخلص من الشعب العضوى المنبوذ عن طريق تخليصه من هويته الكريهة ودمجه فإن الحل الثانى الذى ورد فى كتاب الصناعة الزائفة (1835 - 1836 م) يرى أنه يمكن التخلص منهم عن طريق توطينهم فى فلسطين وسوريا ولبنان ليصبحوا أمة معترف بها لها ملك وعلم وقناصل وعُملة" .

ويستمر فوربيه فى إعطاء نصائحه لليهود قائلاً :

"بدلا من مضاربات البورصة يمكنهم تحويل فلسطين وما حولها فى المنطقة الممتدة من لبنان إلى سيناء إلى أرض صالحة للسكنى عن طريق توفير منافذ لنهر الأردن والبحر الميت على موانئ البحر الأحمر ، وأن يتم رَيّ الصحراء وزراعة الغابات الخضراء فيها بواسطة الجيوش الصناعية والمزارع التعاونية ، وذلك بتمويل من "روتشيلد" وبدعم من أوروبا .

المصدر : عبد الوهاب المسيرى - اليد الخفية - دار الشروق ، 1998 ، ص 147 - 148 .

ومن منظور آخر غير فكر فوربيه ، نجد أن كتابات "يوجين دوهرنج" (1833-1921 م) خاصة كتابه "اليهودية كمسألة عرقية وأخلاقية وحضارية" المصدر السابق ص 150 ، والذى يوجز فيه حله فى جملة واحدة وهى " أن الحل الأسمى للمسألة اليهودية هو القتل والطرد " ومن هذا المنظور ، فان مفكراً اشتراكياً مثل "ماركس" فى رأى "دوهرنج" هو الشر المجسد بسبب نظرياته الشيوعية وعرقه اليهودى ، فقد استقى كل نسقه الفكرى من القانون " الموسوى " على الرغم من أنه قد تم " تعميده " .

وقد ظهرت الأطروحة مرة أخرى فى كتابات " ورنر سومبارت " عن علاقة الرأسمالية باليهودية وتصل إلى ذروتها فى الفكر النازى ، من هذا الفكر الاشتراكى وغير الاشتراكى (الرأسمالى) لأوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرين يمكن أن

نصل إلى عدة حقائق تشكل الفكر أو التفكير الغـربى فى أوروبا عن علاقتهم باليهود والصهيونية من جهة والممارسات التى تم اتخاذها تجاههم من ناحية أخرى :

ونوجز هذا فى التالى :

1- إن الأساطير المؤسسة للصهيونية الدينية لم تغب لحظة واحدة عن تفكير المجتمع الأوروبى ، سواء كان التفكير الاشتراكى أو الرأسمالى أو الاستعمارى .

وظلت أسطورة أو خرافة الأرض الموعودة / وشعب الله المختار / والتفرقة العنصرية / والتطهير العرقى والاضطهاد والسامية وكل العقد أو العقائد الأسطورية راسخة فى عقول الصهيونية مسببة هاجساً قوياً للمجتمع الأوروبى (القوى الكبرى فى العالم) فى القرنين التاسع عشر وبداية القرن العشرين .

2- ظلت تعاليم التلمود والأساطير الصهيونية تشكل حاجزاً نفسياً ضخماً بين اليهود والمجتمع الأوروبى .. فثار المسيحية من اليهودية أو ثأر المسيحية من تعاليم التلمود وغيره من أساطير صهيونية دينية تجلى فى وصف مفكرى القرن التاسع عشر لليهود بأبشع الأوصاف وأحقرها مثل (اليهودى لص) (اليهودى حمار) .. الخ من أوصاف تعبر عن حقد وعمق المأساة فى الصراع النفسى والدينى بين المجتمع الغربى الأوروبى والصهيونية الدينية وأساطيرها التى أطلقوا عليها (مبادئ شريرة) .

3- بالرغم من هذا " الكره " النابع عن رفض التعامل مع اليهود ووصفهم بأحقر الأوصاف إلا أن الفكر الأوروبى صادقَ على أساطير الصهيونية الدينية ، وطالب بطرد اليهود إلى فلسطين وسورية ولبنان ، بل إن الفكر الغربى الأوروبى فى الوقت الذى كان فيه يهين ويحقر ويقتل ويطرد ويشرد اليهود ، فإنه ينصحهم بالذهاب إلى " أرض الميعاد " إلى أسطورة كتّاب الرافدين .

وتجلى ذلك بقوة واضحة فى مقالة لمجلة فرنسية من أتباع المفكر " فوربيه " حيث

جاء فيها :

" أيها اليهود ! إلى أعالي سيناء ، حيث أرسل الإله بالوصايا العشر التى تخرقونها دائما ، إلى موسى والإله الذى تركتموه بسبب حبكم الشديد للذهب .. اعبروا البحر الأحمر مرة أخرى ولتنزلوا إلى الصحراء مرة أخرى، إلى أرض الميعاد التى تنتظركم، الأرض الوحيدة التى تناسبكم أيها الشعب الشرير الوقح الخائن ، اذهبوا إلى هناك " .

ونلاحظ أن هذا هو الحل الصهيونى ، مهما كان به من قسوة فى ألفاظه الجارحة عن اليهود ، إلا أنه يدفعهم دفعاً نحو الطرد من أوروبا إلى " أرضِ الميعادِ " .

واذا كانت تلك مميزات وخصائص الفكر الأوروبى فإن القادة العسكريين لأوروبا كانوا أكثر نفاقا سياسياً فى استغلال الحالة الفكرية السائدة .. وكان الجنرال بونابرت أول من التقط تلك الحالة وهو يقود حملته الفرنسية على الشرق العربى ، وخاصة وهو يقف أمام أسوار القدس محاصرها (1799م) وإذ به يوجه خطابه المشهور إلى اليهود ويقول فيه :

" من نابليون بونابرت القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية فى أفريقيا وآسيا إلى ورثة فلسطين الشرعيين .

أيها الإسرائيليون ، أيها الشعب الفريد الذى لم تستطع قوى الفتح والطغيان أن تسلبه نسبه ووجوده القومى ، وإن كانت قد سلبته أرض الأجداد فقط .

إن مراقبى مصائر الشعوب الواعين المحايدين وإن لم تكن لهم مقدرة الأنبياء مثل أشعياء ويوئيل قد أدركوا ما تنبأ به هؤلاء بإيمانهم الرفيع أن (عبيد الله الإسرائيليين) سيعودون إلى صهيون وهم ينشدون ، وسوف تعمهم السعادة حين يستعيدون مملكتهم دون خوف . انهضوا بقوة أيها المشردون فى التيه ، إن أمامكم حرباً مهولة يخوضها شعبكم بعد أن اعتبر أعداؤه أن أرضه التى ورثها عن الأجداد غنيمة تقسم بينهم حسب أهوائهم ... لا بد من نسيان ذلك العار الذى أوقعكم تحت نير العبودية ، وذلك

الخزى الذى شل إرادتكم لألفى سنة .

إن الظروف لم تكن تسمح بإعلان مطالبكم أو التعبير عنها، بل إن هذه الظروف أرغمتكم بالقسر على التخلى عن حقكم، ولهذا فإن فرنسا تقدم لكم يدها الآن حاملة إرث إسرائيل، وهى تفعل ذلك فى هذا الوقت بالذات، وبالرغم من شواهد اليأس والعجز .

إن الجيش الذى أرسلتنى العناية الإلهية به ويمشى بالنصر أمامه وبالعدل وراءه قد اختار القدس مقراً لقيادته ، وخلال بضعة أيام سينتقل إلى دمشق المجاورة التى استهانت طويلاً بمدينة داود وأزلتها .

يا ورثة فلسطين الشرعيين..

إن الأمة الفرنسية التى لا تتاجر بالرجال والأوطان كما فعل غيرها تدعوكم إلى إرثكم بضمانها وتأييدها ضد كل الدخلاء .

انهضوا واظهروا إن قوة الطغاة القاهرة لم تخمد شجاعة أحفاد هؤلاء الأبطال الذين كان تحالفهم الأخوى شرفاً لإسبرطة وروما ، وأن معاملة العبيد التى طالت ألفى سنة لم تفلح فى قتل هذه الشجاعة .

سارعوا ... إن هذه هى اللحظة المناسبة التى قد لا تتكرر لآلاف السنين - للمطالبة باستعادة حقوقكم ومكانتكم بين شعوب العالم ، تلك الحقوق التى سُلبتْ منكم لآلاف السنين وهى وجودكم السياسى كأمة بين الأمم ، وحقكم الطبيعى المطلق فى عبادة إلهكم (يهوه) ، طبقاً لعقيدتكم وافعلوا ذلك فى العلن وافعلوه إلى الأبد .

" نابليون بونابوت "

ونداء نابليون بونابرت " يعبر تعبيراً " صادقاً " عن حالة الفكر الأوروبى والقيادة العسكرية الأوروبية باختلاف أيدولوجياتها عن موقفهم من " اليهود" وموقفهم من " العرب " و " المسلمين " ونستطيع أن نقول ببساطة أن أهم أهداف أوروبا فى ذلك الوقت يتمثل فى :

ا- ضرورة التخلص من اليهود فى أوروبا خاصة الكم الذى وصل إلى قرابة 15 مليون فى القرن العشرين .

2- إن القوة العسكرية الأوروبية بدأت تتاجر فى قضية اليهود التى وصفوها بأحقر الصفات ، وأن الخوف من اليهود وأساطيرهم وامتلاكهم للتجارة والجاسوسية والبنوك ... الخ جعل الإمبراطوريات الأوروبية تتسابق فى خطط التخلص من اليهود من جهة ، ومن نفس الجهة استقطابهم إليها باموالهم وجاسوسيتهم وبنوكهم وعددهم وتوجيههم إلى أساطيرهم الخرافية وخاصة أسطورة أرض الميعاد .

3- أن القوة العسكرية الأوروبية وخاصة من قائد عسكرى مثل " بونابرت " أرادت استغلال الأسطورة أو عقيدة / عقدة الأرض الموعودة ، لكى يفصل شرق وغرب الوطن العربى عند حجر الزاوية ، زواية اتصال الساحل الشرقى مع الساحل الغربى للبحر المتوسط ، خاصة فى منطقة حطين ، مؤكداً على التخلص نهائياً من كابوس حطين الذى قضى على أحلام ملوك أوروبا (بريطانيا - فرنسا - المانيا - الخ) فى حملاتهم الصليبية ، وأن زرع شوكة فى قلب الوطن العربى من مجموعة مثل الصهاينة وما يحملونه من " مبادئ شريرة " حسب تعبير الفكر الأوروبى ذاته ، هذا الفكر الذى نسج الحركة الصهيونية الاستيطانية برسومها التى نراها حالياً جاثمة على صدورنا فى أرض فلسطين الحبيبة وسطرتها الصهيونية السياسية (1835-1836م) فى الأفكار الاشتراكية والرأسمالية الأوروبية وانطلقت الأساطير الصهيونية الدينية تلعب دورها ، تلف أمن الوطن العربى فتشعل قلبه (فلسطين) حريقاً مدوياً تغتصب ذرات أرضه ، وتقتلع ماضى ومستقبل أبنائه فى فصل عنصرى وتطهير عرقى لم يحدث فى هذه المنطقة (فلسطين) منذ اكثر من ألفى سنة، زمن التطهير العرقى الذى قاده يشوع بن نون . فتعالوا بنا لنرى كيف حدث ذلك ؟!

كيف صنعت هذه الأساطير مفعولها ،
ولنبدأ بأسطورة "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"
والتى تؤكد على خرافة أو عقدة / عقيدة الأرض الموعودة .

أرض بلا شعب لشعب بلا أرض

"ليس هناك شعب فلسطين ... ولم يكن الأمر أننا جئنا وأخرجناهم من الديار واغتصبنا أرضهم .. فلا وجود لهم أصلاً"

جولدا مائير

فى تصريح لصحيفة صنداى تايمز 15/ 6/ 1969

تستند الإيدولوجية الصهيونية إلى مسلمة بسيطة تتمثل فيما جاء من أساطير الصهيونية الدينية المكتوبة على ضفاف الفرات (586-536 ق.م) والتى أضاف عليها " عزرا " اسم " شريعة موسى " فى اجتماع تاريخى لليهود سماه الاجتماع الخطير عام (44 ق. م) وهذا الاستناد كما جاء فى سفر التكوين (15:18 -19)

"سأعطى نسلك هذه الأرض من وادى العريش إلى النهر الكبير نهر الفرات"

وانطلاقاً من هذا "الوعد الإلهى" حسب أساطير الصهيونية الدينية ، فإن قادة الصهيونية السياسية يذهبون إلى القول : "إن الرب وهبنا أرض فلسطين" ، علما بأن الصهاينة لا يعرفون " الرب " الذى وهبهم أرض فلسطين حسب ادعائهم - فالإحصائيات الرسمية لما يسمى بالحكومة الإسرائيلية تشير إلى أن نسبة المتدينين من اليهود لا تزيد عن 15 ٪ ومع ذلك لا يتورع 90٪ من المحتلين لأرض فلسطين (الصهاينة) عن القول بأن تلك الأرض هبة من الرب ... الرب الذى لا يؤمنون به !

ويفسر "ناثان فاينشتوك" هذه المفارقة الجليلة فى كتابه "الصهيونية ضد إسرائيل" فيقول:

" إذا قدر لرؤية الحاخامات الظلامية أن تنتصر ، فسيكون السبب فى ذلك أن النزعة الصهيونية الدينية لا تتسق إلا بالعودة إلى عقيدة موسى ، فلو

استبعدنا مفاهيم " الشعب المختار " و " الأرض الموعودة " لانهارت أسس الصهيونية ، ولهذا فإن الأحزاب الدينية تستمد قوتها من تواطؤ الصهاينة غير المتدينين ، كما كان من شأن الحاجة إلى الحفاظ على تماسك البنية الصهيونية للدولة إسرائيل أن تفرض على قادتها تعزيز ودعم سلطة رجال الدين ، فقد كان حزب "ماباى" * ذو النزعة الاشتراكية الديمقراطية ، هو الذى ضغط بإيعاز من " بن جوريون " لجعل الدين مادة اجبارية فى المدارس، ولم يكن للأحزاب الدينية دور فى ذلك".

المصدر : الصهيونية ضد إسرائيل . الناشر : ماسبيرو 1969 ، ص 315.

ولماذا نذهب بعيداً ، فإن " هرتزل " نفسه المؤسس للحركة الصهيونية السياسية فى العصر الحديث والواعى تماماً لحقيقة أهدافه ، كانت المرحلة الأولى بالنسبة له هى تأسيس " شركة ذات امتيازات " تحت حماية إنجلترا أو أية قوة أخرى ، وذلك إلى حين تحويلها إلى دولة يهودية .

وهذا هو السبب فى اتجاهه إلى من أثبت مهارة وحنكة فى هذا النوع من الأعمال، ألا وهو التاجر الاستعمارى "سيسيل رودس" الذى استطاع عن طريق شركته "ذات الامتيازات" أن يقيم دولة جنوب أفريقيا ، والتى تسمى أحد أجزائها باسمه وهى "روديسيا"

ففى 11/ 1/ 1902 يكتب إليه هرتزل قائلاً :

"أرجو أن تبعثوا إلىّ بخطاب يفيد بأنكم درستم مشروعى وأنكم توافقون عليه ، وقد يثور لديكم تساؤل عن السبب فى توجهى إليكم ، والإجابة هى أن مشروعى مشروع استعمارى" .

المصدر : هرتزل - اليوميات - المجلد الثالث، ص 105

---

* ومعنى كلمة ماباى العبرية هى اختصار للكلمة العبرية " مفليجيت بو على إرتس يسرائيل " أى حزب عمال أرض فلسطين، وهو حزب صهيونى تأسس عام 1930 فى فلسطين وقام بدور أساسى فى تنفيذ المخطط الصهيونى على أرض فلسطين ، كما سيطرت عناصره على " المنظمة الصهيونية العالمية ".

يؤكد هرتزل مرة ثانية .. على هذا التوجه الاستعماري لمشروعه (الصهيونية السياسية) فى كتابة اليوميات ويقول **"إننى لا أخضع لأى وازع دينى"** .

ولسنا هنا بصدد العودة إلى الخرافات - الأساطير الصهيونية الجامدة والجافة منذ كتابتها على ضفاف الفرات ، بل إننا هنا أمام أثر الصهيونية السياسية على تلك الأساطير فى ضوء التفاعل السياسى الأوروبى (القوى العظمى) فى العالم فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، وكيف " طردت " أو تآمرت للنيل من اليهود لمصلحة أوروبا الاستعمارية تحت حجة إرضاء عقدة أو عقيدة الإض الموعودة ؟! وسوف نقتبس من كلمات السيد نتنياهو رئيس وزراء ما يسمى بدولة إسرائيل فى كتابه مكان تحت الشمس (1996) فى صفحات 76 ، 77 ، 78 مرجع سبق ذكره ، وهو يؤكد فى كلماته على ما جمعناه عن أثر الحركة السياسية فى أوروبا فى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين لتجىء كلماته مؤيدة لحيادنا فى توضيح الحقائق التى نقترب منها فقط لنوضحها ونعيد ترتيبها ولا نتدخل فى صنعها فيقول نتنياهو :

"كما أن نابليون ، كان شريكا بالرغبة فى رؤية اليهود عائدين إلى وطنهم ، بعد أن أدرك على ما يبدو ، أن منح جنسية فرنسية لليهود الفرنسيين لن يعوضهم عن رد اعتبارهم القوى فى عام 1799 عندما كان جيشه يقف على بعد 40 كم من القدس ، أعلن نابليون أفيقوا أيها الإسرائيليون حان الوقت للمطالبة بوجودكم السياسى كأمة بين الأمم .

فى القرن التاسع عشر ، تزايد التعاطف مع اليهود فى بريطانيا والولايات المتحدة وتزايد أيضا عدد الزوار من الغرب إلى " أرض إسرائيل" كما بدأت حركة هجرة يهودية متزايدة اليها ، وظهر أول المشروعات المحدّدة لاستيطان يهودى واسع النطاق فى أرض إسرائيل".

ويستمر السيد نتنياهو قائلاً !

" كل هذه الأمور أدت إلى تعزيز التأييد الغربى لفكرة النهضة القومية اليهودية ، وانبرى كتّاب وأدباء وصحفيون وفنانون وسياسيون فى بريطانيا

وأمـريكا وفرنسـا لترويج فكرة عـودة اليـهود إلى وطنهم المهـجور وإعـادة تعميره".

ويقول نتنياهو :

"فى عام 1830 م على سبيل المثال كتب اللورد "شافتـسبرى" إنه متأثر بالنسبة لآمال ومصير الشعب اليهودى، وكل شيء جاهز لعودتهم إلى فلسطين.

إن الحيوية الكامنة فى الشعب اليهودى تتجسد من جديد بقوة مدهشة ، لكن النهضة الكبرى لا يمكن أن تحدث إلا فى الأرض المقدسة ، وفى عام 1840م، اقترح اللورد " بالمرستـون " وزير خارجـية بريطانيـا ، توفيـر الحماية لـكافة اليهود فى "أرض إسرائيل" وتعهد أن يقنع السلطان التركى ، بأن الخير يمكن أن يجنى فـقط من حقـيقـة أن يقتـنع اليهـود الموزعون فى أوروبا وافـريقيـا بالقـدوم والاستـيطـان فى "فلسطين" . كـذلك قـال اللورد " لـيندسى " عـام1847 : "لقد حـافظ الشعـب اليهودى عـلى البقـاء بصورة مدهـشة ... وربما توفرت أمامه الآن الفرصة للبـدء فى مرحلة أخرى من وجوده القومى وربما يعود ليملك وطنه من جديد".

ويستمر السيد نتنياهو قائلاً ! :

"وفى عـام 1845 ، دعـا السـيـر " جورج جـاولر" حـاكم جنوب أسـتـراليـا ومؤسس «الصـندوق للاستيطان فـى إسرائيل» إلى توطين المزارع والحـقول الفلـسطينية بأبناء الشعب النشط الذى يمنح حبه الأكبر لأرضه" .

كما يقول نتنياهو :

"إن السـيـاسيين البـريطانيـين الذين أعلنوا عن تأييـدهم للنهـضـة القومـيـة اليـهـودية، من المعـروفين وذوى الأهمـيـة فى الادارة البـريطـانيـة وهم : بالمرستون، شافتسبرى ، ديزرائيلى ، اللورد سولبرى ، اللورد مانشستر ، كما أعلن عدد من الرؤسـاء الأمريكيين عن تأييدهم للصـهيونيـة ومن ضمنهم ، وليم ماكنلى ، ثيودور روزفلت ، وليام تبن" .

ويقول السيد نتنياهو مؤكداً على ما استنتجناه :

"منذ مطلع القرن التاسع عشر فصاعدا ، بدأت الحركة الصهيونية على أية حال تتمتع بتأييد متواصل من جانب عناصر ذات نفوذ فى العالم غير اليهودى وقد تم التعبير عن هذا التأييد فى أدب تلك الفترة" .

ويضيف نتنياهو قائلاً :

"على أية حال كانت الصهيونية بالنسبة لليهود أو المسيحيين بمثابة تحقيق لنبوءة قديمة وتحمل معجزة للغرباء ، وتجمع إسرائيل الشتات ويجتمع اليهود من كل أقطار الأرض ، هكذا قال يشوع بن نون كما تنبأ يحزقيل : "وخلصتكم من الغرباء وجمعتكم من كل الأقطار ، وأحضركم إلى أرضكم".

هكذا يكتب نيتنياهو ويعتقد .. وهكذا نحن نقول ونؤكد من ثنايا التاريخ ومن جوهر البحث ، إن الأساطير والعقد والعقيدة ما زالت تحكم بقوة المنهج الصهيونى .

ويؤكد هذا النهج موشى ديان فيقول :

" إذا كنا نمتلك التوارة ونعتبر أنفسنا شعباً للتوراة فمن الواجب علينا "شرعا" أن نمتلك جميع الأراضى المنصوص عليها فى التوراة، أراضى القضاة والآباء ، أراضى أورشاليم وحبرون (القدس والخليل) وأريحا والأراضى الأخرى" .

المصدر : موشى ديان – صحيفة الجيروزليم بوست
10/ 8/ 1967 .

أما مناحم بيجن فيقول :

" سوف تعود أرض إسرائيل الكبرى إلى شعب إسرائيل كاملة وإلى الأبد".

المصدر : مناحم بيجين – التمرد : قصة الأرجون –
ص 335 .

أما بن جوريون أول رئيس وزراء لما يسمى بإسرائيل فيقول :

"إن الأمر لا يكمن فى الإبقاء على الوضع القائم ، فنحن فى حاجة إلى دولة حركية مهيأة للتوسع " .

واستمراراً للنهج الأوروبى والدعم الأمريكى الذى لم يسبق له مثيل خاصة ، وأن الولايات المتحدة الأمريكية ما زالت فى طور الحركة الأولى بعد التكوين ، إلا أننا نرى " نتنياهو " يذكر ثلاثة رؤساء على الأقل دعموا الحركة الصهيونية وصادقوا على الأسطورة والخرافة بأن فلسطين "أرض بلا شعب "ويجب إعطاؤها وتسليمها لشعب الله المختار "لشعب بلا أرض" .

فقد مارس الرئيس "ترومان" ضغوطاً لم يسبق لها مثيل على وزارة الخارجية الأمريكية ، وهو ما عبر عنه نائب وزير الخارجية "سامنر ويلز" بقوله :

"بأمر مباشر من البيت الأبيض ، كان على المسئولين الأمريكيين أن يستعينوا بكل أوجه الضغط المباشر وغير المباشر لضمان الحصول على الأغلبية اللازمة خلال التصويت النهائى " .

وذلك على تقسيم فلسطين فى أول جريمة من نوعها فى تاريخ البشرية أن تقر الأمم المتحدة اغتصاب وطن وإعطائه إلى غير أصحابه .

المصدر : سامنر ويلز : علينا ألا نخفق - بوسطن 1948 - ص 63 .

ويؤكد نفس الحقيقة "جيمس فورستال" وزير الدفاع الأمريكى آنذاك ويقول :

" كانت الأساليب التى استخدمت فى الضغط على الدول الأخرى فى الأمم المتحدة أقرب ما تكون إلى الفضيحة" .

المصدر : مذكرات نورستال - نيويورك - زافاكنج برس - 1951 - ص 363

ولم تكن الأساليب ، التى استخدمت خارج فلسطين فى السياسة الدولية (الأوروبية والأمريكية) وهى أساليب الضغط والترويع لحد الفضيحة فى الأمم

المتحدة ، كما أشار واعترف بذلك خطياً وزير دفاع الولايات المتحدة الأمريكية .

بل كـان هناك الإرهاب والترويع والـقتـل والتـشـريد من أجل تحـقـيق أسطورة الأرض الموعودة والاستيلاء عليها ، فقد بدأت طلائع الصهاينة الوافدين إلى فلسطين فى التـزايد بقـوة وبعنف يمارسـون ، كـاللصـوص ، كل أعمـال النهب والتـخـريب والاستيلاء على أراضى الفلسطينيين تحت سمع وبصر الانتداب البريطانى الذى كان مـحكوماً ، كـمـا أسلفنا ذكـره ، بعوامـل الفكر الغربـى الأوروبى والاسـتـراتيـجيـة الأوروبيـة الأمريكيـة فى ضرورة وضع "چيـتو" لليـهود فى حطين ، وعلى السـاحل لفـصل وضرب هذه الأمـة العظيـمـة الأمة العـربيـة والإسلامـية ، وأمـام اسـتمـرار الانتهاكـات من أجل الأرض الموعودة وقتل وطرد السكان الأصليين فى أكبـر عملية فصل عنصرية وتطهيـر عرقى استمدها الصهاينة من قوانـينهم التى استنها يشوع على حد تعـبيـرهـم ، فقد عـينت الأمم المتحـدة وسيطاً " دوليـاً " لمعالجة تـلك الأزمة وهو الكونت " نولك برنادوت " الذى كتب فى تقريره الأول قائلاً :

"سيكون "خرقا" للمبادئ الأساسية للأمم المتحدة أن يمنع الضحايا الابرياء من الفلسطينيين من العودة إلى ديارهم ، بينـما يستمر تدفق اللاجـئين اليهود إلى فلسـطين ، وهو الأمـر الذى يهدد بأن يحل هؤلاء المهـاجرون محـل اللاجئين العرب الذين تمتد جذورهم فى هذه الأرض على مدى قرون عدة.." .

كمـا تطرق " برنادوت " فى تقريره إلى النهب الصـهيونـى العارم وتدميـر القرى دون أى ضرورة عسكرية واضحة .

وقد حمل تقرير برنادوت وأصبح وثيقة رسمية من وثائق الأمم المتحدة رقم 648 A ص14 فى 16/ 9/ 1948.

فى اليـوم التالى اغـتيل الكونت بـرنادوت مع مسـاعده الفـرنسى "سيـروت" أثناء وجودهما بفلسطين فى الجزء الذى يحتله الصهاينة ، وقدم الجنرال "لوند ستردم" الذى كان يجلس فى سيارة برنادوت لحظة وقوع الحادث والذى أرسل إلى الأمم المتحدة فى نفس اليوم الذى شهد عملية الاغتيال 17/ 9/ 1948 وقد نشر لوندسترم كتاباً آخر بمناسبة

الذكرى العشرين لوقوع تلك الجريمة وهو بعنوان " اغتيال الكونت برنادوت " .

المصدر : جارودى - مرجع سابق - ص 230 -231.

ولم تكن هذه أول أو آخر جريمة يرتكبها الصهاينة ضد من يقدم على الوقوف ضد تحقيق الأسطورة وتحويل عقدة الأرض الموعودة إلى عقيدة واقعية ، أو إلى كل من يجرؤ على الكلام ويجرؤ بالتنديد للوسائل القمعية والطرد بالجملة للسكان والاستيلاء على الأرض بالقوة كما حدث فى مذبحة "دير ياسين" وغيرها .

ففى 9/ 6/ 1942 صرح اللورد (موين) المعتمد البريطانى فى القاهرة فى جلسة لمجلس اللوردات :

"أن اليهود المعاصرين لا ينحدرون من نسل العبرانيين القدامى ، وليس لهم أى " حق مشروع " فى الأرض المقدسة " .

كما كان موين من المطالبين بالحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، ولهذا أتهم بأنه "عدو حاقد للاستقلال العبرى" وفى 6/ 11/ 1944 اغتيل اللورد موين فى القاهرة برصاص اثنين من أعضاء جماعة شتيرين (بزعامة إسحاق شامير) .

المصدر : إسحاق زهار - المخاطر والتحرير ، دور أمريكا فى إنشاء إسرائيل ، نيويورك - الناشر : بلوك 1954 ص 115.

وبعد ثلاثة عقود كشفت صحيفة " إيفننج استار " (اوكلاند 2/ 7/ 1975) النقاب عن أن إسرائيل قد تسلمت جثتى القاتلين اللذين أعدما فى القاهرة عام 1944 حيث دفنا فى ساحة النصب التذكارى للأبطال فى القدس ويعزز ويؤكد هذا الاتجاه التصفية العرقية تمهيداً لاغتصاب الأرض (قانون يشوع بن نون) وتصفية كل من يحاول أن يتصدى أو ينكر حق الصهاينة فى التصفية العرقية .

وفى عام 1940 كتب " يوسف فنيز" "مدير الصندوق القومى اليهودى" قائلاً :

"ينبغى أن يكون واضحاً بالنسبة لنا أنه لا مكان لشعبين فى هذا البلد ، فان غادره العرب فسوف يكون كافيا لنا وليست هناك وسيلة أخرى غير ترحيلهم

جميعاً ، فلا يبقى لهم أثر فى أى قرية . ويجب أن نوضح لروزفلت ولقادة الدول الصديقة بأن أرض إسرائيل لن تكون صغيرة إذا ما غادرها العرب جميعاً ، وإذا ما اتسعت الحدود إلى الشمال على طول نهر الليطانى وإلى الشرق باتجاه مرتفعات الجولان" .

المصدر : يوسف فتيز - المذكرات - تل أبيب 1965.

وبالتالى كان العمل على الاستيلاء على الأرض من أهم أهداف الصهيونية السياسية تحقيقاً لأهداف الصهيونية الدينية وبدافع ومساعدات من أوروبا وأمريكا - أوروبا التى وصفتهم باللصوص والقذرين والسماسرة التجار الجاسوسيين - وحاولت زرعهم فى فلسطين ليس من أجل تطبيق خرافات الصهيونية بل من أجل وضع سياسى استراتيجى استعمارى صليبى تقوم الصهيونية فيه بدور مساعد يرضى غرورها الأسطورى ويحقق استراتيجية الاستعمار الأوروبى الأمريكى .

ومن ثم كان طرد الفلسطينيين والاستيلاء الدموى على أراضيهم جزءاً من المخطط الصهيونى وتحقيقاً لمقولة (**أرض بلا شعب لشعب بلا أرض**). ■

الفصل الخامس

الأساطير تصنع التاريخ

"مقالة التايمز اليوم ممتازة فهى تتحدث عن مشروعنا لزرع الشعب اليهودى فى أرض آبائه تحت حماية القوى العظمى الخمس" .

اللورد شافتسبرى
25/ 9/ 1840

الإمبراطورية البريطانية (بالمرستون)

برز اللورد ولنجتون قائد جيوش الإمبراطورية البريطانية فى سنة 1838 ، والذى كان نجمه فى ذلك الوقت ساطعاً بعد دحره لغرور وعبقرية نابليون العسكرية فى موقعة "واترلو" 1815م الشهيرة ، حيث كانت تربطه علاقة صداقة متينة مع "بالمرستون" رئيس وزراء بريطانيا فى ذلك الوقت الذى أراد أن يخلف أو يقوم مقام المنفذ لاستراتيجية "نابليون" أو حلم نابليون الذى لم يستطع تحقيقه ، فإن بالمرستون اعتماداً على نجم وزرائه ، اللورد ولنجتون قائد الجيوش البريطانية ، بدأ يعى الخطط العسكرية للجنرال الفرنسى (بونابرت) والاستراتيجية التى يقدمها له صديقه ولنجتون متفهماً خطاب أو نداء نابليون إلى اليهود واهتمامه بهم.

ووعا بالمرستون الدرس البونابرتى تماماً ، وعلم وأيقن أن الدور الفرنسى والدور "البونابرتى" لم يكن دوراً من أجل اليهود ، فنابليون ليس يهودياً ولا اليهود لهم تأثير كبير فى فرنسا ، بل فطن بالمرستون إلى الاستراتيجية التى تبلورت فى عقلية نابليون والتى كانت تهدف إلى :

1 - الاهتمام بالشرق الأدنى والشرق الأوسط خاصة بعد هيمنة الإمبراطورية البريطانية على الشرق الأدنى خصوصاً الهند .

2 - أن نهضة فرنسا بانتصار ثورتها لا بد أن تعضدها فتوحاتها ومستعمراتها خاصة فى الشرق - هذا الشرق الذى ابتلع كل ملوك أوروبا وعلى رأسهم

فرنسا إبان الحملات الصليبية دون جدوى .

3 - أن النهضة الصناعية فى حاجة إلى مواد خام والشرق الأوسط بالذات بموقعه الفريد كبوابة لقارة آسيا ومدخل كبير لإفريقيا هو الفريسة التى تُسيل لعاب كل القوى والإمبراطوريات ، لذا فعلى قادة الثورة الفرنسية خطفها بسرعة .

4 - رغم أن الجانب الفكرى كان لا يمثل كثيراً فى حتمية الصراع القائم ، إلا أن الثورة فرضت فكرها الذى تصادم مع الأفكار الملكية السائدة خاصة فى الإمبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس ، ولذا فطن بالمرستون إلى هذا الهدف أيضاً .

5 - أيقن بالمرستون عن طريق قائد جيوشه المنتصر على بونابرت "اللورد ولنجتون" اهتمام نابليون باليهود ، وعلم أن الهدف من وراء نفاق نابليون ودهائه لليهود أنه يهدف إلى فصل المشرق العربى عن غربه - فصل مصر عن سورية ، فصل جناح الوطن الشرقى بما يمثله عن مصر وشمالى أفريقيا فى غرب الوطن .

ولم يترك الزمن وقتاً طويلاً لكى يهضم اللورد بالمرستون هذا - فقد استطاع محمد على والى مصر أن يضم الشام بكامله وأن يكوّن جيشاً كبيراً وأن يهزم السلطان العثمانى "البيت العالى" ويتمرد عليه ويستحوذ على الأسطول التركى ليكوِّن قوة عسكرية برية وبحرية فى ذلك الوقت كانت ستمكن مصر لو سارت على هذا النهج أن تكون من أقوى دول العالم .

ولأن بريطانيا كانت تدرك المخاطر من أهداف نابليون خاصة باحتلاله الشرق الأوسط ، وذلك من أجل قطع الطريق بين بريطانيا ومستعمراتها فى الشرق - لذا أصبح بالمرستون من أشد المتحمسين لضرورة السيطرة على هذه المنطقة التى كانت آنذاك جزءاً من الإمبراطورية المريضة (الإمبراطورية العثمانية) .

وكانت المعادلة أشد صعوبة ، فمصر من جهة قد وحدت قلب الوطن العربى - هذه الوحدة التى لا ينساها الأوروبيون والتى كانت السبب المباشر فى هزيمتهم فى حطين وغير حطين وطردهم من أورشاليم (بيت المقدس) وكل الساحل العربى - وأن الإمبراطورية المريضة لم يحن وقت الانقضاض عليها - فلا تستطيع بريطانيا أن ترث الإمبراطورية العثمانية وحدها دون سائر القوى العظمى الموجودة على الساحة الدولية آنذاك ، ووحدها دون ترتيب أو تنسيق أو تشاور مع القوى العظمى الأخرى والمتربصة بمستعمرات وممتلكات الإمبراطورية العثمانية .

لكن محمد على لم يدع فرصة زمنية كبيرة يجد فيها بالمرستون فرصة للتفكير ، ففى نهاية سنة 1838 أرسل قائد الجيوش اللورد ولنجتون برسالة إلى بالمرستون تلخص الوضع الذى فرضه محمد عَلِىّ على الإمبراطورية البريطانية يقول فيها :

"فى هذا العام نشبت أزمة خطيرة بين مصر وتركيا نتيجة لتناقضات وصراعات سببها والى مصر ، فقد استطاع "محمد على" فى عشر سنوات أن ينشئ أسطولاً وجيشاً يفوقان كل ما يحتاجه للضرورات الشرعية لحكومته ، واستطاع بتصرفات متسمة بالطغيان والاضطهاد ضد شعبه أن ينشئ جيشاً فى حجم ليس له ما يبرره ، فقد جنّد مائة ألف رجل وحشدهم ضد سيده الخليفة العثمانى، ورمى جانباً قناع الولاء الذى يتظاهر به، وأعلن أمام قناصل الدول فى مصر أنه يريد إعلان استقلال مصر، كما أنه يطالب بضم سورية. ونجح محمد على فعلاً فى أن يشن حرباً ناجحة ضد الخلافة، وتقدم بجيوشه حتى "نصيبين" على الحدود التركية السورية. ولم تقتصر قوة محمد على على جيشه البرى، وإنما تمكن أسطوله أيضاً من هزيمة الأسطول التركى.

وخاف قائد الأسطول التركى بعد هزيمته أن يعود إلى استانبول ويلقى عقابه، هكذا قرر - بعمل من أعمال الخيانة - أن ينضم بجيشه إلى دكتاتور مصر المنتصر ، وأخذ أسطوله إلى الاسكندرية ووضع سفنه - وعليها

عشرون ألف بحار - تحت تصرف "محمد على" .
إن هذه الأوضاع تتطلب تصرفاً سريعاً من الحكومة الإنجليزية ، كما تتطلب تدخلاً عاجلاً يتكفل بإعادة "الباشا" الذى يتصور نفسه لا يقهر إلى عقله وإلى الخضوع والطاعة للسلطان " .

اللورد ولنجتون
قائد جيوش الإمبراطورية البريطانية

المصدر : محمد حسنين هيكل - مرجع سبق ذكره - ص 42 : 43 .

ولم يكن بالمرستون فى حاجة إلى المزيد ، حيث كان هناك من التأثيرات المتزايدة عليه ، والتى تدفعه دفعاً نحو التدخل العسكرى وبقوة فى منطقة الشرق الأوسط ، لأكثر من سبب كما أوضحنا سابقاً فهو يريد أن يحقق ما فشل نابليون فى تحقيقه وهو يريد أن يؤمن مستعمراته فى الشرق الأدنى "شبه القارة الهندية" .

كما أن صهر بالمرستون الذى لم يفارقه لحظة ، والذى كان دائماً لا يترك أية فرصة دون أن يصب برنامجه فى عقل بالمرستون ، قد فعل فعله الساحر فى عقلية بالمرستون فكان "اللورد شافتسيرى" صهر رئيس الوزراء البريطانى من أشد المتحمسين اليهود لإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وقال فى مذكراته جملة شهيرة ، تؤكد على إصراره فى إقناع بالمرستون بمساعدة اليهود فى تحقيق أسطورتهم بالعودة إلى الأرض الموعودة قائلاً :

"تحدثت إليه (بالمرستون) عن آلام اليهود فلم يسمعنى ، وعندما حدثته فى نفس اللحظة عن مصالح بريطانيا فترك كأس البراندى الذى كان بيده ولمعت عيناه وبدأ يسمعنى" .

والحقيقة أن بالمرستون لم يسمعه فقط ، بل أصبح أسيراً لأفكار شافتسيرى مستسلماً له تماماً ، طالما أن ما يصبو إليه شافتسيرى لا يعدو كونه شيئاً بسيطاً من أحلام بالمرستون .

وقد حاول شافتسبرى أن يضع بالمرستون فى مصيدة القوة الصهيونية وأن يجعله يدور فى فلكها حول نواة الصهيونية وليس حول شافتسبرى فقط ، فرتب لقاءً مع مؤسس الصهيونية الحقيقى "روتشيلد" الذى كان صديقاً حميماً هو وعائلته للورد شافتسبرى مع صهره رئيس وزراء بريطانيا - وبدأ التقارب والتخطيط الصهيونى فى أعلى قمته بين رئيس الإمبراطورية البريطانية وبين الداعم والمؤسس الحقيقى للصهيونية ، وأصبح بالمرستون جاهزاً لتنفيذ خطته (أحلام نابليون) والتى منها بالطبع فصل شرق الوطن العربى عن غربه بزرع شوكة فى قلب الوطن العربى تمنع منعاً باتاً نهوض الاستراتيجية العربية (الوحدة) بين الشرق والغرب .

وكان لرئيس وزراء بريطانيا عديد من المصادر المختلفة لتزويده بالتقارير والقيام بالمهام ، ومن أشهرها كان السير "موسى مونتيفيورى" ومن اسمه يعرف القارئ ديانته، وكان شخصية بريطانية نشطة فى مجال الجمعيات الخيرية (أحد أساليب الصهيونية فى ذلك الوقت) وقد تكررت رحلاته إلى الشرق ، فزار فلسطين سبع مرات على الأقل (والهدف طبعاً واضح وهو دراسة الوضع فى فلسطين والعمل على فتح باب الهجرة إليها) .

وقابل السير موسى مونتيفيورى خلال أول زيارة لمصر واليها "محمد على" (لاحظ قوة هذه الشخصية التى تعمل فى مجال الجمعيات الخيرية - أى لا يمثل أى منصب وزارى أو قنصلى) الذى كان فى ذلك الوقت من أكبر القادة والولاة وذاع صيته حيث كانت دولته ممتدة من غرب مصر إلى شرق الشام فالسودان فأجزاء من الجزيرة العربية ، أى متحكم فى البحر المتوسط والأحمر والمنافذ حتى باب المندب وأعالى النيل ، أى أن فلسطين فى ذلك الوقت كانت إحدى الولايات التابعة لمحمد على وحدثه السير مونتيفيورى فى موضوع السماح بهجرة اليهود من أوروبا وشمال أفريقيا إلى فلسطين - أى حدثه فى تحقيق أسطورة أو خرافة عودة شعب الله المختار إلى أرض الآباء والأجداد حسب الوعد الإلهى .

وتقول مذكرات مونتيفيورى التى كانت تكتبها زوجته أولاً بأول إن محمد على

رد عليه بالقول :

"أنا شخصياً متفهم ما تقوله ، ومتعاطف تعاطفاً كبيراً مع ما يعانى منه اليهود فى أوروبا ، لكن القرار فى شأن فتح أبواب فلسطين لهجرة اليهود إليها هو أمر يتصل بسلطة وقرار الخليفة العثمانى" .

وكانت هذه آخر المحاولات السياسية التى وصلت إلى بالمرستون مؤكدة أنه لا حل سياسياً مع محمد على والى مصر - وأن الحل العسكرى هو الخيار الوحيد لتنفيذ أهداف الإمبراطورية البريطانية فى الشرق الأوسط .

وأن تقارير اللورد ولنجتون قائد الجيوش البريطانية قد صُدِّقَ عليها ، وأصبح بالمرستون مقتنعاً تماماً برأيه وهو تحجيم دور محمد على والقضاء على إمبراطوريته فى الشرق العربى ، وزرع الصهاينة فى منطقة فلسطين .

قرار فرض الحصار على مصر (محمد على)

ليس من الحكمة أن نتصور أن الإمبراطورية البريطانية واستراتيجيتها مبنية فقط فى تلك الفترة على البحث عن وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وأن الهدف فقط هو مساعدة اليهود بما شكلوه من ضغط وحصار فكرى واقتصادى وحتى سياسى على صناع قرارات الإمبراطورية البريطانية - لكن للإنصاف فإن الاستراتيجية البريطانية أكبر من هذا الهدف (وطن قومى لليهود فى فلسطين) .

فعين الإمبراطورية على الشرق العربى خاصة (مصر) وقلبها مع بيت المقدس وعقلها على السواحل والمداخل والمخارج البحرية فى البحر المتوسط والبحر الأحمر وهاجسها تقليم أظافر الجمهورية الفرنسية الجديدة وتطلعاتها الوطنية المقلقة جداً لمستقبل الإمبراطورية البريطانية، ويدها تريد أن تؤمن بها مستعمراتها فى الهند، وخزائنها فى حاجة إلى خطوط لتجارة دولية مفتوحة بأمرها وعائدها إلى صناديقها.

كانت هذه مجمل الاستراتيجية البريطانية ، وبالتالى كان على رأس أولوياتها (مصر) المدخل الطبيعى للشام وللشرق العربى (مصر) محمد على التى بدأت تضع

أقـدامهـا على أبواب التـقـدم معلنة عـن نفسـهـا بقوة على أنـها القـوة الاقـتصـادية والعسكرية والموقع الاستراتيـجى الذى لم يزاحم القوى العظمى الأوروبية فقط ، بل القوة التى يمكن أن تقضى على اسـتراتيجية الإمبراطورية التى لا تغـيب عنها الشمس مستقبلاً ، والقوة التى يمكن بطموح قـائد مميز مثل "محمد على" أن يكوّن إمبراطورية فى الشرق تزحف لترث كل الإمبراطورية العثمـانية ميراثاً ، ليس فقط عسكرياً ولكن ميراثاً إيديولوجياً وطبيعياً مما يجـعل من الإمبراطورية الجديدة لمحمد على إمبراطورية ليست فقط تقضى على أحلام الإمبـراطورية البريطانية فى الشرق ، بل إمبراطورية أو دولة عربية جـديدة ، يمكن أن تزحف من جديد لتقوض أحـلام أوروبا ثم لتدخل من جديد أوروبا وتقضى على هذه الإمبراطوريات .

وهكذا نشط بالمرسـتون يحـشد تحـالفاً دوليـاً ضد "مـحمـد على" تنضم فيـه إلى الإمبراطورية البريطانيـة كل من الإمبراطورية القيصرية الروسية وإمـبراطورية النمسا وبروسيـا (ومثله مثل التـحالف الدولى الحديـث الذى نشط فيه رئيس الإمـبراطورية الأمريكيـة "بوش" ضد العراق – ومـثله مثل ما فـعله رئيس الإمبراطورية الأمـريكية "ريجان" ضـد الجمـاهيرية الليـبيـة – وهو الضربة العـسكرية – التحـالف الدولى – الحصار) .

وأعلن هذا التحـالف الدولى بقيادة بالمرسـتون فرض حصـار على الموانئ المصرية وعلى موانئ الشـام (الدولة العربية بقيـادة محمـد على) من جهة ؛ وتنشيط العـملية الجاسوسية بقيادة محترفى هذه المهنة من اليهود وغيرهم ، خاصة فى سورية مستغلين الحصـار وما ترتب عنه من تدهـور فى الناحية الاقـتصـادية ، خصـوصاً وأن أسطول مـحمـد على تعرض لغـارة بحـرية ولضربة عـسكرية مـفاجئة وسـاحقـة فى خليج "نافـارينو" ومن بعد ذلك قـيام أسـاطيل كل من الإمبـراطورية البريطانـية والروسـية والنمسـاوية والبروسية بضـرب المواقع وطرق المواصلات بين مصر وسـورية ومواقع جيش محمد على وطرق إمداداته ومواصلاته واتصالاته بشرق دولته فى سورية.

وكـانت نهاية الحـصـار والضربة العـسكرية البـحرية والـبرية لطرق الاتصـالات

والمواصلات هى هزيمة محمد على وإجباره على التقوقع داخل مصر فقط ، وعودة سورية (بلاد الشام) بما فيها فلسطين إلى سيطرة الخلافة العثمانية المريضة التى كانت قد أسلمت مفاتيح حكمها سلمياً إلى الإمبراطورية البريطانية .

وبذلك فرض التحالف الدولى الاستعمارى الأوروبى حصاره وهزيمته على "محمد على" عام 1840م وأجبره على توقيع معاهدتين :

المعاهدة الأولى : وينصّ ملخصها على :

1 - وقف عملية التصنيع الكبيرة التى كان مندفعاً إليها (لاحظ ما يجرى الآن فى العراق من جراء حصار التحالف الدولى الاستعمارى وهو البحث عن التصنيع الحربى - وإجبار حكومة العراق على توقيع نفس الاتفاقية) .

2 - تقليص حجم الجيش المصرى إلى الحد الكافى لحفظ الأمن داخل مصر .

3 - فتح مصر للتجارة الدولية بدون عوائق أو قيود ، والملاحظ لبنود هذه الاتفاقية يرى أن بنودها هى نفس المطالب الاستعمارية اليوم التى يريدون تطبيقها على كل دولة فى الوطن العربى .

المعاهدة الثانية : وسميت "معاهدة لندن لتهدئة الأحوال فى سوريا" أى أنها خاصة بسوريا ومنها :

1 - خروج محمد على من سورية نهائياً (وكانت سورية تضم كل بلاد الشام والتى تشمل سورية الحالية وفلسطين ولبنان والأردن) .

2 - عودة سورية ولاية فى الإمبراطورية العثمانية تحت حماية الإمبراطورية البريطانية ، وكانت هذه الاتفاقية هى التى يسعى إليها بالمرستون ، وهو الفصل بين مصر وسورية بعد تحجيم دور مصر ، وهى الاتفاقية التى ستحقق حلمه (حلم نابليون سابقاً) بزرع اليهود فى "أرض الميعاد".

وأصبحت "الأسطورة" تطل بقوة من جديد فى تلك الآونة .

ففى يوم 24/ 8/ 1840 كتب اللورد شافتسيرى فى مذكراته ما يلى :

"افتتاحية جريدة التايمز التى فرغت من قـراءتها الآن تثير مخاوفى ، كما أنها تسعـدنى فى نفس الوقت . تقلقنى لأنهـا قد تكون كـشفـاً مبكراً عمـا نريد تحقيـقه ، وقد يكون فى ذلك ما يستـعدى قوى وعناصر كثيـرة ضد المشروع فى وقت لا يزال فـيه هذا المشروع يـحتاج إلى جـهد كـبيـر لتعزيز إمكـانية وفرصة تنفيذه ، لكنها تسعدنى من ناحـية أخرى لأنها تتحدث بصراحة عن اتفـاقية لـندن لتهـدئة الأحوال فى سـورية ، تمهد الطريق لعـودة اليهـود إلى وطنهم فى فلسطين ، وهذا انتصار لأفكار وخطط ناقشناها واقتنعنا بها .

قال لى بالمرستـون : إنه كتب إلى اللورد "بنسونبى" - سفـيرنا فى اسطانبول - يطلب إليـه أن يفتح خطاً مـباشراً مع "رشـيد باشـا" لكى يبذل جـهده مع السلطان فى إقناعـه بتـشجـيع هجرة اليـهود إلى فـلسطين وفى طمأنتـه إلى قدرتنا على حمايته هناك .

وفى يوم 25/ 9/ 1840م كتب اللورد شافتسيرى فى مذكراته يقول :

"بـدأت فـى إعـداد مـذكـرة لبـالمرستـون عن مـشـروعنـا . لاحظت أننى استـعملت كلمـة استـدعاء (Recall) **اليهـود إلى وطنهم ، ويخطر لى أن كلمة استدعـاء قد تكون قوية بأكثر مما هو لازم ، ومن الأفضـل تغييرها إلى كلمة السماح** (Permission) .

إن من المهم جداً أن يكون لدى رئيس الوزراء مخطط واضح للعمل .

مقالة التايمز اليوم ممتازة ، فهى تتـحدث عن مشروعنا لزرع الشعب اليهودى فى أرض آبائه تحت حماية القوى العظمى الخمس" .

منشورات (الإمبراطورية البريطانية) السرية وأسطورة الأرض الموعودة

"لقد حان الوقت لكي يعود هذا الشعب
المشرد إلى أرضه التاريخية" .

بالمرستون
11/ 8/ 1840م

بعد هزيمة "محمد على" وانتصار استراتيجية بالمرستون لم يكن الهاجس البونابرتى فى عقل ووجدان بالمرستون قد هدأ ، بل ازداد اشتعالاً بعد هزيمة "محمد على" .

فمحمد على كان بضمه سوريا إلى مصر فى نظر وعقلية بالمرستون هو مبدد ومحطم آمال بالمرستون وبمجرد استسلام محمد على وتوقيعه على معاهدتى 1840م أصبحت أسطورة أرض الميعاد ، عقدة الفصل بين مشرق ومغرب الوطن العربى هى الهاجس الأول والمحرك القوى "لبالمرستون" ، هذا بالإضافة إلى الحشد الفكرى والعقائدى والمالى الذى كان يقوم به صهره اللورد شافتسيرى وصديقه البارون روتشيلد فى عقلية وقرارات بالمرستون وحثه وتشجيعه على الانطلاق بقوة نحو الإعلان عن أن فلسطين وطن قومى لليهود ودفع السلطان العثمانى ليصادق على هذا الإعلان طوعاً أو كرهاً .

ويكتب اللورد شافتسيرى فى مذكراته مؤكداً هذا بقوله :

"ذهبت ومعى البارون روتشيلد لمقابلة بالمرستون ، وكان روتشيلد مؤثراً إلى أبعد درجة وهو يقول لبالمرستون مشيراً إلى خريطة كانت أمام رئيس الوزراء:

إنكم طردتم محمد على من هنا (مشيراً إلى الشام) ولكنكم تركتم بعده فراغاً . إن الأتراك عادوا إلى الشام بعد رحيل محمد على ، وكل الناس يعرفون أن السلطان المهزوم لا يستطيع العودة إلا بفضلكم ، ولذلك فحكمه فى الشام ضعيف ، والأحوال فوضى، والطوائف تتناحر ، وهناك فراغ لا شك فيه ، ثم وصل "روتشيلد" إلى الذروة الدرامية فى حديثه حين قال لرئيس الوزراء:

إنكم خلعتم من هنا قوة شريرة ، لكنها كانت مسيطرة وقادرة على ضبط الأمور . والآن يتحتم عليكم أن تضعوا بدلاً من ذلك قوة أخرى تسيطر وتضبط الأمور ولا تكون شريرة .. وطن قومى لليهود»

المصدر : محمد حسنين هيكل - سبق ذكره ص56:57.

وبدأ سيل المنشورات والرسائل السرية والسريعة من رأس الإمبراطورية البريطانية (بالمرستون رئيس وزراء بريطانيا) إلى سفرائه وقناصله بعد أن أصبح مشبعاً تماماً بهدفه مثقلاً بهدف أسطورة الأرض الموعودة وخاصة بعد أن اقترب الهدف من أنامله بخروج محمد على من سورية وفلسطين وبلاد الشام كلها .

وإذ به يرسل المنشور السرى الأول إلى كل قناصل إنجلترا فى دمشق وحلب والقدس وبيروت وحيفا يقول فيها بالنص ما يلى :

"إننا خرجنا بعد هزيمة محمد على وإخراجه من الشام ، ونحن والأتراك حليفان وبيننا تعاون لا بد أن نحرص عليه ، ونحن لن نخذلهم فى أمره ، ولكن ذلك لا يجب أن يمنعنا من تنفيذ ما تقتضيه سياستنا فى المنطقة .

إن الأتراك يعرفون ما ينبغى عليهم عمله تجاه اليهود فى هذه المنطقة ، ولكنه من المتعين علينا أن نتابع ذلك بجهد منظم هدفه أن نتأكد من أن اليهود لا يتعرضون هناك لأى تمييز ضدهم أو اضطهاد .

ونحن مطالبون الآن بأن نجعل اليهود يثقون بنا ، وأن يتأكدوا أن حكومة إنجلترا تعتبر نفسها مسئولة عن سلامتهم وراغبة فى حمايتهم ومصممة على ذلك .

إننى أرى أنه من الضرورى أن يكون هذا التعهد معروفاً لكل اليهود فى الشام ، بمن فى ذلك اليهود من رعايا دول أخرى غير إنجلترا ، ولا بد أن يعرف اليهود النمساويون أو الفرنسيون ، أو الأوروبيون بصفة عامة، أنه يحق لهم أن يلجئوا إلى القنصل البريطانى لحمايتهم فى حالة تقصير قناصل دولهم الأصلية عن توفير هذه الحماية . فكلهم يجب أن يستقر فى وعيه أن إنجلترا هى حامية اليهود" .

وكان رد الفعل اليهودى لهذا المنشور السرى البريطانى سريعاً مما يكشف سرعة التنسيق بين مؤسس الحركة الصهيونية الجديدة (روتشيلد) وبين الإمبراطورية البريطانية، فبعد صدور هذا المنشور تقدم حاخام القدس - باسم سكان اليهود - بإرسال حجاب واق من الشر إلى الملكة "فيكتوريا" تم تسليمه إلى الملكة وسط مؤتمر يهودى عقد فى لندن تحت رعاية روتشيلد وأوصى المؤتمر فى قراراته ببندين هامين هما :

1 - إعلان قبول يهود العالم للحماية الإنجليزية لهم حيثما كانوا - تأكيداً للمنشور السرى الذى كتبه بالمرستون إلى قناصله وسفرائه فى العالم.

2 - التوجه بالرجاء للحكومة الإنجليزية بأن تسهل لليهود (العودة إلى أرض الأجداد) استعمار فلسطين ، وذلك إشارة لحركة الاستعمار الأوروبى التى كانت سائدة فى أوروبا فى ذلك الوقت فى كل من جنوب أفريقيا وكندا وأستراليا .

وفى 11/ 8/ 1840م ينطلق المنشور السرى التالى :

من اللورد بالمرستون رئيس وزراء بريطانيا إلى اللورد "بونسونبى" سفير بريطانيا فى اسطانبول :

"عليك أن تقنع السلطان وحاشيته بأن الحكومة الإنجليزية ترى أن الوقت أصبح مناسباً لفتح أبواب فلسطين أمام هجرة اليهود إليها ، لقد حان الوقت لكى يعود هذا الشعب المشرد إلى أرضه التاريخية . إن السلطان وحاشيته قد

لا يقتنعان بهذا المنطق الأخلاقى ، ولذلك عليك أن تجعلهما يدركان أن اليهود فى العالم يملكون ثروات ضخمة ولديهم كنوز من المال وفيرة . وإذا حصلوا على حماية السلطان فسوف يكون فى مقدوره أن يقنعهم بمساعدته، وهم بلا شك سوف يقدرون عطفه عليهم .

عليك أن تُذكِّر السلطان وحاشيته بأنه يقوم الآن بين اليهود المبعثرين فى كل أوروبا شعور قوى بأن فرصتهم فى العودة إلى فلسطين آخذة فى الاقتراب .

ومن المعروف جيداً أن يهود أوروبا يمتلكون ثروات هائلة ، ومن المؤكد أن أى قطر يختاره اليهود ليستوطنوا فيه سوف يحصل على فوائد عظيمة من ثروات هؤلاء اليهود . فإذا عاد الشعب اليهودى تحت حماية ومباركة السلطان إلى فلسطين فسوف يكون ذلك مصدر ثراء له ، كما أنه سوف يكون حائلاً بين "محمد على" أو أى شخص آخر يخلفه وبين تحقيق خطته الشريرة فى الجمع بين مصر وسوريا وتهديد الدولة العليا .

وحتى إذا لم يؤد هذا التشجيع الذى يمنحه السلطان لليهود إلى استيطان أعداد كبيرة منهم فى فلسطين ، فإن إصدار قانون يعطيهم حق الاستيطان سوف يعمل على نشر روح من الصداقة تجاه السلطان بين جميع يهود أوروبا ، وسوف ترى الحكومة العثمانية على الفور أنها كسبت أصدقاء أقوياء ومفيدين ."

ومن خلال هذا المنشور السرى الذى أرسل به رئيس وزراء بريطانيا إلى سفيره بونسونبى فى اسطانبول ، نلاحظ أن بالمرستون قد تأثر بالأساطير والعقد الخرافية للصهيونية الدينية ، وأن الصهيونية السياسية استطاعت أن تؤثر فيه بقوة وتجعله يتحدث بنفس منطوقها رغم أن أهداف واستراتيجية الإمبراطورية البريطانية أكبر وأعظم من أهداف الصهيونية السياسية فى منطقة الشرق الأوسط ، إلا أن كلاهما يتقابلان عند زاوية التقاء شرق البحر المتوسط بغربه، يلتقيان عند "حطين" وعند "جبل صهيون".

ومن مظاهر المؤثرات الصهيونية من عقد وخرافات وأساطير الصهيونية الدينية

نرى التالى :

1 - قول بالمرستون "لقد حان الآن أن يعود هذا الشعب المشرد إلى أرضه التاريخية" أكبر دليل على تأثر رئيس وزراء الإمبراطورية البريطانية بعقدة أو عقيدة الأرض الموعودة للصهيونية الدينية وأبلغ برهان على أن الصهيونية السياسية قد سيست الأساطير والخرافات فى برامج سياسية عملية ، أصبحت تجد مكانها فى الحقائب الدبلوماسية وتطير بين عواصم العالم فى منتصف القرن التاسع عشر وحتى يومنا هذا ، وهى تحمل الوعد والتهديد لحكام العالم بضرورة تحقيق هذه الأساطير .

2 - أن بالمرستون أصبح مقتنعاً تماماً بتفوق اليهود أو الصهيونية الاقتصادى بما يمتلكونه من كنوز - وكأنه أيقن أن آيات التلمود فى الجانب الاقتصادى قد تحققت - وهو بذلك يحاول أن يستميل السلطان العثمانى بأموال اليهود التى يمكن أن تحل الأزمة المالية والديون الكبيرة المتراكمة على الإمبراطورية العثمانية.

وأكثر من هذا أن بالمرستون ، جعل من نفسه مجرد وسيط بين اليهود والسلطان العثمانى .

3 - لمعت أحلام بالمرستون المأخوذة عن استراتيجية نابليون فى ضرورة فصل الشرق عن الغرب بزرع كيان صهيونى فى فلسطين - ولذلك أراد أن يذكر السلطان بنفوذ وقوة "محمد على" والى مصر الذى وحد مصر والشام وهزم الإمبراطورية العثمانية ، حيث أطلق بالمرستون على توحيد مصر وسوريا بأنها (خطة شريرة) وحذر السلطان أنه من الممكن أن يعود محمد على من جديد أو يعود خليفته إلى توحيد مصر وسوريا والزحف من جديد من الحدود السورية إلى اسطانبول وإسقاط الخلافة العثمانية . مذكِّراً السلطان أن هذا كان سيحدث لولا أن الإمبراطورية البريطانية دعت التحالف الدولى لحصار مصر وإرغامها على التسليم مهدداً السلطان بأنه إن لم يدرك هذا فلن تجدّ بريطانيا فى حمايته .

معلناً أن الحل الوحيد والأمثل هو زرع دولة الصهاينة فى فلسطين من أجل إنقاذ وحماية الإمبراطورية العثمانية ، وبالتالى أظهر هذا المنشور السرى الذى أرسله رئيس وزراء بريطانيا إلى سفيره باسطانبول مدى هيمنة الفكر الأسطورى للصهيونية الدينية والسياسية .

وقبل أن تمر أربعة أشهر على هذا المنشور السرى الخطير من بالمرستون إلى بونسونبى أرسل رئيس الإمبراطورية البريطانية (بالمرستون) بمنشوره الثالث ، وأيضاً إلى سفيره فى اسطانبول يوم 1/ 12/ 1840م قائلاً :

"عليك أن تسعى لإقناع حاشية السلطان والسلطان نفسه بأن "محمد على" قد يحاول مرة أخرى ، وإذا تركت له الفرصة فإنه سوف يعود مرة أخرى إلى دمشق ليعلن فيها تأسيس خلافة جديدة تعيد ذكريات الخلافة الأموية ، ويدعو العرب إلى إنشاء إمبراطورية كبيرة تجمعهم وتؤثر على الموازين فى الشرق الأدنى والبحر المتوسط ، وسوف تتكفل هذه الإمبراطورية إذا قامت بتهديد تركيا وربما إنهاء وجودها كدولة . والحل السريع الممكن هو إقامة عازل بين الدولة العثمانية وبين طموحات "محمد على" أو خلافائه ، وعلى السلطان وحاشيته أن يدركا أن مطامع "محمد على" لا تقتصر فقط على شرق البحر المتوسط ، وإنما تمتد مطامعه أيضاً إلى البحر الأحمر وحتى عدن لكى يؤكد سيطرته الإمبراطورية . إن العازل الذى يمكن التفكير فيه هو توطين اليهود فى فلسطين ، لأن ذلك يجعل منهم شوكة فى خاصرة "محمد على" تمنعه من تهديد تركيا من ناحية ، كما تردعه عن العربدة فى البحر الأحمر كما يحلم . إن الحكومة الإنجليزية سوف تكون مستعدة إذا ما قبل السلطان بمشورتها أن تضع المستعمرات اليهودية فى فلسطين تحت حمايتها لكى يكون ذلك تحذيراً دائماً لـ "محمد على" حتى يرتدع عن تهديد الدولة العليا" .

ولم يمر على هذا المنشور شهران إلا وبالمنشور السرى الرابع ومنه أيضاً إلى سفيره فى تركيا يقول :

"عليك أن تلح على السلطان أنه سوف يستفيد فائدة كبيرة إذا ما قام بإغراء وتشجيع اليهود المبعثرين فى أوروبا بالذهاب والتوطن فى فلسطين . إن السلطان سوف يدرك أن اليهود فى فلسطين سوف يطلبون نوعاً من الأمان الحقيقى والملموس ، ولا ترى الحكومة الإنجليزية مطالبته بأن يتحمل عبء هذا الأمان ، ولذلك فنحن نقترح أن يكون فى استطاعة هؤلاء اليهود أن يعتمدوا على حماية إنجلترا ، وأن يكون من حقهم أن ينقلوا شكاواهم إلى الباب العالى عن طريق السلطات الإنجليزية" .

الصهاينة يتربعون على عرش الإمبراطورية البريطانية

"اطلع أيها الإله العظيم ودع قدرتك تتجلى
وأرسل أشعتها مضيئة ودافئة على أبناء
يعقوب وأعد فلولهم التائهة إلى أرضهم
الموعودة هناك واهدهم لكى يذهبوا إلى
فلسطين فهى وطنهم"

الشاعر الإنجليزى اللورد "بايرون"

تتخفى الاستراتيجيات دائماً وراء الأهداف الصغيرة المعلنة على طريق تحقيقها وبقدر ما تلمع الأهداف الصغيرة وتصبح أنشودة لجماهير الأمة ، فإن قادة الأمة يعزفون على أوتار الاستراتيجية وشعب الأمة يردد أغانى الأهداف الصغيرة بأنها هى كل شيء فيصيب الأمة بحماس هذه الأهداف (المضللة) حتى لا يعلم الجميع بالاستراتيجية ، وهكذا كانت الشعوب الأوروبية قد تحولت فى فكرها من فكر طارد وكاره للصهيونية إلى فكر طارد وعطوف على الصهيونية ، وهكذا ظل قادة الإمبراطورية البريطانية يمسكون بالاستراتيجية وأسرارها وخططها الرامية إلى استعمار الشرق الأوسط والأدنى ، وظل الشعب الأوروبى مبهوراً بما أطلقه القادة من تضليل لهذه الاستراتيجية فتعاطف الشعب الغربى مع الهدف الصغير ، الهدف المضلل للاستراتيجية البريطانية ، فتغنى وأنشد وتعاطف مع الهدف المعلن وهو مساعدة اليهود والتعاطف معهم كأمة مبعثرة يجب لملمتها وزرعها فى أرض الأجداد.

وكانت فرصة تاريخية للصهيونية ، هذبت فيها أسلوبها وبرنامجها ، واستطاعت أن تصادق أو تطوع قيادة الإمبراطورية البريطانية ، كما فعلت من قبل مع نابليون

والثورة الفرنسية ، ولم تكتف الصـهيونية بأن التعاطف الشعبى كان قـد تجاوب معها متأثراً بأساطيرها الدينية وبرنامجها الصهيونى ، كما حدث فى الخمسينيات من القرن التاسع عشر ، حيث نشر الدكتـور "توماس كلارك" وهو أحد أبرز أساتذة التاريخ فى جامـعة "اكـسفـورد" كتـابه الشـهير بـعنوان "فلسطين لليهـود" وخلال ذلك ظـهرت للشاعر الإنجليزى الكبير اللورد "بايرون" مجمـوعة كاملة من الأغانى الصهيونية التى تتغنى بالأساطير الصهيونية على هيئة أشعار وأغانٍ .

وفى 22/ 6/ 1865 م تأسس برعـاية الملكة فكتـوريا صندوق لدعم أنشطـة الهجـرة إلى إسرائيل استفادت منه الصهيونية الدينية بأن تم إرسال الجواسيس تحت اسم منحة من هذا الصندوق للباحثين وبمباركة من ملكة بريطانيا .

وفى عام 1875 صدر كتاب "أرض الميعاد" للسير "تشارلز وورن"

فى هذا المد الصهيونى الشعبى المتعاظم والمتعاطف والمتأثر بالأساطير الصهيونية :

1 – الأرض الموعودة / أرض الآباء والأجداد .

2 – شعب الله المختار بلا أرض / وأرض أجداده التى أعطاها له (يهوه) مسلوبة منه.

3 – اليهود مضطهدون وهم الساميون المبعثرون فى الأرض :

"لليمامة عشها ، وللثعلب كهفه
ولكل شعب أرضه إلا اليهودى
فليس عنده غير قبره"

(الشاعر اللورد بايرون)

فى وسط هذه الحمَّـى والهوس التى لم تكتف الصـهيونيـة به من الأمة البـريطانية والأوروبيـة ، فقـد عملت على ضـرورة أن تمسك بقيـادة الاستـراتيجـية لا بالـهدف الصغير فـقط ، وقفزت نحو القمة معـتلية قيادة الإمبراطورية البريـطانية بجيل جديد يعيش كل هذا الهوس ، وفوق كل ذلك أنه ليس بريطانياً فحسب ، بل صهيونى دينى متزمت تشرَّب الأساطير وعقدها فأصبحت هى عقيدته المؤمن بها .

وصعد اثنان يمثلان الصهيونية بل من الصهاينة أنفسهم يقودان الإمبراطورية ويمسكان بالاستراتيجية هما :

"جلاد ستون" و "دزرائيلى"

وإن كان "جلاد ستون" بروتستانتياً مسيحياً فإنه صهيونى - أما "دزرائيلى" فكان يهودياً صهيونياً .

دزرائيلى

"إنجلترا لها قلب ولها ضمير .. ولهذا فهى تقف مع اليهود مدركة أن الله ذاته يحارب من أجل بعث إسرائيل"

دزرائيلى
رئيس مجلس وزراء بريطانيا العظمى

اعتلى أبناء صهيون قمة الإمبراطورية البريطانية فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، من قلب أمة بريطانية توهمت أمام التعاطف الشعبى لليهود غذّاها الأدب والشعر وألهبت حماسها الأساطير الصهيونية والعقد والخرافات التى شكلت الصهيونية الدينية فى وجدان الشعب الإنجليزى الشعور بالذنب ، فتجلت عقدة الاضطهاد المغلفة بالسامية فى الفكر الإنجليزى معبرة عن تحمل الأمة البريطانية بأخلاقها ذنب شتات اليهود .

إلى أن وصل هؤلاء الشباب المتصهينون إلى أماكن بارزة يدفعهم التعاطف والشعور بالذنب ، وتصقلهم الخرافات والعقد الصهيونية التى توصلت إلى حد أن التكوين الفكرى على سبيل المثال لرئيس وزراء الإمبراطورية البريطانية يصدر عن عقيدة صهيونية تتلخص فى أن الله ذاته يحارب من أجل بعث إسرائيل .

ومع تولى أبناء صهيون قيادة الإمبراطورية البريطانية فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، مع كل المتغيرات التى طرأت ولعبت دوراً مباشراً أو غير مباشر فى

تلك الفترة من نتيجة حرب القرم وتدفق يهود البلقان على أوروبا الغربية ، من عودة الإمبراطورية الفرنسية بعيون مفتوحة استراتيجياً على المذهب الاقتصادى خاصة مع مصر ، منذ تعاطفها مع محمد على ضد الإمبراطورية البريطانية والتحالف الدولى معها من أجل إسقاط محمد على إلى حفر قناة السويس عن طريق مهندسها «ديلسبس» إلى العلاقة القوية بين فرنسا والخديوى إسماعيل حتى وصل الحد أن الخديوى إسماعيل وزوجة «نابليون الثالث» الإمبراطورة «يوجينى» ركبا فى السفينة المحروسة التى تقدمت قافلة افتتاح القناة سنة 1869 .

كل هذه المؤثرات ، كانت مع بداية تولى أبناء صهيون قيادة الإمبراطورية البريطانية .

وكانت البداية أكثر من مهمة وفعالة .. وساهمت بريطانيا إلى حد كبير فى تحقيق وتأكيد الأسطورة والعقدة والخرافة الصهيونية بأسلوب استعمارى صهيونى جديد اختلف عن أسلوب "بالمرستون" حيث غلب على أسلوب الإمبراطورية البريطانية الأسلوب الصهيونى ، كيف ؟

ففى عام 1875م قام "دزرائيلى" بمساعدة "روتشيلد" بشراء الحصة المصرية فى شركة قناة السويس . وينقل لنا القصة (محمد حسنين هيكل - المصدر السابق ص61) كاتباً :

"بدأت القصة حينما عرف "هنرى أوبنهايم" - وهو مالى يهودى من دائنى الخديوى "إسماعيل" - أن والى مصر يريد أن يبيع أسهمه فى شركة قناة السويس وأنه يبحث عن مشتر يأخذها سراً ويدفع ثمنها نقداً ، فهو يخشى أنه إذا عرف دائنوه برغبته مبكراً ، وإذا تم تحقيق هذه الرغبة بوسائل بنكية ، فإن هؤلاء الدائنين - وهم كثر - سوف يسبقونه بالحجز على ما قد يتحصل عليه من الصفقة .

وسمع مالى يهودى آخر (وصاحب جريدة فى نفس الوقت) هو "جرينوود" بالقصة من "أوبنهايم" ، وكان أن توجه على الفور إلى وزير خارجية إنجلترا

- اللورد "ديربى" وقتها - وأبلغه بما سمع ، وأخذه وزير الخارجية معه فوراً إلى مكتب رئيس الوزراء "دزرائيلى" معتبراً أن هذه فرصة لإنجلترا تضع فيها موطئ قدم فى مصر . وراح دزرائيلى يفكر بسرعة والمعضلة أمامه هى رغبة الخديوى فى إتمام البيع سراً والحصول على الثمن نقداً . فهو من هذين الشرطين لا يستطيع أن يعرض الصفقة على البرلمان ، ولم يطل تفكير "دزرائيلى" ، فقد وجد الحل بسرعة وبعث بسكرتيره الخاص اللورد "راوتون" ليجىء له بالبارون روتشيلد وطلب "روتشيلد" من اللورد "راوتون" مهلة أيام يدبر فيها الأمر .

كان المبلغ المطلوب أربعة ملايين جنيه ذهباً نقداً وعداً .

وكان رئيس الوزراء يدرك أنه حتى "روتشيلد" لا يحتفظ بمثل هذا المبلغ جاهزاً فى خزينته ، كما أنه لا يملك أن يتصرف فى هذا الحجم من المال دون اتفاق فروع الأسرة كلها (فى فرنسا وألمانيا) ، وبرغم ذلك فإن "دزرائيلى" فوجئ فى الصباح التالى بوصول روتشيلد إلى مقره مبكراً يطلب إيقاظه من نومه ليبلغه أن "الذهب جاهز لإتمام الصفقة بأسرع ما يمكن" قبل أن يغير خديوى مصر رأيه أو يتسرّب سر الصفقة إلى آخرين" .

انتهت هذه القصة .

والقصة تدلنا على دراستنا حول المنهج الجديد للقيادة الإمبراطورية الإنجليزية بأسلوب جديد وهو الأسلوب الصهيونى.

فرئيس الوزراء ليس صهيونياً دينياً فحسب كشخص ، لكن الأهم أنه أسلوب صهيونى منهجاً وعقيدة - واستطاع أن يحل المشكلة التى اعترضته بالأسلوب الصهيونى (المال - الذهب - الجاسوسية - الخفاء ... الخ) ثم الإتيان بـ"روتشيلد" أى مؤسس الحركة الصهيونية السياسية فى ذلك الوقت ، ليقوم روتشيلد نفسه بقيادة الإمبراطورية الإنجليزية فى إدارة صراع من أهم الصراعات بين بريطانيا وفرنسا على قناة السويس (مصر) .

وظهر الحل الصهيونى (الذهب) و(الخفاء) و(الجاسوسية) ، ولكن كان الحل

أعمق من القصة .. وكان مغزاه أعمق من مجرد صفقة فى شراء أسهم (مصر) فى قناة السويس .

وكأن خطة "روتشيلد" بطلب من تلميذه "دزرائيلى" فجرت بسرعة الأحداث بطريقة درامية مرعبة ومخيفة أكبر من كل الأساليب والمنشورات السرية والضغط على السلطان العثمانى فى الباب العالى .

ففى عام 1877م أى بعد سنة واحدة من خطة روتشيلد شراء حصة (مصر) فى قناة السويس قامت أسرة روتشيلد بتمويل إنشاء أول مزرعة (مستعمرة) استيطانية لليهود فى فلسطين على مساحة 2275 فداناً وهى مستعمرة "بتاح تكفاه" .

ولم تمض خمس سنوات إلا وكانت بريطانيا قد استعمرت مصر بذريعة أن "أحمد عرابى" قد خرج عن طاعة الخديوى توفيق حيث اتخذ مجلس الوزراء البريطانى قراراً يخول اللورد "ويلسلى" قائد جيوش بريطانيا العظمى باحتلال مصر.

وهكذا ظهر الفرق واضحاً بين أسلوب "بالمرستيرى" وأسلوب "روتشيلد" الرئيس الحقيقى لبريطانيا العظمى فى ذلك الوقت نيابة عن تلميذه دزرائيلى . فـ"بالمرستيرى" حاصر دولة محمد على وحجّمه ، أما أبناء صهيون فبالذهب والدهاء والمكر والجاسوسية مهدوا لاستعمار مصر - ثم بالقوة دخل "ويلسلى" بجيوشه مصر وأيضاً بالخديعة والجاسوسية تمكن من هزيمة الثورة العرابية .

وبنفس المنطق ، إن كان محمد على خرج عن طاعة السلطان العثمانى ، فإن أحمد عرابى خرج عن طاعة الخديوى .

ولكن لماذا مصر ؟!

الصهيونية وضعت عينيها على فلسطين ..

والإمبراطورية البريطانية وضعت عينيها على الشرق العربى خاصة مصر - فمن مصر دخل "نابليون" إلى الشرق ومن "مصر" خرج نابليون من الشرق .

وبريطانيا الإمبراطورية العظمى رأت أن مصر بمكانتها من السهل عليها جداً أن تكون إمبراطورية أو دولة عربية قوية فى الشرق العربى تهدد أمن أوروبا ذاتها كما قال بالمرستيرى فى خطابه إلى السلطان العثمانى ، لذا ، كانت مصر مهمة من ناحية الاستراتيجية ، أما من ناحية الهدف البسيط فكانت الصهيونية ترى أن الوصول إلى فلسطين لا بد أن يتم عبر مصر ، إما بالرضا والسياسة والخديعة ، وهذا قد فشل فيه السير مونتيفيورى فى لقائه مع والى مصر "محمد على" .

إذن كان لا بد من القوة العسكرية ، وهذا ما فعله أبناء صهيون خلال قيادتهم للإمبراطورية البريطانية - وكان من السهل عليهم ومن اليسير أن يصدر مجلس الوزراء البريطانى قراراً للورد "ويلسلى" قائد الجيوش البريطانية بالزحف على فلسطين واستعمارها وإعلانها دولة يهودية ، لكن أبناء صهيون يدركون جيداً ، أنه لا بد من مصر أولاً ، فلو قامت دولة يهودية ومصر دولة قوية ، فلن تعمر طويلاً هذه الدولة اليهودية الجديدة ، ولذلك كان لا بد من مصر أولاً .. وأخيراً .

وبعد احتلال مصر ، تتأكد هذه المعانى ، وينطلق روتشيلد فى بناء المستعمرات الصهيونية للمستوطنين اليهود فى فلسطين لتكون فى استقبالهم عند هجرتهم إليها ، وفى ظرف عشر سنوات من احتلال الإنجليز لمصر تم إنشاء المستعمرات التى كان أهمها :

المصدر: محمد حسنين هيكل - ص63 - سبق ذكره

1 - مستعمرة "كاترا"	على مساحة 500 فدان .
2 - مستعمرة "ريشون ليزيون"	على مساحة 1180 فداناً .
3 - مستعمرة "روش بينا"	على مساحة 3800 فدان .
4 - مستعمرة "زيشرون جاكوب"	على مساحة 1850 فداناً .
5 - مستعمرة " وادى الشانين"	على مساحة 1180 فداناً .
6 - مستعمرة "إيكرون"	على مساحة 1275 فداناً .
7 - مستعمرة "كاستبنا"	على مساحة 550 فداناً

8 – مستعمرة "روهوبوت" على مساحة 1300 فدان .
9 – مستعمرة "ارتوف" على مساحة 460 فداناً .
10 – مستعمرة "أم الديشمال" على مساحة 253 فداناً .
11 – مستعمرة "الشويحة" على مساحة 851 فداناً .
12 – مستعمرة "معالية" على مساحة 910 فدان .
13 – مستعمرة "مشمار هايردن" على مساحة 230 فداناً .
14 – مستعمرة "عين زيتون" على مساحة 509 فدان .
15 – مستعمرة "ميتولا" على مساحة 1350 فداناً .
16 – مستعمرة "بن شيمن" على مساحة 210 فدان .
17 – مستعمرة "هلهامى" على مساحة 1350 فداناً .
18 – مستعمرة "عية" على مساحة 2750 فداناً .
19 – مستعمرة "الخضيرة" على مساحة 1750 فداناً .
20 – مستعمرة "كيفار سابه" على مساحة 460 فداناً .

بالإضافة إلى عشرات المستعمرات الأصغر حجماً .

ومن الجدير بالذكر أن عدد اليهود فى فلسطين كان لا يتجاوز 3200 نسمة فى مطلع القرن التاسع عشر وصل إلى ثمانية آلاف نسمة فى منتصفه ومع الهجرة الموسعة التى أسسها روتشيلد أصبح عدد اليهود 24 ألفاً عام 1882 م. ■

الفصل السادس

الإعلان الرسمى عن الحركة الصهيونية السياسية (الجديدة)

"يمكن إقناع الحكومة العثمانية لتهجير كل السكان "المحمديين" وتوطينهم فى المناطق الشاسعة الخالية من شمال العراق ، حيث يستطيعون امتلاك أرض أفضل من تلك الأرض التى سوف يتركونها وراءهم فى فلسطين"

(الدبلوماسى الإنجليزى الصهيونى

إدوار لودفيج ميدفورد)

الصهيونية نهاية قرن وبداية قرن جديد

كان جبل صهيون فى قلب مدينة القدس
فى نظر هرتزل ونوردو ، يمثل رمز إقامة
الدولة اليهودية من جديد ولهذا أطلقا على
حركتهما اسم "صهيونية"

"نتنياهو"

بعد الاحتلال الإنجليزى لمصر عام 1882م لتطبيق مقولة مصر أولاً .. وأخيراً قبل فلسطين ، وبعد ارتفاع عدد السكان اليهود من 3200 نسمة إلى 24 ألف نسمة فى فترة قصيرة جداً بسبب نشاط "روتشيلد" فى بناء المستوطنات وتهجير المستوطنين الجدد إلى فلسطين ، ومع بشائر قرب انبلاج قرن جديد (القرن العشرين) .

كانت الصهيونية السياسية قد أثرت تأثيراً كبيراً فى المجتمعات الدولية ، فعلى صعيد الأمبراطورية البريطانية تصاعدت موجة الفكر الأوروبى البريطانى باصدار عديد من الكتب التى تؤكد على الأساطير الصهيونية الدينية وتدعو إلى انبلاج عصر جديد للصهيونية للسياسية ، كما ذكرنا سابقا من شرح واف للإمبراطورية البريطانية وتطورها بعد أن تمكن أبناء صهيون من امتطاء قيادتها وكان قرب مطلع القرن

العشرين وبعد انتهاء الحرب الأهلية بأمريكا وظهور أمريكا كقوة جديدة ومؤثرة .

وقد بدأت تتسرب منها إشعاعات الرخاء الاقتصادى والعلمى والتقنى من وراء المحيط مما ينذر ببروز قوة جديدة من ورائه قد تكون فى المستقبل أكبر من أى قوة ، وعلى الجانب الآخر فى الشرق من هذه القوة الصاعدة التى تقودها الرأسمالية، كانت الحركة الشيوعية قد رسخت وجودها وجلبت أكثر مما جذبت بالفكر أعداداً كبيرة من الساسة والمفكرين وكافة شرائح المجتمع .

إن عالما جديداً أو نظاماً عالمياً جديداً كان قد بدأ ترتيبه ، فأعداء القرن التاسع عشر صاروا أصدقاء بداية القرن العشرين ، وكان النازحون إلى أمريكا الشمالية فى القرن الثامن عشر أو بداية القرن الثامن عشر هم القوة الجديدة الواعدة فى غرب الكرة الأرضية ، والثورة الفرنسية تخرج من رحمها دواعى الشيوعية ويلتف حولها ، وكأنها منتسبة لهم ، معظم اليهود العمال والتجار الصغار والحرفيون والذين يمثلون أغلبية اليهود فى بداية القرن العشرين .

وكأن زلزالا أعاد ترتيب العالم وهو مقبل على قرن جديد ، قرن سيشهد العالم فيه أعظم الحروب وأعظم الاختراعات وأقوى الاستقطابات وبروز قوة وانهيار أخرى ، حتى إن الإمبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس فى مطلع القرن العشرين لا تجد الشمس فى نهاية القرن العشرين ، وفى كل هذه الترتيبات كانت الصهيونية السياسية تستشرى فى الوسط الفكرى الأوروبى ، وكان المفكرون فى الأساس يريدون أن يتخلصوا من الأعداد الهائلة من اليهود التى زحفت عليهم من شرق أوروبا وغيرها ، وكان قادة أوروبا يطاردهم هذا الكابوس ، وما كان أمام الجميع فى أوروبا إلا العزف على أوتار الأساطير ، وما كان من " روتشيلد " وعائلته التى امتدت فى كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا إلا دفع فاتورة العازفين .

وكما كانت الإمبراطورية الإنجليزية قد ساهمت مساهمة كبيرة فى تعميق المفهوم الصهيونى السياسى لديها ولدى دول كثيرة أخرى حتى استسلمت نهائياً وانحنت الإمبراطورية التى لا تغرب عنها الشمس ليمتطيها أبناء صهيون ، فإن الولايات

المتحدة الأمريكية وهى فى المهد ، وبالتحديد فى عام 1814 م نُشرتْ فى نيويورك الموعظة المشهورة للقس "جون ماكدونالد" التى أكد فيها الدور المركزى الذى تنبأ به " يشوع بن نون " للدولة الجديدة فى أمريكا فى إعادة اليهود إلى أرضهم قال القس :

" يا سفراء أمريكا انهضوا ، واستعدوا لإسماع بشرى السعادة والخلاص لأبناء شعبكم منقذكم الذين يعانون من الظلم .. ارسلوا أبناءهم واستخدموا أموالهم فى سبيل تحقيق هذه الرسالة الإلهية" .

وفى عام 1844 عُينّ " ووردركرسون " قنصلاً للولايات المتحدة الأمريكية فى القدس ، لكنه بدلا من ذلك ، ساعد على إنشاء مستوطنة يهودية.

المصدر: بنيامين نيتناهو – مكان تحت الشمس – ص78

وفى عام 1881 استطاع القس الأمريكى " وليام يوجين بليكستون " تجنيد دعم ما يزيد على 400 أمريكى من ذوى الشهرة – بينهم د. روكلفر ، ج. ف . سورغن ، وأعضاء كونجرس ذوى أهمية ، قضاة ومحررى صحف – وتقديم عريضة للرئيس " بنيجامين هاريسون " طلب فيها العمل فى سبيل إعادة الشعب اليهودى إلى أرضه وقال " بليكستون " فى عريضته :

" منذ ما يزيد على ألف وسبعمائة سنة ، ينتظر اليهود ، بصبر هذه الفرصة الفريدة ، هيا نعيدهم إلى الأرض التى سلبت منهم بيشاعة " .

المصدر السابق ص78

ثم " إدوارد روبنسون " الأمريكى الذى عمل فى فلسطين فى الفترة من 1837 – 1838 ومن 1845 –1847 ، وبعد أربعة وخمسين عاماً على فعلة قنصل أمريكا فى القدس ، وبالتحديد فى عام 1898 ، كان السيد "أدنين شروبن وولنر" القنصل الأمريكى فى فلسطين قد أعلن :

" شعب اسرائيل ، بحاجة إلى وطن ، إلى أرض يستطيع القول إنها أرضه ، إلى مدينة يستطيع أن يجسد فيها خلاصه . كل هذه الأمور ليست بيده الآن، بيته الحالى بين الغرباء ... الدول التى يعيش فيها ليست له ، يمكن أن

تحقق آمال شعب اسرائيل بوطن خاص به ، ولكنها لن تتحقق إلا فى فلسطين . إننى أؤمن بأنه لن تطول الأيام ، حتى تصبح فلسطين بأيدى شعب يعيد لها خصوبتها القديمة .

الأرض تنتظر .. والشعب مستعد للقدوم ، وهو سيأتى إليها "فعلاً" فى اللحظة التى تؤمن له فيها الحياة والمتاع " .

ويؤكد ، أو يشهد شاهد من أهلها وهو السيد نيتنياهو رئيس وزراء الصهاينة فى كتابه" السابق " ص 81 بقوله :

" لقد ساعدت صهيونية هؤلاء السياسيين الغربيين من غير اليهود ، الصهيونية اليهودية ، على تحقيق هدفها ونهضة الشعب الإسرائيلى " .

وقد تمتع الصهاينة بنفوذ قوى فى الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام 1942 ، وهو الأمر الذى أتاح عقد مؤتمر لغلاة الصهاينة فى فندق " بلتيمور " بنيويورك ، وتقرر فى هذا المؤتمر إقامة الدولة اليهودية ذات السيادة بدلاً من الدعوة لإقامة وطن قومى لليهود .

وقد اعترف الرئيس " ترومان " رئيس الولايات المتحدة الأمريكية نفسه بتعاظم النفوذ الصهيونى فى حديث له مع بعض الدبلوماسيين حيث قال :

"اعذرونى أيها السادة ، فلا بد أن أستجيب لرغبات مئات الآلاف ممن ينتظرون نجاح الصهيونية ولا يوجد بين الناخبين الآف العرب" .

المصدر : ويليام إدى : روزفلت وبن سعود / أصدقاء الشرق الأوسط الامريكيون نيويورك 1954 ص13

واعترف " كليمنت إتلى " رئيس وزراء بريطانية نفسه أيضا بتعاظم الضغط والنفوذ الصهيونى فى أمريكا حيث أدلى بهذه الشهادة :

" لقد شكلت أصوات اليهود والمساعدات المالية التى قدمتها عدة شركات يهودية كبرى ملامح السياسة الأمريكية فى فلسطين"

المصدر : كليمنت إتلى : مذكرات رئيس الوزراء ، الناشر : هاتيمان ، لندن 1961 ص 181 .

وبهذا قد أعطينا لمحة أو إلمامة مختصرة عن تأثير الصهيونية الدينية والسياسية فى الشعب والقيادة الأمريكية ، خاصة رؤساء أمريكا والخارجية الأمريكية وبهذا أحكمت الصهيونية بسط نفوذها على العالم وهى تستقبل القرن الجديد ... ، القرن العشرين .

" إن تأثير رئيس وزراء إسرائيل على السياسة الخارجية الأمريكية فى الشرق الأوسط يفوق تأثيره فى بلاده ذاتها " .

المصدر : بول فندلى - من يجرؤ على الكلام - ص92.

وكان هذا هو مسرح الأحداث قبل انبلاج القرن العشرين ، حيث شهدت العشر سنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر تصاعد التعاطف الشعبى مع اليهود ، واستطاعت الأساطير / العقد / الخرافات الصهيونية أن تبعث فى نفوس ملايين الناس ذوى النوايا الطيبة عقائد يصعب اقتلاعها ، وذلك عن طريق تشكيل جماعات ضغط بالغة القوة بوسعها أن تغير مجرى نشاط الساسة ، وأن تتحكم فى الرأى العام، أما وسائل تحقيق الهدف كما قال المفكر الفرنسى " روجيه جارودى " فتختلف من بلد إلى أخرى باختلاف طبيعة شعوب هذه البلاد ، كما رأينا فى فرنسا (نابليون ، بريطانيا بكاملها قيادة وشعباً وملكا - الولايات المتحدة ، روسيا - كل أوربا - بما فيها ألمانيا .. المانيا هذه القوة الصاعدة فى اوربا الغربية والقريبة من الخزان البشرى اليهودى على حدودها الشرقية فى بولندا وروسيا ومعظم أوربا الشرقية.

أسطورة / خرافة زعامة هرتزل

قال هرتزل : يعتقد شيف أنني مجنون " .

فى الجو المشحون بالإيمان الكاذب بالأساطير والخرافات والعقد والعقيدة الصهيونية ، فى جو تدعمه السيطرة المالية والجاسوسية والاستحواذ على صانعى القرارات فى كل من أوروبا وأمريكا ، فى جو بدأت رياحه تهب على مصر ، وتجتاح أرض فلسطين فتقتلعها معبدة وراءها عديداً من المستوطنات والمستعمرات الصهيونية ، فى جو جديد ومسرح جديد يقود فيه أعداء الأمس أصدقاء اليوم (بريطانيا وفرنسا) قيادة التحالف الدولى الجديد (الحلفاء) .

ففى حوالى عام 1860 م ولد فى فيينا " ثيودور هرتزل" ذاك الشاب الصهيونى الذى نال شهرة فى التاريخ الصهيونى ، وإليه (يعتقد كثيرون) ينسب تأسيس الحركة الصهيونية السياسية الحديثة فنال بذلك قدراً كبيراً من الشهرة .

فمن هو " ثيودور هرتزل " ؟
وما هو تكوينه ؟ وما اسمه الحقيقى ؟
ولماذا اختارت الصهيونية ذلك الشاب
ليقود الحركة السياسية الصهيونية ؟

حتى إن التاريخ السياسى يؤكد لنا أنه هو مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة ؟!

إذن مَنْ هو هرتزل؟!

ولد هرتزل كما ذكرنا فى فيينا حوالى عام 1860 وتوفى وهو فى ريعان شبابه عام 1904 نفس العام الذى شهد اتفاق أعداء الأمس (بريطانيا وفرنسا) وظهور حلفهما الجديد .

وهرتزل كأحد الزعماء الصهاينة تأصلت فيه الروح الألمانية الراسخة لغةً ومفهوماً إيدولوجياً (التربة - الدم) العرق المميز حيث أن التكوين الصهيونى الدينى (التربة - الدم - العرق المميز) بالاضافة إلى السامية هى الأساطير الاساسية التى يرتكز عليها المذهب الصهيونى .

وقد غير هرتزل اسمه من " بنيامين " إلى " ثيودور " أى من الاسم اليهودى إلى الاسم الألمانى ، كما أن صديقه " ماكس نوردو " غير اسمه إلى " نوردو " لإعجابه الشديد بالنورديين ، وقد أكد جولدمان أن هرتزل قد وصل إلى فكرته القومية (العضوية) من خلال معرفته بالفكر والحضارة الألمانيين .

المصدر : عبد الوهاب المسيرى - الصهاينة والنازية ونهاية التاريخ - الناشر : دار الشرق 1997 ص 134

وتأكيداً على نازية هرتزل (التربة - الدم - العرق) والتى يقابلها فى الفكر الصهيونى (الأرض - الدم اليهودى - شعب الله المختار - السامية) فكان بمثابة العقلية الهتلرية القادمة فى المانيا (النازية) ، ففى خريف عام 1895 (كما ذكر بنيامين نيتنياهو فى كتابه مكان تحت الشمس ص99 زار ثيودور هرتزل صديقه الكاتب المعروف " ماكس نوردو ، حيث أراد هرتزل الاستماع من نوردو إلى تعقيبه على فرضية هرتزل القائلة :

" إن اللاسامية المتصاعدة ، تعرّض يهود أوربا لخطر لم يسبق له مثيل ، ومن شأن هذا الخطر أن يدفع بأعداد كبيرة من اليهود إلى صفوف الشيوعية ، الأمر الذى من شأنه زيادة أوار السامية ، وهذه التطورات ستكون مأساوية ليس فقط بالنسبة لليهود بل لأوروبا كلها ، والحل الوحيد هو إقامة دولة يهودية فوراً ، وخروج اليهود المطاردين إليها وقال هرتزل : لصديقه جئت أعرض عليك هذه الفرضية بتوصية من صديقنا شيف .

حيث قال هرتزل :

"يعتقد شيف أننى مجنون"

ورد عليه نورداو بقوله :

"إذا كنت أنت مجنونا ، فأنا مجنون مثلك أيضاً إننى أقف إلى يمينك وتستطيع أن تثق بى "

ومن هذه القصة نلمح فيها التكوين الفكرى لهرتزل "التكوين الصهيونى" ؛ والتكوين "الألمانى العرقى" ؛ وهما وجهان لتكوين واحد قائم على " العنصرية " .

كما أن عداء هرتزل وخوفه من الشيوعية الملجأ الاساسى حسب تعبيره للاضطهاد الرأسمالى الأوروبى الغربى تجاه اليهود والذى سماه " تصاعد اللاسامية"، يؤكد على هتلرية أو نازية هذا الشاب الطموح "هرتزل" ولذا كان اختياره لهذه المواصفات ، فوقع اختيار قادة الصهيونية على هرتزل ذلك الشاب الهتلرى الطموح ليقود فى العلن الاعلان عن مولد الصهيونية كحركة سياسية تحركها اليد الخفية لقادة الصهيونية ، ويلعب فها هرتزل دور الممثل المتلقن لدوره جيداً وتأكد اختيار هرتزل تماماً بعد أن أيدت الاستراتيجية الغربية والأمريكية المتصاعدة بالاساطير الصهيونية صلاحيته لتنفيذ شيئين:

1- هدف الصهيونية وهو الإعلان عن الحركة الصهيونية كحركة سياسية تقوم بأداء دورها العلنى استعداداً وتنظيماً وترتيباً لإقامة الدولة اليهودية - وطن قومى لليهود .

2- تحقيق الاستراتيجية الغربية باحتلال منطقة الشرق العربى وتقسيم الوطن العربى بزرع شوكة فى خاصرة كل من يفكر فى تكوين دولة عربية واحدة والتحكم فى منافذ التجارة الدولية (البحر المتوسط - البحر الأحمر المضايق المائية "باب المندب" "جبل طارق" .. الخ) وبدأ هذا الشاب الذى غير اسمه من بنيامين " إلى "ثيودور" والذى لم يظهر أو يستمر على مسرح الأحداث إلا ثمانى سنوات فقط استطاع فيها أن يمثل الدور الملقن له بجدارة. ولا أحد يعرف ، ولا يستطيع أن يجزم إن كان موت هرتزل طبيعياً أم غير طبيعى؟!! حتى لا يستطيع أن يكشفه أو يكشف نفسه أو بالأحرى الخوف من عصيانه

للتعليمات خاصة بعد أن طارت شهرته وعلا وسطع نجمه ليس فقط بين أوساط اليهود ، بل استطاعت حركته الصهيونية أن تجذب الكثير من المسيحيين خاصة فى أوروبا إلى صفوفها .

وفى عام 1894 (حيث كان يعمل " هرتزل" مجرد مراسل لصحيفة نمساوية) قام بتغطية محاكمة درايفوس فى باريس ، وقد دفعته المشاهد اللاسامية التى رافقت المحاكمة إلى التفكير فى المسألة اليهودية .

وفى عام 1895 كون مع نوردو وآخرين مجموعة عمل قائمة على تحقيق أسطورة العودة إلى أرض الميعاد " وفى عام 1896 ألّف هرتزل كتابه " دولة اليهود " وقد أكد فى كتابه هذا ما أكده آخرون من قبله ، أعمق منه تأثيراً وأدباً ، لكن كتاب هرتزل لاقى رواجاً كبيراً لم ينله أى مؤلف أو كاتب أو باحث صهيونى أو غير صهيونى آخر فى عصره ، ومع أن الأفكار التى طرحها هرتزل فى كتابة كانت :

1- اليهود شعب غير قابل للاندماج فى المجتمعات الأوروبية (وهذه أسطورة صهيونية تؤكد على أن اليهود من دم واحد وأصل واحد) وكتب عنها العديد من الكتاب الصهاينة واليهود . وأن الذين سوف يندمجون هم أغنياء اليهود فقط لأن المجتمعات الأوروبية ترحب بهم وتطرد الآخرين.

2- اليهود الفقراء القادمون من الشرق سوف يكونون مصدر إزعاج وقلق لليهود الأثرياء الذين استقروا فى أوروبا .

وهذه أيضا ليست معلومة جديدة، بل هى إحدى مرتكزات "روتشيلد" وإحدى هواجس وقلق الإمبراطوريات الغربية والفكر الأوربى فى القرن التاسع عشر).

3- إن اليهود يمكن أن يتحولوا إلى الشيوعية " البروليتاريا الثورية " عندما لا يجدون عطفاً من القيادات الأوروبية الرأسمالية أو الأمريكية .

4- أن أغنياء اليهود يجب أن يدفعوا تكلفة هجرة اليهود أو ترحيلهم إلى فلسطين .

وهى كلهـا أفكار كانت مطروحـة بقوة فى القـرن التاسع عـشر من أوله إلـى آخره ، فالمنشورات السرية لبـالمرستون تؤيد ذلك ، والمباحثات مع السلطان العثـمانى مباشرة أو غير مـباشرة مع الإمبـراطورية البريطانية تؤيد ذلك، ودزرائيلى نفـسه يؤكد ذلك ، وروتشيلد نفذ ذلك بالفعل عقب الاحتلال الإنجليزى لمصر عام 1882، وبنائه أكثر من عشرين مستـوطنة صهيونية فى فلسطين وارتفاع أعداد اليـهود من ثمانية إلى 24 الفاً خلال عشر سنوات .

لكن " كتـاب هرتزل " كان بمثابة الصـدى الذى رجع بقلوب ملايين اليهـود اليه ومن حـوله ، كيـف يحدث ذلك دون أن يكون هـناك " آلة جبـارة " أو " يد خـفيـة " تكتب وتروج لهذا الشاب الطموح وتصنع منه نجما لتنفيذ استراتيجية ؟ .

وأكـد هرتزل مـا تنطق به الحـقـائق من ثنايا التـاريخ بأنه مـجـرد "مـتلقن" لدور مسـرحى بسيط ولمدة زمـنية بسيطـة ، فقد كـتب هرتزل فى يوميـاته يوم 15/ 6/ 1896 قائلاً:

"سوف نقـدم للسلطان 20 مليون جنيه استـرلينى لإصلاح الأوضـاع المالية المتـدهورة فى تركيـا ، منها مليـونان بدل فلسطين والباقـى وقدره 18 مليوناً يمكن اسـتخـدامهـا فى تحرير تركيـا من الحمـاية الأوروبية وشـراء سندات ديونها".

وهذا إذ يدلنا عـلى شئ ، فـإنه يوضح لنا بجـلاء أن هرتـزل أراد شـراء فلسطين باثنين مليون جنيه من السلطان العثمانى .

إذن هرتزل لـم يكن صاحب فكر لانبعاث حركة قادرة على السيطرة والاحتلال ، فهو يقر أنه أراد شراء فلسطين باثنين مليون، ودفع 18 مليون لتسديد ديون تركيا .

ومن أين لهرتزل بهـذا المبلغ الضخم الذى تعجز عنه إمـبراطورية عظيمة وكـبيرة وهى الإمبراطورية العثمانية ؟

- مَن وراء هرتزل بهذه القوة المالية الجبارة ؟!

ألا يدل هذا على أن هرتزل ما هو إلا مجـرد " ممثل " أو مؤد لدور فقط ؟! وليس زعيما "أو قائداً" كما يدعون ، ويقول هرتزل في يومياته أثناء زيارة لاستانبول 1896:

"التقـيت اليوم مع جـاويد بك وهو ابن الصدر الأعظم خليل رفـعت باشا ، رتبنا الأمور مع حـاويد بك. جاويد بك مستعـد لتفهم مشـروعنا والمساعدة فيه. لكن اعـتراضه الوحيد هو مـصير الأماكن المقدسـة . فالقدس يجب أن تظل تحت الإدارة التـركية ، وعـدته بذلك ، وعـدته أن تبقى القـدس خارج حـدود الدولة اليـهـودية إذا قـامت ، لأن الأمـاكن المقـدسـة تخص العـالم المتمدين كله ويجب أن تظل مفتوحة للجميع .

سألني جـاويد بك عن شكل العلاقـة التي أراها بين دولة يهـودية إذا قامت وبين دولة الخـلافـة . وقلت له : إننا لا نطلب الاسـتـقلال ولا نفكـر فيـه ، ولكننا نريد نوعا من العلاقة مثل تلك التي كانت بينكم وبين مصر" .

ويذكر هرتزل أن "جاويد بك" أبلغه بعد عدة شهور، فكتب في يومياته قائلاً :

" أبلغوني أن السلطان أخذ علمـا بمشروعي لكنه يعارض فكرة بيع فلسطين لليهود ، وفهمت أنه يمكن عقد صفـقة إذا وجدنا صيغة مناسبة ، من رسائل حاشية السـلطان فهمت أنهم يريدون صيـغة لإنقاذ ماء الوجه وقد بعثت إلى استانبول برسالة قلت فيها :

" إن جـماعـتنا تعرض على صـاحب الجلالـة قرضـاً بعشـرين مليون جنيـه استرليني ، وفي مقابل ذلك فان جلالته يمنح اليهود الامتيازات التالية :

1 - يصدر جلالته دعوة كريمة لليهود بأن يعودوا إلى أرض آبائهم ، والدعوة من السلطان سوف تـكون لها قوة القـانون خصوصـاً إذا جرى إخطار الدول الكبرى المعنية بأمرها .

2 - يمنح المهاجـرون اليهود الاسـتقلال الذاتي المعـروف في القانون الدولي ويكون لهم الحق في إدارة شئونهم الـداخلية بما في ذلك العدل والأمن والنظام .

3 - تجرى فى استانبول مفاوضات حول الشكل الذى به تتحقق الحماية لفلسطين اليهودية" .

ثم يكتب هرتزل فى يومياته قائلاً :

"كتبت إلى مدحت بك سكرتير السلطان عن مشروعنا لإصدار جريدة " دى فيلت " وأشرت له بأننا سوف نحاول أن نساعد حكومة السلطان عن طريقها بنشر ما يمكن أن يؤدى إلى تحسين صورته فى العالم" .

هذا جزء مما قام به هرتزل مع السلطان العثمانى أو الصدر الاعظم كما أطلقوا عليه آنذاك .

والمثير حقاً ، مؤكداً على حقيقة هرتزل كونه " ممثلاً " لقوة خفية أو " حامل حقيبة لقيادة استراتيجية كبرى" ، أن هرتزل هذا الشاب المراسل لصحيفة نمساوية قد تكون غير معروفة على الإطلاق خارج حدود النمسا أو حتى داخلها ، يقوم بأعمال قادة كبار فى ذلك الوقت ، فيكتب الرسائل التى لا يكتبها إلا الرئيس أو الإمبراطور أو الملك ، ثم يذهب ويتقابل مع ابن الصدر الأعظم " جاويد بك " ويعقد معه الصفقات، ويتقدم بحل مشاكل الاقتصاد التركى ويطلب شراء فلسطين وتسديد ديون الإمبراطورية العثمانية .

أليس كل ما ماكتبه هرتزل فى يومياته هو أكبر دليل على أنه صنيعة المخابرات الأوروبية ، وما هو إلا مجرد شاب طموح صحفى ليس إلا . ؟!

وأن من يصنع السياسة هم القادة الطامعون فى الشرق الأوسط، الطامعون فى مصر أولاً والشمال الأفريقى والشام ثانياً وكل خطوط التجارة الدولية والموقع الاستراتيجى والموراد الطبيعية لهذه البقعة الهامة جداً فى العالم وعدم تكرار "حطين" وأسر ملوك الصليبيين وقتل فرسانهم المعتدين على سواحل فلسطين أولاً وأخيراً .

ولن نكتفى بما عرضناه عن حقيقة هرتزل فقط من خلال اتصاله بالسلطان العثمانى، تلك الاتصالات التى بدأتها الإمبراطورية البريطانية " بالمرستون " وربما

يكون هرتزل ما هو إلا مجرد رسول للإمبراطورية البريطانية (عميل) كغيره من الذين سبقوه ، ولكن المثير للدهشة أيضا أن هرتزل لم يتحرك فقط بمخطط الإمبراطورية الإنجليزية ، بل كان هناك أكثر من 'يد ' تحركه وأكثر من اتجاه ذهب اليه - وكلها خطوط أو اتجاهات تبعث على الدهشة والقلق لشاب طموح يستطيع أن يمارس أعمال القياصرة والأباطرة والقادة والرؤساء وهو المراسل الصحفى البسيط فى الجريدة النمساوية التى لم يعرفها أحد ' خارج حدود النمسا على الأقل فمن هو 'هرتزل' ؟!

وعلى الصعيد البريطانى نجد أن هرتزل يكتب إلى وزير خارجية بريطانيا العظمى خطاباً يقول فيه:

"إن هناك موجات هجرة متدفقة من شرق أوروبا الآن، وإذا لم تفتحوا لها الباب بسرعة لتذهب إلى فلسطين فسوف تجدون رجالها ونساءها وأطفالها بمنقولاتهم أمامكم فى الحى الشرقى من لندن. أن بعضهم جاء بالفعل إلى لندن ونحن لا نريد كثيرين منهم هنا بحيث تضطرون إلى التوقف عن منحهم حق اللجوء السياسى، ولذلك فإن من الخير أن تسارع إنجلترا على الفور إلى حل هذا الإشكال. والحل فى يدها ، فهى تملك جنوب شرق البحر المتوسط، أقاليم خالية من السكان، وبالذات فى المنطقة الساحلية الموجودة بين العريش وشبة جزيرة سيناء. إن السلطان العثمانى ليس مستعداً حتى الآن لإعطائنا فلسطين أو جزء منها وقد تأخذ المفاوضات مع تركيا وقتاً طويلاً، لكنه حتى يتم الأمر على نحو ما، فإننا نتمنى أن تأذن الحكومة البريطانية بإنشاء مستعمرات يتجمع فيها اليهود المهاجرون فى شبه جزيرة سيناء حتى يتاح لهم الذهاب إلى فلسطين . إننى سوف أمضى فى للمحادثات مع الباب العالى حتى أبعد عنكم شبهة أن يبدو الاستيطان اليهودى فى العريش وغيرها عملاً عدائياً ضد السلطان" .

وفى ذلك الوقت وقبل أن يبدأ هرتزل فى عقد المؤتمر الأول للحركة الصهيونية السياسية العلنية فى 29/ 8/ 1897 فى مدينة بازل السويسرية كانت رسالته لوزير

الخارجية البريطانية تدل على عدة أشياء نوجزها فى :

١ - أن هرتزل من لهجة خطابه ، فإنه يخاطب سيده ، وهناك فرق كبير بين أسلوب خطاب للسلطان العثمانى عن أسلوب خطاب لوزير خارجية الإمبراطورية البريطانية فهو يشرح لوزير الخارجية ويرجو أن يكون شرحه فى نفس الهدف المرسوم له **"وهو الخوف من زحف اليهود من أوربا الشرقية إلى بريطانيا"** .

2 - أن هرتزل نفسه فى هذه الرسالة قد بدأت الإمبراطورية تلمح " انحرافا " فى مساره الذى يجب أن يتبعه ، وأنه أصبح أو على طريق " المفكّر " وليس على طريق " المتلقن " فبدأ يقترح الحلول ، ولا يقوم بتنفيذ ما أوكل له من مهام محددة .

3 - بدأ هرتزل من رسالته أمام صانعيه أنه دخل بآمال أهدافه البسيطة فى فلسطين (التى لا تعدو أن تكون أحد أهداف الاستراتيجية البريطانية) إلى الانحراف أو تعقيد الاستراتيجية الكبرى لبريطانيا وأوروبا .

وهو الاقتراب من مصر ووضع اليهود فى العريش أو سيناء بالتحديد ، وهنا لم يدرك هرتزل بهذا الاقتراح العفوى الذى يؤكد على طموحه وسرعة تحقيق هدفه أنه يربك إمبراطورية بكاملها .. ويدمر إستراتيجية بكامل خيوطها - فالهدف هو فلسطين (حطين) المكان أو حجر الزاوية عند التقاء ساحل المتوسط الجنوبى مع الساحل الشرقى (الساحل الفلسطينى) ولم يدرك هرتزل أن المقصود ليس مصر ، لأن مصر لن يعمر اليهود فيها كثيراً وإن عاجلاً أو آجلاً سوف ينتهون - وأن الاستراتيجية التى ترمى إلى فصل شرق الوطن عن غربه بدأ بدون قصد يهزها أو يعبث بخيوطها طموح هرتزل .

وانعقد المؤتمر قبل أن يحصل هرتزل على إجابة محددة تصحح مساره حتى لا يحيد عن الهدف الذى تم تحديده له بالضبط .

وأسفر هذا المؤتمر الصهيونى الأول عن أربع توصيات هامة منها :

1- العمل على استعمار فلسطين بواسطة اليهود زراعياً وصناعياً .

2- العمل على إحياء أهداف الصهيونية بما فى ذلك إحياء اللغة العبرية .

3- العمل على تعميق مفاهيم الأساطير أو العقد / العقائد الصهيونية الدينية وترسيخها فى وجدان اليهود بما يحقق إيقاظ العاطفة الوطنية ويعمل على إشعال حماسها .

4- العمل على إنشاء مؤسسات يهودية تسهل تنفيذ هذه التوصيات ، أى آليات عمل محددة .

والملاحظ لكل هذه التوصيات أو القرارات أنها قرارات تقليدية ، وهى فى الأصل موجودة ويتم تنفيذها من القادة الصهاينة (اليد الخفية) للصهيونية ، ولم يقدم المؤتمر أى جديد إلا مارسمته له الاستراتيجية الكبرى واليد الخفية وهو مجرد الإعلان عنه وإعطائه الهالة الاعلامية ، أى الانتقال من العمل " تحت الأرض " إلى العمل العلنى الإعلامى - وهذا لقرب وقوع الفريسة فى يد الصياد - فقد انتهى زمن الاختباء وما على الصياد إلا الظهور فجأة لإطلاق سهمه على فريسته- هكذا كان المؤتمر الأول للصهيونية ، وتلك كانت قراراته - وهذا هو هرتزل الشاب الطموح الذى لم يفهم أنه انحرف عن تعاليم سيده (الإمبراطورية البريطانية) حين أرسل برسالة لوزير خارجية بريطانيا يرجو منه إعطاء وطن مؤقت لليهود فى "سيناء والعريش" وذهب بالفعل إلى مصر وقابل خديوى مصر " عباس حلمى الثانى " وعرض هرتزل مشروعه على الخديوى ووافق الخديو على تأجير العريش / سيناء إلى هرتزل لمدة 99 عاماً لولا تدخل بريطانيا (كما ذكرنا) لمنع هرتزل من ارتكاب حماقة إرباك الاستراتيجية البريطانية .

إن السنوات الثمانى التى قضاها " ثيودور هرتزل " " أو بنيامين هرتزل " و هو الاسم الحقيقى له كانت بمثابة قائد عالمى يقود العالم ، فرسائله تطير إلى كل حكام

العالم آنذاك ، ومقـابلاته لم تنقطع بداية من قيصر ألمانيا وتعـاونه معه ، إلى الولايات المتحدة الأمريكيـة وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وروسيـا وكل دول العالم حتى خديوى مصر عباس حلمى الثانى حتى معاينته لأرض العريش وسيناء.

إن هذه الحركـة الديناميكية من حـياة هرتزل مهمـا يكن 'عميـلاً' أو 'مؤدياً لدور مسـرحى سياسى' أو مـخلصاً أو حتى مـفكراً ، فإن هذا الدور يبـعث على الغرور ، (ويجعل) إن صح تعـبير 'عمـيل' للمخابرات الدوليـة فى ذلك الوقت أو مؤد لدور أجاد فيـه أداءه يجعله (ينحرف) أو تتقمصـه نزعة الزعامة ، وفعلاً قـد كان ، حيث أربك هرتزل صانعى اسـتراتيجـية استعـمار الوطن العربى والتـحكم فى هذه المنطقة الحيـوية من العالم حتى لو أدى إلى تقـسيمهـا بين القوى العظمى ، كمـا حدث هذا بالفعل مع اتفاقية ' سـايكس بيكو ' ، عندما شطح (بغروره) أو (طموحه) إلى أن تحقيق أو إيجـاد وطن قومى لليهود أصبح واقعياً فبـدأ يعرض أفكاره على المؤتمرات الصهيونية وعلى صـانعيه من قيادات الصهيونية فكرة تـكوين وطن قومى لليهود مرة فى العـريش وسيناء – وأخـرى فى طرابلس أو قبـرص أو الأرجنتين أو موزمـبيق أو الكنغو أو أوغندة .

المصدر : هرتزل – اليوميات – مرجع سبق ذكره .

وبدا الانحـراف عن الهـدف واضحـاً ، وفى عـام 1903 أى قـبل رحـيل 'بنيـامين هرتزل' بعام واحد وفى أعـقاب أحداث كيشنيـف، واجهت الحركة الصهـيونية خطر انقسام عميق (كما يؤكد ذلك 'بنيامين نيتنياهو' فى كتابه مكان تحت الشمس ص89):

> **'عندما بدا أن هناك إمكانية لتـمكين الصهيونية من إقامـة وطن قومى لليهود فى شـرق أفريقـيا التى كـانت آنذاك تحت الحكم البريطانى والتـخفـيف من معاناة اليهود فى شرق أوربا' .**
>
> **وقد أهمل ' مشروع أوغندا ' أخيراً عـندما رفض زعماء يهود شرق أوروبا هذه الفكرة وأصروا على اعـتبار أرض إسرائيل وحـدها هى الوطن القومى الوحيد ، الذى يمكن أن يكون اليهود مستعدين لإقامته ...**
>
> **عبـثا ، حاول هرتزل أن يشـرح موقفـه بأن أوغندا لا تعدو كونهـا محطة فى**

الطريق إلى فلسطين وليست الهدف النهائى للشعب اليهودى . "

لكن عبثا فعلاً كما قال نيتنياهو فقد كانت هذه هى آخر شطحات هرتزل عن الاستراتيجية - وعميل المخابرات غيرمسموح له أن يخرج عن الأوامر أو أن يربك القيادة، فما حدث عام 1903 وتصدى له كل الصهاينة لكبح جماح غرور وانحراف هرتزل وخوفاً من فتنة اليهود بهرتزل، وخوف أصحاب الاستراتيجية من هرتزل نفسه كمنفذ ليس إلا ، فإن أحداث عام 1903 كانت كفيلة بأن يُعلَن على العالم وعلى مسرح السياسة وصفحات الوفيات أيضا رحيل ثيودور هرتزل عام 1904 تقريباً.

وانطلقت الصهيونية منذ مؤتمرها الأول عام 1897 ومن بعد عام 1903 فى مؤتمراتها السنوية وبآليات عملها وبقيادات جديدة من أمثال " وايزمان " تعرف حدودها ولا تنحرف عنها ، واضعة الصهيونية كحركة سياسية عنصرية استعمارية على الخريطة السياسية للعالم .

فأبداً " لم تكن الحركة الصهيونية هى لمقاومة اللاسامية التى ادعاها هرتزل ، كما قالوا له ، ولقنوه ، ولم تكن النزعة الدينية ، بل النزعة العرقية التى تشربها ، فتغيير اسمه وهى النزعة القومية العنصرية هى التى تحركه حيث قال فى يومياته :

" إننى لا أخضع لاى وازع دينى "

المصدر : هرتزل - اليوميات - الناشر - فيكتور
جولانز 1958

ولم يكن أبداً مطيعاً مستسلماً لتعليمات قادة صهيون وتعليمات الصهيونية العالمية كحركة مخابراتية تديرها المخابرات الدولية للدول العظمى ، فلم يؤكد على تجميع اليهود فى فلسطين كما قالوا له ، وكما عبأوا وجدانه ، فلم يكن محور عقله الأرض المقدسة لكن حبه للزعامة شطح به بعيداً ليقبل وطناً قومياً لليهودى فى أى مكان فى العالم فدفع حياته ثمناً لانحرافه عن الاستراتيجية ، ويعترف بنفسه فى يومياته المجلد الأول ص 56 يقول :

"وإزاء معارضة أصدقائى المتدينين اليهود، أصبحت أعى "الأسطورة الجبارة" والتى تشكل صيحة حشد ذات سطوة لا تقاوم"

المصدر : هرتزل - دولة اليهود ص45

ولم يكن هرتزل إلا عميلا استعمارياً باعترافه شخصياً بذلك ، ففى 11/1/ 1902 يكتب هرتزل رسالة إلى التاجر الاستعمارى "سيسيل رودس" الذى استطاع عن طريق شركته "ذات الامتيازات" أن يقيم دولة جنوب أفريقيا العنصرية ، والتى تسمى أحد أجزائها الآن باسمه بعد تحررها "روديسيا" قائلا لرودس :

"أرجو أن تبعثوا إلىّ بخطاب يفيد أنكم درستم مشروعى وأنكم توافقون عليه ، وقد يثور لديكم تساؤل عن السبب فى توجهى إليكم ، والإجابة هى أن مشروعى مشروع استعمارى"

المصدر . هرتزل - اليوميات - المجلد الثالث ص 105

ومن هنا انطلقت الحركة الصهيونية حركة سياسية عنصرية استعمارية ، إحدى أدوات المخابرات للقوى العظمى التى تهيمن على المجتمع الدولى تغير قادة الحركة وانتمائها ، بتغير مراكز القوى فى قيادة العالم .

وكان هبوب رياح التغيير فى السنوات الأولى من القرن العشرين شديدة ، فالقوة الأمريكية تزداد نفوذاً ... وبريطانيا عدوة فرنسا هى صديقتها فى مطلع القرن العشرين وثورة البلاشفة تطل على العالم فارضة موازين قوة جديدة مؤثرة على الساحة الدولية. والقوة الألمانية هى الأخرى تكون شبحاً جديداً وفريداً ومميزاً على الساحة الدولية ، فكان لا بد للحركة الصهيونية أن تتكيف مع الوضع الدولى الجديد الذى زاد تعقيداً أكثر مما توقعته الحركة الصهيونية التى بذلت جهدا "مركباً" فى التعامل مع هذه المتغيرات الدولية الجديدة . وكان قادة الصهيونية مدركين أبعاد التغيير الضخم الذى ينتاب العالم خاصة انهماك المانيا فى بناء قوة عسكرية ضخمة بالاضافة إلى محاولات المانيا (التى أثارت الصهيونية العالمية) فى السعى نحو إقامة تحالف جديد مع تركيا التى كان حكامها ينظرون بشك إلى الخطط البريطانية الصهيونية فى الشرق ، خاصة ، بعد احتلال بريطانيا لمصر والسودان ، ثم الخطط

الصهيـونية تجاه (فلسطين) . واقتربت اسـتامبول يوماً بعـد يوم من برلين وأصبحت كل الاشارات تدل على أن منطقـة الشرق تقترب من سـاعة الحقيـقة التى تتقرر فـيها المصائر وأصبحت الصهيونية العالمية تعى تماماً أن السلطان وتركيا أصبحا بعيدين كل البعد عن تأثير بريطانيا ، فإن التحالف الجديد ومراكز القوى وضعت بريطانيا وفرنسا فى مواجهة ألمانيا وتركيا وإيطاليا .

وكان على الصهـيونية أن تضغط فى اتجاه الحـصول على الهدف (فلسطين) عن طريق آخر غير طريق موافقة السلطان العثمانى - كما كان على منفذى الاستراتيجية، ضغط كبير وهاجس أكبر فى كيفية الدفع فى الوصول إلى تحقيق الاستراتيجية ، ومع انطلاق شرارة الحرب العـالمية الأولى أصبح كل شىء ، الهدف والاسـتراتيجيـة مبنياً على نتيجة الحرب العالمية الأولى .

فقبل الحرب وأثناء الحرب وبعد الحرب ، كانت السياسة البريطانية تعرف ما تريد تفكر فيه وتناقش احتمالاته ، وتتردد مـرة ثم تحزم أمرها وتتصرف ،كانت التصورات القـديمة (الاستـراتيـجيـة) لا تزال هى الهـدف . بل إن عمليـة تجـديد طرأت عليهـا بتوصيـة تقدم بها رئيس الوزراء البريطانى " كـامبل بانرمان " فى الفتـرة السابقة على الحرب مباشرة وجاء فيها بالنص :

" إن إقـامـة حاجـز بشـرى قـوى وغـريب على الجسـر الذى يربط أوروبا بالعـالم القديم (للوطن العـربى) ويربطهمـا معـاً بالبحـر الأبيض والبـحر الأحمر هو مطلب يجب أن يكون هادياً لنا باستمرار . ويتعين علينا أن نضع فى هذه المنطقـة ، وعلى مقـربة من قناة السويس قـوة معادية لأهـل البلاد ، وصديقة للدول الأوروبيـة ، وعارفة لمصالحها . ومن المحـتم أن نجد الوسيلة العملية لتنفيذ هذا المطلب" المصدر : هيكل - ص ١١٠. ■

الفصل السابع

خريطة جديدة للعالم
جغرافيا (مغتصبة) وتاريخ (مفترى عليه)

إن هذه الحرب (الحرب العالمية الأولى)
سوف تكون بلا فائدة إذا لم نستطع أن
نعطى للشعوب حقها فى تقرير مصيرها ،
بمن فى ذلك اليهود فى فلسطين "

لويد جورج

رئيس وزراء بريطانيا

وعـــد بلفـــور

" أقترح ضم سيناء إلى فلسطين "

ماينر تزهاجن
مدير العمليات في الشرق الأوسط

شهـد النصف الأول من القرن العشرين أخـطر فترات الزمن وأشدها قـسوة على مصير العـرب خاصة "فلسطين" ، فمنذ مطلع القرن العشـرين واندلاع الحرب العالمية الأولى فى جو عـالمى غير مستـقر لبروز أكثـر من قوة عسكرية على الصعـيد الدولى تسببت هذه القوى فى إشعال حربين عالميتين كانت نتيجـتهما تغيير الخريطة السياسية والجغرافية للعالم بأثره ، ولكن قبل أن نقفز فوق الأحداث ، فإن أهـم الأحداث قاطبة فى الصراع العربـى الصهيونى كانت الفـترة التى أعقبت ، بل التى صنـعت وأعقبت الحرب العالمية الأولى .

ففى تلك الفترة كان الغياب العربى على الساحة الدولية مؤكداً ، فالأقطار العربية أسيـرة إمبـراطورية مريضة ، فـرضت عليهـا الظروف أن تنضم إلى جانب ألمـانيا فى حـربها ضـد الحلفاء ومـستـعمـرات تلك الإمـبراطورية ، خـاصة فى الوطن العـربى مسـتعمرات حكـمها الاستـبداد والجهل والفـقر فأفرزت ولايات مـريضة اقتـصادياً

وسياسياً ، ومتخلفة اجتماعياً ومهملة كماً وكيفاً على الساحة الدولية ، ولم لا فهى ليست دولاً ، مستقلة لها رأى أو صوت سواء سلبى أو إيجابى ، ولذا كان الدور العربى متغيباً يدور فى فلك النسيان فى تلك الأحداث ، بعكس الحركة الصهيونية السياسية الجديدة .. فقد كانت فى قلب الأحداث .

كانت تلك هى الظروف التى سبقت إصدار وعد بلفور ، فقد ورد فى محضر جلسة مجلس الوزراء بالبريطانى تاريخ 3/ 9/ 1917 أثناء مناقشات الإعلان عن وعد الحكومة البريطانية لليهود بإنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين ، والذى سمّى وعد بلفور ، فقد عرض وزير الحربية فى مجلس الوزراء البريطانى "إيرل ديربى" على المجلس رغبة الصهيونية بتشكيل قوة من اليهود يطلق عليها اسم "الفيلق اليهودى" لتحارب بجانب صفوف الحلفاء بالرغم من وجود ما يقارب من أربعين ألف يهودى كانوا يحاربون بالفعل مع الحلفاء مندمجين تحت قيادتهم ، إلا أن الصهيونية اختارت 1917 الشهر التاسع أى قبل صدور وعد بلفور بأسابيع ، وبعد أن لاحت أو لمعت إشارات النصر لصالح الحلفاء ، فأرادوا أن يكونوا فى قلب الأحداث ، وأرادوا أن يكونوا قوة بجانب الحلفاء بفيلق خاص بهم يسمى الفيلق اليهودى تأكيداً لوجودهم وتأكيداً على حقهم فى قطف ثمار النصر ، ووافق مجلس الوزراء البريطانى .

وفى الثانى من نوفمبر 1917 صدر وعد بلفور والملاحظ هنا أن اللورد "أرثر بلفور" وزير خارجية بريطانيا وجه وعده مباشرة إلى المؤسس الفعلى للحركة الصهيونية السياسية الجديدة وزعيم اليهود فى العالم وهو اللورد "جيمس روتشيلد" وكان نصه كالتالى :

وزارة الخارجية 2 نوفمبر 1917

عزيزى اللورد روتشيلد :

"إنه من دواعى سرورى الكبير أن أنقل إليكم باسم حكومة صاحب الجلالة، الإعلان التالى عن التعاطف مع الأمانى اليهودية والصهيونية الذى تم عرضه وإقراره بواسطة مجلس الوزراء ونصه كما يلى :

"إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بالعطف إلى إنشاء وطنى قومى للشعب اليهودى فى فلسطين . وسوف تبذل قصارى جهدها لتسهيل تحقيق هذا الهدف . ومن المفهوم أن هذا الإعلان لا يمثل تحيزاً ضد الحقوق المدنية والدينية لطوائف غير يهودية موجودة فى فلسطين . كما أنه لا يؤثر على الأوضاع القانونية أو السياسية التى يتمتع بها اليهود فى البلاد الأخرى . وسأكون شاكراً لكم إذا تفضلتم وأبلغتم هذا الإعلان لعلم الاتحاد الصهيونى" .

المخلص

آرثر بلفور

هذا على صعيد الحركة الصهيونية ودورها فى الأحداث ، أحداث الحرب العالمية الأولى ونتائجها .. ثم صدور وعد بلفور الشهير بالإعلان عن الهدف المتحرك فوق أرضية الاستراتيجية التى أصبحت قريبة من التحقيق بعد احتلال فلسطين وطرد الوجود التركى وانهزام الإمبراطورية العثمانية .

واقتربت النيران أكثر فأكثر من المنطقة العربية ذاتها ومن أجلها دون أن يدرى أصحاب هذه المنطقة ما يجرى حولهم فكل الدول العربية تعانى من جهل الاستبداد والحكم العثمانى ، ومصر مشغولة داخلياً بعد أن فُرِّغت من محتواها القومى إبان حكم "محمد على" وهى مشغولة بدرجة كبيرة بثورة 1919 ، والجاسوسية الصهيونية انقضّت على مصر وراء الاحتكارات والشركات والاقتصاد اليهودى ، وبدأت تلعب الصهيونية دوراً كبيراً فى توجيه تفكير وهموم الشعب المصرى نحو مسائل داخلية فقط لمقاومة الفساد والاحتلال الإنجليزى ، وبالتالى فكان كل الشعب المصرى مهموماً بثورة 1919 وسعد زغلول ونضاله ضد الاحتلال الإنجليزى .

وعد الشرف

"عندما قابلته لأول مرة عرفت أننى عثرت على الرجل الذى جئت إلى الصحراء العربية باحثاً عنه"

توماس إدوارد لورانس

كانت الحركة الصهيونية العلنية ، وخاصة بعد وفاة هرتزل أو القضاء عليه فى يوليو 1904 قد اجتازت أو قطعت خطوات كبيرة وهامة على طريق الهدف (وعد بلفور 1917) للوصول إلى الاستراتيجية البريطانية الأوروبية التى كان قد أدخل عليها بعض التعديلات لظروف المتغيرات الجديدة فى العالم وكان أهم هذه المتغيرات على الاستراتيجية هى :

1 - إن بريطانيا يجب أن تحتفظ بسيطرة كاملة على ساحل البحر المتوسط من غربه حتى لواء الاسكندرونة (الاسكندرية - الاسكندرونة) .

2 - أن الأماكن المقدسة فى الشرق العربى لكل الأديان مثل (مكة - القدس - النجف وكربلاء) يجب أن تكون تحت الحماية البريطانية .

3 - أن بريطانيا من الممكن أن تفكر جدياً فى التمهيد لإقامة خلافة إسلامية من المشايخ بحيث يكونون تابعين لها ومتأكدة من ولائهم لها لتحل هذه الخلافة محل خلافة العثمانيين .

4 - أن العراق يجب أن يظل بالتحديد منطقة تابعة للإمبراطورية لأكثر من سبب (الهند - روسيا) .

ومن مصادفات القدر أن الصهيونية أقحمت نفسها فى قلب الأحداث والمشاركة فى صنعها ، لا فى مساعدتها فقط أو التعاطف معها ، بل كان "الفيلق اليهودى" هو جيش الصهيونية الذى شارك فى صنع النصر فى الحرب العالمية الأولى .

أما العرب فقد وقفوا فاقدين قدرتهم غير قادرين على تحديد هدفهم ، حتى إن الوثيقة رقم 783/ 2768-379 من الوثائق البريطانية إبان تلك الفترة ، وهى تحمل تعليمات موجهة إلى السير "هنرى ماكماهون" المعتمد البريطانى فى مصر وإلى البريجادير "جلبرت كلايتون" رئيس المخابرات البريطانية بالقاهرة وقد جاء فيها :

"إن الوقت قد أزف لكى يقوم العرب بدورهم فى مساعدة المجهود الحربى البريطانى فى المشرق . ونحن نرى أن ذلك يمكن أن يبدأ بدون نظر للحساسيات الفرنسية التى تريد منا أن نتشاور معهم فى كل كبيرة وصغيرة.

إنه من الضرورى لنا أن نلاحظ أن لدينا صداقات مع العرب لا تملكها فرنسا. بل إن بعض أصدقائنا العرب يكرهون الحكومة الفرنسية أكثر من كراهيتهم لحكومة السلطان فى استانبول .

لقد ناقشنا أفكار عزيز المصرى الجديدة كما عرضها عليكم . وكذلك ناقشنا أفكار غيره مثل نورى السعيد والسيد الفاروقى وحسن خالد والدكتور شهبندر وكذلك الشيخ رشيد رضا .

إننا نرى أن عزيز المصرى يحمل أفكاراً متشددة وقد يثير صعوبات فى المستقبل ، وفى نفس الوقت فإن نورى السعيد يظهر قدراً من الاعتدال يشجع على التعامل معه، وأن الشيخ رشيد رضا فيمكن ترك أمره إلى مرحلة لاحقة .

وفى الاتصالات مع هؤلاء جميعاً فإننا نريد مراعاة القواعد التالية :

1 - أن التعامل مع الشيوخ أثبت أنه أفضل .

2 - ليس من الضرورى أن نتعامل مع كل من يتصل بنا.

3 - يجب أن نحاذر فى هذه المرحلة من إعطاء أى تعهدات تفصيلية .

4 - ليس من الحكمة ترك الكتائب العربية تعمل فى مواطنها عند بدء العمليات.

5 - **لا بد من ملاحظة أنه فى هذه المنطقة ، فإن مـواقف معينة يمكن شراؤها بالمال.**

المصدر : مـحـمـد حـسنين هيكـل - الأسطورة والإمبـراطورية والدولة اليـهودية - ص 102- سبق ذكره

وهذه الوثيقـة تكشف عن عدة حـقائق هامة يمكن من خـلالها المقـارنة بين موقف العرب ومـوقف الصهـيونيـة خلال تلك الأحداث ، والـوثيقة على أية حـال تكشف الحقائق التالية :

1 - أن الإمبراطوريـة البريطانية هى صاحـبة الاستراتيجـية والمهيمنة عليـها وعلى تنفيذها بغض النظر عن الأدوار الثانوية للتحالف الدولى معها .

2 - أن الإمبـراطورية ممثلة "للحلفاء" تطلب من الـعرب أن يكون لهم دور ، وأن دورهم قد حان لمسـاعدتها ، بينما الصهيـونية تفرض نفسهـا وتشارك بفيلق ليكون لها نصيب الأسد "الهدف" فى توزيع التركة والغنائم بعد الحرب .

3 - أن هناك حركـة على السطح ، ومهمـا تكن بسيطة فهى حـركـة قد دبـت فى الوطن العربى ، ممثلة فى عدّة اتجاهات منها :

أ - الثـورة العـربية الكبـرى كـمـا أطلق عليهـا التـاريخ "الشريـف حسين فى مكة" ومـا أحدثته هـذه الثورة من حركـة ليس فقط داخل الجـزيرة العربيـة بل فى الشام والعراق .

ب - القوميون العـرب وظهورهـم بدور ، وإن كان يكاد يكون "صـفراً" بجـانب الدور الصـهيـونى ، إلا أنه كان دوراً "مـحلياً" فـقط ، الهدف منه التـخلص من الاحـتلال الـتركى ومـقـاومـة الاحتـلال الفـرنسى الجديد.

جـ - بعض القيـادات الوطنية فى الجـيوش العربيـة مثل عزيز المصرى فى مصر ونورى السعيد فى العراق .

د - بعض القيادات الإسلاميـة ممثلة للتيار الإسلامى مثل الشيخ "رشيد رضا" تلميذ "محمد عبده" فى مصر .

هـ - بعض قيادات القـبائل العربية ممثلة فى "عـبد العزيز آل سعود" .

4 - أن الإمبراطورية البريـطانية قد حددت هدف تعاملها مع الحركـة العربية التى بدأت تنشط وأمسكت بخـيوط التحرك العربى جمـيعاً ، فقد قـررت إسقاط التيار القـومى وعدم التعامل معـه أو الحرص فى التعامل معـه ممثلاً فى عزيز المصرى ، كما استبعدت التيـار الإسلامى نهائياً ممثلاً فى الشيخ "رشيد رضا" تلميذ مـحمد عبده ، وفـضلت التعامل والاتصال بالشيـوخ والأمراء العرب سواء فى نجد عبـد العزيز آل سعود أو احتواء الثورة العـربية الكبرى وقائدها الشريف حسين الذى أولته الإمـبراطورية اهتماماً ، أكثـر من أى اهتمام آخر لأى دور عربى .

وعلى الفـور كلفت بريطانيـا ضابط الارتبـاط البريطانـى ليتـولى التنسيق مـا بين الإمبراطورية وجـيوشها وبين الشريف حسين ، كـان هذا الضابط هو "توماس إدوارد لورانس" الشهير بـ"لورانس العرب" .

كان لورانس قـد أعجب بالابن الثالث للشـريف حسين "الأميـر فيصل" باعتـباره النقطة الضعيـفة والشخصية السهلة للتـعامل والاختراق ، حيث كان الأمـير عبد الله بن الشريف حسين أكثر خبرة وشدة .

وكـان رأى "لورانس" أن "عبـد الله" أكـثر ثقـافة وألمع ذكـاء لكنه رجل يصـعب الاطمئنان إليه وأما فيصل ، فقد قال لورانس فى وصفه باختصار :

"عندمـا قابلـته لأول مـرة عرفـت أننى عثـرت على الرجل الذى جـئت إلى الصحراء العربية باحثاً عنه" .

وفى هذه الظروف كتب السير "هنرى ماكماهـون" المعتمد البريطانى فى مصر إلى الشريف حسين رسالة حاء فيها بالنص :

"إلى السيـد الحسيب النسيب سلالة الأشراف وتاج الفـخار وفرع الشـجرة المحـمدية والدوحـة القرشيـة الأحمـدية ، صاحب المقام الرفـيع ، والمكانة السامـية السيـد ابن السيد، والشـريف ابن الشريف الجليل المبـجل الشريف حسين سـيد الجمـيع ، أمير مكة المكرمـة قبلة العالمين ومـحط رحال المؤمنين الطائعين عمت بركته الناس أجمعين .

بعد رفع مرسوم وافـر التحيات العطرة والتسليمات القلبـية الخالصة من كل شـائبـة نعـرض أن لنا الشـرف لتـقـديم واجب الشكر لإظهـاركم عـاطفـة الإخلاص وشرف الشعور والإحساس نحو الإنجليز ، وقد سرّنا علاوة على ذلك أن نعلم أن سيـادتكم ورجالكم على رأى واحد ، وأن مصـالح العرب هى نفس مصـالح الإنجليز والعكس بالعكس . وبهـذه المناسبـة فنحن نؤكد لكم أقوال فخامة اللورد "كيتشنر" التى وصلت إلى سيادتكم وهى التى كان موضحاً بها رغبتنا فى استقلال بلاد العرب وسكانها مع استصوابنا للخلافة العربية عند إعلانها .

وإنّا نصرح هنا مرة أخرى أن جلالـة ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة إلى يد عربى صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة .

وأما من مسـألة الحدود والتخوم ، فـالمفاوضة فيـها تظهر أنها سـابقة لأوانها وتصرف الأوقـات سدى فى مـثل هذه التفـاصيل فى حـالة أن الحرب دائرة رحاها" .

وقام الشريف حسين بالرد على السير ماكماهون كاتباً :

"إلى حضرة ذى الأصالة فخامة نائب جلالة الملك دام مرعياً

وبعد .

فبأيدى التوقير والاحتشام تلقـينا رقيمكم (خطابكم) الأخير ، وأن مضامينه أدخلت علينا مـزيداً من الارتيـاح والسـرور لحـصـول التـفـاهم المطلوب

والتقارب المرغوب .

أسـأل الله أن يسهل المقـاصد ، وينـجح المساعى ، ومن الإيضـاحات الآتيـة تفهم الفخامة الأعمال الجارية والأسباب المقتضية :

أولاً : قد أعلمنا فخامتكم بأنا بعثنا أحـد أنجالنا إلى الشام ليرأس ما يقتضى عمله هناك ......

ثانياً : عـزمنا على إرسال نجلنا الكبير إلى المدينة المنورة بقـوة كافية ليكون دعماً لأخيه الذى بالشام .....

بقى علينا بيان ما نحتاجه والحالة هذه هو :

أولاً : مبلغ خمسون ألف جنيـه ذهباً لمشاهرة القوات المجندة ونحـوها مما ضـرورتـه تغنى عن بيـانه ، فـالـرجـاء إحضارها بوجه السرعة الممكنة .

ثانياً : إحضـار عشرين ألف كيس أرز وخـمسة عشر كـيساً من الدقـيق وثلاثة آلاف كـيسـاً من الشـعيـر ومـائة وخمـسين كيسـاً من بن القهـوة ومثلها سكر ومـقدار مائة صندوق من النوع المرسل منه مرميتين طيه .

النقود المطلوبة يقتضى إرسالها فى الحـال إلى أمير بور سودان ، وسيرده من طرفنا معـتمد يتسلمهـا إما دفعة واحـدة أو دفعتين على حسب اسـتطاعته . وهذه علامة اعتماد الرجل (T) .

المصدر : السابق ص 105 : 106

ومن هنا يمكننا أن نقـارن مقـارنة موضـوعيـة بين التفكيـر الصهـيونى .. الحـركة الصهـيونية وبين التفكيـر العربى .. والحركة العـربية ، على ضوء فهم مـا يجرى من أحـداث هامة وخطيـرة صنعت خـريطة جـديدة وتاريخاً جـديداً فى المنطقـة ، تاريخ وجغرافية خاضعة للاستراتيجية البريطانية والحلفاء .

فمن رسالة نائب الملك السير "هنرى ماكماهون" إلى الشريف حسين ورد الشريف حسين عليه يتضح الآتى :

1 - أن البريطانيين قد قيّموا العرب تقييماً دقيقاً خاصة الذين سموهم "الشيوخ" وتغلغلوا إلى بنات أفكارهم ، لذلك جاءت رسالة نائب ملك بريطانيا كلها مدح وألقاب وتكريم وتبجيل .. الخ من صفات فاقت حتى المدح الذى تفنن فيه العرب تقرباً وتزلفاً من الحكام العرب ، وهى لغة غير دارجة لدى الإمبراطورية البريطانية ، التى جعلت لها خطاباً خاصاً لمخاطبة الشيوخ العرب ، تدرك فيه الإمبراطورية نفسها أنه خطاب "نفاق" لكن هذه هى الضرورة التى تعلم أنها مفتاح شخصية "الشيوخ" العرب .

2 - أن الإمبراطورية تتسلّل إلى طموح وطمع "المشايخ" العرب وتؤكد على جزء من التعديل الذى ورد على استراتيجيتها فتعلن "أن جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة إلى يد عربى صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة" .

3 - أن الإمبراطورية تؤكد فى رسالتها على خطتها بعدم إعطاء أى "وعد رسمى" مثل "وعد بلفور" للعرب بل اكتفت بإعطاء "وعد شرف" بإعطاء دولة خلافة عربية تحل محل الخلافة العثمانية ولم تتفق على تحديد حدود الدولة للشريف حسين .

4 - أن الحكومة البريطانية تعى جيداً حتى لو قامت بإعطاء أى دولة أو جزء من أى دولة إلى الشريف حسين ، فإن هذا فى رأيها هو ترسيخ وتأكيد لاستراتيجيتها ، حيث أيقنت أن مثل هؤلاء "الشيوخ" يمكن أن يُشتروا بالمال كما جاء فى الوثائق البريطانية لتلك الفترة ، الوثيقة رقم 783/ 2768 - 379 وأن هذا جزء من ضمان ولاء هؤلاء "المشايخ" لها لذلك نرى عقلية قائد الثورة العربية الكبرى.كما كتب عنها التاريخ يطلب بالإضافة إلى النقود الذهب ، الأرز والسكر والقهوة والدقيق والشعير ومائة صندوق آخر (لا

نعرف نوع العينة التى أرسلها إلى نائب الملك ليرسل له مثلها) .

كان هذا هو التفكير العربى والحركة العربية ، وبدلاً من أن تقتحم الأحداث وتفرض نفسها وجدناها كما عبرت عنها الرسائل المتبادلة تعكس التفكير الصهيونى والحركة الصهيونية التى قدمت بالإضافة إلى أربعين ألفاً من اليهود فى صفوف القوات البريطانية ، وقبل نهاية الحرب قدمت فى أول عام 1917 "فيلقاً يهودياً" يحارب بجانب الحلفاء .

ولم تطلب دقيقاً أو أرزاً أو شاياً أو بناً وإنما قدم روتشيلد الذهب لشراء بريطانيا العظمى حصة مصر فى قناة السويس .

ومع أنه كان هناك أضعاف هذا العدد من الجنود العرب منخرطين فى صفوف الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى بأمر من الإمبراطورية البريطانية التى كانت محتلة لمصر والعراق وغيرها .

إلا أن مواقف "الشيوخ" هى التى "سادت" بعد "استبعاد" مواقف الضباط الوطنيين أمثال عزيز المصرى والمفكرين أمثال الشيخ رشيد رضا - "وطبعت" هذه المواقف الصورة القائمة على وزن العرب مقابل وزن الصهاينة أمام استراتيجية الحلفاء الطامعين أصلاً فى ثروات العرب وموقع الوطن العربى .

فكان لكل موقف "قدره" ولكل تأثير "فعله" .

وكان "السير سايكس" يعى ذلك جيداً عندما التقى بالقنصل العام لفرنسا المسيو "بيكو" الذى أوفدته فرنسا قنصلاً لها بالقاهرة ليكون على مقربة من صنع الأحداث وتنفيذ الاستراتيجية التى كانت فرنسا تشك فيها دائماً حاملة فى عقلها هاجساً من خيانة الإنجليز لها ، وذلك من أجل رسم خريطة جديدة للعالم تؤكد انطلاقة تحقيق الاستراتيجية التى وضعها "نابليون" وأشرف عليها "بالمرستون" وعمقها وجذرها "دزرائيلى" وأعلن عن هدفها "أرثر بلفور" وظلت أوراقها وخرائطها سراً بين "سايكس" و"بيكو" .

سايكس الذى لم يكن يهودياً بل صهيونياً أكثر من الصهاينة أنفسهم بحكم انتمائه الفكرى والروحى إلى "دزرائيلى" أول رئيس وزراء يهودى للإمبراطورية البريطانية ، حيث كانت والدة السير سايكس "الليدى" هنريتا سايكس" عشيقة دزرائيلى لسنوات طويلة ، وذلك طبقاً لتاريخ حياة دزرائيلى الذى نشرته "جين رايدلى" فى لندن عام 1995 .

وكان مارك ابن هنريتا موضع اهتمام دزرائيلى الذى أثر فى تكوينه فأصبح صهيونياً عقائدياً .

وخُطّتْ معاهدة سايكس - بيكو سراً بأيد صهيونية ، كان لسايكس فيها الغلبة والتفوق على بيكو ، وكان للصهاينة فيها الوعد بإنشاء وطن قومى لليهود بفلسطين ، وأيضاً التغلب على العرب و"شيوخهم" وقطف الصهاينة ثمار حركتهم ، وقفزوا قفزة نوعية على طريق هدفهم ، أما خرائط سايكس - بيكو عام 1915 فظلت "سراً" غير مكشوف عنها سواء "لشيوخ" العرب أو القوميين العرب ، حتى تم الإعلان عنها بعد قيام ثورة البلاشفة فى روسيا عام 1917 .

أما عن مصر ، فظلت بعيدة عن الشام ، وهذا هو أول هدف من أهداف الاستراتيجية ، ورغم ذلك ولأهمية مصر بالنسبة للإمبراطورية البريطانية واستراتيجيتها ، قام اللورد "اللنبى" قائد الجيوش البريطانية المنتصر بعد تعيينه معتمداً بريطانياً فى مصر تشغله أحوال المنطقة بإرسال مذكرة غاية فى الأهمية إلى رئيس وزراء بريطانيا تحمل توقيع الكولونيل "ريتشاردماينر تزهاجن" مدير العمليات فى الشرق الأوسط جاء فيها بالنص :

"عزيزى رئيس الوزراء

طلب منى الماريشال اللنبى أن أرسل إليكم مذكرة غير رسمية عن السيادة على سيناء . وهو موضوع له أهمية خاصة لا بالنسبة للظروف الراهنة فحسب ، بل بالنسبة إلى السنوات القادمة أيضاً . واسمحوا لى بتناول هذا البحث بإسهاب :

إننا نسير بحكمة زائدة ، مستهدفين السماح لليهود بإنشاء وطنهم القومى فى فلسطين ، فقد حررنا العرب من النير التركى ، ولن نستطيع البقاء فى مصر إلى الأبد، وقد تمخض مؤتمر الصلح عن وليدين ، القومية اليهودية والقومية العربية ، وشتان بينهما ، فالأول يمتاز بحيويته ونشاطه ، على حين يمتاز الثانى بكسله وخموله المكتسبين من الصحراء .

يضاف إلى ذلك أن اليهود بالرغم من تشتتهم يمتازون بولائهم ورقة شعورهم وعلمهم .. كما أنهم قدموا لبريطانيا أحد رؤساء حكوماتها الممتازين "دزرائيلى" ، وسيلتصق العرب واليهود من الآن إلى خمسين سنة بقوميتهم ، وسوف يزدهر الوطن القومى اليهودى إن عاجلاً أو آجلاً ويصل إلى مرحلة السيادة ، وإنى أفهم أن بعض أعضاء حكومة جلالته يتطلعون إلى هذه المرحلة . وكذلك ستتطور القومية العربية إلى مرحلة المناداة بالسيادة من المحيط إلى الخليج .. ومما لا شك فيه أن السيادتين العربية واليهودية ستصطدمان ، وإذا قدر لمشروع الهجرة اليهودية إلى فلسطين أن ينجح ، فإن الصهيونية ستتوسع على حساب العرب دون سواهم .

وسيبذل العرب قصارى جهدهم للقضاء على قوة وعظمة فلسطين اليهودية، وهذا يعنى سفك الدماء .

وبريطانيا تتحكم الآن فى الشرق الأوسط ، ونحن لا نستطيع أن نكون أصدقاء للعرب واليهود فى آن واحد ، وأنى أقترح منح الصداقة لليهود وحدهم ، بتقدير أنهم الشعب الذى سيكون صديقنا المخلص الموالى فى المستقبل .

إن اليهود مدينون لنا كثيراً وهم يحفظون لنا هذا الجميل .. وسيكونون ثروة لنا ، بعكس العرب الذين سيكونون سلبيين معنا برغم خدماتهم لنا .

وسوف تكون فلسطين حجر الزاوية فى الشرق الأوسط ، فبينما تحدها الصحراء من جهة ، يحدها البحر من جهة أخرى ، ولها ميناء طبيعى ممتاز (حيفا) وهو أحسن ميناء على الساحل الشرقى للبحر المتوسط ، ثم إن اليهود برهنوا على كفاءتهم الحربية منذ احتل الرومان البلاد ، على حين

يمتاز العربي بقسوته في الحروب وحبه للسلب والتدمير والقتل .

والآن دعني أتكلم عن فلسطين بالنسبة لمصر :

ففي حالة تطور السلاح من طائرات ودبابات، سيكون الفصل في المعركة للسلاح الأحدث، والشجاعة وقوة الأعصاب والصبر، ولذلك فإني أرى في مصر العدو المسلح لليهود . وبتطور القوميتين العربية واليهودية إلى مرحلة السيادة ، وبخسارتنا قناة السويس في سنة 1968: أي بعد 47 سنة فإن بريطانيا ستخسر مراكزها في الشرق الأوسط .

ولتقوية هذه المراكز ، أقترح ضم سيناء إلى فلسطين فقبل سنة 1906 كان الحد التركي المصري ممتداً من رفح في الشمال إلى قرب القناة ، وكان شرقي سيناء وجنوبيها قسماً من الحجاز الخاضع للعثمانيين . وفي أكتوبر 1906 مُنِحَتْ مصر حق إدارة سيناء حتى الخط الممتد من رفح إلى رأس خليج العقبة .

أما ملكيتها فبقيت لتركيا. وقد احتلها اللورد اللنبي بجيشه البريطاني دون مساعدة الجيش المصري، فأصبح مصيرها منوطاً بقرار من الحكومة البريطانية المحتلة.

وفي حالة ضم سيناء إلينا ، فإننا نربح حداً فاصلاً بين مصر وفلسطين ، وتؤكد لبريطانيا مركزاً قوياً في الشرق الأوسط مع اتصال سهل بالبحرين الأبيض والأحمر، وقاعدة استراتيجية واسعة النطاق مع ميناء حيفا الممتاز الذي سنستعمله بموافقة اليهود .

ومن حسنات هذا الضم أنه سيحبط أي محاولة مصرية لإغلاق القناة في وجه ملاحتنا ، كما سيمكننا من حفر قناة تربط بين البحرين المتوسط والأحمر ، ثم إن ضم سيناء لن يثير أية قضية قومية ضدنا ، إذ أن البدو الرحل المقيمين فيها لا يتجاوزون بضعة آلاف" .

إمضاء

ماينرتزهاجن

المصدر السابق ص 115 : 116

كان فى مقابل "وعد بلفور" لليهود "وعد شرف" للعرب قطعته الإمبراطورية البريطانية للأمراء الهاشميين (الشريف حسين وأبنائه) .

وغداة صحوة الشعب العربى إثر صدمته الكبرى بإعلان وعد بلفور الذى اشتهر بتعبير الشعب العربى عنه أو ترديدهم عبارة :

"أعطى من لا يملك من لا يستحق"

وكانت صدمة الشعب العربى غير موضوعية ، فلا الشعب يعى كل مراحل التطور الصهيونى فى أوروبا ، هذه الحركة السياسية التى وصلت لقيادة الإمبراطورية البريطانية مباشرة "دزرائيلى" ، ولا يعى المخططات الأوروبية الاستعمارية الصليبية للثأر من "حطين" وضرورة فصل شرق الوطن عن غربه بزرع كيان غريب يكون شوكة فى ظهر الأمة العربية . ولا الشعب العربى يعى ما يدور حوله من كل هذه المؤامرات ، ولا يصدق أن الحرب العالمية الأولى كانت من أجل ولطمع واحتلال الوطن العربى وتقسيمه بين الحلفاء ، فإن انتصرت بريطانيا وفرنسا ، قُسِّم الوطن بينهما ، وإن انتصرت ألمانيا وتركيا قُسِّم الوطن بينهما .

ولا الشعب العربى يدرك ما يخطط من مؤامرات صهيونية واستعمارية صليبية من حوله ، كل ما كان يدركه الشعب العربى هو البحث عن الخلاص من الاستعمار والاستبداد والجهل التركى المحتل ، ثم الاستعمار الجديد الذى طرأ على جزء هام من قلب الوطن (مصر) واحتلالها عام 1882 من قبل الاستعمار الإنجليزى .

حتى إن زعماء الوطن ورجاله المخلصين أمثال مصطفى كامل لم يدركوا بوعيهم هذه المؤامرة المربوطة من الصهيونية والصليبية فذهب إلى هرتزل يطلب منه مساعدته فى قضيته النضالية ضد الاحتلال البريطانى لمصر والتنديد بحادثة دنشواى .

وأمام هذه الدوامة الكبرى التى أطاحت بفكر الأمة ، كانت رموز ما يسمى بالثورة العربية (الشريف حسين وأبناؤه) وقادتها خاصة انتماؤهم إلى الهاشميين فى مكة فى انتفاضتهم ضد الحكم العثمانى أملاً كبيراً أخذ بكل عواطفهم وجنح بهم

حتى تم اصطدامه بوعد بلفور 1917 ، ونتائج معاهدة "سايكس بيكو" 1915 ، التى أذاعتها الثورة البلشفية ، وعندما استطاعت هذه الصدمة أن تعيد لهم توازنهم ، وإذ بالمؤامرات تأخذهم من جديد معلنة عن تورط الأمراء الهاشميين مع الحركة الصهيونية الصليبية وخروجهم حتى عن طاعة والدهم "بمكة" فهذا هو الأمير "فيصل بن الشريف حسين" أبرز قادة ما يسمونه بالثورة العربية يجتمع مع زعيم الحركة الصهيونية أو رئيس المنظمة الصهيونية العالمية وايزمان ، ويوقّع أول أمير هاشمى، كان يوماً ما أمل القوميين العرب وكافة الشعب العربى، يوقع اعترافاً صريحاً مع وايزمان بالتخلى عن فلسطين وإعطائها لليهود، وأبعد من ذلك، فالشريف حسين نفسه يقر إقراراً خطيراً لمبعوث الإمبراطورية البريطانية إليه بعد إعلان بلفور، حيث شهد هذا المبعوث ويدعى الكوماندر "هوجارت" من مخابرات الإمبراطورية بالقاهرة وقال :

"كان رد الشريف حسين يفيد باستعداده لقبول صيغة وعد بلفور" .

وروى الكوماندر "هوجارت" فى تقريره لوزارة الحرب فى لندن قائلاً :

"إن الشريف حسين وافق بحماسه قائلاً : إنه يرحب باليهود فى كل البلاد العربية" .

وكأن صدى الترحيب باليهود الذى أطلقه أبو الأمراء الهاشميين فى مكة تردد رجع صداه إلى الأمير فيصل فى "العقبة" وهو يوقع أول معاهدة سلام فى تاريخ الصراع العربى الإسرائيلى وحتى قبل أن يبدأ من طرف العرب ، وحتى قبل تكوين الدولة الصهيونية .

و"الصدفة" ، أو "القدر" وحده تكون هذه الاتفاقية فى "العقبة" - وكأن العقبة بها لعنة على مصير الوطن العربى .

وجاء فى هذا الاتفاق أو أول معاهدة سلام بين العرب والصهاينة يمثل الطرف العربى الأمير الهاشمى قائد الثورة العربية الطموح الذى استولى عليه "لورانس"

ويمثل الطرف الصهيوني "حاييم وايزمان" رئيس المنظمة الصهيونية العالمية وذلك في الأسبوع الأول من شهر يناير 1919 .

المصدر : جورج أنطونيوس - كتاب يقظة العرب

وكان نص الاتفاق على النحو التالي :

"إن صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ممثل المملكة العربية الحجازية والقائم بالعمل نيابة عنها ، والدكتور حاييم وايزمان ممثل المنظمة الصهيونية والقائم بالعمل نيابة عنها ، يدركان القرابة في الجنس والصلات القديمة القائمة بين العرب والشعب اليهودي . وهما متأكدان أضمن الوسائل لبلوغ غاية أهدافهما الوطنية هو في الأخذ بأقصى ما يمكن من أسباب التعاون في سبيل تقدم الدولة العربية وتقدم فلسطين ، ولكونهما يرغبان في زيادة توطيد حسن التفاهم الذي يقوم بينهما فقد اتفقا على المواد التالية :

1 - يجب أن يسود جميع علاقات والتزامات الدولة العربية وفلسطين أقصى درجة من النوايا الحسنة والتفاهم المخلص ، وللوصول إلى الغاية تؤسس وتقوم وكالات عربية ويهودية معتمدة حسب الأصول في بلد كل منهما .

2 - تحدد بعد إتمام مشاورات مؤتمر السلام (فرساي) مباشرة الحدود النهائية بين الدولة العربية وبين فلسطين من قبل لجنة يتفق على تعيينها من قبل الطرفين المتعاقدين .

3 - عند وضع دستور لإدارة شئون فلسطين تتخذ جميع الإجراءات التي من شأنها تقديم أوفى الضمانات لتنفيذ وعد الحكومة البريطانية المؤرخ في اليوم الثاني من شهر نوفمبر 1917 (وعد بلفور) .

4 - يجب أن تتخذ جميع الإجراءات لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين على مدى واسع والحث عليها وبأقصى ما يمكن من السرعة لاستقرار المهاجرين في الأرض عن طريق الإسكان الواسع والزراعة الكثيفة . ولدى اتخاذ مثل هذه الإجراءات تحفظ حقوق الفلاحين والمزارعين

والمستأجرين العرب ويجب مساعدتهم فى سيرهم نحو التقدم الاقتصادى .

5 – يجب أن لا يسن نظام أو قانون يمنع أو يتدخل بأى طريقة فى ممارسة الحرية الدينية .

6 – أن الأماكن الإسلامية المقدسة يجب أن توضع تحت رقابة المسلمين .

7 – تقترح المنظمة الصهيونية العالمية أن ترسل إلى فلسطين لجنة من الخبراء لتقوم بدراسة الإمكانيات الاقتصادية فى البلاد ، وأن تقدم تقريراً عن أحسن الوسائل للنهوض بها . وستضع المنظمة الصهيونية اللجنة المذكورة تحت تصرف الدولة العربية بقصد دراسة الإمكانيات الاقتصادية فى الدولة العربية، وأن تقدم تقريراً عن أحسن الوسائل للنهوض بها. وسوف تستخدم المنظمة الصهيونية العالمية أقصى جهودها لمساعدة الدولة العربية بتزويدها بالوسائل لاستثمار الموارد الطبيعية والإمكانيات الاقتصادية فى البلاد .

8 – يوافق الفريقان المتعاقدان أن يعملا بالاتفاق والتفاهم الكاملين فى جميع الأمور التى شملتها هذه الاتفاقية لدى مؤتمر الصلح .

٩ – كل نزاع قد يثار بين الفريقين المتنازعين يجب أن يحال إلى الحكومة البريطانية .

فيصل　　　　وايزمان

وأمام هذه الاتفاقية الخطيرة الأولى بين العرب والصهاينة ، نجد أن :

١ – الأمير فيصل قد أقر فى أكثر من مرة بأن "فلسطين هى دولة الصهاينة" كما نرى فى جملة "حسب الأصول فى بلد كل منهما" ، علماً بأن الصهيونية لم تكن بعد قد أقامت دولتها ! !

2 – كما أن الأمير فيصل ، لم يوافق فقط على وعد بلفور ، بل أقر أنه سينفذ هذا الوعد . (البند الثالث من الاتفاقية) .

3 - أن الأمير فيصل أصبح مجنداً ضمن آلية الحركة الصهيونية ، حيث أقر فى البند الرابع اتخاذه جميع الإجراءات لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين ... الخ .

إلى آخره من أمور جعلت أو "أصابت" كل الشعب العربى فى مقتل وهو يرى "أمله" فى الأمير الهاشمى ينهار إلى الحد الذى يكون ترساً فى عجلة الحركة الصهيونية .

وكانت مكافأة الأمير أنه تم طرده من سوريا وفقاً لنتائج مؤتمر "فرساى" ، حيث أصبحت سورية تابعة لفرنسا بحكم اتفاقية "سايكس - بيكو" وقرارات "فرساى" .

ولكن "وعد الشرف" من "لورانس" أهداه العراق ليس "لفيصل" ولكن للاستراتيجية البريطانية .

كما أهدى "لورانس" أيضاً شرق الأردن للأمير عبد الله سنة 1921 ؛ ولقبه أميراً عليها ليس لتعويض "عبد الله" ولكن للاستراتيجية البريطانية .

أما الشريف حسين نفسه فكانت مكافأته أن زحف عبد العزيز آل سعود من نجد بمساعدة أيضاً الإمبراطورية البريطانية وبسط نفوذه على الجزيرة العربية مقيماً أول مملكة فى هذه الجزيرة لآل سعود سميت بالمملكة العربية السعودية ليس فقط لمكافأة عبد العزيز آل سعود من الإمبراطورية البريطانية على مواقفه مع الحكومة البريطانية فى الهند ، وإنما أيضاً للاستراتيجية ، وتمت المصادقة على الخريطة السياسية الجديدة للشرق الأوسط (الوطن العربى) بختم المستر "ونستون تشرشل" وزير المستعمرات البريطانية ، حيث عقد بالقاهرة مؤتمراً سمى بمؤتمر القاهرة فى الفترة من 12 - 14 / 3/ 1921 أصدر المؤتمر القرار التالى :

"عقد وزير المستعمرات البريطانية ونستون تشرشل مؤتمراً عاماً لشئون الشرق الأوسط فى القاهرة فى الفترة ما بين 12-1921/3/14 وقد شارك فى المؤتمر معه السير "بيرس كوكس" ممثل "مكتب الهند" ، والسير "هربرت

صموئيل" (الحاكم المعين لفلسطين - "وهو يهودى") ويشارك فيه من الخبراء كل من الميجور "لورانس" والميجور "كلايتون" من المخابرات العسكرية والسياسية" والمستر "كورنواليس" والآنسة "جرترودبل" من مخابرات وزارة المستعمرات" وأصدر المؤتمر قراراً : يقدم عرش العراق إلى الأمير فيصل (ملك سوريا المخلوع) وقراراً ثانياً يقدم إمارة شرق الأردن إلى الشريف عبد الله ، الابن الأكبر للشريف حسين" .

وأصبحت هناك خريطة جديدة للوطن العربى أو لشرق الوطن العربى كالتالى :

1 - المملكة العربية السعودية : أسرة آل سعود .

2 - مملكة العراق : للملك فيصل .

3 - إمارة الأردن أو مملكة الأردن : للأمير عبد الله أو الملك عبد الله .

4 - سورية (وتضم دمشق - حلب - لبنان) احتلال فرنسى .

5 - فلسطين : لليهود عليها حاكم بريطانى يهودى هو "هربرت صموئيل" .

6 - وباقى دول الخليج العربى كانت تحت السيطرة الإمبراطورية البريطانية ■

الفصل الثامن

الصهيونية
أسباب ونتائج الحرب العالمية الثانية

"كى تنجح الصهيونية يجب أن تحصلوا على دولة يهودية لها علم يهودى ولغة يهودية"

"موسولينى"

"يجب دعم الصهيونية بكل قوة ، حتى يتسنى نقل مجموعة كبيرة من اليهود الألمان إلى فلسطين سنوياً"

"ألفريد روزنبرج"
من كبار منظرى الفكر النازى

الصهيونية والانتفاضة الفلسطينية الأولى

لم تمض عشرون سنة على انتهاء الحرب العالمية الأولى ، إلا واشتعلت من جديد الحرب الكونية الثانية أشد ضراوة فى أسبابها ونتائجها ، وكان بين الحربين صراع صهيونى تقوده الحركة الصهيونية السياسية الجديدة للاستفادة من النتائج التى حصلتْ عليها، بداية من وعد بلفور ونتائج مؤتمر فرساى ، معتمدة على الخريطة السياسية الجديدة التى تم رسمها لمنطقة الشرق الأوسط، فراحت من ناحية تعبئ كل يهود العالم فى أوروبا شرقاً وغرباً وأمريكا وشمال أفريقيا ، وذلك لتشجيعهم على النزوح إلى فلسطين ، عبر آليات العمل العديدة التى أنشأتها لهذا الغرض، ومن ناحية أخرى كانت عيناها على المتغيرات التى سادت العالم عقب نتائج الحرب العالمية الأولى أو حتى خلالها .

وركزت الصهيونية السياسية الجديدة فى استراتيجيتها على عدة مؤثرات قد تقلب موازين القوة ، إن لم تؤثر فيها على الأقل ، وقد بنت استراتيجيتها فى الفترة ما بين الحربين على :

1 - نقل أكبر عدد من اليهود إلى فلسطين ، والإسراع فى بناء المستعمرات والمستوطنات وتوفير متطلبات المستقبل للإعلان عن دولة يهودية فى أقرب فرصة استناداً إلى وعد بلفور .

2 - التأكيد على معاداة الصهيونية للفاشية والنازية .

3 - الصهيونية وثورة البلاشفة والحركة الشيوعية وتحديد موقف منها .

4 - الصهيونية والولايات المتحدة باعتبارها قوة صاعدة ستفرض وجودها على أحداث العالم .

الثورة أو الانتفاضة الفلسطينية :

ظلت الأحداث تتلاحق على أرض فلسطين طيلة قرنين (القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر) ومع بداية القرن العشرين ، وفى أعقاب نتائج الحرب العالمية الأولى ومع إعلان بلفور الشهير 2/ 11/ 1917 واتفاقية السلام الأولى ، بين فيصل ووايزمان ، ومع تزايد الهجرة اليهودية واستعمارها للمناطق الاستراتيجية الهامة فى فلسطين (أجود الأراضى الزراعية - ملتقى الطرق - الأراضى الاستراتيجية) .

وأخيراً تنبه الفلسطينيون إلى المؤامرة التى أُحيكت ضدهم ، وبدأ الشعب الفلسطينى يتحرك مع الثلاثينيات من القرن العشرين .

فمع أوائل القرن العشرين ، وأمام رفض شكواهم وعرائضهم للحاكم البريطانى فى فلسطين ، الذى لم يفعل لهم شيئاً إزاء طردهم وتشريدهم من ديارهم والاستيلاء على أرضهم بالقوة ، فأنشئوا ما سمى وقتها بالمجلس الفلسطينى الأعلى ليواجه المجلس الصهيونى العالمى ، ومع مجىء سنة 1936 وبمقتل أحد الفلسطينيين قرب مستعمرة "بتاح تكفاه" يوم 16/ 4/ 1936 اندلعت شرارة الثورة الفلسطينية لتعم كافة القطاعات الشعبية الفلسطينية ، وتم تشكيل اللجان الشعبية للمقاومة ، وقد شاركت فيها الأحزاب وقطاعات الشعب المختلفة، كما تكونت لجنة عامة للمقاومة أُسند رئاستها إلى الحاج "أمين الحسينى" مفتى القدس ، وتحولت المقاومة السلبية "الإضراب" إلى المقاومة الإيجابية المسلحة التى قادها الشيخ "عز الدين القسام" الذى استشهد فى معارك الثورة الفلسطينية - (والتى لا زالت كتائبه - أو كتاب المقاومة الفلسطينية الإسلامية تحمل اسمه حتى الآن) "كتائب عز الدين القسام" والتى تقود المقاومة المسلحة ضد العدو الصهيونى ، حتى اليوم رغم المعاهدات التى أبرمتها

السلطة الفلسطينية مع (الصهاينة) - واستمرت الانتفاضة الشعبية بقوة منذ 1936 حتى عام 1939 وقدم الشعب الفلسطينى منها خمسة آلاف شهيد ، هم أوائل قوافل شهداء فلسطين فى رفضها وكفاحها ضد المستعمر الصهيونى الصليبى لأرضها.

ولم تخمد نيران الانتفاضة الشعبية الفلسطينية إلا بعد أن "طلب" و"تدخل" كل من "ملك الأردن" ، و"ملك السعودية" ، و"ملك العراق" أى الملوك الجدد الذين أتوا نتيجة الخريطة السياسية الجديدة للاستراتيجية البريطانية ، التى أكدت على عمق رؤيتها فى إنشاء هذه الممالك الثلاث ، بملوك أتت بهم وزرعتهم ليكونوا عوناً لها عند الحاجة خدمة للاستراتيجية وتحقيقاً للهدف .

وبعد أن كشف قادة الثورة ورجالها أن هذه مؤامرة عربية/ بريطانية لضرب الانتفاضة عادت الانتفاضة من جديد ، حتى اضطرت الحكومة البريطانية إلى عقد مؤتمر دولى فى لندن عام 1938 ، شاركت فيه بعض الدول العربية وأصدر المؤتمر وثيقة سماها "الكتاب الأبيض" سنة 1939 يشرح هذا الكتاب تصوره لحل القضية الفلسطينية ، وكان الحل الذى قدمه "مالكولم ماكدونالد" وزير المستعمرات البريطانية فى ذلك الوقت ، هو استقلال مشروط لدولة فلسطينية بعد فترة انتقالية مدتها عشر سنوات مع السماح خلالها بدخول 15 ألف يهودى من المهاجرين الصهاينة كل سنة إلى فلسطين .

واعتبرت الحركة الصهيونية أن هذا تراجعاً من بريطانيا ، وارتبكت الحركة الصهيونية لسببين :

1 - أنها لم تتوقع أن تحدث انتفاضة وثورة شعبية عارمة قادرة على اقتلاع اليهود المهاجرين إلى فلسطين .

2 - فتور الموقف البريطانى أمام الثورة الشعبية الفلسطينية .

وعلى الفور كانت الحركة الصهيونية السياسية عليها أن تتحرك بسرعة مدركة صعوبة الأيام التى تعيشها ، شاعرة بأن هناك زلزالاً جديداً قد يحدث ، موقنة بفعل

جواسيسها بأن عليها التوجه السريع إلى الولايات المتحدة الأمريكية والحركة الصهيونية بها ، والتى كانت قد نشطت منذ أن وطأت قدمها الأرض الجديدة التى أطلق عليها اليهود المهاجرون الأرض الموعودة الجديدة ، وامتلكت قاعدة شعبية عريضة من الأدباء والفنانين والتجار ورجال البنوك والبورصة والصحافة والإعلام ، فاختلف يهود أمريكا عن يهود أوروبا ، حيث أثروا فى الشعب الأمريكى الجديد تأثيراً كبيراً .

وعلى الفور تم عقد اجتماع شهير بفندق صغير بنيويورك اسمه "بالتيمور" سُمِّى باجتماع بالتيمور : **أكد فيه الصهاينة على ضرورة قيام الدولة اليهودية فى فلسطين ، ومن أهم تلك القرارات لمؤتمر بالتيمور التأكيد على ارتباط اليهود تاريخياً بفلسطين ، والاعتراف بأن الغرض النهائى لوعد بلفور هو إنشاء دولة يهودية فى فلسطين ، وتخويل الوكالة اليهودية مسئولية الإشراف على هجرة اليهود والاستيطان فى فلسطين .**

وقد تبنت المنظمة الصهيونية العالمية فيما بعد هذا البرنامج ، وصدق عليه المؤتمر الصهيونى الثانى والعشرون (1946) واعتبره منهاجاً للعمل من أجل تحقيق أهداف الحركة الصهيونية .

وكان السعى نحو توحيد العمل الصهيونى فى كل من أوروبا وأمريكا ليس الهدف منه فقط صهاينة أمريكا بل الهدف هو أمريكا نفسها كقوة جديدة .

الحركة الصهيونية والثورة البلشفية

"إن فلسطين هـى أرض الميـعـاد التى وهبـة الله إلى إسرائيل"

جروميكو

من النقاط الساخنة التى استوجبت توجيه بؤرة الاهتمام الصهيونى عليها ، خاصة فى الفتـرة التى وقعت ما بين الحـربين العالميتـين ، هى الثورة البلشفـية ، القوة النامـية الخطيرة التى قد تلعب دوراً كبيراً ومؤثراً فى العـالم ، إما بالقضاء على جزء كبير من أهداف الحركة الصهيـونية أو بدعمها ، ولذلك كان لابد للحركة الصـهيونية أن تركز اهتمامهـا مع تلك القوة الواعدة التى فى جوهرها وعقيـدتها قوة موجهة ضـد عقيدة الصهيـونية الدينية والسيـاسية ، وهى موجـهة ضد الاستـراتيجية الأوروبيـة الغربية ، والتى ينتمى إليها الهدف الصهيونى .

إن الفلسـفـة البلشـفيـة من القـاعـدة إلى القـمة هـى فى الأصل ضد الأسـاطيـر الصهيـونية ، فلا الفكر الماركسى يعـترف بالأمة اليهـودية العالمية (الصهـيونية) والتى تهدف إلى تأسـيس دولة تجمع الشعب اليـهودى ، ولا حتى يعـترف بأن اليهـود أقلية قومية مثل الأقليات المكونة للاتحاد السوفيتى .

وقد أكد "لينين" على أن الأمة جمـاعة ، لا بد وأن تكون لها أرض تتطور عليها - ولغة مشتركة تتحدث بها .

وقال : "**إن حل المسألة اليـهودية هو ببساطة اندمـاجهم**" . أما "تروتسكى" الزعيم الماركسى اليـهودى هو الآخر ضد فكرة القـومية اليهودية ، وكـان رأيه أن حل المسألة

اليهودية لا يكمن فى دولة يهودية بين دول أخرى غير يهودية .

كما عارض تروتسكى أيضـاً مفهوم الأقلية اليهودية ، ويؤكد 'سـتالين' أن اليهود ككل لا يجـمعـهم إلا الدين ، وقـد يكون لهم طابع قـومى ، ولكنهم لـم يكونوا أمـة واحدة ، ورفض ستالين فكرة الصهيونية .

وقد تبنى 'خروشوف' مـوقفه من اليهود حيث أدلى بحديثه إلى جـريدة الفيجارو فى 9/ 4/ 1959 قائلاً :

"إن اليهود بطبـيعتهم يرفضون الإقـامة "متحدين" كأمـة ، ويرفضون تكوين شعب ، ولأن السـوفيت يرفـضون فكرة أن اليهـود يكونون شعـباً ، ولذلك فالاتحـاد السوفـيتى وفكـره الشيوعـى يرفض الصهـيونيـة ويعتـبرها حـركة رجعية، بل حركة استغلالية" .

وإذا انتقلنا من التحليل أو القراءة السـريعة للموقف الفكرى البلشفى إلى الموقف السياسى العـملى للاتحاد السوفيتى ، نجـد أن الاتحاد السوفيتى كـدولة يصدر القوانين التى تحـرم الصهـيونية ، حـيث ألغى جـميع المنظمـات الصهـيونيـة وجرم نشاطـها ، وبالتالى وجـدت الحركة الصهـيونية نفسـها فى عداء فكرى وسيـاسى مع واحدة من أكـبر القـوى الصاعـدة فى شرق الكرة الأرضـيـة ، تلك القوى التى كـانت يوماً مـا تحتضن أرضها مـعظم الحركات الصهيونية ، كما أن الـوقت الذى ظهرت فيه القوى السوفيتية كان وقتاً يثير قلق الحركة الصهـيونية ، خاصة بعد الانتصارات التى حققتها على مستوى العالم شرقاً وغرباً ، وبعـد انتصارها البارع أعقاب النتائج التى حصلت عليها الصهـيونية من الحرب العالمية الأولى سواء من 'وعـد بلفور' أو ترسيم خريطة سيـاسية جـديدة للمشـرق العربى ، ضمنـت فيهـا فلسطين من ناحيـة ،.وزرع أنظمة 'أمراء' أو 'مشايخ' عربية فى مواقع استراتيجية تضمن حضانة المولود الجديد (الدولة الصهيونيـة) حتى يتم الإعلان عن بلوغها سن الرشد ، وتكون أيضاً عونـاً وعمقاً لها طالما أن الإمبراطورية البريطانية ستكـون هى المحرك الرئيسى لهذه الأنظمة أو الممالك العربية التى ابتدعتها .

لكن مع مطلع الثلاثينيات كان هناك أكثر من سبب يقلق أو يزعج الحركة الصهيونية العالمية ، فقد تغيرت كثيراً من موازين القوى ، منها ألمانيا النازية ، والاتحاد السوفيتى وظهور الفاشية الإيطالية ، واندلاع الانتفاضة الفلسطينية لأول مرة مهددة بالقضاء على الجنين الصهيونى قبل أن يولد .

وكان على الحركة الصهيونية وجواسيس الإمبراطورية البريطانية وحلفائها فى الغرب وانضمام أمريكا إلى "الاستراتيجية الأوروبية" بفعل نشاط الحركة الصهيونية بداخلها أن يجدوا مخرجاً لحماية الجنين الصهيونى الذى يوشك على الولادة ، وأن يضمنوا له فى البداية الحياة حتى يكبر ، ويمكن الاعتماد على نفسه، لذا كان العمل السرى السياسى على قدم وساق من أجل تخفيف أو تحييد هذا العملاق الصاعد "القوة السوفيتية" ذات العقيدة المعادية للأسطورة الصهيونية .

وفى الفترة من 1930 إلى 1939 أى إلى بداية الحرب العالمية الثانية كان موقف الحركة الصهيونية من أصعب المواقف التى قابلتها ، حيث كل الظروف تدل على القضاء على الجنين الذى زرعه "بلفور" فى رحم الأرض العربية ، وتمثلت هذه المتغيرات الدولية العدائية ضد الصهيونية فى :

1 - قيام الثورة البلشفية ، والإعلان عن قوة جديدة فى العالم هى "الاتحاد السوفيتى" بعقيدة فلسفية مناهضة للأسطورة الصهيونية وبقوانين سياسية لمحاربة الصهيونية العالمية نفسها قد سنها الاتحاد السوفيتى .

2 - ظهور الحركة النازية فى ألمانيا بقيادة هتلر الذى تولى قيادة ألمانيا النازية 1933 - تلك الحركة التى اعتمدت أيديولوجياً على العداء التام لليهودية .

3 - ظهور الحركة الفاشية فى إيطاليا "موسولينى" وإعلان عدائها للصهيونية التى عرّفها موسولينى فى أحد لقاءاته مع وايزمان أن الصهيونية حركة الهدف منها إضعاف الدول الإسلامية لصالح الإمبراطورية البريطانية واستراتيجيتها فى الشرق العربى .

4 - العـداء التركى للصـهيـونية التى طعنت الأتراك فى ظهـرهـم بمشـاركتهـا مع الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى .

5 - اندلاع الثورة الفلسطينية العارمة فى فلسطين .

وكان على الصهيونية أن تجتاز تلك المصاعب ، وأن تخرج منها بأقل خسائر ممكنة لا تؤثر على الجنين الذى زرعه بلفور فى أحشاء الأمة العربية .

واستفادت الصـهيونية العالمية من العداء الطبيعى بين الفكر الماركسى وبين الفكر النازى وبين العـداء السـيـاسى بين النازية وبين الشـيـوعيـة ، فنشطت الجـواسـيس ، ووقعت الحرب عام 1939 .

وخـلال الحرب العـالمية الثـانية ، طغى العـامل السـياسى على العـامل الفكرى ، وأصبحت المـصالح والسياسة هـى الأقرب فى التعامل وراهنت الصـهيونية كـعادتها على معسكر الحلفاء ضد معسكر النازية ، واقتربت الـصهيونية أكثر وأكثر من الاتحاد السوفيـتى تمده بالمعلومات والمعونات (أصدقـاء الحرب) فأصدقـاء الحرب أقرب من أعـداء الفكر وقت المعركـة ، ونتيجـة المعركـة ، وتوزيع الغنائم لا يتم على مـفهـوم فكرى، بل على مفهوم الدم الواحد على ساحة المعركة .

ونجحت الصهيونية فى اندلاع الحرب العالمية الثانية كحل وحيد لاستقطاب الدب الروسى ، وفى نفس الوقت للقضاء على الثور الألمانى الهـائج ، وكان نتيجة ذلك أن تبدلت المواقف ، ففى عام 1943 قام "إيفان مـايسكى" نائب وزير الخارجية السوفيـتية بزيارة إلى فلسطين قـام خلالها بزيارة إلى المسـتوطنات مع "بن جـوريون" و "جولدا مائير" ولـم يتصل بالجانب العربى قط .

المصدر : د. عبد الوهاب المسيرى - اليد الخفية -
الناشر : دار الشرق 1998 ص 156 : 157

ويقول المسيرى :

"يبدو أن "مـايسكى" بدأ سيـاسة مراجـعة موقف السـوفيت من الاسـتيطان الصهيونى ، إذ كان يرى أنه "من الواضح أن اليهـود الاشتراكيين والتقدميين

فى فلسطين سيكونون أكثر فائدة لنا من العرب المتخلفين ، اللذين تسيطر عليهم مجموعات إقطاعية من الباشوات والأفندية" . وقد استمرت هذه النغمة طيلة أيام الحرب العالمية الثانية ، وبعدها ، أصبحت لبنة أساسية فى الدياجات الاشتراكية الصهيونية ، وأخذ السوفيت يتحدثون عن الدولة الصهيونية على اعتبار أنها الدولة الديمقراطية الوحيدة فى منطقة الشرق الأوسط ، لا سيما أنها كانت تسمح للحزب الشيوعى بممارسة نشاطاته بشكل قانونى .

كما أن الأحزاب الصهيونية ذات الديباجات الاشتراكية المتطرفة كانت تشكل من وجهة نظرهم نواة للاشتراكية فى المنطقة" .

وقد علَّل بعض المحلِّلين الموقف الشيوعى للدولة السوفيتية وتغيير اتجاهه 180 لصالح الصهيونية للأفكار أو الأسباب التالية:

1 - إقامة الدولة الصهيونية فى الشرق الأوسط المتخلف سيخلق الصراع الدائم بين الصهيونية والأمة العربية ، مما سيؤدى هذا الصراع إلى تثوير المنطقة ، وحاجة المنطقة إلى الاتحاد السوفيتى .

ومن هنا فإن تغيير موقف الاتحاد السوفيتى السياسى من الصهيونية هو فى حد ذاته تأكيد على الأيديولوجية الماركسية الشيوعية ، حيث أكد الفكر الماركسى بوصفه لليهود أنهم جماعة وظيفية كالطفيليات ، تقوض أركان المجتمع دون أن تقوم هى ببناء مجتمع جديد .

وبالتالى برأ "ستالين" نفسه من مناصرة الصهيونية بهذه الحجة القانونية فى فكر ماركس .

2 - العمل على إحداث شرخ هائل فى العلاقات العربية الغربية والأمريكية ، أملاً فى الوصول إلى منطقة الشرق الأوسط "المياه الدافئة القريبة للاتحاد السوفيتى" وذلك بالتأكيد على دعم الاستراتيجية الغربية الأمريكية وهدفها بإقامة دولة صهيونية فى فلسطين .

ونتيجة لذلك ، فقـد تم توظيف تلك الأفكار والاستراتيجيات السوفـيتية الجديدة خدمة لمصالحها ، وتجلت فى عدة مواقف لصالح الصهيونية وضد العرب نذكر منها :

1 - فى عام 1945 عقد المؤتمر العالمى لنقابات العمال فى لندن ، وكان لأول مرة أن يصوّت الوفـد السوفيـتى إلى جانب قرار يؤيد إقـامة وطن قومى لليـهود فى فلسطين .

2 - وفى عـام 1945 أيضـاً وبمؤتمـر 'يالطا' وافق 'سـتـالين' مـع كل من روزفلت وتشرشل (قطبى الاسـتراتيجية الغـربية الأمريكية) علـى ضرورة إنشاء وطن قومى يهودى فى فلسطين ، وعلى وجوب الفتح السريع للأبواب التى كانت تعوق الهجـرة اليهودية إلى فلسطين مقـابل السماح للسوفيـت بإقامة مناطق نفوذ لهم فى أوروبا الشرقية .

3 - فى عام 1945 بادر الاتحاد السـوفيتى إلى الاعتـراف بالوكالة اليهـودية وسمح بفتح مكتب لها فى موسكو .

4 - فى عام 1947 قام 'جـروميكو' بتأييـد قرار تقسيم فـلسطين، وفى نفس العام وبالتحـديد فى 13/ 10/ 1947 تحـدث جرومـيكو عن الأسطورة الصـهـيونيـة الدينيـة موكداً على أن فلـسطين هى أرض الميعاد الـتى وهبها اللـه لإسرائيل وعن الارتباط التاريخى للشعب اليهودى فى فلسطين .

وكان حديث 'جروميكو' يعتبر الحديث الأول لـلقادة السوفيت الذين اعترفوا فيه صراحة بالأساطير الصهيونية الدينية :

1 - أسطورة الأرض الموعودة .

2 - أسطورة الحق التاريخى والإلهى لإسرائيل بفلسطين .

3 - أسطورة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض .

4 - أسطورة اضطهاد اليهود فى العالم ، ومن ثم لا بد من تعويضهم وعودتهم .

5 - فى عام 1948 كان الاتحاد السوفيتى من أوائل دول العالـم التى منحت إسرائيل اعترافاً قانونياً بوجودها .

ومما تجدر الإشارة به هنا أنه فى غضون شهـر واحد من الإعلان عن قيام ما يسمى بدولة إسرائيل كانت إحدى عشر دولة فى العالم اعترفت قانونياً بقيامها ، على رأس هذه الدول كان الاتحـاد السوفيـتى ، ومن بين هذه الدول الإحدى عشـرة كانت هناك ست دول اشتراكية (تابعة للاتحاد السوفيتى) .

وانتـصرت الصـهيـونية على أهم عـقـبة ، بل أكـبر عـقبـة كادت تجـهض الجنين البلفورى القادم لولادته على أرض فلسطين - وحولت البلشفية والشيوعية الماركسية من عدو أيديولجى إلى داعم قوى فى تثبيت أركان الدول الصهيونية .

خرافة الصهيونية السياسية "العداء للفاشية"

"اليهود هم سفراء الفاشية فى العالم"
المادة 35 من القانــون
الذى وضعه موسولينى

كانت الأفكار الفاشية قـريبة من الأساطير الصهيونية فكلاهما يؤكـد على التمييز العرقى والقومية العضوية والدولة القومية ، وتقديس الدولة والانصياع لزعيمها .

وتأكيـداً على التقارب العـضوى العقـائدى ، أصدر "موسـولينى" زعيم الفاشـية الإيطالية فى 30/ 11/ 1930 قراراً "بدمج كل التـجمعـات اليهودية فى إيطاليـا فى اتحاد فاشى يمثل كل يهود إيطاليا بغير استثناء ، وأصبح هذا الاتحاد أحد الوكالات الرسمية للحكومـة الفاشـية ، حـيث نصت المادة (35) من قانون تأسـيس هذا الاتحاد على أن اليهـود هم سفراء الـفاشيـة فى العالم ، وعلى ضرورة أن يشـترك اتحـاد التجمـعات اليهـودية فى إيطاليا فى النشاطات الـدينية والاجتمـاعية ليـهود العالم ، وأن يحـتفظ بعلاقاته الدينية والثقافية معهم .

المصـدر : د .عبد الوهاب المسيـرى - الصـهيـونيـة والنازية ونهاية التـاريخ . الناشر : دار الشروق 1997 ص 130

وفى يناير 1933 قـام حـاييم وايزمـان رئيس المنظمـة الصـهيـونيـة العـالميـة بزيارة لموسولينى لإقناعـه بالدور الهام الذى تقوم به الصهيـونية العالمية ، ومـحاولة وايزمان نفى تهمة إلصاق الجاسـوسية والمخابراتية للصهيونية لصـالح الإمبراطورية البريطانية والأمريكية، حيث إنه فى ذلك الوقت أصبح واضحاً أن الحركة الصهيونية هى منظمة مخـابراتية عالميـة تحركها أيد خـفية من أجل السـيطرة على العالم ، وكـانت بريطانيا

المتهم الأول بأنها هذه اليـد الخفية ، ثم من بعدها أمـريكا ، ثم القول بأن هذه اليد هى الاستـراتيجيـة الأوروبية الأمـريكية للسيـطرة على أهم مناطق العالم نفـوذاً (الشرق الأوسط).

واستـطاع وايزمان إقناع مـوسولينى المتـعاطف ، أصـلاً مع الحركـات اليهـودية ، باطمئنانه إلى المنظمة الصهيونية وأهدافها المنحصرة أو المحصورة فقط فى إنشاء وطن قومى لليـهود فى فلسطين ، وعلى أثر هذا التـفاهم سمح مـوسولينى بتعـيين يهودى إيطالى فى الوكالة اليهودية ، وهى إحدى آليات الحركة الصهيونية فى نقل اليهود إلى فلسطين وأعمال أخرى على رأسها الجاسوسية وامتدت الزيارات وتدعمت الصداقة بين رأس الفاشية فى روما (موسولينى) وبين رأس الحركـة الصهيونية وايزمان ، فقام الأخير بزيارة أخرى لروما فى 1926 من أجل طلب مساعدات ماليـة ، كما قام ناحوم سوكولـوف (رئيس اللجنة التنفيذية فى المنظمـة الصهيونيـة) بزيارة إلى إيطالية 1927 وأيد علنياً الفاشية فى تـلك الزيارة ، معبراً أن اليهود لن يقفوا ضد الفـاشية قط . كما قام أيضاً "ناحوم جولدمان" الرئيس الأسبق للمؤتمر اليهودى العالمى وقابل موسولينى الذى أيد المشروع الصهيونى وتحمس له حيث قال موسولينى لجولدمان :

"كى تنجح الصهيونية يجب أن تحـصلوا على دولة يهودية لها علم ولها لغة يهودية ، والشـخص الذى يفهم ذلك حقـاً هو الفاشى "جـابوتنـسكى" وكان جابوتنسكى مـن رجال الحركة الصـهيونيـة ومنظّريها والذى أيد بحـماسـة مبادئ الفاشية وانخرط فى صفوفها."

الصهيونية والنازية أصول مشتركة وفكر متجانس:

"لا يمكن أن يكون هناك شعبان مختاران ،
ونحن وحدنا شعب الإله المختار" .

هتلر

انطلقت أفكار النازية متأثرة إلى حد كبير من الأساطير الصهيونية، إلى حد يمكن القول من ثناياه أن الحضارة الغربية ، التى قامت على "الحرب" كتغيير حضارى هى التى أفرزت النازية والإمبريالية والفاشية والنفعية "الداروينية"، والنازية لم تلتق عَرَضاً مع الأساطير الصهيونية فى الفكر، ولكن فكر النازية قام أصلاً مسلوقاً أو مأخوذاً من الأساطير الصهيونية الدينية معبأ باحتقار لليهود، مؤكداً أن هذه الأساطير هى التى يمكن تطبيقها على الدم الألمانى، فهم دم واحد بالفعل، ويقيمون على دولة لها تاريخها وهم شعب يشعر بالظلم حتى من جيرانه الأوروبيين ويحس بمرارة الهزيمة فى الحرب العالمية الأولى، ويعتقد أن الألمانى هو الإنسان الأقدر على الحياة فهماً وعلماً وفكراً وممارسة وتطبيقاً، لذلك نجد أن النازية انتهجت فى فكرها الذى كان وراءه بالتأكيد ذوو الخبرة من هذا الفكر (الصهاينة) استناداً على التالى :

1 - روابط الدم والتراب (القومية العضوية) وهو ما يؤدى إلى استبعاد القوميات الأخرى أو الشعوب الأخرى .
2 - النظرية العرقية .
3 - تقديس الدولة .

ويؤكد على هذا ما جرى أثناء محاكمات "نورمبرج" بعد هزيمة النازية فى الحرب العالمية الثانية ، حيث أكد الزعماء النازيون الذين تم تقديمهم للمحاكمة على :

"أن الموقف النازى من اليهـود تمت صياغـته من خلال الأدبيـات الصهيـونية نفسها (الأساطير الصهيونية)" .

كما أكد "سترايخر" المنظر النازى أثناء المحاكمة أنه :

"تعلم فكرة التصفية العرقية أو النقاء العرقى من النبى يشوع ومن النبى عزرا وقال فى محاكمته :

"لقد أكدتُ دائماً حقيـقة أن اليهود يجب أن يكونوا النموذج الذى يجب أن تحتـذيه كل الأجناس ، فلقد خلقوا قانـوناً عنصرياً لأنفسهم ، قـانون موسى الذى يقول : (إذا دخلت بلداً أجنبياً فلن تتزوج من نساء أجنبيات)" .

وأكد المنظر النازى الكبير "ألفريد روزنبرج" على هذا بقوله :

"يجب دعم الصهيونية بكل قوة ، حتى يتسنى نقل مجموعة كبيرة من اليهود الألمان إلى فلسطين سنوياً مـؤكداً على الأساطيـر الصهيـونية الدينية خـاصة عقدة / أو عقيدة الأرض الموعودة" .

وبعد اعـتلاء "هتلر" قيادة ألمانيـا النازية عام 1933 وجه الاتحاد الصـهيونى الألمانى مذكرة إلى الحزب النازى فى 21/ 6/ 1933 أعلن فيها ما يلى :

"نأمل أن يؤدى إنشـاء دولة جديدة ، تقـوم على أساس عـرقى ، إلى تكيف جماعتنا معها .. فإقرارنا بوجود قومـية يهودية يتيح لنا إقامة علاقات سليمة وصادقة مع الشـعب الألمانى بأوضاعه القومية والعـرقية ، ذلك لأننا لا نريد أن نقلل من أهمية هذه المبادئ الأساسـية ، كما أننا نرفض الزواج المختلط ، وننادى بالحـفـاظ على نقـاء الجمـاعـة اليهـودية .. وبوسع اليـهـود الواعين بهويتهم ، والذين نتحدث بالنيابة عنهم ، أن يجدوا لأنفسهم مكاناً فى إطار الدولة الألمانيـة ، لأنه لا توجد لديـهم مشـاعر الكراهيـة التى يكنهـا اليهـود المندمجـون لا محالـة .. ونحن على يقين من إمكان قيـام علاقات طيـبة بين الدولة الألمانية وأولئك اليهود الواعين بالروابط التى تجمعهم ".

ثم تضيف المذكرة قائلة :

"إنه فى حالة موافقة الألمان على هذا التعاون ، فسوف يبذل الصهاينة قصارى جهدهم لإثناء اليهود فى الخارج عن الاستجابة لدعوات المقاطعة الموجهة ضد ألمانيا" .

المصدر : لون دافيدوفيتش - الحرب على اليهود (1933 - 1945) ، الناشر : مطبوعات بنيجوين 1977 ص 231 - 232)

ومما يجدر بالذكر أن تلك الوثيقة لم تكتشف إلا عام 1962 ولم تعط الذيوع الذى تستحقه .

المصدر : د . عبد الوهاب المسيرى / الصهيونية والنازية ، نهاية التاريخ . الناشر : دار الشروق 1997 ص 147)

كما أنه يجدر بالإشارة هنا أن الحركة الصهيونية فى تعاملها مع الفاشية والنازية وحتى الشيوعية كشفت عن جوهرها من حيث أنها حركة مخابراتية لا علاقة لها بالدين اليهودى أو العبادة اليهودية أو اليهود ، بل إن اليد الخفية أو القوة الخفية (المخابرات العالمية) التى تهيمن عليها القوى العظمى فى ذلك الوقت (بريطانيا - أمريكا) ، فنرى أن الانسجام الصهيونى النازى كان واضحاً فى الإعلان الذى أصدرته المنظمات الصهيونية فى ألمانيا (الاتحاد الصهيونى الألمانى) .

كما نشرت مجلة "يوديش روندشاو" وهى مجلة صهيونية ألمانية مقالاً تعلن فيه عن استعداد الصهاينة للتعاون مع أصدقاء اليهود وأعدائهم ، حيث إن المسألةاليهودية ، ليست مسألة عاطفية ، وإنما هى مسألة حقيقية تهتم بها كل الشعوب . وهذا الموقف امتداد لموقف الشاب الطموح "هرتزل" أو "بنيامين هرتزل" حين ميَّز بين التعصب الدينى القديم (وهو مجرد تعصب عاطفى غير منهجى) حيث أكد فى يومياته قائلاً : **"إننى لا أخضع لأى وازع دينى"** ، وبين المعاداة الحديثة لليهود ، والتى وصفها بأنها حركة بين الشعوب الغربية المتحضرة تحاول من خلالها التخلص من شبح يطاردها من ماضيها .

المصدر : يوميات هرتزل - سبق ذكره

ويؤكد "هتلر" هنا على نفس الموقف الذى تبناه "هرتزل" مما يعكس جوهر الحركة الصهيونية بأنها حركة عنصرية فاشية نازية تتلون مع كل العصور ، وكل الحركات السياسية تمولها المخابرات الأوروبية التى سماها "هرتزل" أو أشار إليها فى يومياته بالشعوب الغربية المتحضرة والتى أعطاها هرتزل الحق فى كراهيتها لليهود ومقاومتها لهم بكل ما تملك سواء الطرد أو الإبادة .

فتبنى هتلر موقفاً مماثلاً لموقف هرتزل ، حين ميز هو الآخر بين المعاداة العاطفية لليهود والمعاداة المنهجية لهم ، إذ تنتهى الأولى بالمجازر ، أما الثانية فتنتهى بالحل الصهيونى أى تهجير جميع اليهود من ألمانيا إلى وطنهم "فلسطين" وقد حدد هتلر مشروعه وسياسته تجاه اليهود كما وضحها منظرو النازية من قبل على أسس الحركة الصهيونية نفسها .

واستمراراً للتزاوج بين الصهيونية والنازية منذ وصول الأخيرة إلى حكم ألمانيا (1933) حتى عام (1937) أى قبل الحرب العالمية الثانية مباشرة ، فنرى أن النازية لم تُقدم على مساس أى جريدة أو مجلة صهيونية تصدر فى ألمانيا بالرغم من الثورة التى قامت بها النازية ضد جميع الصحف الألمانية ، إما بالقفل أو تخفيض عدد صفحاتها، فلم تتأثر عدد صفحات "يوديش روندشاو" إثر القرارات الاقتصادية التقشفية من جراء الحصار المفروض على ألمانيا من الحلفاء (وهو سلاح قديم تستعمله الإمبراطورية البريطانية وحلفاؤها كما حدث فى حصار مصر "محمد على") بل على العكس فى تلك الفترة نشرت دور النشر الألمانية أعمال حاييم وايزمان وبن جوريون وأرثر روبين وغيرهم من قادة الصهاينة فى ذلك الوقت .

كما اقترح إسحاق شامير عام 1941 الدعوة إلى التحالف مع "هتلر" ومع ألمانيا النازية فى مواجهة بريطانيا العظمى" .

المصدر : بارزوهار - بن جوريون : النبى المسلح - باريس 1966 ص 99 .

ويكشف سلوك القادة الصهاينة أكثر فأكثر تورطهم العنصرى الاستعمارى ، والتعبير عن أنهم جزء لا يتجزء من الاستراتيجية الدولية التى تتبناها (بريطانيا -

أمريكا) وهى استعمار الشرق الأوسط والقضاء على مستقبل الأمة العربية بمنعها منعاً نهائياً من تكوين دولتها الواحدة (الدولة العربية الكبرى) وذلك باستقطاع وطن قومى لليهود فى قلب الأمة العربية فى المنطقة الفاصلة بين شرق وغرب الوطن ، هذه المنطقة بالذات التى برهن التاريخ أنها مفتاح النصر والوحدة للشعب العربى .

فنرى أن همَّ القادة الصهاينة الأول والأخير هو تنفيذ هذا الهدف والسعى إليه تحقيقاً لأهداف الصهيونية ، وبالتالى تنفيذاً لأوامر الدوائر الاستعمارية الكبرى ، تنفيذاً لرغبات كل حركة عنصرية (الفاشية - النازية) ومن هنا كان تلاقى أفكار الصهيونية مع النازية ، رغم التناقض القائم بين الفاشية والنازية من جهة ، وبين بريطانيا وأمريكا وفرنسا من جهة أخرى ، لذلك كانت الصهيونية هى العامل الوسيط والحركى الذى تلتقى فيه وتعمل من داخله التناقضات القوية الموجودة على الساحة الدولية فى الثلاثينيات .

فالصهيونية هى العميل الذى خلقته المخابرات الغربية من أجل استيطان "قوم جديد" كله عملاء ، استيطان دائم فى فلسطين لتنفيذ الاستراتيجية الغربية الأوروبية (نابليون - بالمرستون - دزرائيلى) مستغلين الأساطير والعقد والعقائد والخرافات التى كونت الحركة الصهيونية الدينية منذ عام 536 ق.م وحلم أو خرافة تلك المجموعة من العودة إلى جبل صهيون فوجدت المخابرات الغربية ضالتها فى "عميل" ممتاز يقوم بتنفيذ هذه المهمة .

يؤكد على هذا التوجه "جوزيف لونز" أمين عام حلف شمال الأطلنطى الأسبق بقوله :

"لقد كانت إسرائيل العميل الأقل تكلفة فى عالمنا المعاصر"

المصدر : نداف شرجاى - صحيفة ها آرتس
13/ 3/ 1992

أما ألمانيا وإيطاليا (النازية والفاشية) وحلفهما فقد وجدنا فى الحركة الصهيونية المبادئ التى ينادون بها أو الأساطير الصهيونية التى تأسست عليها الفاشية والنازية

(الفصل العنصرى - التطهير العرقى - الدم - التربة - القومية العضوية) فقد أعطت الصهيونية الصك القانونى للنازية لتطهير مجتمعهم الألمانى من اليهود ، ومن جهة أخرى حذرت اليهود من البقاء فى ألمانيا وعليهم الهجرة إلى فلسطين (أرض الميعاد).

فلم يكن الهدف الأساسى للصهيونية الدفاع عن اليهود أو إنقاذ أرواحهم ، بل الهدف هو تنفيذ أوامر المخابرات الغربية التى ترضى أو تشبع نزواتهم الأسطورية فى استئصال فلسطين من الوطن العربى واغتصابها .

ففى 7/ 12/ 1938 صرّح بن جوريون أمام جمع من الصهاينة قائلاً :

"لو عرفت أن بالإمكان الاختيار بين إنقاذ جميع أطفال اليهود فى ألمانيا بتوطينهم فى إنجلترا ، أو نقل نصف هؤلاء الأطفال فقط إلى "فلسطين" لفضلت الخيار الثانى دون شك .. إذ يجب أن نأخذ فى الاعتبار تاريخ شعب إسرائيل بأسره وليس مصير هؤلاء الأطفال"

المصدر : إيفون جيلبنر" السياسية الصهيونية ومصير يهود أوروبا" / دراسات يادفاشيم ، القدس المجلد السابع ص 199 عن / روجيه جارودى الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ص88 .

"لم يكن إنقاذ يهود أوروبا يشغل موقع الصدارة فى قائمة الأولويات بالنسبة للنخبة القيادية ، فقد كان همهم الأول هو تأسيس الدولة" .

المصدر : توم سيجيف ، المليون السابع ، الناشر : ليانا ليفى، باريس 1993 ص 539 عن / المصدر السابق.

وعلى الصعيد المالى والاقتصادى وهى السمة التى تميز اليهود (المال - السمسرة - التجارة) فقد تعاونت الصهيونية مع النازية فى كسر الحصار الاقتصادى الذى فرضته دول الحلفاء عام 1933 على ألمانيا فور تولى هتلر الحكم ، فقد قامت الصهيونية بتأسيس شركتين هما :

شركة "هعفراه" فى تل أبيب ، وشركة "بالترو" فى برلين .

وكان النظام المتبع هو أن يقوم أى يهودى يرغب فى الهجرة بإيداع مبلغ ألف جنيه استرلينى كحد أدنى فى مصرف "فاسرمان" فى برلين أو مصرف "فاربورج" فى هامبورج ، على أن يستخدم المصدرون اليهود حصيلة هذه الأموال فى شراء بضائع ألمانية وتصديرها إلى فلسطين ، ثم تسديد مقابل ثمنها بالجنيه الفلسطينى ، بإيداعه فى حساب شركة "هعفراه" فى المصرف الإنجليزى الفلسطينى فى تل أبيب ، وعند وصول المهاجر إلى فلسطين يحصل على مبلغ من المال يعادل المبلغ الذى أودعه من قبل فى ألمانيا .

وقد شارك فى استثمارات (شركة هعفراه) عدد كبير ممن تقلدوا رئاسة الوزراء فيما يسمى بدولة إسرائيل ، وفى مقدمتهم "بن جوريون" ، "موشى شاريت" وكان اسمه آنذاك "موشى شرتوك" ، و"ليفى أشكول" الذى كان ممثلاً لها فى برلين .

المصدر : "بن جوريون وشرتوك" - بلاك : اتفاقية "هعفراه" ص 294 توم سيجيف - مرجع سبق ذكره عن طريق : روجيه جارودى / الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ص 95)

ويقول دوين بلاك مؤرخ اتفاقية "هعفراه" :

"إن الصهيونية هى الفلسفة السياسية المستقلة الوحيدة التى وافق عليها النازيون"

المصدر : د . عبد الوهاب المسيرى / الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ .. الناشر : دار الشروق 1997 ص 148)

وقد استمرت سياسة التعاون والصداقة والهدف الواحد والمشترك بين الصهيونية والنازية حتى عام 1943 (أى طيلة عشر سنوات من وجود هتلر فى الحكم) .

ففى 18/1/ 1943 ، أعلن "يتسحاق جرينباوم" (رئيس لجنة الإنقاذ بالوكالة اليهودية)

"أن الصهيونية لها الأولوية على ما عداها"

ثم أردف قائلاً :

"سيقولون إننى معاد للسامية ، وإننى لا أرغب فى إنقاذ المنفيين، وإن قلبى ليس قلباً يديشيا (أى قلب يهودى من شرق أوروبا) متأجج العاطفة .. فليقولوا كيفما يحلو لهم ، فلن أطالب الوكالة اليهودية بتخصيص مبلغ 300 ألف أو حتى 100 ألف جنيه استرلينى لمساعدة يهود أوروبا ، وأعتقد أن من يطالب بأشياء كتلك يعتبر معادياً للصهيونية"

المصدر : جرينباوم : أيام الدمار ص 68

وكانت تلك هى نظرة "بن جوريون" كما أسلفنا .

ويسجل تاريخ المناورات والخيانة الصهيونية خلال الحرب العالمية الثانية التى أشعلوها بين النازية والفاشية من جهة وبين الشيوعية من جهة أخرى ، وذلك لتضارب العقائد بينهما والاستفادة من تصفية هذه القوى الواعدة والمهددة للاستراتيجية الكبرى التى يعملون (عملاء) من أجل تحقيقها لأوروبا الغربية وأمريكا مقابل وطن قومى للصهاينة فى فلسطين .

ففى 10/ 12/ 1942 سأل "هملر" نائب هتلر رئيسه (هتلر) قائلاً :

"سألت الفوهرر عن رأيه فى إطلاق سراح اليهود مقابل الحصول على فدية، فأعطانى الصلاحيات الكاملة للموافقة على عمليات من هذا النوع" .

المصدر : كتاب يهودا باراك ص148 عن روجيه جارودى الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ص116

حيث قام هملر بإجراء اتصالات مع القادة الصهاينة .

ففى أبريل 1944 اقترح "إخمان" من زعماء النازية على المندوب الصهيونى "براند" مقايضة مليون يهودى بعشرة آلاف شاحنة ، على ألاّ تستخدم هذه الشاحنات إلا على الجبهة الروسية ، وقد ساند بن جوريون وموشى شاريت (شنيرتوك) هذا العرض ، بل وجه بن جوريون نداء "شخصياً" إلى روزفلت من أجل عدم السماح

بضيـاع هذه الـفـرصـة الفـريدة (وهى نقـل مليـون يهـودى من بين يـدى هتلر إلى فلسطين).

إلا أن هذه المؤامرة منيت بالفشل عندما قام الإنجليز والأمريكيون بإبلاغ السوفيت بتفاصيل المؤامرة ، حيث كان الاتحاد السوفـيتى هو السند الحقيقى والقوة الرئيسية فى الحرب العالمية الثانية الواقفـة بقوة فى وجه المطامع النازية ، فالجيش الأحمر هو الذى أنزل الهزيمة بالجيش النازى فى روسيا ، وأن أى خيانة صهيونية للجيش السوفيتى من الممكن أن تلحق هزيمة بالسوفيـيت وانتصاراً كبيراً لهتلر الذى لـم يكن سيتوقف عند هذا الانتصـار بل سيستمـر بعد قضائه على المقـاومة أو الجيش الأحمـر إلى بريطانيا وأمريكا ، حـيث كانت قـوات النازى الرئيسـية مـؤلفة من 236 فرقـة تواجه الجـيش الأحمر بينمـا كانت هناك 19 فرقة ألمانـية فى مواجهة الجـيوش الأمريكية والبـريطانية وكانت هناك 94 فرقة موزعة بين فرنسا والنرويج .

المصدر : روجيـه جارودى - الأسـاطيـر المؤسـسة للسياسة الإسـرائيلية - الناشر : دار الشـروق 1998 ص117 - 118 ■

الفصل التاسع

أسطورة الإبادة الجماعية ومحرقة الملايين الستة (الهولوكوست)

"الإبادة الجماعية شأنها شأن الوعد الإلهى فى التوراة ، هى إحدى الذرائع الأيديولوجية لإنشاء دولة إسرائيل"

توم سيجيف

خرافة التاريخ.... وحقيقة الأسطورة

"إن بقرة صهيونية واحدة فى فلسطين أثمن من كل يهود بولندا"

يتسحاق جرينباوم
(رئيس لجنة الإنقاذ بالوكالة اليهودية)
18/ 2/ 1943

يقف التاريخ حائراً وتائهاً ومتآمراً عليه .. !

عاجزاً عن الوصول إلى الحقيقة ، لكن فى ثناياه تكمن الوثائق ناطقة ومعبرة متصدية للأسطورة مهما استفحل شبحها وانطلق من داخله شيطان الخرافة يطمس معالم التاريخ المكتوب بمداد المؤامرات والأساطير ، فتنطلق الحقيقة ناطقة سواء شملها هذا التاريخ المفترى عليه أو لم يتناولها لتناقضها مع مَن سطّروه .

ففى الفترة من 1933 إلى 1939 عملت الصهيونية بكامل قدراتها الجاسوسية والمالية والتآمرية واضعة حداً لتناقض الشيوعية والنازية مقدمة فرصة للاستراتيجية الغربية الأوروبية الأمريكية ، هذا الحد الذى تمثل فى إشعال الحرب العالمية الثانية التى راح ضحيتها خمسون مليون من أرواح البشر ، بالإضافة إلى الدمار والفتك والأمراض

والعجزة والدمار النووى بما تركه من آثار ما زالت تلطخ جبين من أشعلوا هذه الحرب الخطيرة .

وكل التأكيدات والتفاعلات التى سبقت اندلاع الحرب العالمية الثانية، كما ذكرناها بالتفصيل سابقاً، تؤكد على الدور الكبير والمميز للحركة الصهيونية ، وكيف لعبت الدور المزودج مع الشيوعية ، فكسبتها فى صفها ، ثم كيف انطلقت لتستقطب الفاشية والنازية وتتعامل معها ثم تنسج من هذه العلاقات نسيج الحرب المدمرة .

ففى خطاب أمام الرايخستاج (البرلمان) فى 30/ 1/ 1939 يقول هتلر :

"إذا نجحت دوائر المال اليهودية العالمية ، داخل أوروبا وخارجها ، فى دفع الشعوب من جديد إلى أتون حرب عالمية ، فلن تكون النتيجة سيطرة الشيوعية على العالم وبالتالى انتصار اليهودية ، ..."

ويستطرد هتلر فى خطابه قائلاً :

"ويوسع اليهود أن يواصلوا حملاتهم الضارة فى بعض البلاد ، متحصنين فى ذلك بنفوذهم فى مجالات الصحافة والسينما والإذاعة والمسرح والأدب وغيرها . أما إذا نجح هذا الشعب مرة أخرى فى الزج بملايين البشر إلى صراع عبثى تماماً ، وإن كان ينطوى على مكاسب للمصالح اليهودية فسوف يكون ذلك برهاناً على فعالية العمل الذى أدى ، فى غضون سنوات قلائل إلى القضاء على اليهودية قضاءً مبرماً فى ألمانيا وحدها" .

المصدر : سجلات المحكمة العسكرية الدولية ، المجلد 31 ص 65

ويقول هتلر أيضاً وذلك من خلال ما نشرته المحكمة العسكرية فى نورمبرج :

المصدر : روجيه جارودى / الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ص 128

"إنه إذا ما عاود أولئك المتآمرون الدوليون فى الدوائر المالية والتمويلية معاملة شعوب أوروبا كما لو كانت مجرد رزم للأسهم المالية فسوف يتعين على هذا الشعب ، الذى يُعد للمجرم الحقيقى فى ذلك الصراع الدامى ، أن

يدفع الثمن باهظاً ، وأعنى بذلك اليهود !
إننى لم أدع لأحد ، أدنى شك فى حقيقة المصير الذى ينتظره ، وهو نفس مصير ملايين الأطفال من أبناء الشعوب الآرية الأوروبية الذين ماتوا جوعاً أو ملايين الرجال والشباب الذين حُرِقُوا أحياء من جراء قصف مدنهم بالقنابل ، ولا بد للمجرم أن يلقى عقابه ، حتى وإن تعين تحقيق ذلك بوسائل أكثر إنسانية"

والقارئ لكلمات هتلر التى استندت عليها محكمة "نورمبرج" لإدانته يلاحظ أن هتلر كان يشير إلى أن الصهيونية أو اليهودية هم سبب الحرب العالمية الأولى ، وهم سبب الضحايا الذين راحوا نتيجتها من ملايين الأطفال والرجال والنساء على حد قوله ، بالإضافة إلى تدمير المدن الألمانية ، كما يشير هتلر إلى أن اليهود يعودون من جديد الآن بمحاولة إشعال نار الحرب الثانية ، لذا فهو يحذرهم بأنهم إذا أقبلوا على ذلك فسوف ينتقم منهم .

(والملاحظ لتعبيرات "هتلر" يجد أنه دائماً يركز على كلمة (اليهود) ، حيث كانت الحركة الصهيونية كما ذكرنا فى حالة من التعاون مع النازية كما قدمنا فى هذا الفصل عن العلاقة بين النازية والصهيونية) .

وقبيل اشتعال الحرب العالمية الثانية ، نشاهد عدة ظواهر نوجزها فيما يلى :

1 - تغلغل الصهيونية فى الأوساط القيادية للفاشية والنازية من جهة والشيوعية من جهة أخرى ، بالإضافة إلى كونها (الصهيونية) ذاتها صنيعة الاستراتيجية الأوروبية الغربية والأمريكية .

ولقد تناولنا توضيح هذا مدعماً بالوثائق التى تؤكد هذه الظاهرة .

2 - أن اليهود ، كما اتهمهم هتلر كانوا السبب فى إشعال الحرب العالمية الأولى وهو يحذرهم من التمادى فى إشعال الحرب الثانية وإبادة ملايين الأطفال والرجال والنساء الألمانيين (الذين عبر عنهم بالمفهوم النازى "الآريين") ولذلك فإنه إذا نجح اليهود فى إشعال الحرب فهو سينتقم منهم مثل انتقامه

من الشيوعية تماماً .

3 - أن هناك موجة من العنصرية والتصفية العرقية انتابت قادة المعسكرين : المعسكر الغربي الذى يطلق على نفسه الشعوب الغربية المتحضرة ممثلة فى بريطانية وأمريكا وحلفهما ، والمعسكر النازى متمثلاً فى ألمانيا وإيطاليا وحلفهما .

وإن كانت النازية قد وصمها التاريخ بالعنصرية معتمداً على أفكارها التى تتطابق تماماً مع أساطير الصهيونية بل تخرج النازية أصلاً من رحم الصهيونية وتتلمذ قادة الصهاينة بالمقابل وتأثرت بهذه النزعات النازية ، وهذا الوصم التاريخى حقيقى باعتراف النازية نفسها ، فإن الملفت للنظر هنا والذى لم يسجله التاريخ صراحة ، بل وجدناه فى ثنايا أعماقه "ظاهرة العنصرية والتصفية العرقية" التى اجتاحت المعسكر الغربى الذى يطلق على نفسه المعسكر المتحضر .

بل الأكثر تفكيراً ، والذى يدعو إلى البحث بعمق عن الحقائق هو كيف وصل المعسكر المتحضر إلى هذه الدرجة من العنصرية وهذا النهج من التصفية العرقية ؟ وهذه الصفات المرذولة واللا أخلاقية "مكتسبة" أم "طبيعية" ، علماً بأنها إحدى ركائز الأساطير الصهيونية الدينية والسياسية التى أسسها أو ابتدعها "يشوع بن نون" فى سفر يشوع وهو يقتلع الشعوب التى قابلته اقتلاعاً نهائياً حتى وصوله إلى أرض كنعان "فلسطين" فلا يترك وراءه بشراً أو طيراً أو حيواناً (انظر الفصل الأول من هذا الكتاب) والسؤال يبقى مطروحاً للإجابة عنه من القارئ نفسه وهو :

ما الذى دفع بالشعوب المتحضرة فى أوروبا الغربية أن تكتسب صفة التصفية العرقية والتفرقة العنصرية إن لم تكن طبيعية ؟

فإذا كانت هذه الشعوب المتحضرة قد نهجت فى الماضى منهج التفرقة العنصرية والتصفية العرقية فى غزوها للقارة الأمريكية وإبادة القوم العضوى الآخر "الهنود الحمر" ثم الإغارة على القارة الإفريقية وسرقة أبنائها واتخاذهم عبيداً كالحيوانات ، ثم فرض التفرقة العنصرية فى أمريكا بعد التطهير العرقى للهنود الحمر .

فهل هذه صفة "طبيعية" أم "مكتسبة" ؟!

فقد كان عدد الهنود الحمر فى أمريكا 80 مليوناً أبيد منهم 60 مليوناً سواء بالقتل أو بالتصفية العرقية نتيجة السخرة والأوبئة وهم أكثر مما قتل مباشرة .

كما أنه تم سرقة واغتصاب عدد يتـراوح ما بين عشرة أو عشرين مليون نسمة من الأفارقة .

ولو وضعنا فى الاعتبار أن مقابل كل إفـريقى وقع فى أسر تجار العبيد ، كان هناك عشـرة آخرون يلقون حـتفهم أثناء عـملية الأسر لتـعين القول بأن عـدد من قتلوا من سكان إفريقيا يتراوح ما بين 100 مليون إلى 200 مليون نسمة .

المصدر : روجيه جارودى / الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، الناشر : دار الشروق 1998 ، ص 203 - 204

وإن كانت الشعوب التى تطلق على نـفسها معسكر الشعوب المتـحضرة (بريطانيا - أمريكا) وحلفهـما ، لهم ماض ملطخ بالتفرقـة العنصرية والتصفية العـرقية لملايين عديدة من البشر وأن مردّ ذلك كما تقول بعض الأوساط إلى انتشار روح النبى يشوع بن نون ، خاصة فى غزاة أمـريكا الذين حاولوا تقليده بحجة أن روحـه استشرت فى وجدانهم ، فإن مردّ ذلك يرجع إلى التأثير الأسطورى للصهيونية الدينية .

يؤكد ذلك "بنيامين نتنياهو" فى كتابه "مكان تحت الشمس" -سبق ذكره - ص77 بقوله :

"على أية حال ، كانت الصـهيونية سواء بالنسـبة لليهود أو المسيـحيين بمثابة تحقيق نبـوءة قديمة : ويحمل معـجزة للغرباء .. ويجمع إسـرائيل الشتات ، ويجتمع اليهود من كافة أقطار الأرض"

هكذا ، قال يشعـياهو (يشوع بن نون) . كما تنبأ يحـزقيل : "وخلصتكم من الغرباء وجمعتكم من كل الأقطار ، وأحضركم إلى أرضكم" .

لقد استخـدم رجال دين مسيحيون هذه الآيات قـبل خمسين سنة من ظهور الصهيونية" .

(على حد قوله .. فالصهيونية الدينية ظهرت عام 536 ق.م على ضفاف الفرات فى الشتات الأول) .

ففى عام 1814 نشرت فى نيويورك الموعظة الشهيرة للقس جون ماكدونالد أكد فيها الدور المركزى الذى تنبأ به النبى يشعياهو (يشوع بن نون) للدولة الجديدة فى أمريكا" .

فما الذى دفع الشعوب المتحضرة كما تطلق على نفسها من إشعال حرب نفسية كلامية تؤكد على النهج العنصرى والتصفية العرقية مع النازية التى أطلقوا عليها وصف العنصرية واعترفت أدبيات وفكر النازية بذلك ؟!

وللاستدلال على وجود محرض قوى ، وعامل يلهب مشاعر كل من الطرفين بحيث لا يجعل هناك فرقاً بين 'متحضر' و 'عنصرى' ، بل إن الجانب الذى يدعى التحضر بفعل 'فاعل' أصبح فى حربه الكلامية أكثر عنصرية وأكثر وحشيّة وأكثر تصفية عرقية .

ففى 4/ 9/ 1940 أعلن هتلر فى «سبورت بالاست» وقت نشوب الحرب :

"إذا ما ألقى الطيران الإنجليزى ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف كيلو جرام من القنابل ، فسوف نلقى نحن مائة ألف ، مائة وخمسين ألفاً ، مائتى ألف ، ثلاثمائة ألف ، أربعمائة ألف ، بل أكثر فى ليلة واحدة" .

وفى معرض الحرب الكلامية والرد على تصريح هتلر فى 4/ 9/ 1940 صرح 'كليتتون فاديمان' رئيس تحرير صحيفة نيويوركر الأسبوعية وأبرز الشخصيات فى 'هيئة كتاب الحرب' وهى هيئة شبه حكومية تابعة للشعب المتحصر (الحلفاء) قائلاً :

"إن الطريقة الوحيدة لجعل الألمان يفهمون هى قتلهم ، بل وأظن أنهم لن يفهموا عندئذ أيضاً" .

المصدر : جارودى -المرجع السابق ص 129

وفى أبريل 1942 صرح فاديمان قائلاً :

"ليس العدوان النازى الحالى مجرد عمل تقوم به شرذمة من الأشقياء ، ولكنه التعبير النهائى عن أعمق غرائز الشعب الألمانى ، فهتلر تجسيد لقوى أكبر منه ، والبدعة التى يبشر بها الآن ترجع إلى 2000 سنة . وما هى هذه البدعة ؟

إنها لا تعدو أن تكون نوعاً من التمرد على الحضارة الغربية التى بدأت مع "أرمينيوس" .. وهكذا تغدو الأبعاد الحقيقية لهذه الحرب واضحة جداً .

ويؤكد فاديمان على اقتراح "همنجواى" ويقول :

"إن الحل النهائى الوحيد هو تعقيم النازيين بالمعنى الطبى للكلمة " .

أى منع هذا العرق نهائياً من التناسل والتكاثر .

ويقول الأب "و . ويب" فى مقالة له بجريدة لندنية :

"يجب أن يكون شعارنا هو محوهم ، ومن أجل ذلك ، يجب أن تنصب علومنا كلها على اختراع متفجرات جديدة أشد هولاً.."

ويستطرد قائلاً :

"ولو كان الأمر بيدى لمحوت ألمانيا من على الخريطة ، فهم جنس شيطانى ابتليت به أوروبا على مدى قرون عدة" .

وفى يناير 1940 كتب الزعيم الصهيونى "فلاديمير جابوتنسكى" فى صحيفة "نتشاريتش" اليهودية قائلاً :

"إن مصالحنا اليهودية تقتضى إفناء ألمانيا تماماً ، فالشعب الألمانى بأكمله يمثل خطراً علينا" .

وفى 16/ 5/ 1940 صرح "تشرشل" نفسه فى حديث مع "بول رينو" قائلاً :

"سوف نقوم بتجويع ألمانيا، وسوف ندمر مدنها ، ونحرق محاصيلها وغاباتها".

المصدر : بول بودوين : تسعة شهور فى الحكومة 1948 ص 57

أما الوزير البريطاني اللورد "فانسيتارت" في حديثه عن معرض تبريره لوحشية وفظاعة الغارات والقصف التي تشنها القوات البريطانية على المدن الألمانية :

"إن خيرة الألمان هم الألمان الموتى .. إذن فلتمطر السماء بالقنابل" .

وأما التصريح الخطير والذي يعبر عن مدى التصفية العرقية والفصل العنصري وأكثر منه بكثير فيأتي من ثنايا المذكرة التي بعث بها "ونستون تشرشل" إلى رئيس أركانه الجنرال "هاستينجز ايماي" في يوليو 1944 قائلاً :

"أود أن تفكروا بشكل جدي في مسألة (الغازات الخانقة) .. فمن العبث أن نضع الاعتبارات الأخلاقية في الحسبان في هذه القضية ، بينما سبقنا العالم أجمع إلى استخدامها خلال الحرب الأخيرة دون أن يلقى ذلك معارضة من دعاة النزعة الأخلاقية أو من الكنيسة .. ومن جهة أخرى فقد كان قصف المدن المفتوحة يُعد أمراً محظوراً من قبل ، أما الآن فقد أصبح شيئاً عادياً وحقيقة واقعة ، فهو لا يعدو أن يكون مجرد تقليعة ، لا تختلف كثيراً عن التقاليع الخاصة بطول أو قصر تنورة المرأة .

وأود أن تدرس الأمر بأعصاب باردة وتبحث كم يكلفنا استعمال هذه الغازات.. ويجب ألا ندع المبادئ البالية تغل أيدينا..

إن بوسعنا أن نغرق مدن الرور وغيرها من المدن الألمانية ، بحيث يصبح أغلب سكانها بحاجة إلى تلقي علاج دائم .. وقد يتعين علينا الانتظار بضعة أسابيع أو بضعة شهور قبل أن أطلب منكم إغراق ألمانيا بالغازات الخانقة ، وإذا ما حدث ذلك فسوف نغرقها تماماً .. أما في الوقت الراهن ، فأود أن يتولى دراسة هذا الموضوع أناس عقلاء وليس جوقة من منشدي المزامير التي تبعث على الغم ، ممن يصادف المرء أمثالهم هنا وهناك" .

المصدر : مجلة أمريكان هيرتدج ، عدد أغسطس / آب سبتمبر / أيلول 1985

أما الكاتب الأمريكي اليهودي "ثيودور كوفمان" فقد جاء في سياق كتابه عام 1942 بعنوان "لا بد من إبادة ألمانيا" .

"إن الألمان جميعهم لا يستحقون الحياة (سواء أكانوا معادين للنازية أم شيوعيين أم حتى من أحباء السامية) ومن ثم ينبغي تجنيد ٢٠ ألف طبيب بعد الحرب لكى يقوم كل منهم بتعقيم 25 رجلاً أو امرأة من الألمان يومياً ، بحيث لا يكون هناك بعد ثلاثة أشهر أى ألمانى قادر على الإنجاب ، وبالتالى سوف يفنى الجنس الألمانى بأسره فى غضون (60) سنة" .

المصدر : روجيه جارودى / الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية . دار الشروق 1998 ص 132

ولم تكن هذه التفرقة العنصرية والتصفية العرقية (أسلوب يشوع بن نون) أسطورة الحركة الصهيونية مجرد حرب كلامية بحتة ، بل كانت واقعاً تم تنفيذه وربما أكثر ، فالمنتصر هو الذى يكتب تاريخ الحروب ، وهو الذى يعلن عن الأحداث .

لكن الجرائم الإنسانية لا يمكن أن تنتظر صفحات من التاريخ لتعبر عنها أو تكشف عنها ، فجريمة إلقاء قنبلتين نوويتين على كل من مدينتى "هيروشيما" و"نجازاكى" بأمر من "ترومان" رئيس الولايات المتحدة الأمريكية دون أى ضرورة عسكرية لذلك وراح ضحيتها مئات الآلاف قتلى ، ومئات الآلاف مشوهين وعجزة، ومئات الآلاف يحملون الأمراض لم تنتظر هذه الجريمة لكى يكتب عنها المنتصر فى الحرب العالمية الثانية .

ولم يكن التاريخ بحاجة إلى كتابة الجريمة الإنسانية الناطقة والمعبرة عن نفسها بمصرع 200 ألف على الأقل من المدنيين فى مدينة "درسدن" .. بأوامر من القادة الأمريكيين والإنجليز (الشعب المتحضر) بالإضافة إلى آلاف الجرحى فى هذه المدينة المنكوبة دون أن يكون هناك مبرر عسكرى على الإطلاق لإبادة المدنيين حيث كان الجيش الأحمر قد تخطى هذه الأهداف ولم يعد هناك أى مبرر للقصف .

وغيرها كثيراً من الأعمال الإجرامية واللا إنسانية التى ارتكبت تأكيداً وتعبيراً عن الحرب الكلامية المعبرة عن التصفية العرقية والتفرقة العنصرية لم تكن مجرد حرب نفسية ، بل حقيقة واقعية .

وإن كانت النازية ، قد أعلنت عن نفسها أنها حركة عنصرية عرقية .. كما كتب عنها التاريخ وأن قادة النازية ومجرمي الحرب قد تم تقديمهم إلى محاكمة مجرمي الحرب ، فإن هذه المحكمة العسكرية طبقت قانون الغاب سواء فى الحرب أو فى المحاكمة ، فالمتهمون فقط هم المهزومون وليس هناك متهم آخر غيرهم فلا "فاديمان" أو "تشرشل" أو "ترومان" أو كل من ارتكب جريمة راح ضحيتها الآلاف تمت حتى مساءلته وليس محاكمته .

(وحتى لا نبعد بعيداً عن الجو السائد قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية أو حتى الجو السائد فى بدايتها ودور الحركة الصهيونية فى أحداثه وتفاعلاته ونتائجه فإننا نكمل هذه الظواهر) .

4 - أن الحركة الصهيونية كما ذكرنا فى تعاملها وتقاربها قبل اندلاع الحرب (1933 - 1939) كانت على علاقة طيبة مع الفاشية والنازية وما تم تقديمه من مراجع تثبت ذلك فى هذا الفصل عن الفاشية والنازية والصهيونية كافية أن تؤكد ذلك ، هذا بالإضافة إلى كون (كما أسلفنا الذكر) أن المبادئ التى انطلقت منها الفاشية والنازية هى نفس المبادئ التى ارتكزت عليها أو تأسست بمقتضاها الحركة الصهيونية (التربة - الدم - القوم العضوى - ... الخ) .

كما عبر عن ذلك جلياً "إدوين بلاك" مؤرخ اتفاقية هعفراه :

"إن الصهيونية هى الفلسفة السياسية المستقلة الوحيدة التى وافق عليها النازيون" .

فقد ركزت كما ذكرنا حسب المراجع المنوه عنها ومن ثنايا التاريخ حجم الصداقة والتعاون بين الحركة الصهيونية والنازية ، وفى المقابل لتشجيع الصهيونية للنازية بقتل وإبادة كل يهودى لم يغادر ألمانيا أو أوروبا إلى فلسطين .

لذلك رأينا امتناع رئيس لجنة الإنقاذ بالوكالة اليهودية "يتسحاق جرينباوم" من مدّ

يد المعونة إلى اليهود المنفيين حتى لو وصفوه بأنه عدو للسامية .

وعبر عن ذلك أيضاً بن جوريون فى أكثر من مرة ، وكانت عبارة رئيس لجنة الإنقاذ بالوكالة اليهودية والمنوط له الدفاع عن اليهود وإنقاذهم قوله :

"إن بقرة صهيونية واحدة فى فلسطين أثمن من كل يهود بولندا" .

وتدلنا هذه الظواهر مجتمعة ، بالإضافة إلى نتائج الحرب العالمية الثانية ، أن المؤامرة كانت أكبر من أن يستوعبها التاريخ المغلوب على أمره ، وأن ضحايا هذه الحرب فاقوا أو تعدوا الخمسين مليوناً من البشر ، قدم الاتحاد السوفيتى وحده 17 مليوناً ، وقدم الشعب الألمانى وحده 9 ملايين ، وقدمت بولندا وأوروبا الشرقية وفرنسا والمجندين من أفريقيا وآسيا بمن فيهم اليهود الباقى وهو 24 مليوناً ، وكأن هناك محركاً قوياً وخفياً لا تهمه ملايين البشر سواء من (الشعب الحضارى) أو من الشعب (الآرى) .

حتى لا يهمه اليهود .. فبقرة واحدة صهيونية يتم تهجيرها إلى فلسطين أفضل من إنقاذ كل يهود بولندا ما داموا غير صهيونيين أو ما داموا يفضلون الاندماج على الرحيل والهجرة إلى ما يسمى بإسرائيل ! !

وانتهت الحرب .. وضحاياها بالملايين لا يعرف عنهم التاريخ شيئاً ، ولم يقم لهم وزناً .. إلا الصهاينة الذين سموهم اليهود .

فملايين البشر من الاتحاد السوفيتى الذين راحوا ضحية الحرب لا قيمة لهم فى محكمة "نورمبرج" .. ولا الملايين من ضحايا الشعب الألمانى لهم قيمة باعتبارهم كلهم مجرمى حرب ولا قيمة حتى للفرنسيين أو الإيطاليين أو حتى لضحايا (الشعب المتحضر) فى بريطانيا وأمريكا ..

ناهيك عن ضحايا الجريمة اللا أخلاقية .. ضحايا ترومان والصهيونية .. ضحايا القنبلة النووية فى هيروشيما ونجازاكى خاصة أن الجريمة تؤكد بشاعة الأمريكيين الذين ارتكبوها بعد أن أعلنت اليابان استسلامها .. لا أحد فى المحكمة العسكرية

بعد الحرب يجرؤ على الكلام ...

فقط انتهت الحرب ..

وفقط عقدت المحكمة ..

من أجل قتلى اليهود ... !!

من أجل ملايين اليهود .. !!

من أجل الأسطورة التى سعت الصهيونية لارتكابها ضد اليهود يتم التشنيع بها وجعلها أسطورة جديدة تضاف إلى الأساطير المؤسسة للصهيونية .

"إن الإبادة الجماعية ، شأنها شأن الوعد الإلهى فى التوراة ، هى إحدى الذرائع الأيديولوجية لإنشاء دولة إسرائيل" .

"توم سيجيف"

كـانت تلك هى الحـرب المدمرة ، وكـانت تلك نتـائجـهـا المروعة، إبـادة أكثـر من خمسين مليوناً من البشر من الاتحاد السـوفيتى ومن ألمانيا ومن كل دول العالم بمن فيهم فرنسا وإيطاليا وبريطانيا، وآخرون لـيس لهم "ناقة ولا جمل" فى تلك الحرب، شعوب دفعت أرواح أبنائها نتيجة فتنة متقنة أقامتها الأساطير الزائفة لحرب ضروس بين النازية والفاشية من جهة وبين الشيوعية والرأسمالية (العالم المتحضر) من جهة أخرى.

وضـحى قـادة الصهـاينة بأرواح اليـهـود أنفـسهم ، اليـهـود الذين لم يلبـوا نداء الأسطورة والاسـتراتيـجيـة بالذهاب أو (العـودة) حسب الأسـاطيـر إلى فلسطين أو (أرض الميعاد) .

وإن كنا ضـد قتل "إنسـان" ، أى إنسان فـى العالم تحت عـجلات الحـروب وبين تروسهـا ، أو نتيجة وباء سـاقط من السلاح النووى أو نتيـجة لأى تفرقـة عنصرية أو إبادة عرقيـة - أو أى نتيجة أخرى تصل إلى تصـفية روح خلقهـا الله عز وجل، فإننا بالتأكيد فـى بحثنا هذا ، لم نقصد ، ولن نقصد أن نسكت على قـتل اليهود وإبادتهم سواء الذين لم يذهبوا إلى فلسـطين أو الذين قتلهم "هتلر" أو أبادتهم النازية ، وليس اليـهود وحـدهم الذين نقف ضـد قتلهم أو إبادتـهم ، بل نقف ضد إبادة أو قـتل أى إنسان مهما كان .... نقف ننعى ونؤبن ونعظ آلة الدمار والحرب ، ونرفع الوعى لكل الشعوب التى دفعت ثمناً غالياً فى تـلك الحرب العالمية الثانية ، نقف مع 17 مليوناً من السوفـيت الذين حصدتهم وأبادتهم أسـاطير بائدة ودعاوى عـرقية وفلسـفات نظرية تطاحنت مع بعضـها فى شرق وغرب أوروبا ، فـأبادت أيضاً (9) ملايين من الشعب الألمانى الضحية الثانية لعقائد قادة أوروبا الغربية (الفاشية والنازية) ضد عقائد أوروبا الشرقـية (الاتحـاد السوفـيتى) ، خـدمة للاسـتراتيجـية الكبـرى التى يقودها الـشعب المتحضر (بريطانيا - أمريكا) وبالعامل الوسيط الصهيونى الذى ضحى حتى بالآلاف

من اليهود فى بولندا وألمانيا وغيرهم .

فكما قال بن جوريون أول رئيس وزراء للدولة الصهيونية :

"ليست مهمة الصهيونى هى إنقاذ بقية شعب إسرائيل الموجودين فى أوروبا، بل إنقاذ أرض إسرائيل من أجل الشعب اليهودى" .

ونقـول نحن : إن أرواح البشـر أغلى من أية أسطورة وأقـدس من أى خـرافـة ، وأطهر من أى هدف استعمارى، فالذى يضحى بشعبه، يضحى بكل شىء من بعده .

ويقول بن جوريون أيضاً فى 7/ 12/ 1938 أمام جمع من الصهاينة :

"لو عرفت أن بالإمكان الاختيار بين إنقاذ جميع أطفال اليهـود فى ألمانيا ، بتوطينهم فى إنجلترا ونقـل نصف هؤلاء الأطفـال فـقط إلـى إسـرائيل ، لفضلت الخيار الثانى دون شك" .

مصدر سابق ومكرر لنفس هذه المقولة

ونقول نحن أيضاً : إن إنقاذ حياة الأطفال اليهود أو غير اليهود من أى كارثة ، هى إنقاذ المستقبل ولا يمكن أن يضحى قائد أو مسئول بحياة جيل بكامله (أطفال اليهود) مقابل خرافـة أو أسطورة أو فكرة أو حتى حقيقة ، إلا وكـان هذا القائد أو المسئول لا يقل وحشـية عن النازية أو الفاشـية ، وبالتالى أكـدت الصهيـونية أنها أكـثر وحشـية وإبادة (حتى لجنسها) من الفاشية والنازية .

فكما أكد "توم سيجيف" فى كتـابه "المليون السابع" للناشر : ليـانا ليفى ، باريس 1993 ، ص 539 :

"لم يكن إنقـاذ يهـود أوروبا يشـغل مـوقع الصـدارة فى قـائمـة الأولويات بالنسـبة للنخـبة القـيادية للصـهيـونية ، فـقد كـان همهم الأول هو تأسـيس الدولة" .

وتقول مذكرة للجنة الإنقـاذ فى الوكالة اليهودية عام 1943 (كما وردت فى كتاب المليون السابع "لتوم سيجيف") :

"هل ينبغى علينا أن نمد يد العون إلى جميع من يحتاجون إلى العون ، دون أن نأخذ فى الاعتبار خصائص كل منهم ؟ أليس من الواجب علينا أن نضفى على هذا العمل طابعاً قومياً صهيونياً ، وأن نعطى الأولوية لإنقاذ أولئك الذين يمكن أن يكونوا مفيدين لأرض إسرائيل ولليهودية ؟! ".

ونقول نحن لهذه اللجنة التى سُميت لجنة الإنقاذ فى الوكالة اليهودية :

أى نوع من التفرقة العنصرية والحقد الأعمى أوصلكم إلى أن تجعلوا من أناس يدينون بدين واحد هم (اليهود) فتمدون يد العون إلى مجموعة منهم وتتخلون عن الأخرى لتلقى حتفها ، لأنها لا تتبع الحركة الصهيونية الاستعمارية الجديدة ؟!

وتستمر لجنة الإنقاذ فى الوكالة اليهودية فى طرح مذكرتها قائلة :

"علينا أن نعترف صراحة أنه لو كان بوسعنا الاختيار بين إنقاذ عشرة آلاف شخص ، من بين الخمسين ألف شخص الذين يمكنهم المشاركة فى بناء الوطن وفى البعث القومى ، أو إنقاذ مليون يهودى ليصبحوا عبئاً على كاهلنا ، أو على الأقل كتلة منعدمة ، فإن من الواجب علينا أن نقصر جهودنا على إنقاذ العشرة آلاف شخص ، وذلك بغض النظر عن الاتهامات أو المناشدات التى قد يطلقها المليون شخص الذين تركوا دون إنقاذ" .

ونقول نحن لهذه اللجنة العنصرية الصهيونية (النازية) التى أطلقت على نفسها "لجنة الإنقاذ" والتابعة أو إحدى لجان الوكالة اليهودية ، هذه الوكالة التى تمثل آلية العمل للحركة الصهيونية السياسية الجديدة :

أولاً : إنكم بتصريحكم فى هذه المذكرة التاريخية العنصرية أكدتم على حقائق هامة طالما حاولتم التستر عليها بادعائكم الباطل والكاذب من أن اليهود ينتمون إلى "دم واحد" .

فهل هناك بشر يضحون بإخوتهم فى الدم ويتركونهم للهلاك النازى لمجرد الاختلاف فى المذاهب السياسية ، فيتركون غير الصهيونى للموت والإبادة وينقذون الصهيونى ؟

ثانياً : إنكم برهنتم على أن الأفراد الذين يدينون بالديانة اليهودية ليسوا قوماً واحداً أو دماً واحداً أو عرقاً واحداً ولذا كان اختياركم لإنقاذ مجموعة من الذين يدينون بالديانة اليهودية ليس لأنهم (يهود) ، بل لأنهم ينتمون إلى عقيدة سياسية "الصهيونية" .

ثالثاً : إن ترك مليون أو أقل أو أكثر من اليهود ليلقوا حتفهم دون مساعدة لجنة الإنقاذ بالوكالة اليهودية ليعد جرماً إنسانياً مزدوجاً، فهم يتركونهم عن عمد كما ذكرت المذكرة لأنهم ليسوا قوميين صهيونيين ولن يفيدوا إسرائيل الصهيونية (فهذا جرم أن نضحى بالقتل بأناس لا يتفقون معنا فى الرؤيا أو العقيدة السياسية) والجرم الثانى، هو جعل هذه الضحية التى ارتكبتها الصهيونية عن عمد مادة إعلامية ودعائية تطلقها بعد الحرب وتندد بالذين قتلوهم أو أبادوهم.. إنه لمنتهى القسوة والإجرام والوحشية والتضليل .

ولماذا نذهب بعيداً ؟!

فقد قال وصرح رئيس هذه اللجنة 'لجنة الإنقاذ بالوكالة اليهودية' تصريحه الشهير ومقولته العنصرية الصهيونية النازية :

"إن بقرة صهيونية واحدة فى فلسطين أثمن من كل يهود بولندا" .

ونقول نحن للسيد 'يتسحاق جيروينباوم' رئيس لجنة الإنقاذ بالوكالة اليهودية :

إن ملايين الأبقار والحيوانات لا تساوى حياة إنسان واحد على هذه الأرض، مهما كان هذا الإنسان ، بل إن ملايين الأبقار لا تساوى دمعة أو استغاثة طفل يهودى أو غير يهودى يُقتاد إلى التصفية .

لكن الأسطورة كانت أكبر ، وشيطانها أعظم سيطرة ، وشبحها قتل الإنسانية فى قلوب هؤلاء القادة الصهاينة ، الذين لسوء الحظ سمَّوا أنفسهم 'قادة الإنقاذ' ! ، فأنقذوا كطبيعتهم العنصرية النازية (الصهيونية) الصهاينة فقط ، وفضلوا 'بقرة' 'مجرد بقرة' بشرط أن تكون صهيونية على ملايين اليهود ما داموا غير صهيونيين !!

الهولوكوست:

"إن إنشاء دولة إسرائيل هو الرد الإلهى
على الهولوكوست"

حاخام صهيونى

ليس هناك أدنى شك فى أن اليهود كانوا من بين الضحايا الذين التهمتهم الحرب العالمية الثانية ، تلك الحرب التى من الممكن أن نطلق عليها (حرب لا أخلاقية) ، ففيها أُحرق البشر بشتَّى أنواع الأسلحة المحرّمة سواء من سلاح نووى أو غازات سامة أو جرثومية أو غازات كيميائية محرمة .... الخ .

ولم يقصّر أى من الفريقين المتحاربين فى استعمال أسحلة الإبادة الشاملة ، فكانت بلا شك حرباً لا أخلاقية مثل الذين أوقدوها تماماً ومن بين الخمسين مليوناً الذين لقوا حتفهم ومعظمهم من المدنيين، كان هناك بعض اليهود !!

والأهم هنا فى الإشارة إليه أن عدد اليهود الذين راحوا ضحية تلك الحرب القذرة لا يشكل الأساس فى المعنى المستخلص من الحرب ، فإن كان هناك خلاف على عدد اليهود ، والذين راحوا ضحيتها ، مثلهم مثل الملايين من البشر الذين لقوا حتفهم فيها، فإن هذا الخلاف هو مردّهُ نسج أسطورة سياسية جديدة للعزف عليها من قبل الصهيونية ليسمع صداها ملايين البشر ويؤكدون على الأسطورة القديمة عقدة / عقيدة الاضطهاد والتصفية العرقية لليهود .

إن موت إنسان يهودى واحد مثل موت أى إنسان على هذا الكوكب بدون ذنب يعتبر جريمة أخلاقية ، فيصبح موت ألف أو مليون أو ثلاثة لا فرق بين المليون وأربعة ملايين أو ستة ملايين - المهم هو الحدث - وكان هناك بالفعل عذاب وموت لليهود

مثل غيرهم ، لكن الصهيونية ، والصهيونية فقط جسّمت الحدث من الواجهة العنصرية البحتة ، فأخذت كل وسائلها الإعلامية والدعائية من خلال وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية ، وكل أشكال الأدب والفنون والمسرح والسينما فى تجسيم إبادة أو قتل اليهود على يد النازية الهتلرية دون غيرهم ، فنهجت نهجاً أكيداً لتكوينها لم يفطن العالم ولا الشعوب المتحضرة لهذا النهج حتى من خلال التأبين لضحايا الحرب العالمية الثانية ، فكان كل شىء من أجل اليهود الذين أبيدوا ، وهذا حق !! .. (لكنه الحق الذى يُراد به باطل) أن يكون اليهود وحدهم !! ، فحتى التأبين كان عنصريا !!

وكأن النازية أو الحرب العالمية الثانية لم تتسبب إلا فى مقتل بضعة ملايين أو أكثر أو أقل من اليهود ، علماً بأن عدد القتلى بعد أن انتهت الحرب ، وفقط من خلال آثارها ، أو من خلال أثر واحد منها على الدول الأخرى التى لم تشترك فى الحرب ، والتى ليس لها علاقة "بصراع الأفكار" أو بتحقيق الاستراتيجية" أو بالوصول إلى "تنفيذ الأسطورة" أصبح بالملايين كما عبر عنه المؤتمر الدولى الأخير لمكافحة الألغام الأرضية وتحريمها .

فكانت الألغام الأرضية والبحرية التى زرعها أقطاب تلك الحرب القذرة فى أراضى الدول التى لم تشترك فى الحرب ، وبالأخص فى منطقتنا العربية فى الجزء الواقع من سهل بنغازى وحتى الاسكندرية ، علاوة على الألغام الأرضية فى عديد من دول العالم التى لم تشارك أيضاً فى الحرب ، ولم تعرف شيئاً عن سببها وهدفها وغرضها ، فإن عدد الذين لقوا حتفهم بعد انتهاء الحرب القذرة وحتى يومنا هذا ، وحتى فى المستقبل القريب أو البعيد ، يفوق قتلى اليهود فى الحرب العالمية الثانية ، مئات المرات .

وإن كانت النازية مع الصهيونية قد تآمرتا على إبادة أو قتل أو نفى كل يهودى فى ألمانيا أو أى أرض تحتلها النازية أى أنه كان هناك هدف من إبادة أو نفى اليهود من أوروبا ، وهذا ما أطلقوا عليه "الحل النهائى" لليهود ، فإن الملايين من الأطفال

والنساء والشيوخ والشباب من دول عديدة ، يذهبون ضحية الألغام التى زرعتها هذه الحرب القذرة فى أراضى هذه الدول المسالمة ، كل يوم وحتى الآن .

لكن العالم كله تحول إلى سماع العزف الصهيونى الحزين ، لإنشودة حزينة ومؤثرة ، وهى الإبادة التامة لليهود على أيدى النازية وأى إبادة - إبادة بكل أنواع الجرائم - المحرقة ، الأفران ، الغازات السامة .

وكان فيلم "الهولوكوست" الذى يعكس بصورة جليًّة ، وذلك الإصرار على تحويل الجرائم التى ارتكبت بحق اليهود إلى حدث استثنائى فريد ، لا يمكن أن يقارن البتة بالمذابح النازية التى راح ضحيتها آخرون من غير اليهود ، بل ولا يمكن أن يُقارن بأى جريمة أخرى عبر التاريخ ، ذلك لأن ثمة طابعاً مقدساً لمعاناة اليهود وموتهم ، وهو ما يتجلى فى معنى كلمة "هولوكوست" "holocauste" الواردة فى معجم لاروس الشامل (جزءان ، باريس 1969، ص 772) والذى جاء كالتالى :

"الهولوكوست طقس للتضحية مألوف لدى اليهود ، وفيه تحرق النار القربان بالكامل" .

المصدر : روجيه جارودى - الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية - الناشر : دار الشروق 1998 ص 207

ومن ثم فإن استشهاد اليهود لا يقارن بأى استشهاد آخر ، فطبيعته المقدسة تجعله جزءاً لا يتجزء من مشيئة الله وإيذاناً بعهد جديد ، شأنه شأن صلب "يسوع" فى الفكر المسيحى ، ولهذا لم يكن غريباً أن يعلن أحد الحاخامات أن :

"إنشاء دولة إسرائيل هو الرد الإلهى على الهولوكوست" .

انتهت الحرب العالمية الثانية ، كما انتهت الحرب العالمية الأولى بانتصار الحلفاء ، ورسم خريطة سياسية جديدة للعالم ، والاختلاف البسيط الذى وقع نتيجة لانتهاء الحرب العالمية الثانية ، كان ظهور القوة السوفيتية أو ما أطلق عليه المعسكر الشرقى ، كقوة جديدة فرضت نفسها على أحداث العالم . لتضبط موازين القوى فى العالم

المتشكل بعد الحرب العالمية الثانية ، وظلت هذه القوى، "المعسكر الغربى" ، و"المعسكر الشرقى" فى مواجهة باردة لم ترتق إلى حد حرب كونية ثالثة وأُطلق على تلك الفترة من انتهاء الحرب الثانية عام 1945 إلى عام 1995 على الأكثر أى لمدة نصف قرن تقريباً "بالحرب الباردة" .

وإن كانت نتيجة الحرب العالمية الأولى ، قد دسَّت أو وضعت فى أحشاء الأمة العربية الجنين البلفورى "وعد بلفور" فإن نتيجة الحرب العالمية الثانية قد أفسحت المجال بدون فترة حضانة لاستقبال المولود الجديد وهو الإعلان عن ميلاد دولة جديدة فى قلب الوطن العربى تسمى دولة "إسرائيل" عام 1948 .

ولدت "إسرائيل" كنتيجة طبيعية لأحداث حرب قذرة وغير أخلاقية ، تجرد قادتها (قادة هذه الحرب) من كل ضمير إنسانى .. وقبع فى وجدان وعقل كل منهم (نازى .. فاشى .. متوحش) يقتل ويبيد ويدمر بكل أنواع الأسلحة المحرمة من غازات سامة إلى قنابل نووية ، وشهدت الفترة التى نمت فيها إسرائيل (الحرب الباردة) فكانت فترة حضانة طبيعية لترعرعها وتمددها ونموها ، وكان على طرفى النقيض أو قطبى هذه الحرب الباردة ، قوتان جديدتان ، هما القوة الأمريكية التى أصبحت القيادة الجديدة أو الوريث الطبيعى "للاستراتيجية" بعد الإمبراطورية البريطانية ، والقوة الثانية هى الاتحاد السوفيتى، والمؤسف أيضاً فكما كانت نتيجة الحرب العالمية الأولى خروج الحركة الصهيونية بأكبر الغنائم متمثلة فى وعد بلفور وخلق خريطة سياسية جديدة وزرع ممالك جديدة وملوك جدد على الخريطة السياسية للشرق العربى (السعودية - الأردنية الهاشمية - الدول الهاشمية الثانية بالعراق .. الملك فيصل) ، ثم عقد أول معاهدة سلام بين الحركة الصهيونية ، وهى لم ترتق بعد إلى دولة ولو بالاغتصاب ، وبين الأمير فيصل رمز الأمة العربية فى تلك الفترة والمدعو وقتها بممثل الدولة العربية الكبرى .

وفى تلك الاتفاقية كما ذكرنا سابقاً يعترف الأمير الهاشمى بوعد بلفور ، وبفلسطين أرض موعودة للصهيونية ، وأكثر من ذلك ، إلى التعاون مع الحركة الصهيونية فى تنفيذ وعد بلفور بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين وذلك بتوقيعه

على التعاون مع الحركة الصهيونية فى تشجيع اليهود للعودة إلى فلسطين .

والمدهش هنا (للملاحظة) ، أن السيد بنيامين نتنياهو رئيس الدولة الصهيونية ، يقول فى كتابه تحت الشمس (مرجع سبق ذكره ص291) معلقاً ومعترضاً على اتفاقية "أوسلو" بين منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة "ياسر عرفات" وبين الدولة الصهيونية بقيادة "إسحاق رابين/ شيمون بيريز" حيث قال بالنص الحرفى :

"لم نسمع فى التاريخ ، أن دولة أجرت مفاوضات سلام مع منظمة، ظلت ملتزمة بالعمل على إبادتها ، وتقدم لها تنازلات بعيدة المدى إلى هذا الحد" .

ونقول نحن للسيد نتنياهو : إنك لم تقرأ التاريخ جيداً حتى وهو لصالحكم ليكون حكمكم على الأحداث من منطلق الواعى لأحداث عصره ، خاصة عندما يكون قائداً لمجموعة ما ، سواء لمنظمة أو دولة .

فالتاريخ عمل على تبادل المواقع تماماً فحلَّت المنظمة الصهيونية فى تفاوضها مع ملك العرب "فيصل" محل منظمة التحرير فى تفاوضها مع رئيس وزراء الدولة الصهيونية مع الفارق بين الدولة الصهيونية والدولة العربية فى الشرعية والقانونية الدولية لدولة ووجود كل منهما .

وعودة إلى الموضوع ، قبل أن تأخذنا أزقة الأحداث فنتوه فى دهاليزها ، فإن نهاية الحرب العالمية الثانية بقدر ما كانت مأساوية على جميع ساكنى المعمورة على الأقل ، نتيجة لإبادة خمسين مليوناً من البشر وضعفهم جرحى وعجزة ومفقودين ومشوهين .. الخ تأخذنا مقولة أحد الحاخامات الصهيونية الذى قال :

"إن إنشاء دولة إسرائيل هو الرد الإلهى على الهولوكوست" .

لتأتى هذه المقولة تفسيراً طبيعياً واضحاً وفاضحاً للدعاية الصهيونية التى قامت معتمدة على أسطورة الاضطهاد ، التى صورتها الدعاية الصهيونية المركزة والتى جسمتها تجسيماً جعل كل أوروبا وأمريكا إن لم يكن العالم بأثره ينسى الخمسين مليوناً الذين كانوا ضحية الحرب العالمية الثانية ، ولم تبق أمام أعينهم على شاشات

السينما وخشبة المسارح فى أوروبـا أو فى وكالات الأنباء العالمية إلا أحداث ومآسى المذابح الرهيبة التى تعرض لها اليهود . والجدير بالذكر هنا أن الفريق المنتصر فى هذه الحرب "اللا أخـلاقية" وهم الحلفاء والاتحـاد السوفيـتى والذين حاولوا مجتـمعين أن يبينوا للعـالم فظاعة الفـاشية والنازية خـاصة بشاعـة هتلر ، فإن الدعـاية الصهيـونية بتقـديمها الملحـمة الحزينة والمؤثـرة للعذاب الذى لاقاه اليـهود من حـرق وإبادة وقتل بالغـازات السـامة .. الخ من تصـوير أبشع الجـرائم الإنسـانيـة التى شهـدتهـا الكرة الأرضية .

وتناولنا لهذا المـوضوع ليس من أجل معـارضتنا لخرافـة الملايين الستة من اليـهود ضحايا الغازات والمحارق النازية ، فقد ذكرنا أن العدد ستة ملايين هو عدد خرافى .. لكن حتى ولو كان مليـوناً واحداً من اليهود فإنها جريمة بمعنى كل الـكلمة لن يغفرها التاريخ أبداً مهما بعدت به مسافات الزمن عن الحقبة التى وقعت فيها .

لكن لماذا أعطت الحركة الصهيونية هذا الاهـتمام الضخم لتضخيم هذه الأسطورة (عقدة / عقيدة الاضطهاد) وصورتها بكل هذه البشاعة اللا إنسانية للنازية الهتلرية ؟

وتجيب الحقائق التاريخية الدامغة على هذا التساؤل بالوثائق والتحليلات التالية :

١ - أن إسرائيل كـانت تعلم أنها مقبلة على إعلان دولة جديدة لم تكن مـوجودة أصلاً على الخـريطة السيـاسية ، دولة بلا تاريخ أو جـغرافـية أو تراث أدبى، دولة غريبـة تتكون من شتى جنسـيات العـالـم ، تجمعـوا لا يربطهم إلا رباط واحد فقط بالإضافـة إلى الدين الواحد وهو العقيدة الصهـيونية ، فكان على مؤسسى تلك الدولة أن يبحثوا عن تراث حضارى يُبنى على أسطورة جديدة غيـر الأساطيـر القديمة التى ملّ العـالم من سماعـها (السـامية - شـعب الله المختـار - الأرض الموعودة .. الخ) ، وعلى الفـور كانت الأسطورة الـقديمة (الاضطهاد) فى ثوب جـديد وهو (الإبادة) لتتخذ من هذه الأحـداث تاريخاً اجتمـاعياً ، ومحطاً لأنظار العالـم ، هذا الـعالم الذى يعتقد اليـهود أنه ظلمه وشرده أكثر من مرة ، فلا بد أن تكون الدولة الجديدة (إسرائيل) مزاراً مقدساً

ليهود العالم ومزاراً لتقديم الاعتذار والاعتراف بالذنب من جميع قادة العالم الذى ظلموا وشردوا اليهود ، ويتضح ذلك من متاحف الإبادة التى أولتها الدولة الصهيونية عناية فائقة ومن أهمها "متحف يادفاشيم" ويادفاشيم كلمة عبرية معناها "النصب والاسم" .

"إنى أعطيهم فى بيتى وفى أسوارى نصباً واسماً أفضل من البنين والبنات. أعطيهم اسماً أبدياً لا ينقطع" .

وكل مسئول رسمى لابد من زيارته النصب التذكارى للملايين الستة من اليهود خلال زيارته لإسرائيل.

كما تم افتتاح "متحف الهولوكوست التذكارى" الذى افتتحه الرئيس كلينتون فى أواخر أبريل 1993 فى أرض المعارض بواشنطن والذى تكلف تسعين مليون دولار وصممه المهندس الأمريكى اليهودى "جيمس فريد" كما يوجد متحف آخر هو "متحف الإبادة فى لوس أنجلوس" وتم افتتاحه فى فبراير 1979 ويدعى "بيت شواه" أى بيت الإبادة .

بالإضافة إلى العديد من المتاحف الأخرى فى معظم الولايات المتحدة الأمريكية.

2 - أن أسرائيل محتاجة إلى تعاطف شعوب العالم وقادته عند ولادتها فهى فى حاجة إلى موقف من كل دولة من دول العالم ، أو صك قانونى تصكه كل دولة من دول العالم اعترافاً قانونياً بميلادها ، وكان عليها أن تصور نفسها أنها الضحية .. ضحية المهزوم .. ولكن أى مهزوم .. إنها ضحية النازية والفاشية ، ضحية العالم كله مقابل إنقاذه من شرور النازية والفاشية .

3 - أن القادة الصهيونيين يريدون أن يأكدوا لجميع العالم ، وعلى رأسهم قادة الحلفاء وقادة الاتحاد السوفيتى ، أنهم كانوا فى قلب الأحداث أيضاً فى هذه الحرب الثانية مثل الحرب الأولى وأن تضحيتهم بملايين اليهود لأكبر دليل على صدق موقفهم ، ويرى الصهيونيون أنهم كلما زاد العدد .. كلما زادت

التضحية ، يقابلها زيادة فى التعاطف وزيادة فى الغنيمة وهى (أرض فلسطين) .

4 - أن الفكر الصهيونى تعمق أكثر بحيث يقدم صورة للمجتمع الدولى بأنه الضحية المستمرة منذ ألفى عام من التشريد والشتات ، ختمها بملايين ستة فى أفران الغاز النازية حتى يمحو أى عقيدة عالقة بأذهان الفكر الإنسانى عن الصهيونية الدينية ، بداية من يشوع بن نون ، مروراً بالتلمود ، نهاية بالمستقبل الذى ينتظرهم ، والذى قد تعرفوا عليه فى مقاومتهم لثورة فلسطين عام 1936 ، واستشهاد خمسة آلاف فلسطينى، فقد كان إدراك الصهاينة عميقاً ، حيث أيقنوا أن مستقبلهم فى فلسطين وتحويلها إلى إسرائيل لا بد أن يقوم على التصفية العرقية ، وحتى لا يعترض أو لا يصدق العالم ، أو لا يتعاطف العالم مع شعب فلسطين ، فكان عليهم أن يصوروا أنفسهم بأنهم ضحية هتلر من أجل إنقاذ العالم .

ولقد نجحت الأفكار الصهيونية نجاحاً لم يتناسب مع حجم الدعاية المركزة سواء من أفلام مثل الهولوكوست ، قائمة شندلر أو المسرحيات والروايات مثل محاكمة هتلر فى رواية جورج ستاينر أو كتابات بريمو ليفى وجيرزى كوزينسكى ، وكثيراً من المفكرين الذين تناولوا "مفهوم الإبادة" ومعظمهم من اليهود مثل الحاخام الأمريكى "إرفينج جرينبرج" ، والحاخام ريتشارد روبنشتاين، والمفكر الدينى اليهودى الكندى "أميل فاكنهايم" .

ولكنهم رغم كل الهيستريا الإعلامية الصهيونية ، فإن الخطاب الغربى أو العقل الغربى لم يستسلم نهائياً لهذا الحشو الصارخ من الأفكار عن الإبادة النازية لليهود ، وكأنه لم يمت فى الحرب غيرهم ، بل أكثر من هذا بدأ أيضاً الفكر الأدبى الغربى يتحرر مؤكداً على جرأته فى التصدى للخوف متحللاً من عقدة اضطهاد الأدباء والمفكرين بمعاداة السامية - أى رفض التحريم المفروض على الفكر الأوروبى والأمريكى والغربى بصفة عامة ، حتى المفكرون اليهود أنفسهم ، استطاعوا التصدى

للنهج التحريمى واعتبروه النازية الصهيونية أو النازية اليهودية، فقد وصف البروفسير "لابيو فيتز" سياسة إسرائيل فى لبنان بأنها نازية يهودية .

المصدر : عبد الوهاب المسيرى - مصدر سبق ذكره ص225

وفى عام 1960 اعترف الدكتور "كوبوفى" الخبير فى "مركز التوثيق" فى تل أبيب بأنه :

"لا يوجد أى وثيقة ، موقعة من "هتلر" أو "هملر" أو "هايدريش" تتحدث عن إبادة اليهود .. ولا ترد كلمة "إبادة" فى رسالة "جورينج" إلى "هايدريش" بخصوص الحل النهائى للمسألة اليهودية .

المصدر : لوسى دافيد وفيتش - الحرب على اليهود 1975 ص 121

وتحررت الجامعات من عقدة معاداة السامية ومن الخوف والتحريم المفروض عليهم إزاء الحديث أو الخوض فى مسألة الإبادة النازية لليهود .

ففى فبراير 1979 عُقدت حلقة دراسية فى جامعة السوربون فى باريس بغرض التصدى للكتابات النقدية لمن يدعون إلى "إعادة النظر" من أساتذة الجامعة فى حقيقة واقعة الإبادة ، وفى المؤتمر الصحفى الذى أعقب الحلقة ، اضطر كل من "ريمون أرون" و "جاك فوريه" إلى الاعتراف بأنه :

"بالرغم من البحث الدائب المستفيض ، فإنه لم يعثر مطلقاً على أمر من "هتلر" بإبادة اليهود" .

كما اعترف "لاكير" فى عام 1981 بأنه :

"لم يتم حتى الآن العثور على أمر مكتوب صادر عن "هتلر" بإبادة الجماعات اليهودية فى أوروبا والأرجح أنه لم يصدر أى أمر من هذا النوع على الإطلاق" .

المصدر : والتر لاكير - السر الرهيب - فرانكفورت ، برلين ، فيينا 1981 ص190

. وكانت من أهم الشـهادات الكاشفـة لزيف الهيسـتريا الإعلاميـة الصهيـونية عن الملايين الستة شهادة أحد القضاة الذين أوفدتهم الولايات المتحدة الأمريكية إلى موقع "داخـاو" (أحد مـعسكرات الاعـتقـال التى أقامـهـا النازيون فى ألمانيا) الذى أصبـح معسكراً أمريكياً ومركزاً لمحاكمات جرائم الحرب يقول القاضى "ستيفن بينتر" :

"عشت فـى داخاو لمدة (17) شهـراً بعد الحـرب ، بوصفى قـاضياً عـسكرياً أمـريكياً ، وأشـهـد أنه لم تكن هناك غـرف غاز فى داخـاو ، أمـا ما كـانت تعرض على الزائرين بوصفها غرفة غاز ، فليـست فى الحقيقة سوى محرقة لجثث الموتى . وبالمثل ، لم تكن هناك أى غرف غاز فى معسكرات الاعتقال فى ألمانيا ، وقـد قيل لنا إن ثمة غـرفة للغاز فى مـعسكر "أوشفيـتس" (أحد معـسكرات الاعـتقال الـكبيـر التى أقامـها النازيون فى ألمانيـا) ، ولكن هذا المعسكر كان يقع فى المنطقة الخاضعة لسيطرة الروس ، ولم نستطع الحصول على إذن منهم لزيارة المكان ..

وهكذا فهم يستـغلون نفس الأسطورة الدعائية القديـمة التى تقول إن ملايين اليهـود قد قـتلوا ، وبوسعى أن أؤكـد ، بعد أن أمـضيت ست سنـوات بعد الحرب فى كل من ألمانيا والنمسا ، أن كثيراً من اليهود قد لقوا حتفهم فعلاً ، ولكن عددهم لا يصل قطعاً إلى المليـون .. وأظن أننى أقدر من أى شخص آخر على الحديث فى هذا الشأن".

المصـدر : رسـالة من بينتـر إلى المجـلة الكاثولوكـية الأسبوعية أورصانداى فيزبتور ، 14 يونيه 1959 ص 15 عن روجيه جارودى مصدر سبق ذكره ص 167

كـما حـفل الأدب والفكر الغـربى بعديد من المواقف الـفكرية المعبـرة عن رفض العقل الغـربى والخطاب الغربى للأسطورة الصهـيونية (سـتة ملايين يهودى ضـحايا الأفـران الغـازية النازية) بل إن الفكـر السيـاسى أيـضاً نهـض متـحـدياً المحـرمـات والمقدسات المفروضـة عليه بعدم التصدى للصهيـونية ، وكشف أو تحليل أو الإعلان عن ما يسىء لهذه الحركة .

وسوف نكتفى فقط بمثال واحد لكل من الفكر الأدبى والفكر السياسى الغربى ، فعلى صعيد الحالة الفكرية ، ومن رواية جورج ستاينر الشهيرة "محاكمة هتلر" والتى تحولت إلى مسرحية نالت شهرة عالمية لم تنلها مسرحية من قبل إلا القلائل وفى هذه المسرحية حينما تم القبض على "هتلر" وخلال محاكمته .

ينقل لنا المؤلف (وهو عالم لغوى بريطانى يهودى يعمل حالياً أستاذاً فى جامعتى كامبردج وجنيف) إجابات "هتلر" ودفاعه عن نفسه فيقول هتلر (فى المسرحية) مدافعاً عن نفسه :

النقطة الأولى :

"يجب أن تفهموا أننى لم آخذ شيئاً ، لم يكن الجنس المتفوق من بنات أحلام أدولف هتلر !! .. لقد تعلمت قوة تعاليمكم الخفية .. تعاليمكم أنتم .. شعب الله المختار .. شعب اختاره الله لنفسه .. العرق الوحيد المختار على وجه الأرض وجعله الإله فريداً دون البشر .. لقد تعلمت أن أى شعب لا بد وأن يكون مختاراً كى يحقق مصيره ، وألا يكون هناك أى شعب آخر فى نفس مرتبته .... أن تهزم أرضها الموعودة وتستعيد كل من يقف فى طريقها .... لم تكن عنصريتى سوى تقليد هزلى لعنصريتكم .. ماذا سيكون الرايخ الذى سيدوم ألف عام بالقياس إلى صهيون الأبدية .. فلتصدروا حكمكم علىّ ولكن يجب أن تصدروا حكمكم على أنفسكم كذلك - أيها المختارون" .

المصدر : عبد الوهاب المسيرى - مصدر سبق ذكره
ص 196 - 197

أما إجابة هتلر عن الاتهام الثانى الموجه إليه يرد هتلر قائلاً :

"لم أكن أسوأ القبحاء .. بل الأمر أبعد ما يكون عن ذلك .. كم عدد التعساء الصغار الذين قتلهم أصدقاؤكم (المستعمرون) البلجيك فى الغابات إما بشكل مباشر أو بتركهم يموتون جوعاً من مرض الزهرى ، حينما

اغتصبوا الكونغو ؟
أجيبوا علىّ يا سادة .. أم يجب علىّ أن أذكركم ، عشرون مليوناً .. هذه النزهة الحلوية كانت قد بدأت وأنا فى المهد صبياً ؟ فى لعبة الأرقام السوداء لست أسوأ اللاعبين" .

ويصف هتلر فى دفاعه عن نفسه أن الصهيونية نفسها هى الأخرى تهدف إلى القضاء على اليهود ولا يهمها إلا الأرض الموعودة (فلسطين) وقيام دولة إسرائيل ، مؤكداً على أن كل بلاء العالم من اليهود ..

وعن الاتهام الثالث يجيب هتلر (المسرحية) قائلاً :

"هذا الكتاب الغريب المسمى الدولة اليهودية (كتاب هرتزل والإنجيل الصهيونى) قرأته بعناية بالغة . إن كلماته جاءت من أعماق بسمارك (والعسكرية البروسية) اللغة ، والأفكار وحتى النبرة نفسها ، إنى أثق معكم أنه كتاب ذكى صاغ الصهيونى على شاكلة الأمة الألمانية الجديدة . ولكن من الذى خلق إسرائيل فى واقع الأمر ، هرتزل أم أنا ؟
انظروا إلى السؤال دون تحيز ؟
هل كان من الممكن أن تصبح فلسطين إسرائيل .. دون مذبحة الإبادة التى قمت بها .
إن مذبحتى هى التى أعطتكم شجاعة الظلم التى جعلتكم تطردون العربى من منزله ، وحقله ، لأنه كان يقف فى طريقكم .
هذا هو الذى جعلكم قادرين على تحمل معرفة أن هؤلاء الذين قمتم بطردهم ، يجلسون يكاد يأكلهم العفن فى معسكرات اللاجئين ، على بعد أقل من عشرة أميال (من وطنهم) مدفونين إحياء فى بؤسهم" .

ثم يختتم هتلر المرافعة بهذه الكلمات :
"إيها السادة أعضاء المحكمة :
لقد أخذت عقائدى منكم .. إن جرائم الآخرين فاقت جرائمى . إن الرايخ هو الذى ولد إسرائيل .. هذه هى كلماتى الأخيرة .. فى وسط التردد وعدم

اليقين تظل الأمور معلقة حتى يحين وقت كشف كل الأسرار" .

وبكلمات هتلر النهائية تنتهى المرافعة ولا ينطق ممثل النيابة العامة ، ولا يتحرك المحامون ، ولا يجيب القضاة !

بل يختم الروائى العبقرى اليهودى جورج ستاينر روايته أو مسرحيته بحسم القضية ، حيث تنتهى الرواية بالعالم الخارجى يحدق بالقضاة والمحامين والمتهم ، وتضيع الكلمات (وربما الحقيقة والعدل أيضاً) فى ضجيج المحركات المنبعث من صوت الطائرات .

هذا هو الفكر الأدبى لأوروبا وأمريكا فى السبعينيات .. الفكر الذى تجرأ وعرى الصهيونية تماماً .. وعرّى صناع الاستراتيجية (الإمبراطورية البريطانية) وقادتها الآن (الولايات المتحدة) بل عرّى العالم أجمع فى تستره على جرائم الصهيونية بحق اليهود .. وبحق الفلسطينيين .. وبحق العرب وبحق العالم أجمع ، ومن جانبنا رأينا أن مهما كانت كلماتنا أو شرحنا المحايد لن يضيف جديداً .. فإجابات هتلر أمام القضاة (الحلفاء) كانت واضحة فأصبح القضاة فى قفص الاتهام .

والمثال الثانى عن الفكر السياسى الذى تحرر هو أيضاً ليقدم احتجاجاً على الممارسات النازية اليهودية بحق الفلسطينيين واللبنانيين واليهود كما ذكرنا سابقاً ، يشير هنا إلى حادثتين من نوع واحد .

الأولى : كشف د . هرتزل روزنبلوم ، مدير تحرير صحيفة يديعوت أحرونوت ، عام 1958 بأنه :

> **"فى عام 1940 كان القادة الصهاينة فى منظمة "الهاجاناه" (بزعامة بن جوريون فى ذلك الوقت) يرغبون فى إثارة شعور السخط على الإنجليز ، الذين كانوا قد قرروا إنقاذ اليهود الذين يتهددهم الخطر فى ظل الحكم الهتلرى ، وذلك بنقلهم إلى جزيرة "موريشيوس" . وفى سبيل تحقيق هذه الغاية لم تتورع قوات الهاجاناه عن تفجير الباخرة التى تقل هؤلاء اليهود (وهى ناقلة البضائع الفرنسية باتريا) عند توقفها فى ميناء حيفا يوم**

25/ 12/ 1940 مما أسفر عن مصرع 252 يهودياً بالإضافة إلى أفراد طاقم الباخرة الإنجليز" .

وأكد "يهودا باور" صحة هذه الواقعة فى كتابه يهود للبيع / الناشر : ليانا ليفى ، باريس 1990 ص 84 .

وليست هذه الباخرة المنكوبة الوحيدة التى شهدت أعمالاً إجرامية من المنظمة الصهيونية واليات عملها فقد شهدت الباخرة "سانت لويس" عام 1939 مصيراً أفظع من الباخرة "باتريا" عام 1940 ، حيث رفضت الولايات المتحدة الأمريكية السماح لتلك الباخرة بالرسو فى الشواطئ الأمريكية رغم أنها كانت تحمل 1128 لاجئاً يهودياً فارين من هتلر ، ورغم أنها وصلت حتى هافانا . وفى نهاية الأمر أُعيدت السفينة إلى ألمانيا ليلاقى الفارون مصيرهم .

"وأخيراً نجرؤ على الكلام" ■

الفصل العاشر

القـــــادة
خمسون عاماً من الصراع

"إن المستر تشرشل شديد الاقتناع
بالصهيونية كعادته ، وقد جاء هذه
المرة (في يالطا) يطلب إعطاء اليهود
ليس فقط فلسطين وإنما ليبيا أيضاً"

روزفلت

الوثيقة الأمريكية من سفارتها بالقاهرة
رقم 545 - 3/ 1 . ف 867 في 5/ 3/ 1945

المملوك الشرقى المزركش..والمتوحش النبيل

"سـوف أظل أعـمل من أجل الهـدف وتحقـيقـه فى أسرع وقت ممكن ، وهذا الهدف هو إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين"

روزفلت
17/ 5 /1945
نيويورك تايمز

اقتربت الاستراتيجية من التطبيق وتحقيق الهدف ، وسيطر شبح الأسطورة على كل ما عداه معلنا أنها واقع أزلى ، وكان كل من القادة فى ذلك الوقت سواء القادة الجدد للاستراتيجية وعلى رأسهم (روزفلت) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، وتشرشل رئيس وزراء بريطانيا ثم من بعده كليمنت أتلى ووزير خارجيته إرنست بيفن ، وستالين رئيس الاتحاد السوفيتى ، وأيضاً قادة الأسطورة (الصهيونية) وعلى رأسهم بن جوريون رئيس "الهاجاناة" ورئيس مجلس الوزراء الإسرائيلى فيما بعد ، وأبا إيبان وجولدا مائير مساعديه ورفيقيه، وناحوم جولدمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية وبيجن .. الخ . يقابلهم على الجانب العربى القادة العرب ممثلين فى الأسر الحاكمة مثل أسرة آل سعود (الملك عبد العزيز آل سعود) ، وأسرة الهاشميين (الملك

عبد الله فى الأردن ، وأسرة الملك فيصل فى العراق) وأسرة محمد على (الملك فاروق فى مصر) وغيرهم من قادة سورية ولبنان .. بالإضافة إلى الحاج أمين الحسينى بفلسطين أى أن قادة الاستراتيجية وقادة الأسطورة وقادة الفريسة (الوطن العربى) فى الفترة التى أعقبت انتهاء الحرب العالمية الثانية ، هم الذين صاغوا التاريخ ورسموا الحدود وأقاموا الدول والإمارات وأسسوا بمقتضى وجودهم أهم الأحداث التاريخية التى وقعت من عام 1945 – حتى نهاية القرن العشرين .

وكانت الفترة الهامة من تاريخ الصراع العربى الصهيونى ، أو من تاريخ ميلاد الجنين الذى زرعه بلفور فى أحشاء الأمة العربية ، وهى الفترة من (1946 – 1948) ، والتى شهدت ميلاد الدولة اليهودية (الصهيونية) والتى أطلقوا عليها إسرائيل بعد انتهاء الانتداب الإنجليزى على فلسطين 15/ 5/ 1948 ، ودخول الجيوش العربية إلى فلسطين ، ثم هزيمة الجيوش العربية على أيدى العصابات الصهيونية عام 1948 والذى سمى فى ذاكرة العرب بعام النكبة ، والإعلان عن قيام دولة إسرائيل ، بعلم جديد يرفرف لأول مرة فى تاريخ البشرية ، معلناً عن ميلاد دولة جديدة (والجدير هنا أن هذا العلم أو الشعار الذى بدأ يرفرف فوق سماء دول العالم وعواصمه الآن بما فيها القاهرة نفسها وعمان وغيرهما من العواصم العربية يتكون من لونين أزرقين يتوسطهما نجمة ، والكثير قد لا يدرى أن اللونين الأعلى والأسفل باللون الأزرق هى إشارة إلى الفرات والنيل وأن النجمة هى نجمة داود فى المنتصف إشارة إلى مملكة داود التى تأسست عام 1000 ق . م) فى منتصف المنطقة الواقعة بين الفرات والنيل (فلسطين) وكأن العلم الذى رفعته الصهيونية واختارته ، إنما رفعته لترفع معه الأسطورة القائلة :

فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً :
"لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير الفرات"

سفر التكوين 15 : 18

قبل أن نتطرق إلى سنوات الحسم (1946 : 1948) فإن قادة الأمم هم الذين يكتبون

الأدوار والسيناريو ويختارون من يقوم بأدائها ، وقادة تلك المرحلة، كما قسمناهم :

1 – **قادة الاستراتيجية .**

2 – **قادة الأسـطورة .**

3 – **قادة الفريسـة .**

ومن هؤلاء القادة فقط قادة الاستراتيجية الذين لديهم القدرة على الكتابة وصياغة السيناريـو الجغرافى والتـاريخى للعالم ، وقـادة الأسطورة، منهمكين، عـاكفين على ترتيب البيت من الـداخل وتطهيره، وتعـقيمه، من كل الشـعوب الطفيلـية لاستقـبال المولود الجـديد (إسـرائيل). أمـا قادة الفـريسـة، وهم قـادة الوطن العـربى ، فى ذلك الوقت، لم يجدوا لهم دوراً يـقومون به غيـر التصفـيق أو الاعتراض أو التـفاعل مع الأحـداث الجديـدة للسيـناريو العـالمى أو النظام العـالمى الجديـد، حيث سـيطر قـادة الاستراتيجية على مقاليد الأمور فى العالم عـقب انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة، وأصـبـحـوا هم قـادة العـالم بلا منازع ، وإن كـانت الخـلافـات الأيديولوجـيـة بين الرأسمالية (الحلفـاء) وبين الشيوعية (الاتحاد السوفيـتى) قد بدأت تأخذ مكانها على مسرح الأحـداث العالمية، فقد كان مـؤتمر "يالطا" لتقسيم الغنائم أكـبر دليل على قوة القيادة الجديدة التى سادت العالم، فأبطال الحـرب اللا أخلاقية الثانية بقيادة روزفلت وتشرشل وسـتالين يجتمـعون فى يالطا ليرسـموا من جديد الخريطة الجـديدة للعـالم، والصـهيـونية هى المسـتفـيد الأول، لأنهـا كانت المضـحى الأول بملايين اليهـود التى حصدتهم النازية.

وبعودة إلى القـادة ، وما فعلوه وكـتبوه ووزعـوه ووقعوا عليـه فى "يالطا" تطالعنا إحدى الوثائق التى تصور حالة القادة وطريقة تفكيـرهم ووصفهم لقادة الأمة العربية ذلك الوقت ومطامع الصهيونية ، ليس فقط فى فلسطين ، بل فى ليبيا أيضاً !

وثيقة رقم 545 – 1/3 . ن 867

المصدر : هيكل – مرجع سبق ذكره –ص154 – 195

وهى مـذكـرة من الكولونيل هوسكنز (الملحق بالمفـوضيـة الأمـريكيـة بالقـاهرة

والمشرف على تنسيق العلاقات بين المفوضية الأمريكية فى سوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية والعراق وإيران وأثيوبيا - وهو ما يظهر أن مهمته فى الشرق الأوسط كانت فى واقع الأمر مهمة مخابرات) إلى المستر "بول إيلينج" مدير شئون الشرق الأدنى وإفريقيا .

1945/3/5

عزيزى بول

إنك طلبت إلىّ حين التقينا أن أبعث إليك بملخص لما دار أثناء غدائى مع الرئيس روزفلت يوم السبت الماضى .

إن الغداء كان خاصاً إلى أبعد حد ، ولم يكن هناك غير الرئيس والمسز روزفلت (اليانور روزفلت زوجة الرئيس) والمسز بوتيجر ، وهذا ملخص ما جرى فيه فيما يتعلق بفلسطين . إننى سألت الرئيس عما إذا كانت مشكلة فلسطين قد نوقشت فى "يالطا" ورد السيد الرئيس روزفلت بقوله : "ليس تماماً" ، ثم قال الرئيس : "إن المستر تشرشل شديد الاقتناع بالصهيونية كما هى عادته دائماً ، وقد جاء هذه المرة بطلب إعطاء اليهود ليس فلسطين فقط وإنما ليبيا أيضاً" .

وقال الرئيس : إنه أشار إلى كلام تشرشل أثناء حديثه مع ابن سعود الذى اعترض بعنف قائلاً : إن هذا ظلم للمسلمين فى شمال إفريقيا"

إن السيدة اليانور روزفلت تدخلت فى الحديث عند هذه النقطة مشيرة إلى العمل الجيد الذى يقوم به الصهيونيون فى أجزاء من فلسطين ، وقد وافقتها على ذلك . وقال الرئيس إن ذلك قد يكون صحيحاً فى المنطقة الساحلية من فلسطين ، ولكنه عندما طار فوق هذا البلد عائداً للولايات المتحدة (بعد انتهاء رحلته فى يالطا ، وبعد انتهاء اجتماعه مع الملك عبد العزيز آل سعود والملك فاروق، لاحظ أن فلسطين الداخل تبدو جرداء صخرية . وردت مسز روزفلت بقولها : "إن الحركة الصهيونية تشعر أنها قادرة على كل شىء بما فى ذلك مواجهة العرب فى قتال مسلح فى فلسطين" .

إن الرئيس روزفلت وافق زوجته على أن ذلك احتمال وارد ، لكنه ذكّرها

أن هناك ما بين 15 – 20 مليون عربي يحيطون بفلسطين ، وفى المدى البعيد، يظن أن العدد سوف تكون له الغلبة ، ومن جانبي ذكّرت الرئيس بأن الحركة الصهيونية هاجمتنى شخصياً بسبب تقرير قدمته له سنة 1943 قلت فيه : "إن الصهيونية لا تستطيع أن تقيم دولتها فى فلسطين وتحافظ عليها إلا من خلال القوة" . وقد سألت الرئيس عما إذا كان موافقاً على ما استخلصته. ورد عليه بقوله "تماماً" .

وسألت الرئيس عن رأى ستالين فى اليهود ، وقال لى : إن ستالين قال له إنه ليس صديقاً للصهيونية ولا عدواً لها . وعقب الرئيس (روزفلت) على ذلك بقوله : "إن ستالين لم يكن ذلك العدو المخيف لليهود والذى حاول البعض تصويره لنا هنا" .

إمضاء

هارولد هوسكنز

وقبل أن تدلنا هذه الوثيقة على شخصية قائد الاستراتيجية ، وطريقة تفكيره والأحداث التى كانت تدور من حوله أو يدورها حول الكرة الأرضية فإننا يمكن أن نلمح التالى :

أولاً : الصهيونية لم تكتف بفلسطين فقط ، بل طلبت إعطاءها ليبيا أيضاً فى مؤتمر يالطا لتكون وطناً لهم بالإضافة إلى فلسطين .

وهذا يطرح أمامنا أكثر من استفسار :

- هل كانت الصهيونية تريد ليبيا لتستوطن الشمال الإفريقى كله ؟
- هل كانت الصهيونية تريد ليبيا وطناً لهم من أجل حصار مصر بين فلسطين وليبيا شرقاً وغرباً ، وبالتالى مع المستقبل يكون من السهل إسقاط قدرة ودور مصر ، مصر الشبح المخيف للصهيونية ؟
- هل كانت الصهيونية تعى الدور الذى يمكن أن يلعبه العرب فى المستقبل

خاصة مصر وليبيا إذا اتحدا مع السودان لتكوين دولة عربية كبرى وبالتالى تشكل هذه الدولة خطراً أكيداً على الاستراتيجية ، ومن الممكن أن تقضى عليها ؟

- هل كانت ليبيا بالنسبة لليهود مجرد مدخل للسيطرة على الشمال الأفريقى وصولاً إلى يهود المغرب ؟ أو أنهم كانوا يعلمون بالثروة النفطية والطبيعية لمستقبل هذه الأرض ؟

- أم أرادت الصهيونية أن تكون باستيطانها فى ليبيا ، فى قلب أحداث أوروبا، ويكون من السهل التأثير أو السيطرة على أوروبا، ومن الصعب خنقها أو موتها داخل فلسطين (الصغيرة نسبياً) ؟!

ثانياً : أن الإمبراطورية البريطانية بزعامة تشرشل ، كانت تحاول فى تلك الفترة التمسك بقيادة الاستراتيجية التى سقطت منها وتسلمتها الولايات المتحدة الأمريكية بزعامة قائد قوى مثل روزفلت وبالتالى حاول تشرشل أن يكون صهيونياً أكثر من الصهاينة أنفسهم .

ثالثاً : أن قادة أو قائد الاستراتيجية يفكر بعقلية جديدة ، حيث يلمح أن المستقبل مهما فعلوا من مساعدة الصهيونية يبقى لصالح العرب حتماً ، وضرب مثلاً على ملايين العرب المحيطين بفلسطين ، وقال إن هؤلاء أعداء الصهيونيين وحولهم ومحيطين بهم بالملايين من الشرق والغرب والشمال والجنوب .

رابعاً : أن القيادة الجديدة للاستراتيجية كان لديها من الذكاء والدهاء ما يجعلها بعد مؤتمر يالطا تحديداً أن تقوم بزيارة إلى أرض "الفريسة" ليلتقى بقادة الفريسة فى محاولة لتقييمهم .

فقد وصل روزفلت على ظهر المدمرة الأمريكية (لاحظ استعراض القوة) الطراد "كوينسى" فى مياه البحيرات المرة وسط قناة السويس ، وهناك قابل

الملك عبد العزيز آل سعود ، والملك فاروق (لاحظ اختيار الأسرتين أو الملكين : الملك عبد العزيز آل سعود (شيوخ البترول) بالإضافة إلى ما تمثله السعودية كأرض مقدسة للمسلمين ، واختيار (الملك فاروق بما تمثله مصر من ثقل والدور المنوط منها فى المستقبل - حيث كانت فى تلك الظروف تجتاز العراق أوقات عصبية ، بعد وفاة الملك فيصل الأول ، ثم بمأساة مصرع ولى العهد "غازى" فى حادث سيارة غامض داخل قصر الزهور فى بغداد، ثم الانقلاب العسكرى بقيادة "بكر صدقى" ثم جاءت ظروف الحرب ، وإذ بالثورة تندلع فيه بقيادة السيد "رشيد عالى الكيلانى" ثم الغزو البريطانى للعراق بقيادة فيلق الجنرال "جلوب" وعودة الأسرة الهاشمية إلى حكم العراق .

لهذا فضل روزفلت اللقاء فقط بأهم اثنين فى أرض الفريسة (الوطن العربى) الملك فاروق (مصر) الذى التقى به على ظهر الطراد "كوينسى" (لاحظ الإهانة هنا ، بالإضافة إلى استعراض القوة ، فرئيس الولايات المتحدة الأمريكية فى زيارة لمصر ، وفي مياهها الإقليمية ، ثم ملك مصر يذهب إليه وإلى ظهر طراده "كوينسى" .

والملك الثانى عبد العزيز آل سعود (شيخ البترول) وعندما سُئل روزفلت عن رأيه فيهما قال :

فاروق هو "المملوك الشرقى المزركش" .

أما ابن سعود فهو "المتوحش النبيل"

خامساً : نلاحظ أن الصهيونية بدأت تنسج مناطق توتر جديدة بعد انتهاء الحرب مباشرة ، علـى أمل التمهيد والاستعداد لإشعال حرب عالمية ثالثة ، فقد عملت الصهيونية على تأجيج روح العداوة والبغضاء بين القادة المنتصرين على النازية والفاشية فقد دأبت الصهيونية حتى خلال الحرب العالمية ببذر بذور الفتن والخيانة والانتقام من الشيوعية ، وأكدت على مقولات النازية

من جهة واحـدة فقط ، وهو عداؤها أى عداء النازية للشيوعـية ، فراحت تضخم طمـوح الشيـوعية ومـقولاتها وفلسـفتهـا السطحيـة كنظرية ضد الرأسمالية ، مع أن الشـيوعية والرأسمالية وجـهان لعملة واحدة ، وبدأت تجمع الحلفاء فى حلف جديد ضد صديق الحرب ومنقذ الغرب من النازية (الاتحاد السوفيتى) .

وتجعله العدو الجديد بعد ألمانيا لأمريـكا والحلفاء وذلك ترتيباً ، واستعداداً لإشعال حرب عـالمية ثالثة يحصلون منها على مـزيد من الأرض العربية ، فإن كـانت الحرب الأولى قد ولدت وعد بلـفور ، والحرب الثانيـة أنجبت المولود حـتـى بسط نفـوذه على فلسطين ، فـإن الحـرب الثـالثـة فى نظر الصهيـونية ستقوم ، والصهـيونية موجودة بالفـعل على أرض هى أرضها ودولة وجيش وحكومة وأحـزاب ، وديمقراطية كمـا يدعون ، أى سيكون لهذه الدولة الدور الرئيـسى فى الحرب ، والتى ستعلنه أيضـاً عندما يلوح النصر مع أى طرف من الأطراف ، وتطـمع الصهيونيـة فى نتيجـة الحرب العالمية الثالثة إلى تحـقيق الأسطورة القائلة «أرضك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل» كما ينطق (عَلَمُها) بذلك .

من هنا وجدنا فى حديث الرئيس روزفلت ذكره فى نهاية حديثه كما جاء فى الوثيـقـة المذكورة «أن سـتـالين لـم يكن ذلك العـدو المخـيف ، والذى حاول البعض تصويره لنا هنا» .

النكبة .. ولعبة الثلاث ورقات

"مشروع الجامعة العربية بقطع العلاقات
مع الغرب كلام فارغ ..
هل ابن سعود سيقطع علاقاته مع
الأمريكيين ، الجامعة ليست جامعة
والقرارات ليست قرارات"

الملك عبد الله فى رسالة
إلى الصهاينة

ظل الشعب العربى يتلقى الضربات والهزائم العسكرية على الأقل ، إن لم تكن العسكرية والسياسية من قادة الاستراتيجية ، سواء القادة القدماء أو القادة الجدد ، وفى كل ضربة أو هزيمة تحل به ، يصاب الشعب العربى بالفجيعة والذهول ، فلم تكن الأمة مدركة ولا واعية بما خُطط لها من مؤامرات ، وليس فقط ، ثأراً للحملات الصليبية ، ولكن لأن أمن أوروبا والشمال بأكمله بما فيه أمريكا ، أصبح مرهوناً بالقضاء مستقبلاً على أى دولة عربية واحدة (أو وحدة عربية) ، كما نسمّيها الآن فى الفكر القومى العربى ، ولم تكن الأمة تعى الأخطار المحيقة بها فى سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية ، خاصة السنوات التى سبقت عام 1948 ، وكانت النكبة التى نتحدث عنها ، نكبة 1948 والتى تمثل أولى حلقات الصراع العربى مع أحفاد الفكر الصليبى متمثلة فى أول لقاء عسكرى وتاريخى بين الجيوش العربية وبين العصابات المرتزقة الأوروبية (الصهيونية) على أرض فلسطين ابتداءً من 15 - 5 - 1948 ، لتسجل تلك العصابات أول انتصار فعلى عسكرى على جيوش دول عربية كاملة (ستة جيوش عربية على الأقل) ، فكانت مصيبة الأمة العربية ، أو كانت فجيعة المفاجأة فى العقل العربى ، الذى أسلم لبديهيات مقدماتها سليمة وصحيحة، وهى

الكم الهائل من العرب أمام (حفنة) كما يردد العرب دائماً ، ثم الصحوة السطحية التى سبقت النكبة فى القيادات العربية ، والتى من شأنها خلقت لأول مرة جامعة تلم الشمل الممزق للأمة العربية ، وهى جامعة الدول العربية مارس / آزار 1945 ، وبالتالى فإن المسلمات البديهية سليمة بالنسبة للعقل العربى ، والذى كان مطمئناً أن الجيوش العربية ستقضى على العصابات المرتزقة لليهود ، (وكما يسمونهم آنذاك) ، وستعود فلسطين وأرضها إلى أصحابها .. لكنها (النكبة) كانت فى ذلك الوقت صدمة للعقل العربى ، وحزناً ، أدمى قلوب كل العرب من المحيط إلى الخليج (كما يقولون) .

وتوالت الضربات العسكرية ، فى أى لقاء للجيوش العربية مع المرتزقة الصهاينة (الجيش الإسرائيلى) وفى كل مرة تقع الهزيمة .. ويصاب العقل العربى بهزة .. وكان العقل العربى قد وقف رافضاً تماماً لفهم ما يدور من حوله لا يحاول التفتيش والبحث ، أو التفكير فى الأسباب الحقيقية لهذه الهزائم .

وبعودة إلى أول نكبة أو حرب النكبة فى عام 1948 ، ما قبله وما بعده لكى نفهم الأبعاد الحقيقية لهذه النكبة أسبابها ونتائجها ، ولماذا أسماها العقل العربى أو الشعب العربى ، أو الفكر العربى بالنكبة .. فإننا نبدأ مباشرة بفكرة إنشاء جامعة الدول العربية ، التى اتخذت من القاهرة مقراً لأمانتها العامة ، وتعيين أول أمين عام لها من مصر وهو عبد الرحمن عزام باشا ، حيث لعبت هذه الجامعة دوراً كبيراً فى العقل العربى ، والفكر العربى آنذاك ، موحية بأنها خطوة أكيدة على توحيد الفعل العربى وإن لم يكن (الفعل) فتوحيد الهدف العربى أو بالمعنى الأدق محاولة لتقريب الآراء والمواقف العربية حول هدف عربى واحد بدلاً من الأهداف العربية المحلية لكل نظام عربى قائم آنذاك ، والفكر العربى (معذور) ، ولذلك أسبابه الكثيرة التى سنوردها فيما بعد فى الجزء القادم من هذا الفصل ، ولأنه معذور أو مغيب أو سطحى .. الخ ، فإن إنشاء جامعة الدول العربية لم تكن أبداً فكرته فى الأصل لصالح الأمة العربية ، قد تكون المحصلة الأخيرة لصالح الأمة ، لكن الفكرة كانت فكرة الإمبراطورية (البريطانية) ، التى ظهرت عليها علامات الضعف ، أو الإمبراطورية التى بدأت

تسلم مفاتيح قيادتها طواعية إلى القيادة الجديدة للإستراتيجية ، وهى تحاول إلى آخر ذرة من كيانها القيادى أن تتمسك بهذه القيادة فمصالحها ومستعمراتها لا زالت منتشرة فى الشرق الأدنى والشرق الأوسط ، والأرض المقدسة (الصليبية كما يدعون) تمثل لديها أهمية بالغة ، ومصر هى الأخرى على الجانب الغربى من الأرض المقدسة ، خاصة قناة السويس والموقع الجغرافى الهام لخطوط المواصلات التى تربطها بمستعمراتها فى الهند والتى تمثل لها أهمية خاصة ، والاندفاع الصهيونى الذى اشتهر به "تشرشل" والذى أخذ يسيطر عليه تماماً إلى الحد الذى جعله يطالب بقوة فى مؤتمر "يالطا" أن يعطى "ليبيا" بجانب فلسطين إلى الصهيونية ، كل ذلك جعلها تضع فى أولويات عملها بسط نفوذها وتسيير الحكام العرب الذين صنعتهم الإمبراطورية البريطانية ، وبعد سيطرة العمال على قيادة الإمبراطورة ، فإن "كليمنت أتلى" رئيس الوزراء البريطانى الجديد ووزير خارجيته (بيفن) الواعى تماماً لبداية ذبول الإمبراطورية ، وتسليم راية الإستراتيجية إلى قيادتها الجديدة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، بدأ من جانبه محاولاً المحافظة بقدر الإمكان على المكانة البريطانية فى المنطقة ، والتى كانت جامعة الدول العربية أحد مرتكزات بريطانيا ، بذلك لم يعد غريباً علينا ، الآن على الأقل ، أن ندرك لماذا كانت بريطانيا وراء إنشاء جامعة الدول العربية ، وذلك كمحاولة أخيرة للسيطرة أو بسط النفوذ ليس العسكرى على الدول العربية، بل النفوذ الاستراتيجى .

ويروى الزعيم الصهيونى «ناحوم جولدمان» فى مذكراته التى صدرت تحت عنوان «المأزق اليهودى»

المصدر : هيكل سبق ذكره ص 208

"أنه فى لقاء مع بيفن سنة 1946 فوجئ بوزير الخارجية البريطانى يوجه إليه سؤالاً صريحاً :

- ما ذا تريدون بالضبط من فلسطين ؟

ورد جولدمان !

- نريد فلسطين نفسها

- هل أفهم أنكم تريدون فلسطين كلها .
وهزّ جولدمان رأسه إيجاباً .
- نعم كلها .
وقال بيفن :
- هل تريد من الحكومة البريطانية أن تتنازل عن أهم منطقة استراتيجية فى العالم للدولة يهودية فى فلسطين ؟
ورد جولدمان طبقاً لقوله :
- سيدى وزير الخارجية .. ولم لا ؟
وابتسم بيفن وقال :
- لكن العهد القديم فى التوراة لا يقول ذلك ..
وقد قرأت التوراة ولم أجد فيها ما يشير إلى حق اليهود فى امتلاك كل فلسطين وكان رد جولدمان :
- وأنا أيضاً قرأت التوراة ولم أجد فيها ما يدل على أن الحكومة البريطانية لها الحق فى امتلاك كل فلسطين .." .

إن هذا الحديث الوارد إلينا من مذكرات زعيم الحركة الصهيونية العالمية فى ذلك الوقت (حاييم جولدمان) فى مذكراته المأزق اليهودى ، يؤكد لنا تفكير الإمبراطورية البريطانية العجوز عام 1946 ، أمام قوة صعود الولايات المتحدة ، ويؤكد لنا أن الاثنين بيفن وجولدمان يتنازعان على فلسطين ، وكل منهما ، كما أشارا معاً ليس له الحق فى فلسطين ، ولكن تدلنا على أكثر من هذا ، وهوالتفكير البريطانى فى ذلك الوقت الذى حاول جاهداً تعطيل انتقال القيادة إلى أمريكا ، أو التأكيد على دور قوى لبريطانيا فى هذه المنطقة ، يجعل من الصهيونيين الذين بالفعل كانوا قد انتقلوا وراء القيادة الجديدة فى أمريكا ، أن بريطانيا مازالت تمسك بمفاتيح اللعبة فى الشرق الأوسط ، فكان الدور البريطانى يمسك بمفاتيح السلطة الحاكمة فى المنطقة العربية بداية من إعادة بسط سيطرته على العراق وإخماد ثورة "الكيلانى" وإعادة الحكم الهاشمى ، ثم السيطرة على المملكة التى صنعها فى شرق الأردن (المملكة الأردنية

الهاشـمية) وتكوين جيش قـوى فعلاً بها ، والفـيلق العربى بقيـادة الجنرال البريطانى «جلوب» ثم الترتـيبات الجـديدة مع مصر .. لتـحل محل مـعاهدة سنة 1936 وهيمنة الإمبـراطورية البريـطانية التى كـانت تعرف المنطقـة أكثـر بكثيـر من القيـادة الجديدة للإستراتيجية عن عقول قادة الدول العربية أو الأسر العربية الحاكمة آنذاك فى الوطن العربى ، خاصة مصر والأردن والعراق ، بعد خـسارة الإمبراطورية للأسرة السعودية الحاكمة فى الجـزيرة العربية ، وذلك من جراء التغلغل الأمـريكى المبكر فى السعودية بحثاً عن "البتـرول" والاكتشافات الهائلة للنفط فى الجزيرة العـربية ، وسيطرة أمريكا نهائياً على السعودية .

وأرادت بريطانيا ، كما ذكرنا أن تعطل الدور الأمريكى بقيادة المنطقة ، هذا الدور الذى دخل سريعاً يجتـاح كل الأدوار التى سبقته بدون رحمة ، مـحاولاً بسرعة بسط نفوذه على الوطن العربى وذلك لعدة أسباب منها :

1 - أن الصـهيونيـة التى حـاولت أن تخلق مناطق ومفـاهيم للصراع الجـديد فى العالم، قد نجحت بالفـعل فى إظهار الشيوعية كعـدو مطلق للرأسمالية التى تتـزعمـها الولايـات المتحـدة الأمريكيـة ، وبالتـالى فقـد أصـبحت أمـريكا وحلفاؤها فى أوروبا فى معسكر ، والشيوعـية التى يقودها الاتحاد السوفيتى فى معسكر آخر ، معلناً بداية الصراع على أمل الـصهيونية المعروف دوماً أن ينتهى الصراع بحرب عالمية ثالثة تجنى من وراءها المكاسب ، وكان من نتيجة هذا العداء أو الصـراع أن قادة أمريكا أو قادة الاسـتراتيجيـة الجدد ، حاولوا بسرعـة السيطرة على المنطقة الإسـتراتيجـية (الوطن العربى) قـبل أن يتسلل إليها الشيوعيون .

2 - أن ظهـور "النفط" هذه القـوة الجبارة للسلم والحـرب والتنمـيـة فى الوطن العربى زاد من الأهميـة لهذه المنطقة ، والتى لـم تعد فـقط أهمية إستراتيـجية اقـتصـادية قريبـة من تفكيـر القيـادة الجديدة لأمـريكا التى اعـتمـدت النهج الرأسـمالى الاقـتـصادى فى كـسب أو حـسم أى صراع مـسـتقـبلى ، ولذا

حرصت على أن تنهى أى دور فى المنطقة ، حتى ولـو كان دور أصدقائها أو حلفائها مثل الدور البريطانى .

3 - إن أمريكا كـانت تعلم مدى الارتباط البـريطانى بهذه المنطقـة ، وكانت تعلـم مـدى الارتباط المتـغلغل لبـريطانيـا التى صنعت أصـلاً الأسر الحـاكمـة فى المنطقة، وإن لم تصنع بعضـها ، فقد سيطرت عليها إمـا بالقوة أو بالمصالح ، وعلى أمـريكا فى هذه الحـالة أن تدخل بسـرعـة من أجل النفط أولاً ، ومن أجل قناة السويس (الموقع الإستراتيجى والمحـرك لهذه المنطقة - مصر) ثانياً، لذا رأينا الزيارة التى قام بها "روزفلت" الرئيس الأمريكى إلى المنطقة، خاصة قناة السويس واستدعاء شيخ البـترول ، حاكم أسرة آل سعود والملك فاروق حاكم أسرة محمد على .

مؤتمـر أنشـاص ومؤتمـر بلـودان

(المؤتمر الأول للقمة العربية 28 - 5 - 1946 م)

حاولت بريـطانيا التخـفيف من سـرعة قطار السـيطرة الأمريكى ، ولما كـانت قد فقدت السيطرة والنفوذ الفعلى على أسرة آل سعـود أمام النفوذ الأمريكى عليها فإنها استخدمت حاكم أسرة مـحمد على أو ملك مصر (الملك فاروق الأول) هذه المرة فى تمرير سياسـتها لتخفيف سـرعة القطار الأمريكى ، كما ذكرنا ، فكانت فكـرة الجامعة العربية ، ثم دعوة الملك فاروق إلى أول مؤتمر قمة عربى ليعقد بالقاهرة ، وتحديداً فى مزرعتـه الخاصة "بأنشاص" بمحافظة الشـرقية بمصر ، واستـجابت للدعوة كل الدول العـربية القـادرة على نوع من الحركـة فى ذلك الوقت ، وأيضـاً بضغط من بريطانيـا قامت هذه الدول بقبول الدعوة وحضـرت كل من : (السعودية - اليمن - العراق - سـوريا - لبنان - الأردن بجـانب مصـر) أى سـبع دول عربيـة وفى 28 - 5 - 1946 صدر البـيان - الذى يعـتبـر أول بيان من أول قمـة عربيـة فى التاريخ الحـديث للأمة العربية . وجاء البيان بسيطاً ويعبـر عن الحالة التى تعيشها المنطقة فى ذلك الوقت من

الصراع العربى الصهيونى والذى احتوى على القرارات التالية :

أولاً : رفض توصيات لجنة بريطانية أمريكية ، أشارت بفتح أبواب فلسطين لهجرة اليهود ، أى محاولة وقف الدول العربية لهجرة اليهود إلى فلسطين.

ثانياً : إعلان الملوك والرؤساء العرب بأنهم متمسكون باستقلال فلسطين والحفاظ على هويتها .

ثالثاً : تشكيل هيئة وطنية تمثل كل القوى الفلسطينية حيث أنشئت الهيئة العربية العليا لفلسطين تحت رعاية مفتى القدس "الحاج أمين الحسينى" واتخذت الهيئة من القاهرة مقراً لها .

والمدهش فى العمل العربى المشترك ، هذا العمل الوليد تلوثه شكوك أو أيادى بريطانية ، جرى بسرعة مدهشة ، فلم يمض أسبوع واحد إلا وتقرر عقد مؤتمر قمة عربية على مستوى رؤساء الوزراء العرب فى مصيف "بلودان" بسوريا قرب دمشق وانتهى مؤتمر "بلودان" الذى وقع فى الفترة من 12 - 18 / 6 / 1946 بالقرارات التالية:

1 - تشكيل لجنة عربية عليا تتابع باستمرار الجوانب المختلفة من قضية فلسطين ، وتتسق فى ذلك مع الهيئة العربية العليا لفلسطين التى يرأسها الحاج "أمين الحسينى" .

2 - المطالبة بنزع سلاح وتسريح الجماعات اليهودية المسلحة فى فلسطين كوسيلة ناجحة لوقف اعتداءات هذه الجماعات على السكان العرب الفلسطينين .

3 - إنشاء صندوق عربى تساهم فيه كل الدول العربية ، يقوم على مساعدة الفلسطينيين وشراء أية أرض فلسطينية يقدم على بيعها أى فلسطينى حتى لا يشتريها اليهود .

وبضغط من الحاج "أمين الحسينى" على رؤساء الوزراء العرب فى بلودان ، محاولاً التوصل إلى قرارات عملية يمكن بها إنقاذ فلسطين ، فقد اتخذ مؤتمر بلودان مجموعة من القرارات سماها القرارات السرية ، حيث لا يستطيع أن يعلنها وهى :

١ - أن الدول العربية سوف تتوقف عن منح أية امتيازات للدول التى تؤيد الهجرة.

٢ - أن الدول العربية سوف توقف نشاط البعثات التعليمية والثقافية التابعة لهذه البلدان فى أراضيها كنوع من المقاطعة الأدبية .

٣ - أن الدول العربية سوف تبحث فى إلغاء أية امتيازات ممنوحة فى بلادها فعلاً لهذه الدول .

٤ - أن الدول العربية ، سوف تلجأ إلى الأمم المتحدة وإلى مجلس الأمن فى طلب وقف الهجرة باعتبار أن ذلك تهديد صريح لأمنها .

٥ - أن الدول العربية بعد ذلك سوف تقوم بتسليح الشعب الفلسطينى حتى يستطيع الدفاع عن نفسه ، وسوف تساعده بكل الوسائل .

وكان واضحاً لأى قارئ لهذه القرارات العلنية أو السرية ، والتى تعتبر أول قرارات عربية على مستوى القمة ، فى تاريخ العرب الحديث ، هى قرارات جوفاء متسرعة وغير مدروسة ، وأملتها عليهم الظروف التى يعيشون فيها ، فالاجتماعات التى حدثت على مستوى القمة اجتماعات نابعة منهم ، لكنها بتحريك من الإمبراطورية الانجليزية والهدف منها ليس أيضاً هذه القرارات الجوفاء ، فلا الحكام العرب حتى فى قراراتهم العلنية كانوا على مستوى هذه القرارات الخطيرة فعلاً ، والتى لو كانت طبقت بالفعل لنتج عنها حل أكيد وسريع لقضية فلسطين حتى قبل وقوع النكبة فالحكام العرب يقررون فى قرارهم الأول الذى ينص على :

"إن الدول العربية سوف تتوقف عن منح أية امتيازات للدول التى تؤيد الهجرة"

وهذه مجرد أضحوكة أو عبث بالعقل العربى فى ذلك الوقت ، فكل الحكام العرب كانوا صنيعة مباشرة أو غير مباشرة لقادة الاستراتيجية ، وبريطانيا تسيطر على الملك فاروق والملك عبد الله فى الأردن مدين لها بوجوده وجيشه وبلده ، وأسرة آل سعود أصبحت تحت نفوذ الرأسمالية الأمريكية وامتيازاتها بالمنطقة ، وهذه القرارات كانت مجرد عمل عدائى وتخريبى للعقل العربى والاستهانة بالشعب العربى فالدول

التى تؤيد الهجرة هى أمريكا وبريطانيا .. الخ .

وكان الحكام العرب أنفسهم جزءاً من الصفقة والامتيازات لهذه القوى الأمريكية البريطانية ، فكيف يستطيعون وقف هذه الامتيازات .

أما القرارات السرية ، فمن اسمها تدل على أكبر أكذوبة وخديعة لأنفسهم (رؤساء وزراء الدول العربية آنذاك فى بلودان) ، وما هى إلا نتيجة الضغط الذى مارسه الحاج "أمين الحسينى" وبعض القيادات الواعية فى ذلك الوقت أمثال "مكرم عبيد".

فبينما كان رؤساء الوزراء العرب فى بلودان مجتمعين ويقررون القرارات الخطيرة، كان رئيس وزراء مصر الذى بعث بكل قيادات الأحزاب المصرية الوطنية أمثال محمود فهمى النقراشى رئيس حزب السعديين ، والدكتور محمد حسين هيكل رئيس حزب الأحرار الدستوريين ، ومكرم عبيد رئيس حزب الكتلة وحافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى ، بالإضافة إلى عبد الرزاق السنهورى ، كان "صدقى باشا" رئيس وزراء مصر يجتمع مع إلياهو ساسون فى بيت "رينيه موصيرى" بالقاهرة.

المصدر : هيكل مرجع سابق ص 226

شارك الحاخام "حاييم ناحوم" أفندى فى واحد منها ، وفى ذلك الاجتماع ذكر إلياهو ساسون أن رئيس وزراء مصر أبدى تأييده لتقسيم فلسطين – وإقامة دولة يهودية ، وأن الملك فاروق على علم وموافقة بذلك (الملك فاروق هو الداعى لأول قمة عربية)، وأن صدقى باشا رئيس وزراء مصر على استعداد لإغماض العين عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، بل أكثر من هذا يقول ساسون : إن الرقم الذى عرضه صدقى باشا هو خمسون ألفاً من اليهود سيسمح لهم رئيس الوزراء أو سيوافق على هجرتهم أو سيسكت عن رحيلهم من أوروبا إلى فلسطين .

ولم تكن أسرة محمد على وحدها (الملك فاروق ونظامه) بل معظم الأسر والحكام العرب .

ولكن الأمر هنا لا يحتاج إلى وقفة لتحليل مصداقية قرارات أنشاص وبلودان ، لإثبات أنها كانت مسرحية على الشعب العربى . فإن الأيام لم تمهل هؤلاء الحكام العرب فى ذلك الوقت فرصة طويلة ، ففى يوم 29 - 11 - 1947 صدر القرار 181 من الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم فلسطين ، وسقطت ورقة التوت التى كانت آخر ورقة تغطى بها الملوك والرؤساء العرب ولم نعد بحاجة أن نثبت مؤامرة أنشاص أو بلودان على العقل العربى .

فقد عملت أمريكا بكل قواها بين ممثلى الأمم المتحدة ورؤساء وفود العالم على إرغامهم على التصويت لصالح قرار التقسيم ، فقد مارس الرئيس "ترومان" ضغوطاً لم يسبق لها مثيل على وزارة الخارجية الأمريكية وهو ما عبر عنه نائب وزير الخارجية (سامنر ويلز) ، بقوله :

"بأمر مباشر من البيت الأبيض ، كان على المسئولين الأمريكيين أن يستعينوا بكل أوجه الضغط المباشر وغير المباشر .. لضمان الحصول على الأغلبية اللازمة خلال التصويت النهائى" .

المصدر : سبق ذكره - سامنر ويلز - علينا ألا نخفق . بوسطن 1948 - ص 63

كما يؤكد نفس الحقيقة «جيمسون فورستال ص 63» وزير الدفاع الأمريكى آنذاك، ويقول :

"كانت الأساليب التى استخدمت فى الضغط على الدول الأخرى فى الأمم المتحدة أقرب ما تكون إلى الفضيحة" .

المصدر السابق ذكره مذكرات فورستال ص 363

ويسوق «ديكس بيرسون» بعض الأدلة على ذلك ، فى مقالة له فى صحيفة

شيكاغوديلى فى 9 - 2 - 1948 فيقول :

«قام هارفى فايرستون ، صاحب مصانع المطاط فى ليبيريا بعدد من التحركات مع الحكومة الليبيرية» .

وسقطت القرارات التى أطلقها مؤتمر "أنشاص" ومؤتمر بلودان ، ولم يعد فى مقدور الحكام العرب وقف الامتيازات الممنوحة للدول التى تساعد على الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وعلى رأسها (أمريكا) طبعاً ، بل قادت أمريكا أشرس حملة ضد العرب فى التاريخ استعملت فيها كما ذكرنا كل وسائل الضغط على رؤساء وفود الأمم المتحدة من أجل إقرار تقسيم فلسطين - هذا القرار الحزين الذى كان الطعنة الثانية فى قلب : الأمة العربية بعد وعد بلفور ، وكأن الشهر تشرين الحادى عشر (نوفمبر أو تشرين ثان كما نسميه) هو شهر الأحزان والطعنات الموجه من الغرب (الاستراتيجية الغربية) إلى قلب الأمة العربية .

وكان قرار تقسيم فلسطين الذى نجحت الصهيونية عن طريق قائد الاستراتيجية (ترومان) فى فرضه على العالم ، وليس على فلسطين أو العرب ، قد حمل بجانب تقسيم فلسطين ، جرثومة أخطر وأفدح من تقسيم فلسطين نفسها ، إذ من تاريخ هذا القرار المشؤوم بدأ البعض من المفكرين العرب والرؤساء العرب والمثقفين العرب يتخذونه مثالاً على رفض العرب لكل شىء ، ويتخذونه دليلاً على أن المتشددين العرب لن يفيدوا الأمة العربية إلا خراباً وحروباً ودماراً أو على الأقل خسارة شديدة، من رفضهم لكل الحلول - ويذكروننا بعض هؤلاء المثقفين بقرار تقسيم فلسطين وأنها كانت فرصة ضيعها المتشددون من الحكام العرب أو المتشددون من المثقفين والمفكرين العرب، لذلك فإن هذا القرار المشؤوم ، أصاب العقل العربى ، خاصة المثقفين العرب وأفرز من بينهم الطبقة الساذجة ، إن لم تكن المتآمرة على الحق العربى ، لذلك نعود آنذاك إلى تلك الفترة ، فترة تقسيم فلسطين بأمر من أمريكا ومن "ترومان" شخصياً رئيس الولايات المتحدة الذى قال صراحة فى رده على بعض مستشاريه وسفيره فى السعودية والوزير المفوض فى جدة الكولونيل «أيدى» :

"هل لدى العرب أصوات فى مينوسوتا يعطونها لى فى انتخابات الرئاسة أو يحجبونها عنى" .

المصدر : هيكل - سبق ذكره - ص 222

ويروى الكاتب الشـهير «جـورفيـدال» فى مقدمـته لكتـاب "التاريخ اليـهودى .. عبء ثلاثة آلاف سنة":

"أنه سمع من الرئيس الأمريكى الأسبق «جون كينيدى» أن الرئيس «ترومان» كان يشعر أثناء ترشيحه للرئاسة فى انتخابات 1948 أن معظم أصدقاء سلفه «روزفلت» قد تخلوا عنه ، وأنهم لا يعتقدون بإمكانية نجاحه ، وأن معنوياته ساءت إلى حد أن جاء يوم وحل عليه أحد النشـيطين فى الحركة الصهيونية فى محطة توقف عندها قطار حملته الانتخابية ، ثم قدم إليه حقيبة يد فيها 2 مليـون دولار عـداً ونقـداً ، وهو يرجـوه اعـتبـارها مـسـاهمـة فى حـملتـه الانتخابية، وروى "فيدال" أن كينيدى قال له بعد ذلك :

وهكذا اعترفنا بدولة إسرائيل قبل إعلان قيامها"

ونعود إلى بعض مثقفينا الآن والذين يروجون إلى أننا أضـعنا فرصة قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ورفضناه ، والآن نبحث عن أقل منه ، ونجرى وراء 15 ٪ أو13٪ من الضفة الغـربية ، ولم يوافق الصهيونـيون عليها ، ولأن هؤلاء المثقـفين قد خانهم الضمـير المادى ، أو خانتهم الـذاكرة على أقل وصف ، فسنعـود لنرى حالة فلسطين عند قـرار التقـسـيم ، ونستـعجب إذا كـان العـالم كله تم الضغـط عليه من أمـريكا وباعتـراف وزير الدفاع الأمـريكى آنذاك لنفسـه كمـا قدمنا ، فكيف يجـوز لنا نحن العرب أصحاب الأرض أن نقبل بالتقسيم أم لا ؟

أولاً : 1 - عندما بدأت أولى محاولات الهجرة والاستيطان اليهودى فى فلسطين بفعل سياسة الاستراتيجية (نابليون - بالمرستون - دزرائيلى ، وبأموال روتشيلد ومونتـفيورى) كان عدد السكان الـيهود فى فلسطين 8 آلاف لا يملكون أكثـر من خمسة آلاف فـدان (لاحظ الإقطاعيات اليـهودية أى أنهـم حتى لم يكونوا سكاناً عاديين ، كانوا جزءاً مـن الاسـتراتيجية

ثمانية آلاف يملكون خمسة آلاف بمتوسط 625 فداناً لكل فرد) ..

2 - بعد الإعلان عن عمل الصهيونية السياسية فى العلن وظهور هرتزل وأطروحاته كان عدد اليهود عام 1896 لا يزيد عن (25000) خمسة وعشرين ألفاً يملكون 2 ٪ من الأراضى الزراعية فى فلسطين .

وكان العرب 800 ألف ولديهم 98٪ من الأراضى الزراعية فى فلسطين.

3 - وعند صدور وعد بلفور 2 - 11 - 1917 كان عدد اليهود فيها لا يزيد عن 48 ألفاً يمتلكون 3.5 ٪ من الأراضى الزراعية فى فلسطين .

وكان العرب 920 ألفاً يملكون 96.5 ٪ من الأراضى الزراعية بفلسطين .

4 - ويوم صدور قرار التقسيم عن الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، كان عدد اليهود فى فلسطين حوالى 300 ألف وملكيتهم من الأراضى لا تزيد عن 6٪ وكان عدد العرب مليون ومائة ألف نسمة يمتلكون 94٪ من أرض فلسطين .

5 - ويوم أعلن عن قيام الدولة اليهودية فى فلسطين كان عدد اليهود فيها 400 ألف وملكيتهم للأراضى لا تزيد عن 7٪ فى مقابل مليون ومائة وخمسين ألف عربى يملكون 93٪ من الأرض .

ثانياً : مع هذه الحقائق المذهلة ، التى لا يمكن أن تجعل من غير العربى أن يقبل بالتقسيم ، فإنه من الحقائق التاريخية معظم الحكام العرب قد قبلوا بقرار التقسيم منذ البداية لولا ضغط الشعب العربى ، هذا من جانب أما من الجانب الثانى فان الصهيونية رفضت القبول بقرار التقسيم ، كما رفضت القبول بالمباحثات مع أصحاب الأرض الفلسطينية ، فقد صرح بن جوريون فى صحيفة نيويورك تايمز فى 6 / 12 / 1953

"إن دولة إسرائيل تعتبر قرار الأمم المتحدة الصادر فى 29 - 11 - 1947 باطلاً ولاغياً" .

هذا ، بالإضافة إلى كون الصهيونية ، لا ترغب فى أى مباحثات أو لقاءات فى ذلك الوقت مع الشعب الفلسطينى ، باعتبار أنه لا يوجد أصلاً ما يسمى بالشعب الفلسطينى آنذاك ، وإلا أسقطت المقولة أو الأسطورة أو خرافة "شعب بلا أرض ، لأرض بلا شعب" .

ولن نطيل وقوفنا عند شرح هذا الحدث التاريخى المؤلم فى تاريخ الأمة العربية ، فلقد كانت النكبة ، نكبة قرار التقسيم 1947 قبل نكبة قرار التسليم 1948 ، هى نكبة في المفاهيم الثقافية والفكرية لبعض من مثقفينا الذين يندبون حظ العرب على رفضهم لقرار التقسيم ولكن النكبة العسكرية الكبرى التى أصابت الأمة العربية 1948، فلم تتقدم هذه الأقلام التى تندب حظنا على ضياع فرصة التقسيم بالكتابة عن النكبة والكارثة عام 1948 بشكل يجسّد الحقيقة أمام القارئ العربى المقبل على القرن الواحد والعشرين .

جولدا فى عمان والانجليز يقودون حرب النكبة 1948

بعد أن تأكد قرار تقسيم فلسطين ، وبعد أن وافق الحكام العرب عليه ضمنياً ، أنشأت الدول العربية قيادة عليا لجيوشها تنسق استراتيجية عملها فى فلسطين ، وذلك بناء على قرارات جامعة الدول العربية ، وقد أسندت القيادة العليا للجيوش العربية إلى الملك ، عبد الله ملك الأردن ، وأرجعت الجامعة أسباب قرارها إلى :

1 - أن الأردن أقرب البلاد العربية إلى فلسطين .

2 - أن بالأردن أقوى جيش نظامى (الفيلق الذى يشرف عليه الإنجليز ويقوده (جلوب) الجنرال الإنجليزى المشهور .

3 - أن مصر كانت قد قررت بقرار من الملك فاروق أمام جامعة الدول العربية عدم دخول جيشها إلى فلسطين ، وحتى لو لم يكن هناك قرار كان الجيش المصرى غير مستعد وبعيداً جداً عن فلسطين .

وكانت الجيوش من أجل منع اليهود من احتلال الأرض العربية الفلسطينية خارج حدود التقسيم ، بعكس ما أذاعته الحكومات العربية بأن هذه القيادة العليا والجيوش العربية ذاهبة إلى تحرير فلسطين .

وكانت تحت القيادة العليا التى يتولاها الملك عبد الله قيادة عامة بقرار من جامعة الدول العربية أسندت إلى اللواء العراقى «إسماعيل صفوت» .

والطريف للتدليل على مدى المهانة ، التى كانت تعيشها الحكومات العربية ، والاستهانة التى كانت تعشش فى عقلية صانعى القرار ، وخاصة عندما يكون القرار قراراً عسكرياً ، فإن هناك قصةً طريفةً حدثت تؤكد ، أو تتنبأ بنتائج المعركة ، كما تتنبأ بمصير ومستقبل القيادات العربية ، وهى كالتالى :

فقبل أسبوع واحد من بدء القتال أن اللواء إسماعيل صفوت باشا ، الذى حضر إلى اجتماع نهائى وحاسم فى جامعة الدول العربية مع أركان حربه من الجيوش العربية ، الذين كان من المفروض عليهم أن يكونوا على أرض فلسطين ، المهم ، وعلى أية حال ، وكعادة الحكومات العربية (آنذاك) عقدوا اجتماعاً بجامعة الدول العربية قبل أسبوع واحد من بدء القتال ، وخرج اللواء إسماعيل صفوت من فندق شبرد بالقاهرة ، وبدلاً من ذهابه مباشرة إلى جامعة الدول العربية ليترأس اللجنة العسكرية ، وكعادة العرب (فى آخر لحظة) ، فضّل الذهاب للتريض والفسحة ثم يلحق بالاجتماع بعد ذلك .. وبجوار سور الأزبكية شاهد اللواء مجموعة صغيرة من المارة يلتفون حول رجل يلعب معهم لعبة «الثلاث ورقات» ، ووقف القائد العام للجيوش العربية يشاهد ما يجرى ، ويبدو أن اللعبة قد أثارته فشارك فيها (ولا ندرى، ربما وجد أن لعبة الثلاث ورقات المصرية مفيدة جداً فى الخطة العسكرية القادمة ، أو أن هناك ثلاث أوراق مهمة ، يجب أن يتدرب عليها متى يخفى إحداها أو يُظهر الأخرى .. المهم) لكن فى خلال عشر دقائق كان القائد العام قد خسر كل أوراق البنكنوت التى فى جيبه وكان المبلغ 286 جنيهاً .

المصدر : هيكل - المفاوضات السرية بين العرب
وإسرائيل - الجزء الأول ص 250 - مرجع سابق

ولم يكتف القائد العام بخسارة أوراقه وأمواله ، وإنما دخل مع "لاعب الثلاث ورقات" فى مشاجرة أسفرت عن خسارته أشياء أخرى ، أوصلته إلى قسم بوليس الأزبكية - كل هذا والاجتماع العسكرى الخطير فى جامعة الدول العربية فى انتظار رئيسه ، القائد العام للجيوش العربية ، وحين وصل القائد العام إلى جامعة الدول العربية متأخراً كانت نتائج حربه مع الثلاث ورقات قد سبقته إلى الاجتماع ، وكانت دليل شؤم مبكراً ، هكذا قالوا ، ونقول نحن كانت دليل الاستهانة بالعقل العربى ودليل الفوضى التى كانت تجرى فى عقول القيادة قبل عقول آخرين .

هذا ما كان من أمر القائد العام للجيوش العربية ، أما القائد الأعلى للجيوش العربية (الملك عبد الله) ، فقد كان شيئاً آخر .

فأصلاً هذا الفليق العربى هو جيش إنجليزى قيادة وتمويلاً وتدريباً ، فالجيش بقيادة الجنرال "جلوب" باشا وكل قادة هذا الجيش من الضباط الانجليز الذى اختارهم جلوب وقد أنشأت بريطانيا هذا الجيش لسببين :

1 - خوفاً من الأمير عبد الله آنذاك ، والذى وصفه «لورانس» بأنه ذكى ، ومن الصعب السيطرة عليه ، وعندما صنعوا له مملكة أو إمارة ، فإن خوفهم من أن تكون نواة جيشه فى المستقبل جيشاً كبيراً يهدد الهدف الذى تسعى بريطانيا قائدة الاستراتيجية ذلك الوقت من تحطيم جيش الأمير عبد الله لهدفها الملاصق له تماماً ، وبالتالى كان لابد من سيطرة بريطانيا على الجيش الذى كانت ميزانيته عشرة أمثال ميزانية الأردن كلها .

2 - أنشأت بريطانيا ، أو سيطرت على الجيش العربى للأمير عبد الله فى الأردن آنذاك ، حتى تجعله قاعدة عسكرية متقدمة لها ، وذلك من خلال فهمها للأهداف الأسطورية التوسعية للصهيونية فى فلسطين ، والتى من الممكن أن تؤثر على الأهداف العامة للاستراتيجية ، فكان لابد من جيش تخيف أو ترهب أو تكبح به جماح الصهيونية .

وبالتالى كان الملك عبد الله ، ملكاً فقط على الأردن ، وليس على الجيش ، وهذا

فى حد ذاته كـان كافـياً أن يجعـلنا نعلم أن قيادة هـذا الجيش الذى اختـارته جامـعة الدول العربيـة لتنفق عليه بدلاً من بريطانيا ، التى كـانت تنفق عليه سنوياً 2.5 مليون جنيه وتفـاوض الملك مع الجامـعة على تمويله وإعـارته للجامـعة مقـابل ستـة ملايين دولار .

المصدر : مذكرات بن جوريون - الخميس 1/ 1/ 1948

وهناك قصة طريفة أيضاً ، مثل قصة القـائد العام للجيوش العربية اللواء والثلاث ورقات ، فإن للقـائد الأعلى قصة أخرى عندما ذهب إلى استـعراض هذا الفيلق من الجيش العربى (كما كان يسمّى) ، وقبل المعركـة بيوم واحد لا أسبوع ، كما فى قصة القائد العـام (اللواء إسماعيل صـفوت) حيث ذهب القائد الأعلى (الملك عـبد الله) فى 13 / 5 / 1948 إلى سهل "أريحا" ليستعرض قوات جـيشه وقادة جيشه (الإنجليز) حيث كان يعسكر الفيلق فى هذه المنطقة ، وقيل إنه ذاهب إلى القدس لحمايتها ، وإنه ذاهب لقـيادة الجـيوش العـربية فى أكـبر حـرب ثأرية لطرد الصـهاينة الغـرباء الذين يريدون اسـتيطان فلـسطين الحبـيبـة و .. و .. الخ من الشـعارات الإعـلانيـة العربيـة المعروفة .

وبدا المشهد بالفـعل مهيباً .. فـسهل أريحا منبسط ، وفرق الجـيش تفرش السـهل بأكمله فى جـو مهيب فـعلاً .. وكأن الـعرب انتفـضوا لحمـاية أرضهم ومقـدساتهم والموسيقى العربية لهذا الجيش تدق طبول النفـير ، فبدا الجو كله جواً صادقاً ، والملك عبـد الله يقف بهيبـة الملوك ، فوقفتـه فى أريحا (غيـر وقفة عرفـات الآن فى أريحا) ليست فقط وقـفة ملك أمام جيشه فـخوراً به ، ولكن تلك الوقفة كانت وقـفة القائد الأعلى للجـيوش العـربية فى أول وآخـر حرب تحـريرية مقـدسة ، بالإضافـة إلى أن جيشه ذاك الواقف أمامـه ، هو مفخرة ومقدمة الجيوش العربيـة الستة ، بالإضافة إلى آلاف المتطوعين العـرب من كل الأقطار العـربية ، وكـان الملك عبـد الله واقفاً على منصة مرتفعـة ومن خلفه يقف قائد جيشه 'جلوب' باشـا الإنجليزى وأركانات حربه من الضـباط الإنجليـز ، ونادى الملك على إمـام مـسجـد عـجوز وضـرير ، دُعىّ إلى حضور الاحتفال بوصفه رجلاً من رجال الدين فى المنطقة ، وقال له :

«أيها الشيخ .. عظ الجيش»

ووقف الشيخ العجوز الضرير على المنصة بجـوار القائد الأعلى للجيوش العربية (الملك عبدالله) وهو لا يرى شيـئاً ، فى هذا الجو المهيب ، ولكنه يحس بكل شىء .. بكل شىء .. صمت لحظة وأنظار الجميع وآذانهم معلقة به ، ثم صاح منادياً :

«أيها الجيش ليتك لنا» !!

فوجئ الملك بما قاله الشيخ ، وهمس قائلاً :

"قبحك الله ، ضرير أعمى بعينك ، واعٍ بقلبك" .

واقتيد الشيخ من المنصة ..

المصدر : هيكل - مصدر سبق ذكره ص 255

لكن قصة هذا الشيخ الجليل لم تنته ، فالشيخ لم ير شيئاً ولكنه أحس بكل شىء ، فهل أحس ذاك الشيخ الطيب فعلاً بكل شىء .. ؟

وهل استطاعت بصيرته أن تنفذ لتتعرف على السيدة جولدا مائير (وزيرة خارجية ورئيسة وزراء ما يسمى باسرائيل فيما بعـد) والتى كان معها القائد الأعلى للجيوش العربية (الملك عبد الله) ليلة البارحة ، وقبل حضـوره مباشرة إلى تفقد هذه المسرحية فى أريحا والتى رفضها الشيخ الضرير !!

هل رأى ، أو علم الشيخ الطيب بقـصة جـولدا ، واستطـاع أن يكشفـها عندمـا وصلت سراً إلى عمـان متنكرة بثياب (رجل بدوى) مـتخفية لموعـد مرتب مع الملك عبد الله ملك الأردن يوم 12- 5 - 1948 وقبل المعركـة بيومين فقط ، وذلك من أجل استكمـال الاجتماع الذى وقع فى الشـهر الماضى 12 - 4 - 1948 بين الملك عـبد الله القائد الأعلى للجيوش العربيـة وبين "موشى شرتوك" ، حيث تروى مذكرات اللواء عبـد الله التل هذه القـصة الغريـبة الأخرى عن الـقائد الأعلى للجـيوش العـربية أو القيادة العربية الموحدة أو القيادة العربية العليا .

وتعـتبر مـذكرات الـلوا عبـد الله التل ، قائد قـوات الفيلق الأردنى فى الـقدس ،

ودراسة اللواء حسن البدرى عن الجولة العربية الإسرائيلية الأولى من الصراع المسلح، تعتبر من أهم وأبرز ما كتب عن هذه الحرب التى سميت بحرب النكبة 1948.

فهذه القصة ، أو الحادثة ، هى أن القائد الأعلى طلب من خاصته ، أنه ينوى القيام بزيارة لقبر الصحابى الجليل «أبى عبيدة بن الجراح» ووصل القائد الأعلى (الملك عبد الله) إلى مزرعة أحد أصدقائه فى منطقة الغور ، ثم مشى بين الأشجار إلى مستعمرة «روتنبرج» للكهرباء ، وهناك كان فى انتظاره موشى شرتوك (وزير خارجية ورئيس وزراء لما يسمى بإسرائيل بعد ذلك) ، وبعد الغذاء والنقاش ، يبدو أن الاجتماع لم ينته أو يصل إلى نتيجة ، وبقيت الاتصالات مستمرة على أمل عقد اجتماع آخر فى عمان ، لكن شرتوك كان قد أوفده بن جوريون إلى نيويورك ، وقررت الوكالة اليهودية (التى أصبحت بالفعل كحكومة) أن تقبل تطوع "جولدا مائير" لأداء المهمة بدلاً منه ، وفى ليلة 12 - 5 - 1948 (أى قبل الحرب بيومين) وصلت سيارة يقودها أحد رجال الملك إلى منطقة الغور ، وإلى نفس المزرعة ، التى تم فيها لقاء الملك مع "شرتوك" قبل شهر ، وفى الساعة التاسعة ، كانت "جولدا مائير" ترتدى الكوفية والعقال وعباءة فوقها ، وتدخل إلى خلفية السيارة ، ثم تتوجه مباشرة من هناك إلى بيت الملك على أطراف عمان . كانت الساعة الحادية عشرة مساء ، وطبقاً لوصف اللواء عبد الله التل ، وكما يقول هيكل (المصدر السابق ص 254 ، فإن "جولدا مائير" كانت مضطربة ، ولم تتناول عشاءً أمر الملك بإعداده ، ولاحظ الملك اضطرابها فراح يلاطفها لتهدئة مشاعرها (....) ، وقد راحت بعد ذلك تعرض عليه آخر مقترحات الوكالة اليهودية ، وكانت على النحو التالى :

1 - أن يعلن جلالة الملك الصلح مع اليهود ولا يبعث بجيشه إلى فلسطين بالمرة .

2 - أن يرسل جلالته والياً ليحكم القسم العربى من فلسطين حسب قرار التقسيم.

3 - فى مقابل ذلك تقبل الوكالة اليهودية ضم القسم العربى من فلسطين إلى التاج الهاشمى .

وروى اللواء "عبد الله التل" أن جلالته رفض تنفيذ الشرط الأول ، لأنه يظهره بمظهر الخارج على الإجماع العربى (خاصة وهو القائد الأعلى للقيادة العربية العليا)، وتعهد الملك عبد الله فى مقابل ذلك ، ألا يحدث صدام بين جيشه وبين الجيش اليهودى، وأن يقف الجيشان على الحدود التى رسمها التقسيم ، وقبلت جولدا مائير رأى الملك ، وأخذت عليه العهد بذلك .

بعدها ذهب الملك ليتفقد عرض الجيش فكيف رأى الشيخ البصير هذا كله ؟!

وإذا كان الشيخ البصير قد أحس به فأين كان الشعب العربى ؟!

أو بالأحرى ، كيف لجامعة الدول العربية أن تعطى قيادتها لملك ، رفض رجل عادى (شيخ ضرير) أن يعترف بأنه قائد الجيش - وأن الجيش جيش الإنجليز - وأن الانجليز هم أصحاب وعد بلفور ، وهم الذين زرعوا اليهود ، وهم الذين وافقوا سراً أو علانية على إقامة دولة يهودية .. ؟!

أم أن بريطانيا أرادت أن تجمع العرب فى الجامعة ، ليكون قرارها على العرب قراراً واحداً بدلاً من أن تبذل جهداً مع كل حاكم عربى على حدة؟!

وتكملة لهذه القصة طبقاً لرواية اللواء عبد الله التل ، فإن مذكرات بن جوريون تستكملها كالتالى :

يوم 13 - 5 - 1948

"وأثناء جلسة القيادة فى هذا اليوم ، حضرت "جولدا مائير" من اجتماعها مع الملك عبد الله ، نظرت إليها كى تعطينى فكرة سريعة ، أعطتنى بطاقة كتبت عليها :

"اجتماعى معه كان بروح ودية ، هو قلق جداً ووجهه مكفهر .. يعترف بكل ما دار بيننا .. وهذا يعنى أنه سيأخذ القسم العربى فقط . لكنه ليس الآن سوى واحد من خمسة" .

12 مايو يوم الخيانة العربية

انتهت الحرب قبل أن تبدأ .. والنكبة وقعت فعلياً مصدقاً عليها بختم الملوك الحاكمة للدول العربية آنذاك ، والوثائق تؤكد ذلك .. إنه بالفعل كان يوم الخيانة العربى ... وطبيعياً ألا تحدث الخيانة فجأة .. لكن هذا اليوم بالتأكيد كان نتيجة أو محصلة عمل صهيونى دؤوب تناصره وتؤازره قوى الاستراتيجية ، وعلى رأسها 'ترومان' ففى ذلك اليوم عاهد الملك عبد الله ، القائد الأعلى للقيادة العربية العليا فى حربها ضد الصهاينة ، عاهد جولدا مائير على ألا يتحرك بجيشه أو بقيادته شبراً واحداً عن التقسيم ، الذى وضعته الأمم المتحدة ، مقابل إعطائه الضفة الغربية أو باقى فلسطين كلها . والملك فاروق كان قد أعلن منذ البداية أن الجيش المصرى لن يدخل المعركة ، وكيف أصلاً لهذا الجيش أن يتحرك شرقاً ، وأمامه قناة السويس ، وهى منطقة إنجليزية والجيش البريطانى يمكن أن يسمح له أولا يسمح له .. أى أنه هو الآخر أمره بيد بريطانيا ، لكن المخابرات البريطانية ، فى آخر لحظة أعلمت الملك فاروق بتعهد الملك عبد الله لليهود .. وأن الحرب ما هى إلا مسرحية ، ليس الهدف منها تحرير فلسطين ، ولكن الهدف طبعاً صدمة العقل العربى ، وإحباط المواطن العربى خارج فلسطين ، والقضاء على أى أمل للمقاومة الفلسطينية داخل فلسطين .

ونصحت بريطانيا مليكها فى مصر أن يلحق بهذه الفرصة ، حتى لا تضيع عليه وحتى لا يحرم من المشاركة فى هذا الشرف الرفيع ، وفى يوم الأربعاء 12 - 5 - 1948 كان النقراشى باشا رئيس وزراء مصر يقف أمام جلسة سرية لمجلس النواب المصرى مكاشفاً أعضاء المجلس بقرار من الحكومة بالاشتراك فى معارك فلسطين .

فى نفس اليوم الأسود أو يوم الخيانة 12 - 5 - 1948 ، كان هناك اجتماع فى البيت الأبيض برئاسة 'هارى ترومان' رئيس الولايات المتحدة وبحضور كل من : وزير الخارجية 'آنشيسون' ، ومساعد الوزير 'لوفيت' و'كلارك كليفورد' و'ديفيد تايلز' و'ماثيو كوفيللى' من مستشارى الرئيس فى البيت الأبيض ومعظمهم يهود ، واثنان من خبراء وزارة الخارجية هما : 'فريزر ويلكنز' و'روبرت ماكلينتوك' وطبقاً للوثيقة

رقم 1248 – 5 / ب ب فلسطين 501 ، فإن وقائع تلك الجلسة جرت على النحو التالى :

المصدر : هيكل – مصدر سبق ذكره ص 251

"بدأ الرئيس فقال : إنه دعا إلى هذا الاجتماع لأنه أصبح شديد القلق على ما يمكن أن يحدث فى فلسطين يوم 15 مايو . وبدأ المستر لوفيت يقدم عرضاً وافياً للحوادث ، ثم ركز حديثه على وقائع يوم السبت 8 مايو ، حين جاء المستر موشى شرتوك مندوب الوكالة اليهودية . ففى ذلك اليوم (8 مايو) جاء شرتوك ومعه الدكتور آينشتين بمعلومات هامة عرضها على الوزير . قال المستر شرتوك :

"إن وزير المستعمرات البريطانى السير "آرثر كريتش جونز" أخبره رسمياً بأن الملك عبد الله ملك الأردن سوف يدخل بجيشه يوم 15 مايو إلى الأجزاء العربية المخصصة للعرب فى فلسطين . وفى رأى وزير المستعمرات البريطانى أن هذا التعهد من الملك عبد الله يمكن الاطمئنان إليه بواقع أن الجيش الأردنى يقوده ضباط بريطانيون وتموله الحكومة البريطانية . أضاف شرتوك إلى ذلك أن رسالة وصلته من الوكالة اليهودية فى فلسطين أخبرته أن الكولونيل "جولدى" من هيئة أركان حرب الفيلق العربى الأردنى اتصل بالوكالة اليهودية ناقلاً رسالة مؤداها أن صفقة جار ترتيبها بين الملك عبد الله والوكالة اليهودية . وان الملك سوف يدخل الأجزاء العربية من فلسطين، تاركاً لليهود ملكية الباقى من هذا البلد ، وتدخل المستر كلارك كليفورد فى المناقشة فأوضح ثلاث نقاط :

النقطة الأولى : أن تقسيم فلسطين قد وقع فعلاً بدون تدخل قوات أجنبية .

النقطة الثانية : أن المستر كليفورد توجه إلى الرئيس (ترومان) طالباً منه أن يعطى اعترافه الرسمى للدولة اليهودية فى فلسطين فور انتهاء الانتداب البريطانى يوم 15 مايو ، وفى رأيه أن الولايات المتحدة يجب أن تسبق الاتحاد السوفيتى فى الاعتراف بالدولة اليهودية .

والنقطة الثالثة : أن الرئيس يجب أن يعلن فى مؤتمره الصحفى فى اليوم التالى 13 مايو عزم الولايات المتحدة على الاعتراف بالدولة اليهودية .

وبعد مداولات وافق الرئيس ، حيث تطالعنا وثيقة أمريكية تالية برقم 1448-5/ 01/ ن 867 وقد جاء فيها ما يلى :

«تلقت وزارة الخارجية فى الساعة 17,45 يوم 14 – 5 – 1948 رسالة من المستر كلارك كليفورد المستشار الخاص للرئيس ترومان جاء فيها :

«إن الرئيس عرف أن دولة يهودية باسم «إسرائيل» سوف تعلن عن قيامها فى فلسطين فى الساعة 1800 من نفس اليوم (أى بعد ربع ساعة من رسالة كليفورد) .

إن الرئيس طلب منى إخطار الوفد فى الأمم المتحدة بإعلان اعتراف الولايات المتحدة بهذه الدولة فور إعلان قيامها" .

القادة عراة .. والشعوب لا تدرى

"يا أخى لماذا لا تتساوون أموركم مع اليهود عندكم وتريحونا من وجع الدماغ"

"مصطفى النحاس" إلى مفتى القدس

من مذكرات أمين الحسينى

معذرون القادة فى كل الميادين ... فالنصر تاريخه حاد وينتهى بسرعة ، أما الهزيمة فهى مزمنة لا ينساها التاريخ ، وكم من بطولات وانتصارات أهملها التاريخ عمداً تقديراً معكوساً لدور قادة مغضوب عليهم ، وكم من قادة زوروا التاريخ ، والمنتصرون دائماً يزيفون التاريخ ، ولكن سرعان ما تستقيم الأمور وتعود صفحات التاريخ تسطر أحداثه بيضاء دون تزييف أو قلب للحقائق . أما الهزيمة .. فهى الهزيمة بعكس النصر .. لا خلاف عليها .. ومهما حاول القادة أن يخفوها ، ومهما حاولوا أن يطمسوها ، فإنهم لا يدرون أنهم يخلعون ملابسهم قطعة قطعة كراقصات الهوى محاولين بها إخفاء الحقيقة ، ولكن وللأسف دون جدوى ، حتى ورقة التوت الباقية، إن استغنوا عنها قهراً لإخفاء الحقيقة ، فإنهم لا يتورعون ، وأيضاً تظل الحقيقة ساطعة وهم عرايا .

وهكذا فعل حكامنا العرب أو قادتنا العرب إبان النكبة .. لقد حاولوا حتى ورقة التوت ، ولكن بدون جدوى أصبحوا عرايا أمام شعوبهم ، وللأسف كانت أغلبية الشعوب وقتها لا تدرى ، وحتى لا نظلم حكامنا فهم جزء منّا .. أو جزء غريب علينا عاش فى وسطنا مثلما يقولون الآن على الصهاينة إنهم أبناء عمومتنا ولا

يدرون أن رابطة الدم صريحة كالحقيقة لا تخفيها حتى ورقة التوت ، ويبقى التاريخ يحقق ونظل نحن نبحث عن الأسباب الحقيقة وراء حكامنا العرب إبان نكبة 1948 قبلها وبعدها باحثين عن حقيقة واحدة مجردة قد تُنجّيهم من عذاب التاريخ الأليم ، وبعودة إلى هذا التاريخ ، الذى لا يرحم ، نجد الحكام العرب ، الذين ، لسوء حظهم، عاصروا وعاشروا وتزاوجوا بالحلال وغير الحلال ، وأنجبوا أو أُنجبوا بنين وبنات فى تلك الفترة المظلمة من تاريخ أمتنا العربية أو من تاريخ العالم ، التى أعقبت نهاية الحرب العالمية الثانية ، وهى تركيبة واحدة أورثتهم أو صنعتهم الإمبراطورية البريطانية ، وللإنصاف أيضاً يجب أن يحدثنا التاريخ عن القادة الآخرين فى زمنهم الأغبر ذاك ، سواء قادة الاستراتيجية أو قادة الأسطورة ، ليكون لقادتنا ما يبرر لهم أو يصفح عنهم أو يدينهم أمام التاريخ والتاريخ يقول فى عجالة :

بعد أن وصل الإسلام إلى أعماق أوروبا على حدود فرنسا وألمانيا وإيطاليا .. وبعد أن استمر لعدة قرون فى قلب أوروبا وجنوبها (أسبانيا) غرباً إلى الاتحاد السوفيتى والهند شرقاً .. ، وبعد أن ضاع هذا كله بضياع الأندلس ، ثم بالتآمر على الأمة الإسلامية ، وخاصة الأمة العربية التى نشرت الإسلام ، وبعد أن فشلت كل محاولات الحروب الصليبية على أيدى صلاح الدين فى حطين ، ثم بداية ونهاية الدول أو المذاهب والجماعات التى توالت على حكم الوطن العربى نهاية بالإمبراطورية العثمانية ، التى كان من أهم أسباب حكمها تجهيل الشعب العربى ذى الحضارة التى كانت سبب التقدم الأوروبى الغربى ، وبعد الحملة الفرنسية على الشرق العربى ، وبداية نسج أول خيوط الاستراتيجية (المؤامرة) والتى تقضى بالقضاء على الأمة العربية وجعلها دولاً أو دويلات صغيرة غير قادرة على تكوين دولة عربية كبرى أو (وحدة عربية كبرى) كما يقولون العرب من المحيط إلى الخليج، وذلك بفصل شرق الوطن العربى عن غربه ، وتأكيداً لتجربة محمد على الناجحة فى توحيد شرق وغرب الوطن فى دولة واحدة ، كادت تحتل عاصمة الإمبراطورية العثمانية نفسها ، وتكون قادرة على تشكيل خوف ورعب حقيقى للقوى الصاعدة آنذاك فى أوروبا ، وعلى رأسها الإمبراطورية البريطانية ، وبعد تأديب محمد على

وحصاره وهزيمته وتقوقعه بعد توقيعه داخل حدود مصر فقط ، وتوقيعه على معاهدة الاستسلام للإمبراطورية البريطانية والقوى العظمى الأوروبية ، واستلام قادة الغرب (بالمرستون - دزرائيلى .. حتى ترومان) تنفيذ وتطبيق الاستراتيجية (المؤامرة) مستغلين مجموعة من المرتزقة الأوروبيين تحت مذهب سياسى مغلّف بالدين ، يرفعون مجموعة من الأساطير الدينية القديمة (الصهيونية) وصولاً إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ، فوعد بلفور ، فاتفاقية سايكس بيكو ، فنهاية الحرب العالمية الثانية وتقسيم فلسطين عام 1948 ، هذا التاريخ السريع مضطرين ان نستوقفه قليلاً عند 1915 اتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور 1917 - حيث أنه فى تلك الفترة ، كما ذكرنا سابقاً، .. ثم ترسيم أو رسم حدود جديدة لدول جديدة وقديمة ، وكانت منطقة الوطن العربى خاصة شرقه تتمتع بنصيب كبير من الترسيم الجديد ، فبعد تعرية قادة الثورة العربية الكبرى أو (كما كانوا يسمونهم) ، أو بالتحديد بعد الحرب العالمية الأولى أصبحت خريطة الوطن العربى وفقاً لاتفاقية سايكس بيكو كالتالى :

أولاً : مجموعة من الأسر الحاكمة تتحكم فى أهم مناطق الوطن العربى

1 - أسرة محمد على التى تم تطويعها ابتداء من هزيمة مؤسسها فأصبحت مستأنسة يقودها قادة أطلقوا عليهم لقب (الخديوى) وهو فى معظم الأوقات مجرد عميل أو فاقد لقدرته أمام الظروف الدولية ، وتحكم هذه الأسرة أهم منطقة فى الوطن العربى (مصر) أو (مصر والسودان) .

2 - الأسرة الهاشمية (قيادة الثورة العربية) وقد تم ترحيلهم من الجزيرة العربية وسوريا وأقاموا لهم مملكة أو إمارة فى شرق الأردن أطلقوا عليها إمارة الأردن ونصّبوا الأمير عبد الله ، حيث غير لقبه هذا إلى الملك ، فأصبح ملك الأردن وأصبحت الإمارة مملكة الأردن الهاشمية وأعطوا أو منحوا العراق لأخيه الأصغر عميل الإنجليز صديق لورانس الملك فيصل بعد أن خلعوه من سوريا .

3 – الأسرة السعودية وقد أعطوها معظم الجزيرة ما عدا قطعة فى الجنوب لحكم أسرة الإمام فى اليمن .

ثانياً : الدول العربية الأخرى وهى :

1 – سوريا : تم تفتيتها إلى سوريا الحالية ولبنان وفلسطين . فجاءت سوريا الحالية ولبنان تحت الحكم الفرنسى وفلسطين لليهود وهى (بيت القصيد) .

2 – ليبيا : وتم تقسيمها إلى ثلاث ولايات برقة وفزان وطرابلس ، وكل ولاية تحت احتلال أوروبى ، فطرابلس يهيمن عليها الأمريكيون ، وبرقة الإنجليز ، وفزان فرنسا ، وكانوا على وشك إعطائها كلية للصهيونية بناء على طلب تشرشل .

3 – باقى بلاد المغرب العربى : احتلال فرنسى (تونس – الجزائر – المغرب) خاصة الجزائر التى تحولت إلى قطعة من فرنسا منذ عام 1830 .

4 – دويلات أو إمارات الخليج فكانت تابعة لمجموعة من الأسر الحاكمة بألقاب متفاوتة لا تصل إلى حد الدولة الحقيقية ، وبقيت هذه الأسر تعيش على الاستعمار البريطانى الذى يحمى وجودها ويكشف ويستغل ثرواتها (بترولها) (دون أن تكون هناك دول بالمعنى الحقيقى) .

لذا فنرى الصورة الحقيقة للوطن العربى فى التالى :

(مصر – العراق – السعودية – الأردن يليها سوريا ولبنان ، اليمن) حكام هذه الأسر من إنتاج وصناعة الإمبراطورية البريطانية أو حكام يتم تعيينهم فى البلاد المحتلة الأخرى ، ولذلك جرى منذ البداية وعد بلفور 2 – 11 – 1917 ، ثم تقسيم فلسطين 29 – 11 – 1947 ثم إعلان قيام الدولة الصهيونية 15 – 5 – 1948 فى ظل ذلك الوضع ، الذى لم يتغير إلا تغييراً طفيفاً ، كون ان تحل أمريكا محل بريطانيا فى

تأثيرها على أسرة آل سعود ، أو تبرز حركات شعبية يتم ضربها ، كما حدث لثورة رشيد على الكيلانى فى العراق ، ثم القضاء عليها بواسطة الجيش البريطانى فى الأردن ، وعودة التاج الهاشمى إليها ، وغير ذلك ، لم يحدث تغيير يذكر على الخريطة السياسية للأنظمة العربية الحاكمة .

***

ولسوء حظ الوطن العربى أن جرى تمرير المؤامرة الكبرى فى تلك الفترة العصيبة من تاريخ أمتنا العربية 1945 – 1948 ، وعلى العكس تماماً كان قادة الاستراتيجية هم الجيل المنتصر فى الحرب العالمية الثانية ، أمثال تشرشل فى بريطانيا ، ستالين فى الاتحاد السوفيتى ، روزفلت فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد حدث تغيير سريع سواء بالموت الطبيعى أو التغيير الديمقراطى آنذاك فى كل من بريطانيا والولايات المتحدة فحل «كليمنت» محل تشرشل فى بريطانيا ، وحل "ترومان" محل "روزفلت" فى الولايات المتحدة الأمريكية ، كما ظهر فى فرنسا "ديجول" من إفرازات الحرب العالمية الثانية ، وكانت كل قيادة من هذه القيادات تحمل فكراً واستراتيجية لتنفيذ هذا الفكر ، أما قيادة الأسطورة الصهيونية فقد تم بناؤها بناء غربياً حيث كانوا منذ البداية عناصر تم اختيارها اختياراً دقيقاً من قبل المخابرات الغربية لتأدية أدوار هامة على المسرح السياسى ، لذا نجد كل فرد فيها أو عنصر منها ، من العناصر التى تم اختيارها ثم تربيتها وصقلها مخابراتياً بكل ما تعنيه الكلمة من معنى ، ثم سياسياً فأصبحوا عناصر مؤهلة تأهيلاً كبيراً لأداء دورها ، وكان الذى يسقط من تلك العناصر ينساه تاريخ الحركة الصهيونية ، فالبقاء للأقوى كما تؤكد الأساطير الصهيونية ، لذا فقد انصهرت أفكارها فى جو سياسى وفكرى مركب فى ذلك الوقت فى أوروبا وأفرز مجموعة غلب على معظمها التكوين الفاشى والنازى بجانب السمات الغربية والتى لا تقل عن النازية فى شىء ، سواء من جرائم بريطانيا (لاحظ رسالة تشرشل إلى قائد أركانه إبان الحرب العالمية الثانية وأمره بضرب ألمانيا بالغازات السامة وكل أنواع الأسلحة المحرمة دولياً) أو سواء أمريكا فى تدميرها مدينتين فى اليابان بالقنابل الذرية، (ولماذا نذهب بعيداً ففى 14 ، 15 أبريل 1986 أغارت مئات الطائرات على بيت

العقيد القذافى ليلاً وقتلت طفلته ودمرت منزله فى محاولة لاغتياله ثم أغارت على بنغازى وسرت وطرابلس فقتلت العديد من الأطفال وهم نائمون ولا ذنب لهم .

وأصبح القادة الصهيونيون بحكم تكوينهم يتمتعون بالإدراك العالى لنسج المؤامرات والجاسوسية وفن القتال ووضع الاستراتيجيات القتالية ثم القتل والإبادة والتدمير كالنازية والفاشية أو غيرها بدون رحمة، وكان فى مقابل الملك فاروق (مصر) الملك عبد العزيز آل سعود (السعودية) الملك عبد الله (الأردن) ولى عهد العراق (عبد الإله) وغيرهم من حكام مثل حسنى الزعيم أو أديب الشيشكى فى سوريا أو رياض الصلح (رئيس وزراء لبنان) كان فى مقابلهم بن جوريون ، أبا إيبان، موشى شرتوك جولدا مائير ، بيجن ، إسحاق شامير ، وايزمان ، ناحوم جولدمان .. وغيرهم .

ولن نذهب بعيداً ، بل سنأخذ مقتطفاً بسيطاً من أقوالهم أنفسهم (قادة الصهيونية) ، فقد صرح بن جوريون ذات مرة قائلاً :

"إن بيجن ينتمى دون شك إلى النموذج الهتلرى ، فهذا العنصرى على استعداد لافناء العرب جميعاً من أجل تحقيق حلمه بتوحيد إسرائيل ، بل إنه لا يتورع عن اللجوء لأى وسيلة فى سبيل هذا الهدف المقدس"

المصدر : هايير – مناحم بيجين – الرجل الأسطورة
– الناشر : ديل بوك – نيويورك 1979 – ص 385

والأمثلة كثيرة وعديدة أوردناها فى أحد فصول هذا الكتاب والخاصة بأسطورة الصهيونية المعادية للفاشية والنازية . إننا هنا لا نحاول أن نلصق تهماً ، أو نوزع اتهامات ، أو نُجرِّح قيادة مهما كانت هذه القيادة ، حتى ولو كانت قيادة العدو الصهيونى ، فإن كلمات التجريح بسيطة ولا تحمل قيمة الحبر الذى كتبت به ، مالم تكن معبرة عن الحقيقة ، مستمدة منها فيها أصلاً ، وحسبى أن القارئ أى قارئ عربى أو غير عربى علينا أن نوفر أمامه الحقائق ، حتى لا يعتقد أن هذه الأوصاف ، سواء لقادة الصهيونية أو لقادتنا العرب هى من باب الذم أو التشهير ، لذلك سنورد

هنا فى إلمامة سريعة أهم الصفات للقادة العرب فى تلك الفترة التى ميزت ، أو عبرت عن تصرفاتهم ، وأيضاً القادة الصهاينة دون أن نتدخل فى الوصف ، لنترك للقارئ تحديد الوصف الملاءم لكل منهما وأيضاً ستكون فرصة لنتعرف على الأحداث التى ألمت بالمنطقة العربية ، وسوف نسوق هنا ، كما سُقنا على الصفحات السابقة تكوين القادة العرب والصهاينة ، سنسوق هنا الممارسات التى ستكون بالتأكيد معبرة تعبيراً دقيقاً عن التكوين ، ولأن الأمة أى أمة ليست قادة فقط ، بل شعباً ، مفروض أن يصنع القادة ويغيرهم أو يبدلهم ، فإننا أيضاً سنعرج على دور الشعب العربى والصهيونى مستشهدين فى نفس الوقت بدور الشعب الأوروبى والأمريكى لتكون الصور واضحة جلية وبعيدة عن التعصب العاطفى أو السياسى وهذا هو قصدنا .

ولأننا أمام فترة زمنية بسيطة منذ عام 1945 حتى عام 1949 فإننا سنحاول وضع عناصر عامة تنطبق على تلك الفترة والفترات التى سبقتها والفترات التى تليها ، حيث ستعبر فعلاً الأحداث التاريخية ما بعد 1949 حتى وقتنا الحاضر عن موقف كل قيادة من القيادات ، وحيث أننا لا نكتب تاريخاً أو نصوغ أحداثاً ، فإننا سنحاول تحليل فكر كل من القيادات العربية فى مواجهة قيادات الاستراتيجية والأسطورة حول بعض النقاط الاستراتيجية التى يمكنها حسم الصراع سواء ضد عدو بشرى أو حتى لقهر التخلف وصنع التنمية .

أولاً : فى صنع القرار وكيفية تنفيذه

اعتمد قادة الاستراتيجية (أمريكا والحلفاء) على الديمقراطية الغربية (تعدد الأحزاب) وتداول السلطة ، حيث أن هذا النظام الديمقراطى بالمقابل أفرز عدة ركائز تقوم عليها هذه الديمقراطية من حرية الصحافة ، وحرية الكلمة أو الفرد والتجارة الحرة .. الخ ، أى الديمقراطية الغربية للنظام الرأسمالى ، والتى من الممكن أن تغطّى كتباً وليس كتاباً أو فصلاً واحداً فى شرحها وتحليلها ، ولكن هذه الديمقراطية بإيجابياتها وسلبياتها هى التى كانت تحكم صنع القرار لقادة

الاستراتيجية، فالقرار الذى يتخذ كان مبنياً على تحقيق مصلحة الفئة الحاكمة ، والفئة الحـاكمـة فى هذا النظام ليست الحـزب السيـاسى ، لكن الطبـقة الرأسـماليـة ، فكل الأحزاب السياسية فى النظام الرأسمالى مهما تعددت مسمياتها من حزب المحافظين أو العمال .. الخ كما فى بريطانيا ، يبقى صنع القرار الاستراتيجى هو المصلحة العليا لبريـطانيا ، فـإن كانت مصـلحة بريطانيـا فى استـعبادهـا واستعـمارها لمصـر والهند وتكوين إمبـراطورية لا تغيب عنهـا الشمس فإن القـرار واحد ، والأمـثلة تؤكد ذلك على الواقع التاريخى ، حـتى فى أحداث الفترة القصـيرة والتى نتحدث عنها ، فـبعد تشرشل أتى كليـمنت ، لكن القرار الاستـراتيجى كان واحـداً هو دعم الصهيـونية ، والبـقاء على احـتلال الدول الأخـرى ، ولماذا نذهب بعـيداً فـقد ظلت فـرنسا تحـتل الجزائر 130 عامـاً مهمـا تغيرت الأحـزاب على الحكم ، لكن ما يميـز صنع القرار فى الدول صاحبة الاستراتيجية أنه قرار جماعى للرئاسة ، ويمكن أن يدخل فيه أو يشارك فيه نواب الشعب .

أما صنـع القرار فى الأسطورة الصـهيـونية فهـو قرار ملزم لـتحقـيق الأسطورة ، فالدولة أو القيادة الصهيـونية سواء إن كانت لـم تولد بعد ، أو تمت ولادتها وفى طور الجنين ، أو أصبحت لها أنيـاب وأظافر نووية وجرثومية وكيميائـية ، فإن القرار حتى الآن يظل فى إطار تحقـيق وتأكيد الأسطورة ، إلا إذا حـدث تغيير فى عـقل ووجدان الشعب الصهيونى ، يرتقى به إلى حد اكتشـافه الوهم الصهيونى أو الحلم الصهيونى القائم على الأسـاطير والعقد والعـقائد ، التى تنتقص من آدميـته ، وذلك على الأقل بتمـييزه ، وهو بشـر مغـاير عن البشر الآخـرين ، أما صنع القرار فـى القيادة العـربية آنذاك فإنه قـرار فردى أو ما يطلقون عليـه القرار الدكتاتورى ، فـأما الرئيس أو الملك هو صـاحب القـرار وإنما مـستـشـار الملك (لأن الملك مـشـغول بملذات الحـيـاة) هو صاحب القرار ، وتنفيذه يفـقده قيمته لأن القائمين على تنفيذه غـير مقتنعين به سواء كان القرار صحيحاً أم لا ، أما المنظومة الشـعبية ورد فعلها حول هذا القرار الملكى أو ما يسـمونه بالمرسوم الملكى أو المرسـوم السامى ، فإنه إمـا يبقى خائفـاً أو متخفـياً أو معارضاً فى أحسن الأحوال ، ناهيك عن الطبقـة الطفيلية التى تصفق لأى عمل حتى

ولو كان هذا القرار من الملك أو الحاكم هو قرار خيانى ببيع الدولة أو الإمبراطورية ... الخ .

وبالتالى أصبح الصراع هو صراع استراتيجى مقابل صراع سلطوى أو استرتيجية مقابل سلطة .

فالاستراتيجية فى صراعها هو صراع أمة واثقة من قرارها ، حتى لو كان قراراً "خاطئاً"، والسلطة فى صراعها هو صراع فردى من أجل كرسى ولا يزيد عن ذلك .

ثانياً : الهدف

من الطبيعى أن يكون صنع القرار من أجل هدف معين واضح ، والصراع الاستراتيجى يجمع الأمة حول هذا الهدف ، وهدف قادة الاستراتيجية كان واضحاً وهو السيطرة على ثروات العالم وتحقيق الأمن القومى للدول الأوروبية وأمريكا لذا فالسيطرة على الوطن العربى فى الاستراتيجية الغربية جاء هدفاً واضحاً بالإضافة إلى أمن أوروبا وأمريكا فى فكرهما الاستراتيجى القائم على عدم تكوين الوحدة العربية حتى لا تنهض الأمة العربية وتستطيع حماية ثرواتها الطبيعية سواء من نفط أو من موقع استراتيجى .. الخ .

وبالتالى تعمل الرأسمالية جاهدة على تنفيذ مخططها ومتفقة عليه مهما تغيرت الأحزاب الحاكمة لديها ، حتى لو استدعى الأمر أن ترتكب الديمقراطيات الغربية أساليب تناقض وجودها ، وقد فعلت الدول الغربية وأمريكا أمثلة كثيرة ضد حرية الفرد وحقوق الإنسان .. الخ من مفاهيم تطرحها داخل مجتمعها ، فضربت بالقنابل النووية ، واستعملت أسلحة الدمار الشامل ، وحاصرت الشعوب وقتلت الأطفال والعجزة والنساء ... الخ والتاريخ ملىء بهذه الممارسات ، وأن المبرر القوى لها هو "الهدف" .

لكن للإنصاف فإنها قد تفشل أحياناً إذا تخلت الأمة عن الهدف من جراء انكشاف وحشية آلية تنفيذ الهدف (المجموعة الحاكمة) .

والأحداث أيضاً كثيرة على ذلك منها حرب فيتنام والجزائر .. الخ .

أما قادة الصهيونية فهدفهم أيضاً واضح ، فهم مجموعة من الصهاينة الذين انتخبتهم المخابرات الغربية ، ونمت فيهم عقائد أو عقد الأساطير الصهيونية الدينية وحولتها إلى مفاهيم سياسية ودينية أى مجموعة عنصرية مثلها مثل الفاشية والنازية (لاحظ أن الجمعية العامة للأمم المتحدة كما ذكرنا اتخذت قراراً باعتبار الصهيونية حركة عنصرية ، ولكن أمريكا استطاعت إلغاء هذا القرار - وكنا قد تحدثنا عنه بإسهاب فى الفصول السابقة ، لذا فهدف هذه الحركة أو المجموعة كان واضحاً ، وأن كل اليهود مؤمنون بهذا الهدف ويتحركون من خلفه ، وقد أورد بينيامين نتنياهو فى كتابه "مكان تحت الشمس" مصدر سبق ذكره "أنها عندما نشبت حرب 1973 ، وكان طالباً يدرس فى الولايات المتحدة ، مثله مثل زملائه الطلبة وهم فى الجيش الاحتياطى الإسرائيلى ، تركوا دراستهم وتزاحموا على خطوط وشركات الطيران ، وهو بنفسه قال: لقد حاولت بالواسطة أن أجد لى مكاناً على أول طائرة وفشلت وحاولت بكل ما لدى من معارف حتى استطعت حجز مكان على الطائرة الثانية" .

وهذا يدل على أن الصهاينة فى تلك الفترة هم مجموعة مؤمنة بهدفها ..

مع ملاحظة أن هذا عامل متغير مع الزمن ، فقد لعبت الصهيونية دوراً كبيراً فى اختيار اليهود ، فيجب أن يكونوا الصهاينة الذين يبنون أو يكونون الدولة الصهيونية - أى المؤمنين لحد التضحية الجسدية فى سبيل الهدف .

وقد قال رئيس لجنة الإنقاذ بالوكالة اليهودية تأكيداً على ذلك "إن بقرة صهيونية فى فلسطين أهم من إنقاذ يهود بولندا جميعاً» كما أكد بن جوريون رئيس أول وزارة إسرائيلية «لو خيرونى بين إنقاذ جميع أطفال اليهود بتهجيرهم إلى لندن ، ونصف الأطفال فقط بتهجريهم إلى فلسطين لأخذت نصف الأطفال فقط إلى فلسطين" .

وقد أوردنا النص الحرفى لحديث كل منهما ومصدره سابقاً ، معنى هذا أن العامل الزمنى لهذا الجيل الذى تم اختياره هو الذى قادر على تحديد هدفه بوضوح مثل نتنياهو ، لكن ربما فى المستقبل قد يصبح الهدف لا يساوى التضحية بالروح ، وهذه

من العوامل المقلقة داخل إسرائيل ، وبدأت تظهر بشكل كبير فى أوساط الشباب اليهودى الذى بدأ لا يصدق الأساطير الصهيونية ويشكك فيها ، أما الهدف بالنسبة للحكام العرب ، أو الهدف بالنسبة للسلطة فهو ليس واحداً لدى الحكام العرب ، فالهدف يظل دائماً فى نظام السلطة هو الهدف الأول والأخير «السلطة» كرسى المملكة أو الإمبراطورية أو حتى الجمهورية لذا ، فإن القتال من أجل هدف آخر يمسى عملية ثانوية لا قيمة لها .

أما الشعب هنا فدوره يكون على مسافة 180 درجة من دور الحاكم أو السلطة ، فالشعب متمسك بالهدف الاستراتيجى لا بالهدف السلطوى .. والحاكم لا يستطيع أن يعبر صراحة عن أنه ضد الهدف الاستراتيجى ، ولذلك يكون الرأى العام فى اتجاه والسلطة فى اتجاه آخر ، وفى هذا الخلط والضياع تضيع الحقيقة ، وتغيب المعلومات فلا الشعب يعلم دوره الحقيقى ، ولا لديه من المعلومات ما هو كاف ، وبالتالى عند هزيمة السلطة يصاب الشعب بزلزال رهيب ، لأنه أصيب فى استراتيجيته المؤمن بها ، لكن لم يجد من يدافع عنها فجيشه محكوم بالسلطة والسلطة تدافع عن هدفها وهدفها متعارض مع الهدف الاستراتيجى فى أغلب الأحيان .

وفى بعض الأحيان تتدخل السلطة لتغييب الوعى ، وإفشاء المعلومات الكاذبة لتحويلها إلى حقائق لدى الشعب ، محاولة صنع رأى عام فى صالحها يتماشى مع هدفها ، ولو كان ضد الهدف الاستراتيجى ، وسوف نسوق بعض الأمثلة الحية تأكيداً على هذا الدجل والاستهتار بالشعوب - أو توصيل الشعوب حتى فى قمة رجالها السياسيين إلى التصديق والتفاعل مع الهدف السلطوى متجاهلين الهدف الاستراتيجى ، فنرى رئيس وزراء مصر صدقى باشا الذى لم يحضر مؤتمر بلودان 12-18 / 10 / 1946 على مستوى رؤساء الحكومات العربية من أجل التنسيق لمنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين ووضع خطة استراتيجية لمنع تقسيم فلسطين ، يمكث بالقاهرة ويقابل "الياهو ساسون" رجل المخابرات الأول فى الوكالة اليهودية ، ويتم عقد صفقة معه مؤداها موافقة مصر على تقسيم فلسطين والموافقة على هجرة 50 ألف يهودى إلى فلسطين فكان المقابل لخيانة الهدف الاستراتيجى هو الهدف

السلطوى وهو مساعدة اليهود لمصرفى إقناع الإنجليز بالجلاء عنها !!

والمثال الثانى من مصر أيضاً !!

ونحن نسوق هذه الأمثلة من مصر باعتبار أن القادة السياسيين فى مصر فى تلك الفترة وخاصة القادة الذين اشتهروا بالوطنية هم أقدر الناس معرفةً بالهدف الاستراتيجى العربى عن غيرهم فى الدول العربية الأخرى ، وأيضاً ليس معنى ذلك أن هذا ينطبق على كل المصريين فالعكس صحيح ، حيث كان موقف "مكرم عبيد" فى مؤتمر بلودان عظيماً ووضع الحلول الاستراتيجية ، ونبّه العرب إلى أخطار الاستراتيجية الأوروبية الأمريكية بقيامها بزرع كيان صهيونى سيمزق الأمة العربية ، ويمنع اتصال شرق الأمة بغربها .

المثال الثانى أورده الحاج "أمين الحسينى" حينما قابل النحاس باشا رئيس حزب الوفد المعروف فى ذلك الوقت بمواقفه الثابتة ضد الاحتلال الإنجليزى - وقد فوجئ الحسينى بمصطفى النحاس يقول له :

«يا أخى لماذا لا تسوون أموركم مع اليهود عندكم وتريحونا جميعاً من وجع الدماغ» .

وقد يصل تعارض الأهداف السلطوية الشخصية مع الأهداف الاستراتيجية إلى حد التعارض أو الصراع ، وعندما يحدث الصراع بين الهدف الشخصى للحاكم والهدف الاستراتيجى للأمة تقع الخيانة الكبرى .

ولكى تتضح الصورة جلياً ، علينا بتحديد الأهداف الاستراتيجية للأمة ، وأيضاً الأهداف الاستراتيجية للعدو ، وإن كان هناك بالطبع هدف استراتيجى واحد للأمة العربية متعلق بعدوها الطبيعى (الصهيونية) ، فإن الهدف الاستراتيجى للأمة يكمن فى العدوان أو المؤامرة (الاستراتيجية) الكبرى التى تستهدف وجود الأمة ذاتها ... فقد قامت الأساطير الصهيونية على عدة أهداف يجمعها أو يلفها هدف استراتيجى واحد ، إذا استطعنا أن نقول ذلك وهو الهدف القائم على الوعد الإلهى «لنسلك أعطيك هذه الأرض من النهر الكبير إلى نهر النيل» أى علم وشعار إسرائيل

"أرضك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل" وبعد الأرض ، يأتى أمن هذه الأرض ، وهذا الأمن غير محدد بمساحات ، فأصبحت إذاً الأمة العربية من المحيط إلى الخليج هى هدف إسرائيل ، فتشرشل لم يطلب من فراغ إعطاء ليبيا ، وهى غرب نهر النيل ولم تدخل فى الوعد الإلهى لإسرائيل ، لم يطلب ذلك الطلب هباء .. إذاً فالأرض العربية هدف استراتيجى للصهيونية ، وبعد الأرض أو من الأرض (الوجود) تتفرع عدة أهداف فرعية تعمل كلها لصالح (الأرض) الهدف الاستراتيجى ومنها على سبيل المثال :

1 – المياه .
2 – الثروات الطبيعية (النفط – الغاز – المعادن .. الخ) .
3 – المناطق الاستراتيجية لأمن الأراضى (جبل طارق – باب المندب – قناة السويس) .
4 – الديمغرافيا / الكثافة السكانية .

كما أن هناك وسائل عديدة لتحقيق هذه الأهداف على رأسها سباق التسلح التنافس الإعلامى والثقافى (الدعاية الإعلامية) التنافس الاقتصادى والهيمنة على التجارة فى المنطقة بما فيها البنوك ، الدعوة إلى السلام كأسلوب تكتيكى يخدم الهدف الاستراتيجى .. الخ من أسباب .

ونعود ، بعد سرد أو توضيح وتحليل الهدف الاستراتيجى ، والأهداف الفرعية التى تعمل على تحقيقه ، ثم الوسائل والآليات المتبعة لتحقيق هذا الهدف ، وتطبيقها على الصراع العربى الصهيونى ، ليس فقط ، بل على الدفاع العربى ضد الاستراتيجية والأسطورة ونرى تفكير حكامنا العرب منذ تلك الفترة حتى وقتنا الحاضر ، ونرى كم من الفضائح تحدث عند تعارض الهدف الشخصى لحكامنا العرب مع الهدف الاستراتيجى أو الأهداف الموصلة إليه ، هذا (التعارض) الذى قد يولّد تصادماً أو السير فى اتجاه مضاد للهدف الاستراتيجى فتحدث أو تقع الخيانة الكبرى ، وقبل أن نصف أى وقائع لابد أن نتحرى الدقة وتطالعنا الوثائق الرسمية التى تكبل تفكير حكامنا العرب فى تعاملهم مع المؤامرة (الاستراتيجية) ليحكم

القارئ بنفسه على طبيعة الحكام العرب أو يختار الوصف المناسب لهم ، وليس طبعاً فى كل الأحوال هى تضارب أو تصادم الهدف الشخصى للحاكم مع الهدف الاستراتيجى للأمة فأيضاً ، كم من الحكام العرب بذلوا جهدهم بدون هدف شخصى سوى الهدف الاستراتيجى، وأيضاً منهم من أصاب ومنهم من أخطأ .. وهذه هى حركة التاريخ ، فعودة إلى الوثائق لنرى لماذا فى أغلب المعارك أو الصراعات تكون الهزيمة من نصيب العرب ، مع أن المنطق أو النظرة الأولى تؤكد أن النصر مفروض أن يكون حليف العرب لعدة أسباب كثيرة لا نريد الدخول فى تفاصيلها ، لكن على الأقل الكم والموقع والتحكم فى أرض المعارك والعمق الاستراتيجى وأخيراً "الحق العربى" أو "الوجود العربى" ومن هنا تقول الوثائق :

وسوف نقتطف بعض الأجزاء البسيطة ، حيث إن هذا الموضوع يستحق مجلدات كثيرة لا مجرد أوراق معدودة ، وسوف نبدأ من الفترة الزمنية التى تلت قرار التقسيم حتى وقتنا الحاضر (خمسون سنة من الصراع) :

من مذكرات بن جوريون نفسه :

2 / 12 / 1947

"حضر أعضاء الحزب ، بنحاس نافون عليه إعداد خطة لمعالجة المشكلة العربية . موشى هاليفى يطالب بإعداد نشيد وطنى جديد ، يعقوب دورى يقترح عمليات ضد شركات النقل والمواصلات العربية ، يقترح أيضاً ضرب مرافق المياه ، إسرائيل جاليلى يوافق" . (لاحظ العقلية النازية والفاشية وتفكير قادة الأسطورة للهدف) .

– طلبت من موشى أفريوخ الذى يسافر اليوم إلى الولايات المتحدة أن يبعثوا إلينا بنصف مليون جنيه إضافة ، شلوموجور يطلب 44884 جنيهاً لبدء الانتاج فى إدارته (إدارة الأسلحة الكيميائية) بمساعدة الدكتور أشرشفايجر (عالم كيميائى) . (ولاحظ بداية صناعة الأسلحة الكيميائية والجرثومة حتى قبل قيام دولة إسرائيل ، وهى أحد وسائل تحقيق الهدف) .

- حضر إلى يوسف بيرتس من صفد . هناك ذعر والعرب يخرجون من الأحياء اليهودية .
- اجتماع للدراسة الضباط وضباط الصف المؤهلين بين المهاجرين الموجودين فى أوروبا :
- فى ألمانيا والنمسا : ضباط هيئة 264 ضابطاً ، جنود بعد 2054 .
- فى فرنسا بما فيها شمال أفريقيا : ضباط قيادة 288 ضابطاً ، جنود 238 .
- فى هينجاريا ضباط 243 ، جنود 1050 جندياً
- فى تشيكوسلوفاكيا ضباط 45 ، جنود 198 .
- فى رومانيا ضباط 50 جنود 770 .
- فى رومانيا مدرسة دائمة تدرب 80 – 120 قائد مجموعة كل 6 أسابيع .

***

بن جوريون فى 11 – 12 – 1947 .

- المهندس حاييم سالفين ، وهو أحد مؤسسى الصناعات العسكرية فى (إسرائيل) أبلغنى : سينتهى هذا الأسبوع تصنيع 2000 رشاش يدوى ، وفى هذا الشهر يتم إنتاج 250 ألف طلقة – استأنفوا إنتاج مدفع هاون 3 بوصة – ينتجون 5000 رشاش يدوى ، على وشك الانتهاء من إنتاج 60 ألف قنبلة ميلز ، سنحصل من أمريكا على خمسة أطنان بلستيد ، ومن إيطاليا على ثلاثة ونصف ، يتطلب صنع مليون طلقة بندقية إلى ٢ طن من البلستيد سيصل من إيطاليا 3,25 طن T.N.T (ديناميت) وسيصل من أمريكا 250 طناً . اللجنة المالية حولت مليوناً وربع مليون دولار للصناعات الحربية .
- شلومو أبلغنى أن مصنع الكوربت سيبدأ العمل فى أواخر ديسمبر ، وخلال يناير ينتجون ثلاثة أطنان ، وبعد ذلك أربعة أطنان كل شهر ، من الجائز أن يتمكنوا من انتاج الديناميت دون حامض النيتريك ، وهذا لا يزال سراً ، مصنع القنابل المسيلة للدموع أعطى إنتاجه لهذا الشهر لرجال القدس، يفرغون الشهر القادم من صنع 6000 قنبلة . دفنوا طاقة إنتاج ثلاثة

آلاف لغم يومياً» .

- الملك عبد الله لن يخضع لضغوط الجامعة العربية - القاوقجى قائد جيش الانقاذ يريد الاجتماع إلى ممثلين عنا .

- تناولت الغذاء مع مينا ميريدور ، وإسرائيل جاليلى ، وإلياهو ساسون .

وصل من إيطاليا 500 رشاش و170 بندقية المانية وربع مليون طلقة (303) و300 ألف طلقة 9 ملم و 300 ألف طلقة من عيارات صغيرة للمسدسات. إضافة إلى كمية من أقساط الذخيرة لرشاشات البرن ، وأجهزة بصرية واشتروا إضافة إلى ذلك نصف مليون طلقة صغيرة (37 ألف دولار) وثلاثة ونصف طن T.N.T (26 ألف دولار وثلاثة ونصف طن بلستيد (15 ألف دولار) وأجهزة اتصال (60 ألف دولار) . صرحت بطلبية جديدة للذخيرة (100 ألف دولار) .

- يهوذا أورزى منسق شراء السلاح فى الولايات المتحدة الأمريكية اشترى ثلاث طائرات تونستيليشن وعشر طائرات سى 46 .

- الحاخام "حاييم ناحوم (حاخام مصر) تكلم هاتفياً مع "فاجنس" رئيس الجامعة العبرية يطلب منه الذهاب إلى مصر ... من أجل السلام

***

الاثنين

1947 - 12 - 22

"نحن نتصنت على المكالمات الهاتفية للهيئة العربية العليا ، والمسجد الأقصى والدكتور الخالدى وعدد آخر . يبدو أن عالم الإجرام يتجمع هناك يتضح من المكالمات أنه لا يوجد تنسيق بينهم".

- الجامعة العربية اتخذت (من معلوماتنا) 17 قراراً ، ساسون يعرف تسعة منها ، ربما سنعرف من أحد الأشخاص فى شرق الأردن ما إذا كانت القرارات نهائية ، وما إذا كان شرق الأردن موافقاً ، عليها . لابد من هزيمة الهيئة العربية العليا بطريقة ساحقة.

- الساعة الثانية عشر والربع عـاد ساسون بعد أن قابل مندوباً عن الملك عبد الله ، المندوب كان مع الملك قبل قليل وسأله عما يقوله لنا (لاحظ هنا أن الملك أصبح (..) لدرجة أنه ينقل إليهم الأسرار) .

الملك قـال له : "قل لهم إن الجـامـعـة ليـست جـامـعـة والقـرارات ليـست قرارات"، ونقلاً عـن الملك فقد طرحوا فى الجـامعة مشروع قطـع العلاقات مع الغرب ... بكلام فارغ .. هل ابن سعود سيقطع علاقاته مع الأمريكيين؟ كل واحد فى الـعالم العربى يزايـد على الآخر !!(واستطرد المـلك قائلاً :) حـتى العـراق وشرق الأردن طالـبا بقطـع العلاقـات . شـرق الأردن طالب بالخروج من الأمم المتحدة . البيان الذى صدر بعد انتهاء اجتماعات الجامعة كان موجهاً لتغطية الفشل العربى (لاحظ هذه الخطوة الفادحة والانحراف الجسيم عن الهدف ، وخيـانة الهدف الاستراتيجـى للأمة من حكام الأمة آنذاك) **شرق الأردن لم يوافق على قـرارات مندوب الملك أعطى لـساسـون** (وهو أحـد مخـابرات العدو الصهيونى فى الوكالة اليهودية) **صورة الموقف . مصر أعلنت صراحة أنها لن تقدم سوى المال والدعاية والعمـل السياسى ، لكن لا سلاح ولا جيش ، ربما تسمح لمتطوعين. لبنان قال إنه لا يسـتطيع تقديم أكثر من 500 بندقية . سوريا لها حسابات أخرى . السعودية ستعطى دولارات"**

وتستمر نفس مذكرات بن جوريون لهذا اليوم 22 - 12 - 1947 مسطرة :

ـ ساسون" سأل مندوب الملك عن الفيلق العربى ؟!

أجاب : الملك يـطلب أن تثير صـحافـتكم ضجـة فى شأن الفيلـق العربى ، وتطالب بنقله من مواقـعه وفى هذا الوقت تجنبوا الاشـتباك معـه . واطمئنوا فالسيطرة على الفيلق هى فى يد الإنجليز .

***

إننا وضعنا جـزءاً بسيطاً من الحقـائق المذهلة التى لم نجد لها وصـفاً يناسبهـا فهى أكبر من الخـيانة .. وأكبر من العمالة ، وربمـا يجد القارئ لها وصفاً .. قـادة يتآمرون ليس على بلدهم فـقط ، بل على أمتهم .. وفـى نفس الوقت تعطيهم أمـتهم قيـادتها

العسكرية وهم يعطون كل الأسرار وكل حياتهم تحت سيطرة وتصرف العدو .. ماذا كـان يحدث بالضبط .. ؟ فالحكـام فعـلاً عراة .. والشـعوب لا تدرى أو بالأحـرى الحكام خونة والشعوب مُضللة .. !!

والأخطر من ذلك ، لاحظ الهدف الاستراتيجى للصهيونية ، فنجد عمـلاً متقناً يفوق أيضاً الوصف ، فلقد بدأ المرتزقة الأوروبيـون يصلون تباعاً حسب الأعداد التى ذكرها بن جوريون فـى مذكراته يوم 2 - 12 - 1947 ، ثم دخول الصهـاينة قبل إعلان الدولة اليهودية مجـال الصناعات الحربية والعسكرية حتى صناعـات الغازات السامة والأسلحة الكيميـائية والجرثومية ، وفى المقابل العـرب يجتمعون فى الجامـعة العربية (البريطانيـة) ويصدرون 17 قراراً نصـفهم يصل إلى بـن جوريون عن طريق عـملاء والبقـية وبالتـفصـيل من داخل الجامـعة نفـسها ، وممن ؟!من الـقائد الأعلى للقـيادة العربية العليا المسلحة العسكرية .. الخ من أوصاف .

من ذلك القائد الـذى قال لعمـيل مخابرات الوكـالة اليهودية : "قل لـهم اطمئنوا فالجامعة ليست جامعة .. ولا قراراتها قرارات" !!

اطمـئنوا فالجـيش الأردنى أو الفـيـلق العـربى فى يـد الإنجـليز هـم قـادته وهم الذين يسيطرون عليه ، وقال أيضـا لبن جوريـون مرة ثانية (مذكرة بن جـوريـون فى 19/ 1/ 1949) :

ويقول القائد الأعلى للقوات العربية :

1 - لن يسمح للفيلق العربى بمهاجمة اليهود .

2 - ما دام البـريطانيون فـى البلد فإن الفـيلق لا يستطيع التـدخل ثم يطلب الملك أخيراً المال أو الدعم من أمريكا .

والسؤال للتاريخ .... ليس للملك الراحل (عبد الله) طالما أن ذلك كان هو الحال لماذا تبحت الشيخ الطيب عندما قال "ليتك جيشنا" ؟

***

وعن "الأرض" الهدف الاستراتيجى للأسطورة والهدف الاستراتيجى للأمة العربية تطالعنا مذكرات بن جوريون :

17 - 1 - 1948

قواتنا الآن فى النقب (لاحظ أن النقب خارج حدود التقسيم وفقاً لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة مثله ، مثل القدس وحيفا والضفة الغربية وغزة) 1200 **مضافاً إليها 50 فرداً فى وحدات متنقلة لابد من تحصين النقب وانشاء مستوطنات مؤقتة فيه حتى على أرض ليست لنا** (لاحظ طريقة الصهاينة فى إقامتهم المستوطنات لابد أن تكون على أرض ليست أرضهم ومن بعد تصبح أرضاً مستوطنة ، تأكيداً لمقولة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض) **إذا لم نحتفظ بصحراء النقب ، فإن تل ابيب لن تصمد ، النقب مهم لإيلات .**

***

2 - 2 - 1948

يقول بن جوريون :

"طلبت إعداد خطة كاملة "لإيلات" لابد أن نأخذها ، فى إيلات صعوبتان ؟

أ - يجب المرور فى مياه مصر الإقليمية قبل عبور قناة السويس وبعد عبورها.

ب - عرض مدخل إيلات ميلان ، ولابد من المرور فى المياه الإقليمية المصرية أو السعودية قبل الوصول إليها ".

وحتى قبل إعلان الدولة اليهودية ، الصهاينة يفكرون ليس فقط فى قادة الاستراتيجية الذين صنعوهم بل يتعدى نظرهم إلى بلاد آسيا وبقية العالم لكسب ودهم ووقوفهم معهم فى هذه المعركة .

ففى 7 - 3 - 1948

يقول بن جوريون :

"ستكون فرنسا وتركيا والهند معنية فى إحلال السلام فى البلد ، يقترح ساسون سفر الياهو اينشتين إلى الهند ، إلى نهرو وليس إلى جناح زعيم المسلمين . شلواح يقترح أن يسافر ساسون إلى روما أو إلى باريس للاتصال بالعرب" .

وأكثر من ذلك فالصهاينة يدخلون عنصراً "جديدا" لأول مرة إلى المنطقة هو عنصر "الإرهاب" والتخريب فيقول بن جوريون فى 31 – 3 – 1948 :

"الدكتور أ . ن فولك – (خبير أمريكى بالشئون العربية) **فى رأيه أنه يجب التخطيط للتخريب فى الدول العربية : العراق ومصر وسوريا** (وكان ايضاً الصهاينة قد فعلوها مع المعتمد البريطانى فى مصر الذين قتله اثنان من الإرهابيين التابعين لجماعة شرتوك ثم اغتيال مندوب الأمم المتحدة أيضاً على نفس تلك العصابات) .

سدود الرى فى مصر يجب تدميرها ، مخازن القطن المصرى يجب حرقها ، كذلك مخازن التمور العراقية ، وإذا وصلنا إلى صدام مع هذه الدول فيجب ضرب أنابيب النفط خارج أرض إسرائيل" .

***

كما تتضح المعالم والسمات لقادة الصهاينة، ويكتب بن جوريون فى 2–5–1948:

"حدث هذا الصباح إلى تل أبيب ، عاد شلومور مينوفلتش (غير اسمه بعد ذلك إلى إسحاق شامير والذى ترأس رئاسة وزارة إسرائيل فيما بعد) ، فى جيشر قابل شامير كلاً من العقيد جولدى والرائد كوكر من الفيلق العربى .. وسأله شامير :

إذا كنا نريد احتلال البلد كله ، كان الجواب عليهم أن الحدود مسألة تخص رجال السياسة ، لكن قواتنا قادرة على احتلال البلد كله .

سألا : هل سنهاجم القدس بعد حيفا ؟ (وكانت كل من القدس وحيفا فى تقسيم الأمم المتحدة تابعاً لعرب فلسطين) **كان الرد بأن القدس مدينة عبرية .**

قالا: إن الفيلق لا يريد مصادمتنا ، لكن ماذا سيفعلون حتى لا يظهروا خونة؟

فى 24 – 5 – 1948

أي بعد استكمال الحرب أو إعلان قيام إسرائيل بتسعة أيام قال بن جوريون :

"ينبغى أن يقوم سلاحنا الجوى بقصف عمان !! تكليف ييجال آللون ضرب جيش سوريا من الشرق والشمال ، إن الحلقة الضعيفة فى التحالف العربى هى لبنان..

يجب إقامة دولة مسيحية فى لبنان يكون نهر الليطانى حدها الجنوبى ، سنعقد حلفاً مع هذه الدولة ستقضى أيضاً على قوة الفيلق العربى وعندها تسقط سوريا (لاحظ خيانتهم حتى للذين خانوا أمتهم من أجلهم أو من أجل هدفهم الشخصى) ، **إذا تجرأت مصر على مواصلة القتال ستقصف بورسعيد والإسكندرية والقاهرة .**

وهكذا ستنتهى الحرب وسوف نصفى حساب أجدادنا مع مصر ومع آشور ومع آرام" .

***

وفعلاً انتهت الحرب ، قبل أن تبدأ ، وصفى زعيم الصهيونية أو رئيس وزراء ما يسمى بإسرائيل حساباته مع مصر ومع آشور ومع آرام مع كل من سوريا والعراق وكل الشعب العربى بفضل مواقف الحكام العرب الذين أشرنا لهم فى جامعة الدول العربية .

والقيادة العربية وجيوش الحكام العرب التى كان عددها بنسبة واحد فى الألف بالنسبة لعدد السكان العرب حيث كان تعداد الجيوش العربية حوالى 47 ألف جندى، بينما الوكالة اليهودية فى فلسطين تمكنت من حشد 16 ٪ من الصهاينة بالنسبة لعدد السكان حيث وصل عدد جيش الوكالة اليهودية (إسرائيل) حوالى (98) ألف جندى، هذا بالإضافة إلى السلاح ونوعيته الذى كان يتفوق تفوقاً كاسحاً على السلاح العربى الفاسد هذا ، كما أن الجيوش العربية تحركت بدون قيادة ، حيث كانت قيادتها التى أقرتها جامعة الدول العربية قد سقطت قبل أن تبدأ .. كما كان

القائد الأعلى لتلك القيادة ، كما ذكرت الوثائق عنه من علاقة .. و (...) مع الصهيونية .

النكبة مستمرة :

كان الفارق بين الأداء العسكرى اليهودى ، بجبهته الداخلية التى تعمل كلها من أجل مساندة الجيش الذى مثل 16 ٪ من عدد هذه الجبهة بالإضافة إلى المرتزقة الصهاينة المتوافدين على فلسطين ، علاوة على نوعية السلاح ، والتصنيع الحربى أو العسكرى ومهما كان بسيطاً إلا أنه كان دعماً للجيش الصهيونى ، بالمقابل كانت أجهزة المخابرات ، وهى ترصد سير المعركة كانت قد رصدت التواطئ والاسترخاء والتفاف القادة العرب على الهدف الاستراتيجى مقابل أهدافهم الشخصية إلى الحد الذى وصل إلى العمل ضد الهدف الاستراتيجى ، فوقعت الخيانة ، وكانت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية التى أنشأها "ترومان" حديثاً هى أنشط الأجهزة الأمريكية وغيرها التى ركزت على هذه الأحداث ، وكتبت المخابرات المركزية الأمريكية تقريراً قدمته إلى الرئيس ترومان عن سير المعارك وأداء الجيش الصهيونى كما وجهت التقرر إلى وزير الدفاع الأمريكى فى وثيقة رقم 48 - 38 ORE سرى بتاريخ 27 - 7 - 1948 جاء فيها :

"إن المعارك التى تجرى الآن أصبحت فى جزء كبير منها معارك شكلية تتمثل فى اشتباكات عشوائية ، وإن كانت متلاحقة ، وبالتأكيد فإن إسرائيل نجحت فى هذه المعارك ، كما أنها استفادت بشدة من فترات الهدنة ، وطبقاً لكل المصادر المتاحة لنا ، فان اليهود أثبتوا قوتهم ، مما يسمح لهم الآن بتوجيه ضربة واسعة النطاق لإخراج القوات العربية من فلسطين كلها . إن القوة اليهودية فاقت كل التوقعات السابقة . ومن الملاحظ أن هذا البلد الناشئ الصغير استطاع من الناحية التنظيمية أن يتفوق على دول أكبر منه وذات أوضاع مؤسسية أقدم ويكفى لبيان ذلك دراسة التقديرات التالية لحجم القوات التى استطاعت الدول العربية حشدها من جانب ، واستطاعت دولة

إسرائيل حشدها من جانب آخر :

قـــــوات	لها فى فلسطين	لها بالقرب من فلسطين	المجموع
الأردن	6000	4000	10000
العـــــراق	9000	1000	10000
مـــصـــر	5000	8000	13000
ســــورية	1000	1500	2500
لـــبـــنـــان	—	1800	1800
الســعــودية	3000	—	3000
مــتطوعــون	3000	3500	6500
المجـــمـــوع	27000	19800	46800

أما فيـما يتعلق بحجـم القوات الإسرائيلية وكلهـا داخل فلسطين فهى على النحو التالى :

قوات ضاربة متحركة 17000

قوان نصف متحركة 18000

قوات جيش الدفاع 50000

قوات الأرجون 12000

قوة جماعة شتيرن من 400 إلى 800

أما إسرائيل فقد استطاعت أن تصل بحجم قواتها إلى 97800 مقاتل .

النكبة مستمرة

إن كانت تلك الأحداث السابقة التى غمرت سنوات 45 ، 46 ، 47 ، 48 ، وأظهرت كل القادة على حقيقتهم ، خاصة الحكام والملوك والرؤساء العرب وعرتهم أمام شعوبهم التى لا تدرى ، وأمام شعوب العالم التى تدرى .

وإن كان الهدف الاستراتيجى للأمة العربية (الأرض) قد تعارض للأسف مع الأهداف الشخصية للرؤساء والحكام العرب ، وعمل كل منهم لمصلحة سلطته (كرسى الحكم)فضاع الهدف الاستراتيجى وسط انقضاض الصهيونية عليه ، وبتأييد ودعم من صناع الاستراتيجية (المؤامرة) الغربية ، وبعد أن وصل الحد إلى تآمر معظم الحكام العرب إبان تلك الفترة بارتكابهم أعمالاً ترتقى إلى مستوى الخيانة العظمى لأمتهم ، سواء بإفشاء أسرارهم العسكرية العليا أو (استراتيجيتهم) - إن كان لهم استراتيجية - للعدو ، وبعد أن أودعوا ووضعوا قيادتهم تحت تصرف أصحاب وعد بلفور ، وبعد أن تآمروا جميعاً على يد إلياهو ساسون من مخابرات الوكالة اليهودية وغيره ، ولم ينج منهم ناج إلا وتآمر ، حتى رياض الصلح فى لبنان ، فضاعت فلسطين وأخذ الملك عبد الله الضفة الغربية وحارب بعد ذلك الحكومة الفلسطينية التى تم تأسيسها فى غزة بقرار من مجلس جامعة الدول العربية (التى كانت أسراره وقراراته تذهب إلى بن جوريون فى الحال) واختارت الجامعة أحمد حلمى باشا رئيساً لتلك الحكومة ، التى حاربها بعنف الملك عبد الله الذى أعلن نفسه ملكاً على ضفتى الأردن ، وهكذا تحول الهدف الشخصى ليتربع على إرادة الحكام نافياً وقاضياً على الهدف الاستراتيجى للأمة العربية ، وانتهت حرب النكبة ونتائجها الممزقة وأصيب الشعب العربى بالدوار ، لأنه كان لا يدرى حجم التواطئ والخديعة والخيانة والتفريط ، وبقدر ما كان هناك قادة خونة ، كان هناك قادة لا يدرون أو يدرون ولا يفعلون ، وكان هناك أبطال حقيقيون رووا بدمائهم أرض فلسطين الطاهرة وكتبوا بدمائهم اللعنة على العملاء .

واستمـرت النكبة .. وعادت الجيوش العـربية وهى تشعر بمرارة الخيـانة والعمالة وبمرارة التفريط والفوضى ، وبمرارات الحسرة على دماء الشهداء الذين راحوا ضحية الاستهتار والعمالة والأسلحة الفاسدة والرشوة والمتاجرة بأرواح أبناء هذه الأمة ، فلا الأمة تدرى ولا الحكام يعـرفون استراتيجـية الحرب التى ضاعت أمـام سور الأزبكية فى لعبة الثلاث ورقـات ، ولا القيادات الصغيرة والشرفـاء يعرفون أن خططهم حتى على الورق ، والتى لم تنفـذ أبداً سبقـتهم إلى العدو ، قـبل أن تحملهـا خرائطهم إلى الميدان ، ولا الشعب يدرى بالمصير .

واستمرت النكبـة ، التى كان من إيجابياتها أنها غـرست فى وجدان الشباب من ضباط الجيوش العربية حقيقة الحكام العرب ، ووضع الجيوش العربية ومصير أمتهم، فكانت ثورة يوليو 1952 بقيادة أحد أبطال جيش مصر «جمال عبد الناصر» .

الذى شارك فى أكبر المعارك ، أو المعارك الوحيدة التى وقعت على أرض فلسطين فى الفـالوجا ، وبثـورة يوليو ، غُـمرت المنطقـة العربيـة بروح جديدة وأمل جـديد ، وانتعش المد القومي ، وانطلقت الدعوة لتضافر كل الجهود العربية جيشاً وشعباً عربياً واحداً حول الهـدف الاستراتيجى للأمة ، أمـا على الجانب الآخر فقد كـان لانتصار الصهـيونية فى أولى الجولات العـربية انتصاراً لـم يخطر ببالهم قط ، فقد أصـبحت الدولة الصهيونية دولة تمزق قلب الوطن العـربى بالفعل ، وضاعت صحراء النقب ، وضاعت فلسـطين كلها . وانقطعت خطوط المواصـلات البرية بين الشـرق (سوريا) وبين الغرب (مصر) وتحـقق الهدف ، وانتصرت الاستراتيجيـة وبدأت المنطقة العربية تشهد صراعـاً من نوع آخر ، صراع طلب الطاعة من إسرائيل لتـوقيع صكوك السلام والاستسلام ، وكانـت الصهيونية فى عجلة من أمرها لتأكـيد وجودها وكانت الدول العربية رغم نداءات عبـد الناصر منهمكة فى مشاكلها الداخلـية لإعادة ترتيب البيت العربى ، ولأن إسـرائيل عاهدت نفـسها ألا تقف كـالمتفـرج فى المنطقة لتـراقب فقط إعادة ترتيب البيت العـربى ، ولأن الدول الاستعمارية (أمريكا وبريطانيـا وحلفهما) وقد أيـقنوا نجاح مـخططهم الاستـراتيجى بتـمزيق الأمـة العربيـة ووضـع شوكـة فى

خاصرتها تحول دون قيام الدولة العربيـة الواحدة ، فإنهم مع الصهـيونية عطّلوا ، أو منعوا ترتيب البـيت العربى ، وجعلوا الحكام العرب الجدد أو القـدامى يفكرون فقط فى أهدافـهم الشـخـصـية .. ومـرة أخـرى يطغى الهـدف الشـخـصى على الهـدف الاستـراتيجى للأمـة ، وتستـمر النكبـة وبدلاً من استمـرار حشـد الهمم ضـد العدو الصهيونى واستمرار الصـراع العربى الإسرائيلى وعودة فلسطين ، انتقل الصراع إلى صراع عربى عـربى ، قوة يتزعمـها عبد الناصـر من أجل الهدف الاستراتيـجى للأمة وأخرى من أجل الهدف المحلى أو السلطوى لأداة الحكم ■

الفصل الحادي عشر

لوزان - مدريد - أوسلو

"إننى لا أريد رجلاً فى القاهرة
يهتم بالتنمية قبل أن يعقد صلحاً
مع إسرائيل"

بن جوريون

الاتصالات مستمرة

يقول هيكل :

"رغم اغتيال الملك عبد الله سنة 1951 ، فإن الاتصالات مع إسرائيل مضت بعده ، وإن قل مستواها وزاد التكتم عليها ، وكانت عمان قد وعت الدرس جيداً وصرفت النظر عن مشروع معاهدة صلح ، كان الملك مستعداً قبل اغتياله لتوقيعها ، وفى الواقع فإن ضم الضفة الغربية إلى مملكة الملك عبد الله شغل الأردن بدرجة تكفيه عن البحث فيما بعدها ، وكانت سوريا قد بدأت قناة اتصال مع إسرائيل من خلال اجتماعات لجنة الهدنة بعد رفع مستوى التمثيل فيها بعد انقلاب «حسنى الزعيم» واستمرت هذه القناة تعمل حتى وقوع انقلاب «أديب الشيشكلى» ومرة أخرى كان الاتصال تحت مظلة الهدنة ، وارتفع مستوى التمثيل فيها أكثر ، وتحول الاتصال إلى جلسات منتظمة بين الجنرال «موشى ديان» رئيس أركان حرب الجيش الصهيونى وبين العقيد «صلاح جديد» وتحفل الوثائق الأمريكية على اتفاقيات محدودة من بينها اتفاق على اقتسام المنطقة المجردة من السلاح فى منطقة «الحولة» .

وكان لبنان مفتوحاً لاتصالات متعددة وأحياناً متنافسة ، بل وكانت السعودية على اتصال مباشر وغير مباشر لحد ما ، مثل حضور "شلواح" مدير التخطيط فى وزارة الخارجية الإسرائيلية

آنذاك ضمن وفد بترولى أمريكى" .

المصدر : هيكل - المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل - الجزء الثانى "عواصف الحرب وعواصف السلام - ص 38 - 49

وفى مصر ، فإن الاتصالات لم تنقطع سواء قبل النكبة 1948 أو بعدها بقيادة إلياهو ساسون من مخابرات الوكالة اليهودية أو حاييم ناحوم أفندى من يهود مصر ، ولم تكن تلك الاجتماعات أو الاتصالات على مستوى الملك أو الوزراء فقط ، بل حدثت عدة مقابلات مع رجال الصحافة والسياسة فى مصر ، نذكر منها مقابلة ساسون مع محمود أبو الفتح صاحب جريدة المصرى فى ذلك الوقت ، والذى يعتبر من أصدقاء زعماء الوفد ، وبعد الثورة لم تنقطع محاولات الاتصال والالتفاف على الثورة ، فقام "محمود أبو الفتح" نفسه بنقل دعوة البارون "منشة" إلى المستشار المصرى فى باريس لدعوته على العشاء ، حيث كان فى حضوره المستشار الجديد للسفارة الإسرائيلية فى باريس وذلك يوم 25 - 8 - 1952 .

وتؤكد ذلك البرقية 1752 - 9 / 320 من السفير الأمريكى فى إسرائيل «ديفيز» إلى وزير خارجيته يوم 17 - 9 - 1952 حيث جاء فى مقدمتها :

"أخبرنى وزير الخارجية شاريت (وزير خارجية إسرائيل) بعد ظهر اليوم أن مستشار سفارتهم فى باريس قد أبرق إليهم بأنه تلقى ما يمكن أن يعتبره دعوة للقاء من مندوبين عن النظام الجديد فى مصر ، فقد أخبره رجل يزعم إنه ممثل شخصى للواء "نجيب" بأنه يحمل رسالة منه مؤداها أن نظامه لا يضمر أية نيات عدوانية لإسرائيل ، وأنهم إذا قرءوا فى الصحف تصريحات منسوبة إليه أو إلى غيره من الزعماء المصريين فليس لهم أن يأخذوها مأخذ الجد . وقد قال هذا الشخص للمستشار الإسرائيلى : إن نجيب مشغول الآن فى التحضير للمفاوضات مع الإنجليز ، ومع ذلك فإنه سوف ينتهز أى فرصة ملائمة ليبحث مع الإسرائيليين أموراً معينة .. الخ" .

ولم تنقطع أو تهدأ محاولات إسرائيل خاصة مع مصر فى فرض السلام عليها ،

كى تطمئن إسرائيل إلى الحدود التى وصلت إليها أعقاب حرب النكبة ، وحتى تستطيع أن تعبر هذه الدولة الجديدة التى لم يتصوروها شاسعة وكبيرة فى ذلك الوقت مرة واحدة ، وهم الذين كانوا يعلمون أن قرار التقسيم لن يمر بسهولة ، فأمريكا كانت من ورائهم تضغط وتحشد رؤساء الدول الأخرى والوفود فى الأمم المتحدة بالقوة كما أسلفنا الذكر ، أما أن تفاجئ إسرائيل بأنها قد اغتصبت فلسطين كلها فى غمضة عين وبدون خسارة فأصبح هاجسها الوحيد هو تأمين الحدود التى وصلت إليها أو وصل جيشها إليها مع عدم اعترافها بهذه الحدود ، هو اعتراف فقط بالمكان الذى يقف عليه جنود الصهاينة سواء شرقاً أو غرباً شمالاً أو جنوباً ، خاصة جنوباً مع مصر ، وتحديداً بعد تغيير النظام الملكى فى مصر بنظام ثورى من أبناء مصر ، واستمرت المحاولات حتى وصلوا إلى قائد ثورة يوليو نفسه ليتعرفوا منه على رأيه فى السلام (سلم الردع).

وأرسلوا النائب العمالى الشهير «ريتشارد كروسمان» عضو مجلس العموم البريطانى ، وكان أول ما طلبه كروسمان مقابلة عبد الناصر فى نهاية 1952 عن طريق مستشار السفارة الأمريكية «وليام ليكلاند» الذى رتب عشاء دعا إليه جمال عبد الناصر ، ورفض عبد الناصر ما عرضه كروسمان مع إلحاح الأخير فى شرح أهمية السلام ، وأن الإسرائيليين وحدهم سوف يساعدون مصر فى إجلاء الإنجليز عنها ، وسوف يستغلون أمريكا للضغط على بريطانيا من أجل هذا الجلاء ، وكان يساعد – فى ذلك أنهم فى شقة مستشار السفارة الأمريكية بالقاهرة وبدعوة منه ... الخ ، وكان عبد الناصر حاسماً فى رأيه وقال : إن كل ركن فى مصر يطالب الثورة بأن تهتم به ، وسبيلها إلى ذلك هو رفع مستوى الإنتاج والخدمات ، وكان تعليق بن جوريون على ما سمعه من عضو مجلس العموم البريطانى :

«إننى لا أريد رجلاً فى القاهرة يهتم بالتنمية قبل أن يعقد صلحاً «مع إسرائيل»

كانت كل تلك الاتصالات وما قبلها لا تمثل فى وجدان الشعب العربى شيئاً ،

لأنهم لا يعرفون أو لا يدرون عنهـا شيئاً ، أما القـادة والسياسيون والصحـافة ، كانوا جـمـيعـاً يرون أن هذه الاتـصالات لا تدخل ضـمن إطار "المحـرمـات" أو المســاس "بالمقـدسات" ،فكل ذلك أتى من رحم "لوزان" عـندما توجـهت "لجنة التوفـيق" إلى لوزان فى سويسرا أعقاب حرب النكبة 1948 .

ففى مايو 1949 وضعت أو صـاغت لجنة التوفيق بروتوكـولاً للمباحثـات الجارية بين العرب وإسـرائيل ، ومرفـقاً به وثيـقة قرار التـقسـيم الصادر 29 – 11 – 1947 من الأمم المتحدة ، وكـان معنى هذا ، أن العرب فى اجـتماعهم على البـروتوكول وقرار التقسيم أنهم قـد قبلوا كرهاً أو طواعية بقرار التقـسيم ، وكان نص بروتوكول لوزان يؤكد ذلك حيث كان نصه كالتالى :

"إن لجنة التوفيق الفلسطينيـة المنبثقة عن الأمم المتـحدة ، فى تلهفها لتـحقيق أهداف قرار الجمعية العامة الصادر فى 11 – 12 – 1948 ، والخاص باللاجئين واحـترام حـقوقـهم والحفـاظ على ممتلكاتهـم ، إلى جانب مـسألة الحـدود وغيـرها من المسائل – على درجة السـرعة – قد اقتـرحت على وفود الدول العربية وعلى وفد إسـرائيل أن تأخذ الوثيقة المرفقة كأساس للمـباحثات مع اللجنة" .

"والوثيقة المرفقة هى قرار التقسيم"

ورغم موافقـة الدول العربية على حل قـضية اللاجئين حلاً فى صـالح إسرائيل ، وذلك بتوطين اللاجئين الفلسطينيين فى الأردن وسـوريا ومصر وقبلوا بذلك ، إلا أن إسرائيل ظلت تـناور حتى تم صدور قـرار من الأمم المتحدة بقـبول عـضويتهـا لهذه المنظمـة ، ثم انسحـبت بعـد ذلك من لوزان لأنهـا لا تريد سلامـاً مـبنياً على حـدود محـددة بينها وبين العرب ، ولو كـانت هذه الحدود هى كل فلسطين بما فـيها الضـفة الغـربية وغـزة – وكان هذا هو مـؤتمر (لوزان) ، وكـانت هذه هى نتائجـه (لا شىء) سـوى جلوس العـرب مع الإسـرائيليين فى نقـاش الهـدف منه إفـسـاح وقت زمنى لإنشاء وترسيخ دولة إسرائيل من الفرات إلى النيل .

وكان التاريخ أصدق تسجيلاً من أى تحليل قـد يشوهه دعاة الاستسلام والتطبيع ، فمن مايو 1949 إلى مايو 1953 يسجل التاريخ أن شاريت أبلغ «دلاس» وزير خارجية الولايات المتحدة عند زيارة الأخير لإسـرائيل وفقاً للوثيقة (رقم 2 - د ت س) وهى من وثائق الخارجية الأمريكية ما نصه :

"إن أصـدقـاء إسـرائيل لا يـنبـغى لهم أن يطلبـوا مـنهـا تحت أى ظرف من الظروف :

1 - أى انسحاب من أراضٍ فذلك فى رأيها بمثابة انتحار .

2 - ولا أن يطلبوا منها إعادة لاجئين فذلك أيضاً قريب من الانتحار .

3 - ولا أن يطلبوا منها دفع أى تعويضات".

وقال أيضاً بن جوريون إلى 'دلاس' فى نفس محضر الوثيقة :

"نحن نريد أن نتعاون معكم لـ أقصى الحدود ولا نريد توريطكم فى صراعنا مع العدو ، ونحن ندرك أن الصلح مـعهم الآن مطلب بعيـد المنال ، وكل ما نطلبه هو ترتيبـات مؤقتة تؤكد وتقـول وتوسع اتفاقيات الهـدنة الموقّعة بيننا وبين العرب" .

***

خطــة ألفــا

"إن أسنة الحرب ليست أفضل موقع تقعد عليه الإمبراطوريات»"

نهرو لدلاس

من لوزان إلى مدريد ، وقـبل الوصول إليـها ، وعند الاتجاه إلى الجـنوب الشرقى (الشرق الأوسط) خـاصة مصر الـتى شهدت ضغـوطاً مكثفة من أجل إبرام مـعاهدة صلح أو سلام أو إنهاء حالة حرب مؤقتة تعطى للصـهيونية فرصة أن تبنى ما أخذت ، وتعطى للإمبـراطورية فرصة أن تجد لهـا مكاناً مقبولاً فى الشـرق الأوسط ، خاصة

بعـد الاكتـشافـات الأمريكيـة للنفط العـربي فى أكثـر من بلد ، فلم تعـد السعـودية وحدها، بل الخليج العربى ولـيبيا فى شمال أفـريقيا ، كما أن الخطر السـوفيتى الذى ابتـدعتـه الصهـيونيـة أصبح واقـعاً مـتمـثلاً ، بعـد أن نجح ترومان فى إنشـاء حلف الأطلنطى ، وحلف جنوب شرق آسـيا ، وأصبحت منطقة الشـرق الأوسط خالية من الأمريكيين فى مـستهل حـكم الرئيس الأمريكى إيزنهاور الذى راح يـفكر بعمق فى تعبئة هذا الفراغ من جهة ، ومن جهة أخـرى المحافظة على هدف الاستراتيجية قائماً (وجود إسرائيل فاصلاً بين الشرق والغرب فى تقسيم الوطن العربى) .

وكـان على قادة الاسـتـراتيجـيـة (المؤامرة) الغـربيـة أن يرسـموا الخطط الجـديدة للمنطقـة العربيـة التى تحقق أهدافـهم تلك ، وكانت رحلة وزير خـارجيـته (دلاس) المشهـور إلى منطقة الشرق الأوسط والأدنى ومـقابلته لكل زعـماء المنطقة (مـصر – الأردن – السعودية – العراق – سوريا – تركيا – الهند - باكستان – "إسرائيل") .

ومن بعدها الاتصالات المكثفة التى شهدتها المنطقة والتى أسفرت عن خطة ألفا .

حيث استـقر رأى قائد الاستـراتيجية (المؤامـرة) الغربية على خطة وزير خـارجية "دلاس" والتى أطلق عليها اسم (ألفـا) والتى تتمثل ببساطة فى عقد اتفـاقية سلام أو صلح بين العرب وإسرائيل ، وأصبحت البند رقم (1) من اختصاصات مجلس الأمن القـومى الأمـريكى ، ويشـارك فـيهـا بجـانب الولايات المتـحـدة ، كل دول الحلفـاء والهدف منها كما قال دلاس لمساعدة "أندرسون" :

"لابد من للمجىء بناصر إلى موقف تقبله إسرائيل"

وكانت الخطة "ألفا" بها من المغريات لناصـر ما لـم يحلم به ويتمناه أى زعيم آخر، يبـحث عن الهدف الشـخصى أو الهـدف الوطنى ، لكن ظل الهدف الاسـتراتيـجى للأمة هو مبعث تفكير قائد عـربى ظهر لفترة محدودة (1952 – 1970) أى لمدة ثمانى عشرة سنة فقط وكانت تلك المغريات :

1 – تقـديم السلاح إلى مـصر لتـسليح الجيش المصـرى بما يصل إلى قـيمـته

خـلال ثلاث سنوات 20 مليـون دولار ، وإسرائيل لـن تعتـرض على السلاح فى حال عقد السلام معها .

2 - مشروع السد العـالى تتكفل به أمريكا ، وتقدم له 20 مليون دولار كل سنة لمدة خمس سنوات من البنك الدولى .

3 - مساعدة ناصر فى البحث العلمى والتقنى وبناء مفاعل نووى له فى مصر .

4 - تزويد مصر ر بما تريده من القمح .

5 - تحويل مـصر إلى مـركز للاتصالات والمواصـلات والتجارة فـى منطقة الشرق الأوسط وغيرها من المغريا ت .

وكان دالاس رغم كل ما يبذله فى تنفيذ الخطة والبـوادر الأولية من ناصر لرفضها تطالعنا الوثيـقة رقم 518 د 59 فى 26 - 3 - 1955 وهى رسالة من دالاس إلى "بايرو" السفير الأمريكى بالقاهرة والذى أتى به خصيصاً كسفير فوق العادة لتنفيذ هذه الخطة يقول دالاس فى رسالته :

"إننا نعلق أهميـة كبيـرة على العملية "ألـفا" ونستطيع أن تشـرح لناصر أننا سوف نتعاون مـعه على بناء زعامته فى العالم العـربى ، وسنبذل كل جهدنا فى تقوية مركزه ، وتعاونه فى الخطة (ألفا) هو السبيل الوحيد لإقناعنا بعمل ذلك" .

ويفـشل دالاس ، ويتقـدم إيزنهـاور رئيس الولايات المتحـدة الأمـريكية ويبـعث برسـالة إلى ناصـــر الذى كـان قـد نجح حـتى ذلك الوقت فى الـتـمـسك بالهـدف الاستراتيجى للأمة رافضاً الهدف الوطنى لمصر والهدف الشخصى له ، وبعد أن أقدم على أول خطوة عـالمية بنجـاحـه الساحق فى مـؤتمر باندونج 1955 سـواء فى تكوين مجـموعـة أو كتلة عـالمية جـديدة «عدم الانحيـاز» أو فى اقتناع دول العـالم فى هذا المؤتمر برفض قبول إسرائيل عضواً فى دول عدم الانحياز ، وخلال ذلك النجاح كتب رئيس الولايات المتحدة «إيزنهاور» رسالة قال فيها من ضمن ما قال :

"....... إننى أتفهم المصاعب التـى تعترض تسوية عربيـة إسرائيلية ، لكنى

أعتقد أنه بالإمكان الوصول إلى اتفاق يضع الأطرف جميعاً فى موقف أفضل من الموقف الذى هى فيه الآن ، ويزيل احتمالات التوتر والخطر ، ويفتح الفرصة لآمال كبيرة أعرف أنها تراودكم ، وأتابع جهودكم فى سبيل تحقيقها .. الخ"

من كلام من هذا القبيل على أمل موافقة ناصر على الخطة (ألفا) وكان الرد النهائى من مصر (لا) ، وكان الرد غير النهائى من أمريكا سحب عروض البنك الدولى لتمويل السد العالى وكان الرد المصرى ، تأميم قناة السويس ، وكان الرد البريطانى الفرنسى بالتعاون مع العدو الصهيونى هو العدوان الثلاثى على مصر عام 1956 دون الرجوع إلى إيزنهاور الذى اعتبره خطأ خارقاً ، لمعرفته الجيدة من خلال رجاله بأن "ناصر" لا يأتى بهذا الأسلوب ، وفشل العدوان بالإنذار الروسى والإنذار الأمريكى ويقبلهما وبعدهما التفاف الشعب حول القائد ، ليس الشعب العربى فى مصر فقط ، بل كل الشعب العربى من المحيط إلى الخليج ، وانطلقت الأمة العربية منذ ذلك التاريخ تتجمع حول قائد واحد متناسية أو متجاهلة حكامها العرب ، وأصبح ناصر 1956 هو القائد الأمين على الهدف الاستراتيجى للأمة العربية .

ليس هذا رأياً عاطفياً أو حماسياً منا تجاه قائد عربى مثل ناصر .. لكن "آلان دالاس" مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى مذكرته التى وزعها على اجتماع مجلس الأمن القومى الأمريكى ، الذى اجتمع ليناقش مسألة تأميم قناة السويس وجاء فى المذكرة التى تحمل (تقرير مخابرات أمن قومى – الملف أ . ن . ر . ن . أ . أ.) جاء فيه :

"إن قيام الرئيس ناصر بتأميم قناة السويس أضاف قوة عظيمة إلى مركزه ، ليس فقط كزعيم لمصر ، وإنما كرمز للقومية العربية فى الشرق الأوسط ، وقوته الآن لا تعتمد فقط على حجم التأييد الذى يلقاه فى مصر ، ولكن هذا التأييد يزداد قوة وحرارة فى العالم العربى ، وخارجه" .

وكانت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها قائدة الاستراتيجية الجديدة

(المؤامرة)، تعتمد على معطيات جديدة أهمها المحافظة على الهدف الذى تم تسجيله وزرعه فى قلب الأمة العربية (إسرائيل) من جهة ، ومن جهة أخرى الحفاظ على البترول - وكانت أمريكا تدرك أكثر من غيرها حجم العداء الشعبى العربى لبريطانيا وفرنسا من جراء وراثة احتلال الوطن العربى بعد الخلافة العثمانية ، ثم إن أمريكا كانت تدرك مكانة ناصر الشعبية ، وإن توجيه أى ضربة لناصر تشارك فيها إسرائيل تكون الخطيئة الكبرى بالنسبة للاستراتيجية وخلفها ، وذلك على عكس تفكير بريطانيا وفرنسا المجروحتين من تأميم القناة التى كانت تعتبرانها آخر معقل لهما فى المنطقة ، خاصة مصر من ناحية ، وتحكمهما فى التجارة العربية من ناحية أخرى ، فكانت مصر بالنسبة لبريطانيا من أهم المناطق أهمية استراتيجية ، وكانت فرنسا ترى فى ناصر عدواً لدوداً لقيادته الثورة الجزائرية ضد فرنسا ومحاولة طردها من الجزائر ، لذا كان القرار الأمريكى بالوقوف فى وجه العدوان الثلاثى على مصر 1956.

وكان كل ما يهم الولايات المتحدة التأكيد على ضرورة الإبقاء على الفصل بين ضلعى الزاوية على شرق وجنوب المتوسط (سوريا ومصر) .

ناصر يقترب من الاستراتيجية بغية نسفها

فى 22 - 2 - 1958 اقتحم ناصر المحظور ودخل دون أن يدرى أو يعى تماماً ما يقوم به ، وأعلن الوحدة بين مصر وسوريا ، عودة التحام أو ربط ضلعى الزاوية الجنوبية والشرقية (مصر وسوريا) للمتوسط ، وكانت هذه فى حد ذاتها كفيلة ، بأن تجمع قادة الاستراتيجية والأسطورة على ضرورة التخلص من ناصر ، لكن بطريقة الولايات المتحدة الأمريكية ، فالحرب لديها كانت آخر وسيلة ، وإذا تم اللجوء إليها ، فلابد أن تسبقها عدة حروب باردة من نوع آخر .

إن أحد القادة العرب ، ومن مصر بالذات مصدر الخوف من إعادة تجربة محمد على يعود اليوم بإرادة شعبية لتحقيق قيام دولة عربية واحدة من مصر وسوريا ، هذا معناه أن جهد أكثر من قرن من الزمان مضى هباءً وأن ما فعله نابليون - بالمرستون -

دزرائيلى - تشرشل - كليمنت - روزفلت - ترومان ثم إيزنهاور - كلها ضاعت سدى ، ولم يكن الشعب العربى من فرط الفرحة الوحدوية يدرى أو يعلم بالأخطار التى يمكن أن تنجم عن تلك الوحدة ، وكيف يستعد لها ، وكيف يحميها ويحمى ذلك القائد العربى .

وفى وسط هذا كله نحب أن نسجل لقاء وجهاً لوجه مع قائد الأمة العربية (جمال عبد الناصر) وبين قائد الاستراتيجية (المؤامرة) الغربية فى الشهر التاسع من عام 1960 وجرى الحديث كالتالى :

قال الرئيس الأمريكى أثناء المناقشة :

"إنه ورئاسته تصل إلى نهايتها ، لا يريد أن يدخل فى تفاصيل الصراع العربى - الإسرائيلى ، وإنما يترك ذلك للرئيس القادم كيندى أو نيكسون ، لكن سؤاله للرئيس "عبد الناصر" ولغيره من العرب هو كيف ينكرون أمراً واقعاً أمامهم يتمثل فى قيام دولة إسرائيل؟ ؟

وكان رد عبد الناصر عليه سهلاً ، وهو :

"كيف يمكن للولايات المتحدة أن تنكر وجود الصين الشعبية وهى أكبر دولة فى العالم سكاناً ومن أكبرها حجماً ؟ "

وأضاف "عبد الناصر" :

"هذا رغم أن الصين كانت وسوف تظل هى الصين ، شعبها فى مكانه ، وحدودها مقررة ، وأما فى حالة فلسطين فإن شعبها اقتلع من أرض وطنه، واستولى على هذه الأرض غرباء جاءوا فى نصف القرن الأخير فقط من أوروبا الشرقية ، وأخذوا كل شيء وأنكروا على أصحابه الوطنيين الأصليين حتى حقهم فى الوجود .

وقال "إيزنهاور"

"إننى أتفهم موقفكم من الناحية التاريخية ، ولكن الواقع العملى له حكم مختلف" .

ورد "عبد الناصر" مذكراً مرة أخرى بأن :

"الصين واقع عملى ، وأكثر من ذلك فهو واقع عملى وحقيقى وأصيل" .

وكانت هذه المناقشة بين قائد (الفريسة) وقائد (المؤامرة) تعبر تعبيراً أكيداً عن تقدم الوعى لدى قائد الأمة العربية الذى وضع الهدف الاستراتيجى على رأس الأهداف وفوق كل المتطلبات الوطنية والشخصية .

فأصبح ناصر مصدر خطر ، لابد من التصدى له .

اغتيال كيندى

"لا يكفى لأى امرأة أن تكـون فاضلة ، وإنما
لابد أن يكون مظهرها كذلك أيضاً"

"كيندى لبن جوريون عن
المفاعل النووى فى ديمونة"

استلم "جون كـيندى" راية قيـادة الاسـتراتيـجيـة (المؤامرة) الـغربيـة بعد سلفـه "إيزنهاور" وذلك بعـد فوزه برئاسة الـولايات المتحدة الأمـريكية فى نوفمـبر 1960 ، ودخل البـيـت الأبيض فى 20 - 1 - 1961 ، وشـأنه شـأن أى رئيس كـان مـن آمـاله الانتخابية والشـخصية أن يحقق السلام فى الشـرق الأوسط ، حيث كان كل رئيس ، ومنذ قيام إسرائيل فى 15 - 5 - 1948 ، كل همه الوحيـد عند استلام حقيـبة الرئاسة وأسرارها ومـفاتيحهـا فى البيت الأبيض ، أن يكون السـلام فى الشرق الأوسط هى أمنيتـه الأولى ، وأمله الأول حيث لو نجح سيـمكنه هذا النجاح من إعادة انتـخابه فى الفترة القادمة لرئاسة أمريكا .

واستطلع الرئيس الأوضاع من رئيس مخـابراته المستر "آلان دالاس" الذى أكد له أن السلام شـبه مستحـيل فى الشرق الأوسط ، فلا إسـرائيل تريد أن تتنازل عن جزء من الأرض ، ولا العرب يريدون أن يتقـبلوا إسرائيل بوضعهـا الحالى ، ووضع أموراً خطيرة أمام الرئيس ، حيث أعلمه أن هذه المنطقة مـقبلة على سباق نووى ، قد يجعل هذه المنطقة الهـامة من العالم (البترول) مـعرضة لأخطر الحروب شـراسة ، وإن كان تقدير وكالة المخابرات المركزية إن إسرائيل سابقة بمفاعل ديمونة (24 ميجاوات) ، فى حين أن مصر لا تملك فى الوقت الراهن إلا مفاعلاً واحداً بقوة (2 ميجاوات) ، لكن العلاقة القوية بين الاتحاد السوفيـتى ومصر ، من الممكن أن تمكن مصر من اللحاق أو

حتى سباق إسرائيل فى بناء هذا السلاح الخطير وجرت اتصالات بين كيندى وكل من "عبد الناصر" و"بن جورين" .

وفى 30 - 5 - 1961 جرى لقاء مباشر ومبكر بين الرئيس كيندى وبين بن جوريون أكد بن جوريون على عدة نقاط من أهمها :

1 - أن بن جوريون أكد للرئيس كيندى أن مفاعل ديمونة ما هو إلا مفاعل من أجل تحلية مياه البحر ، وأنه مسرور لزيارة اثنين من العلماء الأمريكيين اللذين أكدا أنه مازال فى طور الإنشاء ، وأنه من أجل الأغراض السلمية .

وقال كيندى :

"بما أن بعض الدول المجاورة لكم يساورها القلق فى شأن قيام إسرائيل ببناء مفاعل كبير له إمكانية إنتاج البلوتونيوم ، فإن الرئيس يرى أهمية أن تكون مسألة هذا المفاعل مفتوحة على أساس نظرية أنه :

"لا يكفى لأى امرأة أن تكون بالفعل فاضلة ، وإنما لابد أن يكون مظهرها كذلك أيضاً".

2 - وأضاف الرئيس كيندى :

"أن سياسة الولايات المتحدة فى المنطقة مرتبطة تماماً بإسرائيل وبمصلحة مشتركة تجمع الاثنين ، فإذا كانت إسرائيل بتصرفاتها سوف تساعد على الانتشار النووى فى المنطقة ، فمن المؤكد أن الجمهورية العربية المتحدة لن تسمح لإسرائيل بأن تسبقها فى هذا المجال .

وتساءل كيندى عما إذا كانت الدول العربية قد اطلعت على تقرير الخبيرين الأمريكيين اللذين زارا مفاعل ديمونة ؟

3 - إن بن جوريون عندما علم بموقف كيندى بأنه موقف شجاع وجديد ، أراد أن يستعمل نوعاً آخر من النقاش واستدراء العطف فتطرق إلى موضع أمن إسرائيل ، وقال : "إن هدف "ناصر" المعلن هو تدمير إسرائيل ، وليس مجرد

هزيمتها ، وأنه إذا حقق العرب هذا الهدف فإنهم سيفعلون باليهود أكثر مما فعله بهم هتلر" .

4 – وعندما سأل كيندى عن مشكلة السلام كان رد بن جوريون أن "ناصر" هو السبب فى رفضه كل مبادرات سلفك إيزنهاور والخطة "ألفا" وعقب كيندى يظهر أن "ناصر" سوف يجعل حياتنا كلنا صعبة» .

ثم سأل كيندى عن موضوع اللاجئين وكيفية تسوية هذه المشكلة ، ورد بن جوريون بأنه ليست هناك مشكلة لاجئين فى واقع الأمر ، وإنما هى قضية يستغلها العرب .

وانتهى اللقاء وكيندى يعرف أن بن جوريون يكذب عليه فى موضوع مفاعل ديمونة ، ولكن كيندى لم يعرف وقتها أن مخابراته كذبت عليه هى أيضاً ، فكانت مخابراته تتفاوض مع المخابرات الإسرائيلية لتزويد إسرائيل بمفاعل نووى جديد تضاف طاقته إلى طاقة مفاعل ديمونة ، وكأن المخابرات الأمريكية لم تكتف بنتيجة 24 إلى 2 فى الطاقة النووية بين إسرائيل ومصر وفى صالح إسرائيل بل أرادت أن يكون الفارق أكبر بكثير .

كما انتهى اللقاء وبن جوريون يعرف أن كيندى ليس رجل إسرائيل فى البيت الأبيض ، والحقيقة كما توقعها بن جوريون ، فلم يكن كيندى رجل إسرائيل مثل ترومان أو على الأقل مثل إيزنهاور المتعقل وكان كيندى بدأ يفهم الحقوق العربية من خلال البترول و"ناصر" الذى أعجب به وبإخلاصه لوطنه وقضيته وأيضاً انتشاره وتأثيره بين زعماء العالم ، حيث شهد العالم فى تلك الفترة من 1960 – 1963 نخبة من الزعماء فى العالم ،كانوا لو امتد بهم بعض العمر أن يغيروا مسار الأحداث ، ويحل السلام العادل فعلاً محل الأساطير وغرور القوة ، فبرز فى تلك الفترة الزمنية القصيرة ، كيندى فى الولايات المتحدة والمجموعة اللامعة من نجوم فريق عمله فى البيت الأبيض ، ونيكتاخروشوف والتجديدات التى أدخلها على النظام الشيوعى فى روسيا وشارك ديجول فى فرنسا وجواهر لال نهرو فى الهند ، وشواين لاى فى

الصين وجمال عبد الناصر فى الوطن العربى ، وجـوزيف بروزتيتو فى يوغوسلافيا ، ونكروما فى غانا وسيكوتورى فى غينيا ومـوديبو كيتا فى مالى ، وبن بللا فى الجزائر وجوليوس نيريرى فى تانزانيا، وبداية ظهور اسم نيلسون مانديلا فى جنوب أفريقيا.

لكن عمـلاء الأسطورة ، كما توقع بن جـوريون رئيسهم رأوا أن تلك الفـترة من أخطر الفـترات أو المراحل التى قـد تطيح بآمالهـم الأسطورية ، فبـسرعـة تم اغتـيال كيندى فى 22 - 11 - 1963 بعـد شهـور قليلة أُسقط خـرشـوف بمؤامرة تقليـدية فى الكرملـين ، ثم من بعــدهمــا نكرومــا .. ثم التــراجع الذى حــدث فى أوروبا .. فالانفصال بين مصر وسوريا (أى ضرب الوحدة بين مصر وسوريا) .

واعتلاء البيت الأبيض رجل إسرائيل الأول (جونسون) ويأخذ الصراع العربى - الإسرائيلى منحنى خطيراً ويتقـابل الهدف الاستراتيجى للعدو الصهـيونى فى مقابل الهدف الاستراتيجى للأمة العربية ليـحدث التصادم وتقع الحروب ليسود هدف على آخر .

أهداف شخصية

"إن الجـهل سينـتهى عندمـا يقـدم كل شىء
على حقيقته"

معمر القذافى
«الفصل الثالث / الكتاب الأخضر»

عندما تتعارض الأهداف الشـخصية مع الهدف الاستراتيجى للأمـة (كما ذكرنا) تحدث الخيانة الكبرى ، أما عندما يتـعارض أو يصطدم الهدف الاستراتيجى للأمة مع الهدف الاستراتيجى لعدوها ويحـدث الاحتكاك تحدث الحروب الكبرى ، والحروب الكبرى لن تحدث فجأة لكن تقوى حدوثها أو تؤجله أو تلغيه (القوة) أو (الضعف)، فقوة الأمة ومطالبتـها بتحقيق هدفها الاستراتيـجى أمام تصلب عدوها تقوى حدوث الحرب ، وإذا شـعرت على العكس بقـوة عدوها فـقد تتراجع احـتمـالات الحرب ، فالحرب إذاً هى مؤشر لميزان أو توازن القوى بين الأمة وعددها .

والواقع أن أساتذة العلاقات الدولية قد اختلفوا حول تعريف قوة الأمة أو الدولة، فعلى حـين يرى بعضهم بأنـها القدرة على اسـتخـدام الموارد فى تحقيـق هدف معين (الهدف الاسـتراتيجى للدولة) ، يرى آخرون بأنـها القدرة على التأثيـر فى الوحدات الدوليـة الأخرى بما يتفق وأهـداف الدولة التى تسعى لهـذا التأثيـر . كما يـرى فريق ثالث بأنها تكمن فى مدى إشعار الوحدات الدولية الأخـرى بهذه القوة وحجمها بما يحقق سـياسة الردع المطلوب تجاه الأطراف الـدولية الأخرى (وهذا التعـريف الثالث هو النهج الذى تتـخذه إسـرائيل فى منهـاجهـا منذ الإعلان عنهـا فى 15 - 5 - 1948 واستمر هذا النهج يحكمها طيلة خمسين عـاماً من الصراع العربى - الصهيونى كما عبر عن ذلك نتنياهو قائلاً : (فى كتابه مكان تحت الشمس مصدر سبق ذكره ص312، 313) .

"إن تناقص عدد الدول العربية المستعدة لمحاربة إسرائيل باستمرار (خوفاً منها) يجسد حقيقة أساسية فى الواقع الشرق أوسطى هى :
وأن السلام بين إسرائيل وجاراتها هو سلام الردع وإن احتمال تحقيقه يرتبط بصورة مباشرة على قدرة إسرائيل فى الردع فكلما بدت إسرائيل أقوى ، كلما أبدى العرب موافقتهم على إبرام سلام معها ..
إن احتمالات شن هجوم عربى شامل على إسرائيل تقلصت ليس بسبب ضعف الشعور العربى بالعداء تجاه إسرائيل ، إنما بسبب خوف العرب من هزيمة أخرى فى الحرب .." .

كذلك فإن قياس قوة الدولة أو الأمة تعتمد على الجوانب المادية والمعنوية للدولة ، فإذا كان الهدف الاستراتيجى للدولة أو الأمة هو وجودها أى "أرضها" فإن الأهداف المادية والمعنوية للمحافظة على تأمين الهدف الاستراتيجى أى قوة الدولة ، والتى يمكن أن نستعرضها هنا فى معرض حديثنا عن الصراع العربى الإسرائيلى طيلة نصف قرن مضى من هذا الصراع منذ الإعلان عن قيام إسرائيل 15 - 5 - 1948 إلى 15 - 5 - 1998 لنعرف أو نتعرف على طبيعة الصراع ، ولماذا كانت معظم الانتصارات أو ميزان القوى فى صالح الصهيونية ؟! وهل المعارك الحربية هى التى تحسم توازن القوى لأى دولتين متحاربتين ؟! أم أن هناك عوامل أخرى ؟!

- ما هى نهاية الصراع العربى - الصهيونى ؟!
- وما هو مستقبل الصراع العربى - الصهيونى ؟!
- وما هو السرّ فى هزيمة العرب وهرولتهم باتجاه الصلح مع عدوهم وتنازلهم عن الهدف الاستراتيجى لأمتهم العربية لصالح عدوهم ؟!

كل هذه الأسئلة والاستفسارات هى التى ستحدد وتكشف كل الأوراق العربية فى هذه الفترة التى وقفنا عندها من 1960 حتى 1998 مروراً بنكسة 1967 - وحرب 1973 ومعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل .

ثم مؤتمر مدريد بعد مؤتمر لوزان حتى أوسلو وما بعد أسلو حتى ... !!

وعودة إلى موضوع مستقبل الصراع العربى - الإسرائيلى الذى يتوقف إلى حد كبير على طبيعة قوة أطراف الصراع سواء فى الماضى أو الحاضر أو المستقبل ، وهذا لا يتأتى إلا من خلال فهم العلاقة بين قوة الدولة وناتج عدد المواجهات بين العرب وإسرائيل ، ذلك أن دراسة قوة الدول المتجابهة فى إطار الصراع العربى - الإسرائيلى يمكن أن يكشف أمام صناع القرار السياسى نقاط الضعف والقوة لدى هذه الأطراف مما يساعد على كشف الحقائق .

فما هى القوة ؟!

يذكر معجم العلوم الاجتماعية أن القوة كمفهوم لغة هى «الطاقة على العمل» وأنها فى علم الاجتماع يقصد بها القدرة - سواء مورست أو لم تمارس - على إحداث أمر معين ، أو تأثير فرد أو جماعة - عن طريق ما على سلوك الآخرين بأساليب مقصودة .

المصدر : معجم العلوم الاجتماعية مراجعة وتقرير
"إبراهيم مدكور - القاهرة - الهيئة المصرية للكتاب
1975 - ص 470 - 471

أما قوة الدولة كما عرفها "مودلسكى" بأنها قابلية الدولة فى استخدام الوسائل المتوفرة لديها من أجل الحصول على سلوك ترغب أن تتبعة الدول الأخرى"

المصدر : نظرية مودلسكى للسياسة الخارجية -
نيويورك 1962ص 23

وترى "مارجريت بال" أن المقصود بالقوة سواء أكانت اقتصادية أو سياسية أو أى معنى آخر هى القدرة على تحقيق الأهداف ، سواء أكانت بوسائل سياسية أو اقتصادية أو نفسية أو أى وسائل أخرى ، ومن ثم فإن قوة الدولة هى القدرة على صنع أو صياغة السياسة القومية .

المصدر : مارجريت بال - العلاقات الدولية - الناشر
: ستيفن وسونز 1958 ، ص 85

وحيث أن هناك أكثر من 180 تعريفاً ، على الأقل للقوة فإنه يمكن تحديد العناصر التى عرًفت القوة أو القدرة والتى تحدد قوة الدولة كما يلى :

1 – **عناصر مادية** : وتشمل الإقليم والسكان والموارد الاقتصادية والقدرة الصناعية والقدرة التقنية والتقدم العلمى والقدرة التسليحية العسكرية والنمو الاقتصادى .

2 – **عناصر معنوية** : وتشمل الوحدة الوطنية ، والقيادة السياسية ، والكفاءة الدبلوماسية والدعائية ، وشكل نظام الحكم ، ومدى استقراره ، والروح المعنوية .

المصدر : جمال على زهران : توازن القوى بين العرب وإسرائيل – الناشر : مدبولى 1988 ص 39

وسوف نختار من قوة الأمة العربية والعدو الصهيونى (توازن القوى بين العرب وإسرائيل) عدة عناصر لتحديد القوة وكيف حافظت أو بنت الأمة العربية قوتها (أهدافها الفرعية المنبثقة عن الهدف الاستراتيجى للأمة العربية) مقابل بناء قوة إسرائيل ؟!

ومن خلال طرحنا للصراع العربى – الإسرائيلى فى شتى هذه العناصر أو الأهداف الفرعية المكونة أو المؤسسة للهدف الاستراتيجى وبطريقة علمية بحتة حتى ننحى بعيداً عن التأثير العاطفى فى مسألة من أهم المسائل وقضية من أهم القضايا القومية التى تمس قوميتنا وتحدد بقاءها من عدمه .

لذا سنبدأ من حيث انتهى جون كينيدى ، قبل اغتياله ، من الموضوع الخطير الذى يدخل ضمن تحديد أو قياس العامل المادى ضمن قوة الدولة وهو سلاح أو أسلحة الإبادة الشاملة ، موضوع السلاح النووى !!

فمن الثابت ، كما اعترف بن جوريون فى مذكراته قبيل اندلاع حرب النكبة ، أن الوكالة اليهودية بدأت فى خلق إدارة فى صناعتها الحربية لإنتاج الغازات السامة

والحرب الكيميائية ، لكن دون أن نغوص ، أو نرجع إلى الوراء كثيراً فسوف نبدأ من النتيجة بين العرب وإسرائيل فى 30 – 5 – 1961 (تاريخ لقاء بن جوريون مع كيندى فى واشنطن) حيث كانت النتيجة 24 ميجاوات لإسرائيل مقابل 2 ميجاوات لمصر وبعودة إلى الوثائق ، ففى 9 – 4 – 1965كتبت السفارة الأمريكية تقريراً «شاملاً» عن المشروع النووى الإسرائيلى (التقرير رقم 472 – أ)

المصدر : هيكل الجزء الثانى – مصدر سبق ذكره ص 124

ولأهمية هذا التقرير الذى أعده كل من كبير المستشارين العسكريين الأمريكيين فى إسرائيل ورئيس الإدارة العلمية فى السفارة ، فإن توجيهه كان لوزير الخارجية ووزير الدفاع ومستشار الرئيس للأمن القومى وكان سياقه على النحو التالى :

"عندما يجرى سؤال المسئولين الإسرائيليين على مختلف المستويات عن البرنامج النووى الإسرائيلى فإن إجابتهم تكاد تكون واحدة ، أنه يسعدهم إن يبقوا "ناصر" قلقاً من هذا الموضوع ، وهم يحاولون الإيحاء بأن غموض نياتهم هو جزء من حربهم النفسية ضد ناصر ، وهم بنفس الإيحاء يحاولون تفسير إجراءات السرية التى يحيطون بها على مفاعل ديمونة ، لكنه من الصعب على أى مراقب أن يتصور أن المبالغ التى صرفتها إسرائيل على مفاعل ديمونة حتى الآن يمكن أن تصرف على بند من بنود الحرب النفسية أن كل المعلومات التى فى حوزتنا تقطع بأن مفاعل ديمونة ، بتاريخه وإمكانياته وبالكفاءات العلمية المتقطعة له ، لا يمكن إلا أن يكون لأهداف عسكرية ، وبدون ذلك فإن المشروع كله يصبح نوعاً من العبث .

إن مجموع المبالغ التى صرفت حتى الآن على مفاعل ديمونة تزيد عن 60 مليون دولار ، ونحن نقدر أن العاملين فى نطاق المشروع النووى الإسرائيلى بمائتى عالم ومهندس غير المساعدين والباحثين . والعمل من أجل هذا المشروع لا يقتصر على ديمونة فحسب ، وإنما هو يجند إمكانيات معهد وايزمان ، والتخنيون والجامعة العبرية ، إن آخر زائر دخل إلى ديمونة قدم لنا الوصف التالى لأقسام العمليات التى تجرى تهيئتها هناك :

1 – قسم لإعداد كميات كافية من خام اليورانيوم الذى تحصل عليه إسرائيل من مصادر غير معروفة .

2 – قسم لتحويل خام الورانيوم إلى معدن يورانيوم نقى .

3 – قسم لسبك وكبس وإعداد معدن اليورانيوم ليتحول إلى وقود .

4 – قسم لتحويل هذا الوقود إلى وقود مشع .

5 – قسم لتبريد هذا الوقود المشع .

6 – قسم لكسر أجزاء هذا الوقود المشع .

7 – مصنع كيميائى لفصل البلوتونيوم عن الوقود المشع .

8 – قسم لصبّ وتحضير البلوتونيوم .

9 – منشأة يبدو أنها معدة لاختيار السلاح والجزء الأهم منها تحت الأرض .

إن معلوماتنا تؤكد الجدول التالى لبرنامج إسرائيل النووى :

1965 : إحلال وقود إسرائيلى محل الوقود الفرنسى الذى جاء مع المفاعل ، وبداية بناء مصنع الفصل الكيميائى .

1966 : بداية العمل فى إعداد ميدان التجارب (تحت الأرض)

1967 : تشغيل مصنع الفصل الكيميائى .

1968 : تجميع واختيار وتفجير جهاز نووى

إن السفارة سوف تواصل رقابتها على أية تطورات فى ديمونة ، وسوف توالى إخطاركم بكل ما ترى أنه مهم"

«ويليام ديل»

وفى 17 – 1 – 1965 كتبت السفارة الأمريكية بالقاهرة لوزارة الخارجية ولوزارة الدفاع ولوكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، ولهيئة أركان الحرب المشتركة ولقيادة الأسطول الأمريكى فى البحر الأبيض برقية عاجلة جاء فيها :

"مصر تستعد لبناء مفاعل نووى بقوة 150 ميجاوات فى منطقة برج العرب الإسكندرية . إن حجم المفاعل يجعله قادراً على إنتاج رؤوس حربية نووية. إن السفير «باتل" ليس فى القاهرة حالياً ، وإنما فى استشارات دُعى إليها فى

واشنطن ، ولكن لديه معلومات سوف يناقشها مع وزارة الخارجية أثناء وجوده هناك".

ومن الملاحظ لتلك الفترة وهى الفترة من 1960 إلى الفترة 1967 أى قبل حرب النكسة مباشرة أن إسرائيل ومصر بدأتا العمل الجدى فى إنتاج وبناء المفاعلات النووية لاستعمال عنصر القوة ، وتؤكد الوثائق والبرقيات المستمرة من القاهرة ومن قلب السفارة الأمريكية وجواسيسها إلى الخارجية والدفاع والأمن القومى والرئاسة (البيت الأبيض) على تتبع ورصد حركة مصر بدقة فى هذا الاتجاه الذى تأكد أخيراً أنها محاولات من مصر لم تصل بعد إلى حد اليقين الهدف منها وضعها فى موضع قوة ترهب بها إسرائيل ليس إلا ..

وكان أيضاً هذا العامل المادى من العوامل الرئيسية والهامة لدفع إسرائيل وبمساعدة وتحريض الولايات المتحدة الأمريكية على العدوان على مصر عام 1967 وضرورة وقف تفكير مصر فى الاتجاه نحو إنتاج أى سلاح نووى ، وقد كان ! !

فبنكسة 1967 تم تغيير كل تفكير ، وأخذت عوامل أخرى داخل عوامل صنع القوة أو القدرة فى مصر كل شىء ولم يبق لهذا العامل الخطير أى شىء ، وبرحيل عبد الناصر فى 28 – 9 – 1970 ، لم يعد هناك تفكير مطلقاً فى هذا العامل الخطير .

وبالإضافة إلى ذلك العامل الخطير وهو عامل التقدم التقنى فى الصناعات الحربية وصولاً إلى عالم الذرة وإنتاج القنابل النووية الإسرائيلية ، فنجد أمامنا فى تلك الفترة من 1960 – 1970 أيضاً عدة عوامل خطيرة ، أثرت فى الهدف الاستراتيجى للأمة العربية ، بل عملت ضده وفى اتجاه مضاد لهدف الأمة الاستراتيجى ، وكلها تدفعنا دفعاً للتخلى عن الهدف الاستراتيجى للأمة (الأرض) مهرولين نحو السلام الذى فرضته الصهيونية على الأمة العربية . فوصلنا إلى مدريد ، ومن مدريد إلى أوسلو ، وقبل مدريد أوسلو مؤتمر جينيف للسلام ، وبعد أوسلو لا نعلم إلى أين سنذهب والخوف الذى زرعته الصهيونية فى عقل الأمة العربية أصبح هاجساً أن تكون المحطة الأخيرة لهرولة القادة والحكام أو الهرولة الآثمة إلى "القدس" ليس

دفاعاً عنها بالطبع أو تطهيرها من الاحتلال الصهيوني ، بل لعقد الصفقات، وهذا هو الجانب النفسي في معايير القوة بين الصهيونية أو الدولة اليهودية وبين الأمة العربية

ولكن ربما يبدو معظم هذا كلاماً عاطفياً أو إحساساً نفسياً للأمة ، وأن مقياس قوة الأمة وصلابتها تحددها معايير كثيرة ، ولكن نعود ونقول إذاً - ما الذي أوصلنا إلى مدريد وأسلو ؟ وإن كانت "لوزان" ذكرى ضعف ووهن القيادة العربية وغياب الوعي العربي أو تضليله ، كانت سمة "لوزان" بما جرى قبلها وبعدها من تفريط وصل إلى حد الخيانة أو العمالة وفق ما ذكرته كل الوثائق التي قدمنا منها جزءاً بسيطاً ، إذاً ما الذي حدث قبل جينيف ومدريد وأسلو ، جعلنا نتذكر مرارة لوزان؟!

فقد أكد بن جوريون في مذكراته أكثر من مرة أن :

«إذا نجحنا في توجيه ضربة قاصمة إلى مصر فإن مصر لن يكون أمامها إلا أن تعقد معاهدة صلح مع إسرائيل ، وإذا حدث ذلك فإن بقية الدول العربية سوف تلحق بها ، بل إن بعضها قد يسبق إذا ما ظهرت إشارة مبكرة بذلك".

وعلى النقيض الآخر من عقل بن جوريون أن وحدة العرب مصدر قوتهم وتقدمهم ولذلك كان كل خوفه أن يصحو الشعب العربي . فكتب في مذكراته يوم 1949 - 1 - 29

«الهزيمة العربية كاملة ..... لكنى أتخوف طول الوقت من نداءات في العالم العربي تدعو إلى إنشاء حركة شبيبة وتدريبها ، وتوحد قيادة الجيوش العربية، وتقيم المصانع للسلاح ، وتطبق عقوبات اقتصادية علينا ، وتلغى الامتيازات التي تمكن الإمبريالية من السيطرة على العرب ، وإنشاء منظمات عمالية ، وتعزيز الصناعة والقيم العصرية وفتح مؤسسات للتعليم العالي ، وإزالة الحدود الجمركية بين البلاد العربية ، وتنظيم دعاية فعالة في العالم . هذا هو الطريق الذي يحلم به العرب ، وأنا أتخوف طوال الوقت من أن

يقوم زعيم عربى بقيادتهم إليه ، إنهم يتجاهلون العقبات الداخلية والخارجية والوقت اللازم للوحدة .

والويل لنا إذا كنا لا نعرف كيف نستغل هذا الوقت لكى ننمو ونتحصن ، ونمتلك مكانة فى العالم ونثبت لقوم من هذا النوع أن طريق العرب إلى الوحدة والحرية والتقدم ليس طريق شن الحرب علينا ".

***

إن الهاجس الذى كان يدور فى رأس الدولة اليهودية والمؤسس الأول للدولة الصهيونية «بن جوريون» هو الذى ترجم على أرض الواقع فى الصراع العربى الصهيونى ، وتمثل ذلك فى ضرب الوحدة بين مصر وسوريا ، ومنع أى تقارب عربى عربى ، وإحلال الفتن والدسائس بين الحكام والقيادات العربية ، فالخوف الذى كان يدور فى رأس بن جوريون من ظهور قائد يقود العرب إلى ما ذكره (حلم العرب) قد حدث ، والويل لهم إن لم يتخلصوا من هذا القائد ومن أى قائد يجرؤ على الكلام .

ثم على الجانب الآخر (مصر) لابد من توجيه الضربة القاصمة لمصر التى تجعلها تطلب السلام أوالاستسلام ومن بعدها سيهرول المهرولون العرب جميعاً ، إن لم يتسابقوا معظمهم متنافسين كعادتهم وصولاً إلى أعتاب الكنيست الإسرائيلى ، وحسبى أن مثل هؤلاء لا تهزهم أو تؤثر فيهم مقولة «وطنك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل» وكانت هذه هى بالضبط أحداث الفترة من 1960 إلى 1967 .

فقد تم ضرب الوحدة بين مصر وسوريا لأنها لا تمثل ، فقط اختراقاً لجدار الأمن الإسرائيلى ، ولكنها اختراق لجدار أمن الحلف الأطلنطى بكامله ، وكان لابد من ضرب الثورة اليمنية ، فاليمن من المناطق الاستراتيجية والهامة ، وهى أحد الأهداف الفرعية لأمن الوطن العربى ، ولابد أن تبقى اليمن منطقة نفوذ استعمارى تهيمن عليه أساطيل وطائرات جيوش الاستراتيجية (المؤامرة) ، وحاول عبد الناصر أن يدافع عن الهدف الأمنى للأمة والهدف السياسى والمعنى لقوتها لأهداف تخص

مصـر أو تخصـه شخصـياً ، والمؤسف أن تتـحرك الأهداف الوطنية المحليـة مدعـمة بهدف الاستراتيجية (المؤامرة) فتتحد السعودية مع الولايات المتحدة من أجل (النفط) فى مؤامرة كبـرى ضد (عبد الناصر) هدف الأمة فى السيطرة على أمنهـا الذى يعتبر (باب المندب) هو من أهم مـفـاتيـحه وشـفـراته ، ويتـصـارع الهدف الشـخـصى أو المصلحة الشخـصية مع هدف الأمة أو أحـد أدوات قوتها «المناطق الاستراتيـجية» أو الجيـوستراتيـجية ويطلب فـيصل من الأمريكيين القـضاء على عبـد الناصر ، وتصل الأمة إلى قمـة المهزلة عبر حكـامها ، ففيـصل قبلها كان من الـرافضين الأشداء لأى سلام مع إسرائيل وقت أن كان وزيراً للخارجية فى السعودية .

فقد كتب "وادسوورث" من جدة تقريراً إلى دالاس فى أغسطس 1955 جاء فيه :

"إن الأمير فيصل بعـد أن تسلم نسخـة من تصريحـات الوزير ، قال : "لماذا تريد أن أقـرأه أنا ؟ إننى أوثر أن أترك التـعليق عليـه لهـؤلاء الذين يعـينهم الأمر . إننـى قلت لكم مراراً وتكراراً إننا لا نسـتطيع العيش مع إسـرائيل ، ولا أعرف متى يقتنع الأمريكان أنهم مهما فعلوا فلن يغيروا موقفنا .. الخ"

المصـدر : هيكل الجـزء الثـانى مـصـدر سـبق ذكـره ص86

ولكن بعد عشر سنوات أو أقل ، وبالتحديد فى 19 - 8 - 1964 ووفق الوثيقة رقم 36651 / 43 نلخص منها البرقية الواردة من السفير «باركرهارت» فى جدة إلى وزارة الخارجية الأمريكية :

"اسـتقـبل الملك فـيـصل فى قـصر الشـبـره / الطائف السـفـير الأمـريكى بأمـر حضورعلى الفور وأبلغه بالتالى :

1 - أن ثلاث طائرات مصرية اخترقت المجال الجـوى السعودى ، وتعجب السفير الذى يعـرف عـدد الصـقور أو الـعصـافـيـر التى تطيـر فـوق آبار النفط فى السعودية .

2 - قـال له إن هناك وحـدات مـصريـة تتحـرك من اليـمن فى اتجـاه الحـدود مع

السعودية ، واندهش أيضاً السفير الأمريكى أكثر وأكثر لأنهم كانوا يراقبون كل شىء فى اليمن ، وبدقة لا لخوفهم على أسرة آل سعود ولكن على آبار النفط .

3 - حاول الملك فيصل أن يؤكد للسفير أن هذه حقائق ، مؤكداً له أنه كانت هناك من قبل مؤامرة بين مصر والعراق والأردن لغزو وتقسيم بلاده على النحو التالى :

حسين يأخذ الحجاز باعتبارها مملكة هاشمية فى السابق ، والعراق تأخذ المقاطعة الشرقية واليمن تأخذ الجنوب ، وباقى المملكة يدخل تحت سيطرة ناصر ..!!

ثم أعلمه الملك فيصل أنه قرر عدة قرارات بتحريك القوات المسلحة إلى اليمن لحماية الملكيين .. الخ .

وقال السفير إنه أبدى دهشته لما سمعه من الملك وقال له كل هذا غير صحيح !

ثم أطلع الملك السفير الأمريكى على تقرير مخابرات سعودى يحوى معلومات عن أن ضباطاً من الجيش المصرى رتبوا عملية لقتل ناصر يوم 26 يوليو .

ثم أمر الملك إخلاء القاعة من كل الحاضرين وقال للسفير الأمريكى :

"إنكم (الأمريكيون) يجب أن تبذلوا أقصى جهد للخلاص من هذا الرجل الذى يفتح الطريق للتسلل الشيوعى" .

ثم قال :

لماذا تصبرون عليه .. الخ .؟؟!!

هذا ما كان من أمر الأمير فيصل وزير الخارجية ، وما كان من أمر الملك فيصل ملك السعودية .. أو هذا ما كان حال العرب 1955 وحال العرب 1964 .

ما هى القوة التى حولت العقل العربى مائة وثمانين درجة بهذا الشكل ، حتى إن

الأمريكيين أنفسهم لا يصدقون ما يسمعون ؟!

وهذا كان طبعاً جزءاً صغيراً من نظرة سريعة على السنوات التى سبقت حرب النكسة دون الالتفات نحو الشمال الأفريقى ، حينما صرح الحبيب بورقيبة رئيس جمهورية تونس بأن العرب ارتكبوا الخطيئة فى عدم قبول قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة فى 29 - 11 - 1947 وكأنه لم يقرأ سطراً واحداً من التاريخ ، بل أكثر من ذلك تطالعنا الخطة «مانجو» :

وهى تتلخص فى دور إسرائيلى فى حرب اليمن ، حيث أسندت إسرائيل بعد أن تلقت الضوء الأخضر من (العرب) هذه العملية إلى (جوليان إيمرى) وهو يهودى كان وزير الحربية البريطانى فيما سبق خلال حرب السويس ، والذى نظم اجتماعات فى بيته (للعرب) ثم للعرب وإسرائيل ، واتفقا على وضع خطة لإنزال مساعدات ومرتزقة للملكيين فى اليمن ، وقد أطلق على هذا الدور الاسم الرمزى (مانجو) ولم نعرف هل (مانجو) لها علاقة بالمانجو (الفاكهة) المصرية الشهيرة !!

أم "مانجو" على وزن "رامبو" .. الله أعلم .!

والغريب أن المخابرات المصرية فى اليمن التقطت اسم "مانجو" أكثر من مرة ولكنها لم تستطع فك رموز أو شفرة هذا الاسم .

وعلى أية حال فإن هذا الدور يضاف إلى ما قبله مسجلاً اختراقاً صهيونياً وصل إلى عظم القادة العرب ، فى تلك الفترة على أمن أمتهم ، وكانت كلها مقدمات واضحة .. يضاف إليها الكثير من العداء الذى حمله جونسون لعبد الناصر والأمة العربية والذى قد يكون فى الأصل صهينة جونسون وانحيازه بل ارتمائه فى أحضان الصهيونية أكثر منه عداءً للأمة العربية ، بالإضافة إلى العنصر الأخير والهام وهو الصراع المائى بين العرب وإسرائيل !!

كل ذلك كان مقدمات وأسباب الهجوم الصهيونى على مصر والأردن وسوريا الساعة (9) صباحاً يوم 5 يونيو 1967 وتدمير مطارات وطائرات الدول العربية الثلاث وقدرات جيوشها فى الحرب الإسرائيلية الثانية ضد العرب ، وفى الهزيمة

الثانية لـلعرب بعد 1948 الذى أطلق عليها الـنكبة، أما هزيمة 1967 فقد أطلق عـليها "النكسة".

ومن النكبة والنكسة تلقى العقل العربى الصدمات ، فالنكبة كانت أولى المفاجآت وما بها من خيانات ، وأنها حـدثت فى ظل ملوك وحكام عرب وصفوا بأنهم عملاء وخونة وتجـار أسلحة فـاسدة ، وحـاول العقل العربى أن يـصل إلى أحداث وأوراق التاريخ ويعـيها ، فـما الذى حدث ؟ ومـا زال العقل العربـى هو الذى يطرح السؤال عقب النكسة مباشرة .

ولـم يكن يدرى العـقل الـعربـى بكل هذا التـخـريب الذى كـان يقع ويدمـر كل الأهداف المادية والمعنوية التى يتركز عليها الهدف الاستراتيجى للأمة ، ومع أن حجم المؤامرة كان كبيـراً وضع قائد الاستراتيجية (جونسون) فـيه كل قوته بعد أن يأس من موافـقة "ناصـر" على السلام مع إسـرائيل ، فكانت القوة العظمى فى الـعالـم آنذاك ، بالإضافة إلى القوة الصهيـونية (قوة الأسطورة) التى كانت قد تعاظمت من 1948 إلى 1967 مقابل التفكك العربى الخطير الذى وصل إلى حد التآمر والاختراق ...

واصطدم الهدف الشخصى لبعض ، الحكام العـرب بالهدف الاستراتيجى للأمـة فحـدثت الخيـانة ، ووقعــت الهزيمـة أو النكسـة ، كمـا أسـموها آنـذاك ، وتحـمّــل "عـبـد الناصر" النتـائج ، وأعلن اسـتقـالته وتمسـك الشعب به قـائداً ... حيث أكـد الشـعب أن الخطأ والهـزيمة وارد ولا تعنى هزيمة فى حـرب هزيمة أمـة .. كـانت هذه كلمات «مـجلس الشعب المصرى» بعد الانتـفاضة الشعـبية المصرية والدول العـربية التى طافت بشوارع عواصم وقرى مصر والدول العربية مطالبة ببقاء "ناصر" واستمر ناصر يعالج "أخطاءه" قـبل كل شىء ويبنى جيشه ، وكـانت الفترة من 1967 – 1970 من أهم فترات "ناصر" فـقد بنى الجيش المصرى بعد الهزيمة بناءً مـادياً وتقنياً ومعنوياً وبنى علاقات أكبر وأعمق صلابة مع الاتحـاد السوفيتى ، وانطلقت حرب الاستنزاف من بعد الهزيمة مـباشرة تؤكد على عظمـة هذه الأمة لو خلص قادتها وبَعُـدَ المتآمرون عنها ، ويتأكد للجميع قول عبد الناصر **"ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة"** .

رحيل ناصر

"إن الأعمار بيد الله ، وأنا لا أعرف متى يحين الأجل ، ولا أعرف من سيأتى بعدنا ولهذا فإن علينا أن نبنى بسرعة لكى نجعل الرجوع إلى الوراء صعباً إذا جاء من يحاوله" .

عبد الناصر إلى رئيس وزراء مصر

المهندس صدقى سليمان

وقبل أن يرحل عبد الناصر ، وقبل أن تسلم روحه إلى الله سواء طواعية أو غير طواعية ، كانت هناك مبادرات خمس جرت تقديمها إلى عبد الناصر كلها عن طريق أمريكا وبفعل من إسرائيل ، وكلها لمحاولة جنى ثمار هزيمة 1967 محاولين الضغط على "ناصر" للاستسلام لكن مؤتمر القمة العربى فى الخرطوم الذى حاول فيه ناصر أن يبذل جهده لإزاحة الألغام القاتلة بينه وبين الملك فيصل وينجح إلى حد كبير فى تجميع العرب رغم الهزيمة العسكرية ، ورفضهم الاستسلام رافعين اللاءات الثلاثة "لا صلح .. لا تفاوض .. لا اعتراف بإسرائيل" وقبل الرحيل ، ولدت الأمة العربية جيلاً ، جيلاً جديداً يعيد للأمة شبابها ، ويضمد جراحها ، ويشد من عزمها ، فكانت ثورة الفاتح (1 – 9 – 1969)بقيادة العقيد معمر القذافى فى ليبيا ، أملاً كبيراً "لناصر" لم يكن فى حسبانه .. فلطالما كانت القواعد البريطانية والأمريكية فى ليبيا قبل 1969 إحدى القلاقل لعبد الناصر ، بل كانت كالشوكة فى ظهره والخطر الذى يشكل عمقاً استراتيجياً للعدو فى قلب الأمة العربية ، وكأن الله أراد أن تتعانق ثورة يوليو مع ثورة الفاتح ، وأن يرى عبد الناصر معمر القذافى قبل أن يرحل ، حتى يكون مطمئناً على أمته قبل رحيله ، وكأن الزعيم يعلم والشعب لا يدرك معنى كلماته التى أطلقها (عبد الناصر) وهو فى أول زيارته للثورة الليبية ، حيث قال :

"أذكركم وأنا أقول لكم إن أخى معمر القذافى هو الأمين على القومية العربية والوحدة العربية" .

ولم تمض شهور قليلة إلا وترك القائد أمته فى 28 - 9 - 1970 وودعه الشعب العربى كله ، وكأنه لم يودعه بل يستقبله ، وبكاه أعداؤه قبل أصدقائه حتى قائد (الاستراتيجية) المؤامرة الجديد "نيكسون" الرئيس الجديد للولايات المتحدة الأمريكية، والذى كان يشهد مناورة للقوات الأمريكية البحرية أصدر أوامره للقوات بالتوقف احتراماً وإجلالاً لقائد عظيم ، حتى ولو كان عدوه ، أما رقص الصهيونية فى شوارع تل أبيب تتقدمهم جولدا مائير فهو يعبر فقط عن تكوينهم وخوفهم الذى حذرهم منه بن جوريون وقال لهم **"باويلنا - إذا ظهر قائد يوحد الحلم العربى"** .

***

رحل عبد الناصر ووراءه محاولات جادة ، وأطراف عديدة متكالبة فى الضغط على مصر بإتجاه توقيع معاهدة صلح أو سلام أو تشاور أو حتى اجتماع مع مصر ، رحل عبد الناصر والاتحاد السوفيتى فى قمة عطائه لمصر من أسلحة ومعدات وطيارين وخبراء وحائط صواريخ واستلم القيادة الرئيس الراحل أنور السادات معاهداً الشعب فى مجلس الشعب أنه على درب ناصر سائراً " .

من جينيف إلى مدريد

"لا تفرض على المصريين الاستسلام أو المهانة وإنما لدينا ما يستحق أن يسمعوه"

رسالة من جولدا مائير إلى الرئيس السادات عن طريق هنرى كيسنجر

كانت أول رسالة يتلقاها السادات من إسرائيل يوم 30 - 9 - 1970 بعد رحيل عبد الناصر بيومين ، وقبل أن يصبح رئيساً منتخباً للجمهورية ، وهذا يدل على أن إسرائيل أرادت أن تنفس عن نفسها وتختبر الرئيس الجديد لمصر ..ولكن السادات كان أمامه أوضاع معقدة ، الاستراتيجية والأسطورة يطلبون ويضغطون من أجل السلام والصلح .. القناة مغلقة .. حالة اللا حرب واللا سلم التى ارتفع هذا الشعار فيها على سماء المثقفين والشعب العربى فى مصر .. الجيش المصرى على أهبة الاستعداد للثأر .. وكل شىء اكتمل حتى الخطط وتجريبها والتدريب عليها من خلال حرب الاستنزاف التى فقدت فيها مصر رئيس هيئة أركان الجيش المصرى الفريق "عبد المنعم رياض" مما يؤكد أهمية وخطورة المعارك التى وقعت خلال حرب الاستنزاف والتى حقق الجيش المصرى فيها قدرة كبيرة على رفع معنويات أفراده بعد هزيمة الجيش فى 1967 ، وكان الضغط الشعبى أكبر من ضغط أمريكا وإسرائيل على السادات لدرجة وقوع المظاهرات الشعبية مطالبة بالحرب ، وكان الشعب يعلم أن عبد الناصر قد رتّب كل شىء ، وأن الجيش قد استعد لكل شىء ، وأصبح السادات أمام أمرين خطيرين فقرار الحرب ليس قراراً سهلاً وقرار السلام فى تلك الفترة أصعب من قرار الحرب ، وعلى شرق وغرب السادات كان الأسد والقذافى وقبل الحرب 1973 كانت الوحدة أو دولة الاتحاد العربى (مصر - ليبيا - سوريا) ومرة ثانية

يقتـرب السادات بتحريض من القـائد الصاعد مـعمر القذافى إلى الوحـدة ، وليست فقط مصـر وسوريا بل ليبيا بالعـمق الاستراتيجى الهـام والجديد ، والذى دخل بقوة إلى معادلة توازن القـوى بين العرب وإسرائيل ، بعد أن كانت تحسب ليـبيا بحكم ما بها من قـواعد أمريكيـة وبريطانية وعليهـا طيارين إسرائيليين ، تـقلب الموازين كلها وتحتضن طرابلس العرب انطـلاقة الدولة العربية الجديدة من مصر وسـوريا وليبيا ثم تلوح السودان بقرب انضمامها ، وكانت تزداد أيضاً على السادات الضغوط من أجل توقـيع معـاهدة الصلح أو السلام ، ورأى الـسادات أنه من الصـعب فى ظل الوضع العربى الراهن التوجه إلى السلام ، فروح القوميـة التى تركها عبد الناصر فى الشعب العربى - ورغم هزيمة 1967 - روح لا تقاوَم ، والشـعب العربى عازم على الإنتـقام والثأر ليس لهزيمة 1967 فقط بل لحربى النكبة والنكسة معاً ، هذه الروح التى تسلمها معمر القذافى ، وبدأ ينشّط الجبهة الشرقية (سوريا - الأردن - العراق) .

(راجع مقالات هيكل بصراحة فى تلك الفترة)

وكـانت أمـريـكا تراقب تحـرك المنطقــة ، وعـيـون إسـرائيل تـراقب السـادات ، والاتصـالات لا تنقطع ، وكان قـرار السـادات هو الحرب من أجل تحـريك الواقع ، وكان فى تفكيـره حتى لو وقع السلام فليقع بعـد الحرب .. وأياً كان الســلام فسوف يقع ، فإن انتصـر العرب فسيكون سـلاماً مشرفاً وعـادلاً .. وإن انتصرت الصهـيونية فسوف يكون سـلام الردع أو الاستسلام ، إذاً كان قرار السـادات على ضوء الخريطة السياسيـة للشعب المصرى والقادة ودولة الوحدة ونصيحـة ديجول «بتحريك الوضع الراكد» الحرب .

ولكن الســادات نجح فى التخطيـط للحرب ، حـيث يُسجل لأول مـرة فى تاريخ القادة العرب أن يحـدث هذا التنظيم على مستوى قطاعات الجـيش سواء فى سوريا أو فى مصر ، وعلى مستوى كل قطاعات الجيش .

ولأننا لن نشيـر فى بحثنا هذا مثل الكثـيرين فى نسب الانتصار أو الهـزيمة للقائد (الرئيس) ، ناسين الدور الأهم والكبيـر للقادة على جمـيع الوحدات ، لكن مع ذلك

قد أحسن السادات تنظيم كل شيء ، وقد بذل القادة الذين كانوا منذ 1967 فى حرب الاستنزاف مع فرقهم جهداً "خارقاً" أما الأفراد من جنود وضباط فكان شوقهم لإتقان الخطط القتالية بروح عالية ، ونشبت الحرب يوم 6 أكتوبر 1973 الموافق العاشر من رمضان ويوم عيد الغفران عند اليهود ، وأحدثت المفاجأة وهى المرة الوحيدة التى يفاجأ بها الجيش العربى الجيش الإسرائيلى ، ويكون للجيش العربى المبادرة ، ولأول مرة تنطلق الطائرات العربية فى سماء أرضنا المحتلة بدون اعتراض ومن أجل الهجوم لا من أجل الدفاع ، وارتبكت القيادة الإسرائيلية وهرولت جولدا مائير تطلب النجدة من أمريكا ، وأمر ديان إعلان حالة الصفر للصواريخ الإسرائيلية المحملة بالرؤوس النووية واستعداد الطائرات المخصصة لذلك بحمل القنابل النووية، حيث اتخذ وزير الدفاع الإسرائيلى «موشى ديان» هذه القرارات بعد أن عاد من الجبهة ليقول : "إن التدمير الثالث لهيكل سليمان سيكون نتيجة لهذه الحرب" . كانت المعنويات عالية ، والانتصارات غالية والمنظومة العربية (القيادات العربية) معظمها يعزف موسيقى التوافق والموافقة والمساعدة وكان قرار النفط العربى .. ولأول مرة يدخل تاريخ الصراع العربى - الإسرائيلى .. والشتاء قادم وأوروبا وأمريكا يخافون من البرد ...

كانت هذه هى مقدمة الحرب .. وكان الشعب العربى كله يترقب ، لكن النهاية كانت على نقيض البداية ، فمن السهل أن يبدأ أى قائد الحرب .. لكن الأصعب والأهم هو كيف ينهى القائد هذه الحرب ؟!

وكان كيسنجر هو الذى أنهى الحرب !!

وكانت أمريكا .. والثغرة .. و .. و...

وفى النهاية كان السادات ، وجيشه الثالث محاصراً بالكامل .. وبدأ كيسنجر ، وبدأت أول رسالة ينقلها إلى السادات من جولدا مائير بعد الحرب ووصلت الرسالة التالية من جولدا مائير عن طريق هنرى كيسنجر إلى السادات جاء فى نصها :

من الدكتور هنرى كيسنجر إلى السيد حافظ إسماعيل :

"إننى كما تعرفون من رسائلى السابقة كنت على اتصال عاجل بالحكومة الإسرائيلية بصدد موقف الجيش الثالث المصرى ، وقد تلقيت لتوى الرسالة التالية من رئيسة الوزراء الإسرائيلية :

نص الرسالة

"نحن على استعداد للدخول فوراً فى مباحثات مع المصريين حول كيفية حل هذا الموقف (موقف الجيش الثالث الذى أرادت إسرائيل أن تحكم حصارها حوله بعد وقف إطلاق النار) ، وعلى المصريين اقتراح المكان والتوقيت ورتبة ممثلهم ، ونحن على استعداد لإيفاد رئيس الأركان أو وزير الدفاع أو أى جنرال آخر أو أى مندوب غيرهم إلى المباحثات ، ونحن نعتقد أن لدينا شيئاً نعرضه عليهم .. شيئاً ما ليس هو الاستسلام والمهانة .. مخرج مشرف من الموقف .. وكل ما على المصريين عمله هو اقتراح المكان والتوقيت ورتبة ممثلهم" .

انتهت الرسالة الإسرائيلية

ونحن نحيل هذه الرسالة من قبيل الوساطة ، وليس من قبيل أنها توصية أو تزكية، ولسوف تقوم الولايات المتحدة من جانبها باستخدام كل نفوذها للخروج بحل مشرف لهذه المشكلة" .

إمضاء
هنرى كيسنجر

وكانت هذه الرسالة التى فتحت الباب إلى مؤتمر جينيف بين مصر وإسرائيل ، واتخذ السادات القرار بمفرده بعيداً عن القيادة الموحدة لدولة الوحدة (السادات - القذافى - الأسد) لأنه يعرف موقفهم جيداً فى موضوع اتفاقيات الصلح أو السلام مع إسرائيل ، خاصة معمر القذافى ، ولم يستشر على الأقل الأسد الذى كان فى حرب واحدة وقرار واحد - وكان السادات باتخاذه القرار الفردى بالتوجه إلى كسينجر ليفعل به ما يفعل ، يعلم أن هذا القرار هو قرار لإنهاء الدولة العربية

الواحدة أو كما سموها تلك الفترة دولة الاتحاد العربى ، ووصل السادات إلى جينيف وكانت هذه البداية من جينيف إلى القدس فمدريد فأوسلو ... الخ .

وتمزقت الأمة العربية من جديد ، ولم تستطع أن تفرح أو تتألم لنتيجة حرب أكتوبر أو انتصار أكتوبر فالعجلة قد دارت بسرعة والتمزق القيادى والشعبى والتشتت العقلى العربى بدأ يفرض نفسه .. ومرة ثانية ضاع الهدف الاستراتيجى للأمة ، وسط الأهداف الوطنية أو الشخصية ، وبدأ الهدف الإقليمى أو دعاوى الهدف الإقليمى تفرض نفسها فى تحد كامل أمام الهدف الاستراتيجى للأمة العربية ، فارتفعت أصوات بعض المثقفين والكتبة المأجورين يعلنون أن مصر ليست عربية .. وأن دماء المصريين أغلى من كل نفط العرب ... وأن مصر ضحت بالدماء والعرب استفادوا من الثراء النفطى الذى ارتفع سعره بعد الحرب - وهذا صحيح وهو ارتفاع أسعار النفط ارتفاعاً جنونياً حققت منه الدول النفطية ثراءً كبيراً وبدأت إسرائيل تعلن انتصارها ومصر والأمة العربية يعلنون انتصارهم ، وذلك فى حرب واحدة وهى 1973 وبدأت الدعاوى الشخصية تقارن بين هزيمة 1967 وانتصار 1973 حتى داخل مصر نفسها بدأ المأجرون يضعون الفوارق بين "عبد الناصر" و"السادات" ، وبدأت حملة شرسة ضد عبد الناصر .. الخ .

أى بدأ الانقسام ليس على مستوى القادة فقط ، بل حدث حتى على مستوى رؤساء البلد الواحدة السابق والحالى خاصة "ناصر و"السادات" وذلك من أجل إحداث انقسام داخلى فى الجبهة الشعبية العربية التى أعلن عنها بن جوريون أنها الهاجس الذى يخيفه وقال كما ذكرنا : "يا ويلينا لو أتى قائد يوحد إمكانيات هذا الشعب ويقود الحلم العربى" . ولكن الشعب المصرى أدرك الحقيقة ، وأدرك أن آماله بفرحة نصر أكتوبر وما سينتج عن ذلك من رفع لمعنوياته قد تحولت إلى سراب ، وأدرك أن الخطر الصهيونى قادم ، وأن المحادثات المصرية الإسرائيلية التى تجرى هنا وهناك ما هى إلا إذلال لمصر .

السادات يحاول غزو ليبيا

وانتفض الشعب فى 18 ، 19 يناير 1977 فى انتفاضة شعبية عارمة كانت على وشك هز وسحق الحكومة المصرية ، لولا تدخل الجيش وتراجع الحكومة عن قرارات البنك الدولى ، لكن هذه الأحداث ظلت فى عقل السادات تشعره بأشياء كثيرة ، ولم تمض شهور على انتفاضة 18 ، 19 يناير 1977 وفى ذكرى مرور ربع قرن على ثورة 23 يوليو قام السادات فى هذه الذكرى بعمل وصفه العالم بأنه من أخطر الأعمال العدوانية الخارقة ، ووصفه الأمن العربى والاستراتيجية العربية بأنه من أكبر الأعمال التى ضربت الأمة العربية فى الصميم ، فلم يحدث بعد حرب النكبة أو حرب النكسة مثل ما حدث فى عهد السادات ، وفى الذكرى الخامسة والعشرين لثورة يوليو التى ورثها ، وبهذا العدوان الذى أصاب الأمة العربية فى الصميم ، فقد فاق السادات ما فعله كل الحكام العرب إبان حرب النكبة سواء من اتصالات بإسرائيل أو مقابلات مع الصهاينة ، فى محاولة لسلخ مصر عن الأمة العربية .. وكأنه ينفذ بنود الاستراتيجية والأسطورة ..!!

ولكن أن تقوم دولة عربية بعدوان مباغت على دولة جارتها بعد أحداث 1973 .. على دولة كانت يوماً ما تؤلف مع السادات "دولة الاتحاد العربى" ، مع شعب زحف بكامله فى مسيرة قبل الحرب وفى نفس الشهر السابق بسنوات قليلة يطلب فيها من السادات الوحدة ويختاره رئيساً للوحدة ويعلن معمر القذافى تنازله - فماذا كان يريد ؟!

- هل كان يريد النفط وليبيا ؟!

فقد بذل معه القذافى والشعب الليبى كل السبل من أجل إعلان "الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا وأن يكون السادات رئيسها"!!

ويطالعنا هيكل فى كتابه المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل الجزء الثانى

ص328 – 334 .

تحت عنوان «القذافى» قائلاً :

"بعد فشل السادات الاقتصادى وخاصة بعد أحداث 18 ، 19 يناير 1977 توصل السادات فجأة إلى حل بالغ الغرابة – خطر له أن يغزو ليبيا وفى ذهنه أن يحتل ولاية برقة الشرقية وفيها معظم منابع البترول الليبى" .

واستطرد هيكل يشرح ذلك ونحن سنُلخص ما عرضه فى :

1 – لقد أعطت المخابرات الإسرائيلية مذكرة للوفد المصرى فى جينيف تدعو مصر لاحتلال ليبيا بدلاً من البحث عن سيناء وكانت المذكرة تحت عنوان **"أمل مصر الحقيقى : ليبيا"** .

2 – أن السادات فكر فى هذا العدوان وخطط له وجعل الإعلام والأقلام المأجورة تتحدث عن صفقة أسلحة بأربعة مليارات من الدولارات إلى ليبيا ، وأدعى أن ليبيا تشكل خطراً على مصر ، علماً بأن السادات كان يعلم أن الصفقة باثنين مليار دولار فقط تقدمت بها ليبيا بطلب من ياسر عرفات والرئيس هوارى بومديان بمساعدة الاتحاد السوفيتى وذلك لإمداد المقاومة الفلسطينية أيضاً بالسلاح .

إننا لا نعرض هنا ماضياً بغيضاً ، أو نفتح جراحاً قد التأمت من سنين ، لكن والأمة تراجع موقفها ، تراجع أداءها بعد كل مواجهة مع العدو الصهيونى أو قبلها ، تراجع هذه المغامرات وتقف على الحقيقة ، من وراء هذا الانحراف الخطير لقادة دولة الاتحاد العربى ؟! وإذ "بكبير العائلة" كما أطلق على نفسه الرئيس السادات وبوحى من مذكرة إسرائيلية يأمر الجيش المصرى بضرب أشقائه على حدوده الغربية ، ويقيم عهداً وصلحاً مع العدو الاستراتيجى للأمة العربية ، على حدوده الشرقية ، إن تشخيص هذه الحالة لتؤكد على مستوى قوة أو قدرة الأمة العربية عام 1977 .

وعلى الطريق إلى القدس وصولاً إلى مدريد ومن بعدها أوسلو ، وصل السادات

فجأة إلى القدس فى أكبر صدمة تاريخية للعقل البشرى بأكمله الذى يعلم بطبيعة الصراع العربى - الإسرائيلى ، وفى أكبر زلزال عربى يخرب كل معانى القدرة أو القوة العربية ، حيث فوجئ جميع القادة العرب ما عدا «الأسد» بهذه الزيارة وسط ذهول لا يحتمله العقل العربى ، واستمر المسلسل ، وتابع قطار السلام أو الصلح مع إسرائيل انتقاله من محطة إلى أخرى حتى وصل مدريد ، وكانت القوة المعنوية والمادية للأمة أيضاً فى حالة تستحق الدراسة مقارنة بقوة العدو ، وأيقن الصهاينة أنهم نجحوا وقد فازوا فعلاً فنتيجة حرب أكتوبر التى أعقبتها معاهدة صلح مع إسرائيل كانت هى محصلة حرب 1973 وتوابعها ، ولم يكن السادات وحده فى اتخاذ هذه الخطوة المفاجئة إلى القدس ، لكن كان وراءه الملك الحسن الثانى بقوة يشجعه ، وبقوة ينقل إليه رسائل الإسرائيليين سواء من موشى ديان أو من اسحق رابين ، وكان منظر الأمة مأساوى ، فالشعب العربى لم يتفهم بعد كيفية الخروج من تاريخه ، كى يعيد صياغة عقله من جديد على هذه الأساطير التى أقحمها الحكام العرب فى رأسه ، ولم يعد يعلم هل كان كل ما يقرأه ويعيشه من تاريخه وحاضره هل كان كل ذلك مؤامرة .... هل التاريخ كله مؤامرة .. ؟!

وإن لم يكن مؤامرة ؟

- فهل هو مجرد صدفة ؟!

وبقى الشعب يتساءل :

- هل إسرائيل على حق ؟

- لماذا آلاف الشهداء من قوافل يتلوها قوافل ؟

- ما ثمن هذا الدم الذى لا يخلو منه بيت عربى واحد من شهيد أو جريح ؟!

- هل اكتشف العرب الآن فقط الحقيقة ؟!

- هل السادات على سبيل المثال فى حرب 1973 كان يعلم أن الإسرائيليين أعداء الأمة العربية ، وبعدها مباشرة ، علم أنه كان على باطل بعد حرب أكتوبر ؟!

وظلت الأسئلة حـائرة ، وأنبرى كتبـة السلطة يؤكدون على أن اليهـود الموجودين الآن هم الإسرائيليون «بدأوا يزورون التاريخ» .

وأنهم أولاد عـمومـتنا .. أمـا الحروب فـهى غلطة المتـهورين من الحكام العـرب رحمهم الله .. وعلى الشعوب محاسبتهم .

وبدأ الفراغ .. واليأس .. أى بدأت عـلامات ضعف الأمة وظواهرضعـفها تطفح على جلدها فى بثور مـتناثرة معبرة عن بؤر الإرهاب الذى تولد مـن هذه الحالة ، وما أن رآها العدو حـتى فطن إلى المرض الذى أخذ بـالأمة .. فحـاول جاهداً تنمـية هذه البثور وحمايتـها ، وقادة الاستراتيجة يراقبون ويدعـمون هذه البؤر .. فمنحوهم حق اللجوء السياسى وأعطوهم من قبل حق العمل الإرهابى .

ووصل الركب إلى مدريد !!

وصل بعد رحلة شاقة ومضنية أرهقت جميع القادة وانهكت تفكير الأمة وشتته ، وصلت الأمة بعد أن عـانت من اتفاقيات كامب ديفـيد التى مزقتهـا تمزيقاً لم يحدث فى تاريخ الأمة من قبل ، لم يحدث هذا التـمزق بعد نكبة 1948 ولا بعد نكسة 1967 ولا بعد حرب 1973 ولا بعد الاجتـياح الإسرائيلى للبنان 1982 وضرب الأمة العربية فى مقـتل ، لقد أظهر عـجز "قادة الأمة" إن لـم تكن الأمة بكاملها وهى تتـفرج على هتك عرض بيروت والأمة تتفرج وهى ممزقة .

وتم تحقيق هدف طالما إرادته الصهيونية ، وطالما وضعته الاستراتيجية على خطتها وهو عزل مصر عربياً ، ثم سلخها عن أمـتها ، فكانت كامب ديفيد وزيارة القدس – المقدمة .. السبب والمسبب ، وقبل مـدريد وبعد بيروت ؛ وصلت المقاومة الفلسطينية أو المنظمة الفلـسطينية بتعـبير أدق إلى "تونس" أيضـاً ليتم عـزلها وضربهـا حتى فى تونس بالذراع الطويلة للأسطورة .

وفى كل هذه المحطات وخلالـها وخلال تمزق وانشطار الأمـة تم اغتيـال مهندس كـامب ديفيـد (الرئيس السادات) فـى نفس يوم إعلان قـراره الجرىء بالحـرب على

إسرائيل فى السادس من أكتوبر ، وفى عرض عسكرى مهيب وعلى شاشات وقناوات البث المرئى والمسموع تم اغتيال (رئيس مصر) السادات لكن كان غياب السادات أصبح مثل وجوده ، فالعجلة قد دارت دورتها كاملة ، والحكام العرب ذهب بعض منهم أبعد مما ذهب إليه السادات فى اتجاه الأسطورة ، وكان الملك الحسن فى غرب الوطن والملك حسين فى شرق الوطن قد قطعا شوطاً كبيراً .. حتى منظمة التحرير الفلسطينية كانت قد قطعت الشوط نفسه فى اتجاه الأسطورة ...

والشريان الشرقى للأمة يدمى فى حرب غريبة ومخزية بين العراق وإيران ، حرب استنفذت موارد وطاقات شرق الأمة راح ضحيتها آلاف الشهداء من الجانب العراقى والجانب الإيرانى ...

فسجلت الأمة وهى ممزقة ارتكاب الحماقة وفقدان الرؤية .. والدم الإسلامى العربى والإيرانى الذى كان يوماً ، ومنذ الفتح الإسلامى لإيران دماً إسلامياً واحداً وقوة إسلامية واحدة مهما حاول الاستعمار أن يزرع عملاء ، مثل شاه إيران ليكون جاسوساً أو شبحاً مخيفاً للأمة وفى أول لحظة وبعد رحيل الشاه بفعل الشعب الإيرانى وثورته التى انطلقت رافعة العداء الأمريكى كمحور عملها ، طاردة الجواسيس الإسرائيليين من طهران ، رافعة صور عرفات كرمز للمقاومة الفلسطينية ، إلا وكان الرئيس العراقى يعلن الحرب المقدسة على إيران فصُدمت الأمة ولم تعد تعى شيئاً ...

لقد تاه الهدف الاستراتيجى للأمة العربية وسط أداء حكامها وتصرفاتهم .. وخلال هذا الارتباك والإغماء الذى أصاب قادة الأمة وبعض مثقفيها وسياسييها وفى مطلع تولى 'ريجن' رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية وهو أول رئيس أمريكى أتقن أدوار الفن الإجرامى على شاشات العرض السينمائى ، وتولى وليام كاسى رئاسة المخابرات الأمريكية وهو من أعز أصدقاء ريجن ، وكان رئيس حملته الانتخابية ، وبجانبه 'بوش' كنائب لرئاسة الولايات المتحدة ، لتكون على رأس قيادة الاستراتيجية هذه النخبة الشريرة التى تميزها الحنكة والدهاء والعداء للأمة العربية

مقابل المصالح المشتركة مع الأسطورة التى قوت شـوكتها ورسخت وجودها جاسمة على أرض فلسطـين طاردة المنظمـة الفلسطينيـة من جـوارها فى لبنـان ويدها طويلة تطول الغـرب والشرق ، فمن ضـرب المفاعل النووى فـى العراق إلى ضرب منـظمة التحرير فى تونس ، فأحدثت رعباً لدى القادة العرب .

وقبيل مـدريد فى ضاحية من ضـواحيها تسـمى «أرانخويز» عُقد لقـاء بين "وليام كايسى" مـدير وكالة المخـابرات الأمريكية وبين مـدير مخابرات الـنظام العراقى ذاك الوقت الدكتور «فـاضل البراك» وفى هذه الجلسة طلب مدير المخـابرات العراقى من مدير المخابرات الأمريكية ضم الكويت إلى العراق باعتبارها مطالب تاريخية ، وكان رد "كايسى" أن ذلك موضوع يتم التفاهم فيه بعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية ، ثم أضـاف مؤكـداً أن الولايات المتـحدة ليـست لديهـا التزامـات أمنيـة حتى الآن تجـاه مشيخات الخليج ، وكان لهذا التصريح من أكبر مسئول أمريكى لأكبر مسئول عراقى على المستوى المخابراتى (مـستوى صنع القرار) أثره الفادح فيما بعـد وخاصة بعد أن أكدت أيضاً السفيرة الأمريكية فى بغداد ما قاله مدير وكالة المخابرات الأمريكية لمدير مخابرات العراق وكان القرار الخطير والمدمـر لقيادة العراق هو غزو الكويت وإعلان ضم الكويت إلى العـراق واعتبـارها المحافظة رقم (19) للعراق ، وذلك فى 2 – 8 – 1990 والتى اسـتمرت حـتى 28 – 8 – 1991وفى الاحتـفال بانتـصار قوات التـحالف الدولى على العراق فى 6 – 3 – 1991 أعلن بوش (الذى تولى قيادة الاستراتيجية بعد ريجن) ضرورة التسوية بين العرب وإسرائيل – لقد آن الأوان إذن لأن تتم التسوية – وتحرك وزير خارجيـته «بيكر» ليلم الأطراف العربية لتصل القافلة منهكة ممزقـة مهما حـاولت القـافلة الظهـور بالتـماسك أمـام شـعـبهـا ، لكن على الأقل كـان عـدوها (الاستراتيجية والأسطورة) يعرفون أكثر مما يعرف القادة أنفسهم بمرضهم وتمزقهم .

ومن مدريد ينتهى فصل طويل من الصراع العربى الإسـرائيلى ، لم يتآمر فيه فقط قيـادة الاستراتيجـية على الأمة العربيـة ، ولـم تكن قوة الأسطورة فقط ، مـصدر هذا التآمر والرعب على العـرب ، لكن أيضاً إنهار الاتحاد السوفيـتى والمعسكر الشرقى ، وبدت أمريكا هى القوة العظمى الوحيدة فى العالم ، وبدأ الـعالم يعيش عصراً ، غير متـوازٍ ، سمى بعصر القطب الواحـد ، الذى للأسف تقوده قيـادة الاستراتيجـية التى

وضعها نابليون ونفذها كل من بالمرستيرى ودزرائيلى وتشرشل وروزفلت وترومان ، فكانت النكبة 1948 والإعلان عن قيام الدولة الصهيونية التى أطلقوا عليها "إسرائيل" فى 15 - 5 - 1948 لينتهى نصف قرن على الصراع العربى الإسرائيلى فى 15 - 5 - 1998 يجد العرب فيه أنفسهم قد وصلوا إلى المحطة (أوسلو) لكنها ليست المحطة الأخيرة فالوقت مازال مبكراً ...

فقادة الأسطورة الجدد من حزب ما يسمى بالليكود وبقائد هذا الحزب الشاب "بنيامين نتنياهو" الذى جاء إلى قيادة الأسطورة يتزعم حكم إسرائيل ووريثاً لقادة الليكود (بيجن - وشامير) ووريثاً لفكر العصابات (أرجون - شتيرن) لكن بعقل وحلم الأسطورة الجديد .... يصطدم بالعرب المصممين على (التسوية) ، ونتنياهو على العكس يؤكد كما قال :

«إن دولة إسرائيل ، عندما يعيش فيها ما بين 8 - 10 ملايين يهودى ، بعد بضع عشرات السنين يمكنها أن تتمتع بالازدهار ، والحركة والاستقلال على نحو لا يمكن تخيله فى إسرائيل اليوم . وبما أن إسرائيل ستقوى إلى هذا الحد ، سيضطر العالم العربى فى النهاية ، إلى إبرام السلام الحقيقى معها».

لكن العرب يهرولون ووضعوا مطلب السلام مع إسرائيل على أولويات أعمالهم حتى فى القمة العربية الأخيرة فى يونيه 1996 لأول مرة بعد التشتت العربى الذى حدث نتيجة الغزو العراقى للكويت ، وعرفات والمنظمة والعرب يسعون للحصول على 13 ٪ أو 15 ٪ فقط من أرض الضفة الغربية وليس من أرض فلسطين !!

"فإن كان هذا هو نهاية نصف قرن من الصراع العربى - الصهيونى ، فماذا سيكون مستقبل الأمة العربية فى وجود "إسرائيل" بعد خمسين عاماً ؟ هذا هو السؤال الذى تبحث الأمة عن إجابة له ■

الفصل الثاني عشر

مستقبل الأمة

«قرن جديد من الصراع العربى - الصهيونى»

"لا أمل فى مستقبل للأمة العربية وهى تستقبل القرن الجديد (21) إلا بالوحدة العربية الشاملة"

معمر القذافى

سلام الردع...وسلام الشرفاء

"إن مَنْ يُحرَمْ من حمل السيف ، سرعان ما ينسى كيفية استخدامه ، ويبدأ استعداده النفسى للمقاومة يتلاشى"

بنيامين نتنياهو

فى حديث لشارل ديجول مع هيكل الذى سأله عن سياسات فرنسا وأوروبا قال ديجول:

"إننى لا أرسم سياسة فرنسا على أساس ما يقوله الأطراف ، ولا على أساس ما أظنه من نواياهم ، ولا على أساس ما أعلم أنهم يرتبون من خطط، وإنما على أساس القدرات الحقيقية لهؤلاء الأطراف .
ليس مهماً ما يقوله أحد ، وليس مهماً ما يضمره فى سره من نوايا ، ولا على ما يضع على الورق من خطط . المهم فى نهاية المطاف شئ واحد .
ما هى قدراته ؟ ماذا يستطيع أن يفعل بها ؟
غير ذلك فى اعتقادى كلام .. مجرد كلام آخذ به علماً ولكن لا أرسم على أساسه سياسة"

المصدر : هيكل – مصدر سبق ذكره – المجلد الثالث – ص464

ولأن قدرات الأسطورة (الصهيونية) ظلت مجهولة إلى حد ما فى إطار العقل العربى ، وصناع القرار العربى منذ 15 - 5 - 1948 ، فى الوقت الذى ذهبت فيه الجيوش العربية لنزهة فى فلسطين ، ومن خلال النزهة السياحية للجيوش العربية ، ستقوم تلك الجيوش بطرد العصابات الصهيونية المرتزقة وتطهر فلسطين وترابها من هذه العصابات ، فى الوقت الذى كانت فيه قدرات (الهاجاناه) وهى لم تصل بعد إلى جيش نظامى تفوق الجيوش العربية كلها ، الجيوش الستة التى دخلت معركة 1948 فخرجت بنكبة 1948 فالعصابات (الهاجاناه) ، و(أرجون) ، (اشتيرن) كانت لديها حتى من الصناعات الحربية ما يكفيها للمقاومة حتى تأتيها المساعدة بصنع جبهتها الداخلية الحربية ، ولم تكن فقط الخيانة أو الجهل أو عدم التدريب أو الأسلحة الفاسدة أى (الضعف العسكرى العربى) هو سبب النكبة ، لكن كان الأهم أيضاً قدرة أو قوة الصهيونية على جميع المستويات القدرة المادية والقدرة المعنوية .

ومع انقضاء فترة ليست بالقصيرة بين حرب النكبة وحرب النكسة ، أى بين عام 1948 حتى عام 1967 أى قرابة عشرين عاماً ، كانت كافية أن ندرس قوة أو قدرة العدو لنتعرف على حجم العدو بقوته المادية والمعنوية ليكون قرار التصدى لعدوانه والاستعداد له فى أى لحظة قراراً استراتيجياً يشمل دراسات كافية عن قدرة العدو ، وكما قال ديجول : ماذا سيفعل بها ، لكننا أيضاً - بعد أن انتكبنا فى 1948 - انتكسنا فى 1967 ولنفس الأسباب مع التغير الزمنى ، وما يطرأ عليه من تقدم شامل فى جميع نواحى العوامل المادية والمعنوية للدولة .

ومع بداية أول تفكير استراتيجى فرضته النكسة على أمة بأثرها فى حرب الأيام الستة ، والذى اشتمل على بناء القوة أو القدرة الحقيقية للعرب خاصة فى الفترة من 1967 إلى 1973 ، والنظر إلى قدرة العدو فى حال مقاومته أو تمسكه باحتلال الأراضى التى استولى عليها فى 1967 ، ارتفع فوراً الأداء العسكرى وتحسنت النتيجة لأول مرة فى المواجهة أو الصراع مع العدو الصهيونى ، تحسناً بدَّد أسطورة الجيش الإسرائيلى الذى لا يقاوم .

يقول نتنياهو (في كتابه مكان تحت الشمس ص 312 - 313 مصدر سبق ذكره)

«إن نتائج حرب 1973 أثرت إلى حد ما على قرار أنور السادات بشأن إبرام معاهدة سلام مع إسرائيل . ربما كان السادات قد أعاد الاعتبار للكرامة العربية (فقد وقف أمام إسرائيل مدة أسبوعين كاملين ولم يُهزم ...) ، وربما أيضاً كانت لديه الفرصة للتحدث عن الانتصار المصرى فى تلك الحرب .

لكن السادات عرف جيداً أنه رغم مفاجأته المطلقة لإسرائيل فى يوم الغفران، ورغم الهزة الشديدة التى أصابت إسرائيل فى أعقاب تلك المفاجأة، فقد قلب الجيش الإسرائيلى الأمور رأساً على عقب بعد مضى (18) يوماً فقط ، لقد طوق الجيش الثالث المصرى ، ووقف على بعد (101) كم عن القاهرة . ولولا وقف إطلاق النار الذى فرضته الولايات المتحدة والأمم المتحدة ، لما كانت هناك أية قوة تمنع الجيش الإسرائيلى من الوصول إلى العاصمة المصرية .

إن تناقص عدد الدول العربية المستعدة لمحاربة إسرائيل باستمرار يجسد حقيقة أساسية فى الواقع الشرق أوسطى هى :

أن السلام بين إسرائيل وجاراتها ، هو سلام ردع ، وأن احتمال تحقيقه يرتبط بصورة مباشرة على قدرة إسرائيل فى الردع فكلما بدت إسرائيل أقوى ، كلما أبدى العرب موافقتهم على إبرام سلام معها ، وكلما أبدت ضعفاً وتردداً ، كلما زادت احتمالات الحرب ضدها ".

وحيث أن السيد نتنياهو يتجاهل عن عمد كثيراً من الحقائق الثابتة والمؤكدة والتى اعترف بها موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى عندما قال : **"إن نتيجة حرب يوم الغفران هى بمثابة الهدم الثالث لهيكل سليمان"** ، ثم صرح باستعمال السلاح النووى ، ولولا خوف الولايات المتحدة على الأقل من تهور الأخلاق الصهيونية فى استعمال هذا السلاح الخطير (النووى) ما أقامت جسراً جوياً من الطيارين والطائرات والدبابات، وقد عبر عنه الرئيس السادات فى قوله : **"إن الدبابات تنزل من الطائرات الأمريكية مباشرة إلى أرض المعركة"** لولا تلك المساعدات الأمريكية البشرية والفنية

والأقمار الصناعية ، ولو أن هناك هدفاً ثابتاً وواضحاً للقوات العربية فى التقدم نحو تل أبيب، لاستطاع فعلاً الجيش العربى الوصول إلى عاصمة إسرائيل ، لكن بوجود التردد وعدم وضوح الرؤية والاستراتيجية النهائية لخطة المعركة وعدم حساب حجم القدرة الأمريكية التى يمكن استخدامها لصالح العدو ، أوصلت فعلاً القوات الإسرائيلية إلى الكيلو (101م) على طريق السويس القاهرة ، وأن إسرائيل لم تلتزم بقرارات الأمم المتحدة أو الولايات المتحدة بوقف إطلاق النار الذى منعها من الوصول إلى القاهرة ، بل الذى منعها هوالخوف من الدخول إلى مقبرتها فى الكثافة السكانية العربية ، وأيضاً ما الذى منعها فى نكسة 1967 أن تستمر حيث كان الطريق مفتوحاً على مصراعيه أمامها ، أن تستمر فى زحفها إلى القاهرة ؟! إذاً السبب واضح لقد وصلت إلى قناة السويس وتوقفت - لنفس السبب ، **فلا أحد يدخل قبره طواعية .**

ولكن من الجانب الآخر ، فأحداث ذكريات 1967 - 1973 وخاصة وضع الجيش الثالث ، جعل القيادة العليا المصرية تفكر فعلاً ، وقد يجوز القول التفكير الذى ملأه الخوف أو التردد ، ليس فقط من الجيش الثالث ووضعه ، أو من الثغرة ، وكيف التفوا حول الجيش الثالث ، لكن أيضاً كان مبعث الخوف من السلاح النووى الإسرائيلى والتفوق الذى ظهرت عليه إسرائيل فى نهاية الحرب ، إضافة إلى أن هدف الحرب أصلاً (1973) كان هدفاً تكتيكياً أى لتحريك الوضع ، حتى لا تكون نتيجة النكسة فى 1967 وانتظار الشعب العربى خاصة فى مصر إزالة آثار العدوان وتطبيق الشعارات التى رفعت إبان تلك الفترة **"ما أخذ بالقوة لايسترد بغير القوة"** وإلى الحد الذى وصلت فيه مظاهرات الشعب تطالب بالمعركة شوقاً من الشعب العربى فى مصر لإزالة آثار هزيمة 1967 ومحاولة السادات وقتها أن يذكّر الشعب بأنه غير ناسٍ ثأر مصر ، لكن **"عام الضباب"** هو الذى أجل هذه المعركة ، وكان يقصد السادات بعام الضباب هذا ، الحرب الهندية الباكستانية التى نشبت عام 1972 ، إذاً فكان الهدف العربى واضحاً فى تخطيط الرئيس السادات ، وهو مجرد تحريك الأوضاع وتهدئة الجماهير العربية ، ثم الدخول بعد هذا التدريب والاستعداد فى حرب يثبت

فيه قدرة مصر على التخطيط والأداء حتى عند الجلوس على مائدة المفاوضات بعد الحرب - يكون العدو على يقين وبالتجربة الفعلية لقدرة الطرف المصرى ، وقد كان، مع أن الخسائر التى منيت بها إسرائيل فى هذه الحرب كانت أكبر خسائر فى تاريخ صراعها مع العرب ، إلا أنه فى الوقت نفسه فإن الصورة المدهشة أن خسائرنا فى حرب 1973 كانت فادحة جداً فى الأرواح ، حتى مقارنة بنكسة 1967 - فهل تكون هذه الخسارة الجسيمة فى الأرواح أحد العوامل التى دفعت الرئيس السادات إلى قبول الصلح السريع مع الصهيونية ؟!

خاصة وأنه بعد الحرب ظهر بمظهر مؤثر جداً على شاشات الإذاعات المرئية فى العالم كله وهو يودع أخاه 'عاطف السادات' شهيد الطلعة الأولى للطيران المصرى، فكان موقفاً درامياً مهيباً وحزيناً ، ربما يكون هذا الموقف من أحد الأسباب !!

وإن كان كذلك فهو منتهى التخبط وعدم الاستراتيجية وانعدام الرؤية ، على أية حال كان منظر وموقف السادات كما قال شكسبير فى مسرحيته (تاجر البندقية) .

«إن العالم مسرح ياجراتشيانو .. ولكل امرئ دور على خشبته .. ولكن دورى يا جراتشيانو دور حزين ..»

وبنظرة سريعة ومقارنة على خسائر العرب وإسرائيل فى أكبر حربين (1967 - 1973) نرى الجدول التالى يصدمنا بحقائق ، كما صُدمنا من قبل بالنتائج .

الدولة	عدد القتلى والمفقودين		عدد الجرحى بالألف		عدد الطائرات		عدد القطع البحرية	
	1967	1973	1967	1973	1967	1973	1967	1973
مصر	9801 + 3800 أسيراً	23500	5000	45000	340	182	4	4
الأردن	6096 + 463 أسير	لم تشترك	762	لم تشترك	25	لم تشترك	–	لم تشترك
سورية	200	7000	5000	21000	55	165	–	7
العراق	–	125 + 18 أسير	–	260	15	21	–	–
إسرائيل	700	2812 + 531 أسير	2500	7500	35	120	–	18

المصدر لمعلومات 1967

The Military Balance,1967-1988 Op. Cit, P50

المصدر لمعلومات 1973

Strategic Survey,1973 . Op.Cit P20

فبمقارنة سريعة نجد أن عدد القتلى والجرحى فى حرب 1967 فى مصر بلغ حوالى 13600 فرداً (شهيد وجريح) ، فإن الرقم وصل فى حرب 1973 إلى (68500) شهيداً وجريحاً أى أكثر من خمسة أضعاف عام 1967 ، وأن عدد الطائرات فى عام 1967 (340) طائرة ضعف عدد الطائرات تقريباً فى عام (1973) ، (182) طائرة .

وتندرج نفس الخسارة الفادحة على باقى الدولة العربية ففى حين أن سوريا مثلاً

فى عام 1967 كان عدد القتلى (200) شهيد نجد فى عام 1973 أن عدد القتلى أصبح سبعة آلاف شهيد أى بزيادة خمسة وثلاثين مرة عن عدد الشهداء فى عام 1967 .

- فهل هذا هو السبب أو أحد الأسباب التى أدت إلى الخوف العربى أو الصلح العربى الإسرائيلى .؟!

- هل هذا الكم الهائل فى حرب نحن كما يقولون منتصرون فيها ؟!

- أم هو المنظر الحزين لرئيس يودع أخاه الأصغر شهيد الحرب ؟!

- أم أنها كما قال الكثيرون حرب تكتيكية من أجل الصلح والسلام ؟!

كل تلك الأسئلة أو الاستفسارات أو العوامل أو واحد منها فقط أو غيره ، صنع المفاوضات واتجهنا نحو السلام بزيارة القدس ، فكامب ديفيد فمدريد فأوسلو .. إلى ما لا نهاية ربما ، 13 ٪ ، أو ربما أقل .. لا ندرى المهم أصبح العرب وجهاً لوجه مع نتنياهو ، يتقدم العرب السيد ياسر عرفات الذى أصبح رئيساً لدولة فلسطين دولة لها علمها ونشيدها الوطنى ... وأكثر من كل ذلك لها حرسها الجمهورى وحرسها الشخصى وحرسها الوطنى والشرطة الفلسطينية والأمن الوطنى أو القومى الذى يتعاون مع الصهيونية ، ضد من ؟! لا نعرف !!

فلا يوجد فى فلسطين أو إسرائيل غير الفلسطينيين واليهود الصهاينة فمن أجل من تتعاون كل هذه المسميات للشرطة أو الأمن أو الحرس الفلسطينى ، يقول السيد نتنياهو ، عند استلامه أسرار ومفاتيح الدولة وأيضاً مفاتيح مكتب رئيس مجلس الوزراء ، وخاصة استلامه لأسرار السلاح النووى الإسرائيلى :

"لم يكن هناك كثير لأعرفه .. شئ واحد فقط كان بمثابة المفاجأة التى لم أتوقعها ، وهو حجم التعاون بين الأمن الفلسطينى والأمن الإسرائيلى ... وهذه نقطة تحسب لهم (أى لحزب العمل)" .

وعند المواجهة بين عرفات ونيتيناهو ، قال عرفات إننا نصنع سلام الشرفاء .. سلام الشجعان ، وبدأ يكرر هذه الجمل فى أكثر من لقاء تلفزيونى وصحفى ، بينما

كان نيتيناهو يقول مكرراً أحاديثه السابقة وتعريفه لمفهوم السلام أنه سلام الردع ، سلام يرتكز على ردع هؤلاء العرب الذى وصفهم بأنهم دكتاتوريين ، وأن لا سلام أخلاقى مع العرب ، وأن لغة السلام الوحيدة هى سلام الردع وقال بالنص :

"إن السلام يجب أن يرتكز على قوة ردع إسرائيلية دائمة معتمدة على تعاظم مستمر لقوتها العسكرية ، لقد أحرزنا تقدماً فعلياً نحو مثل هذا الوضع ، وما معاهدة السلام مع الأردن ، والاتفاقيات السياسية مع المغرب وعُمان ودول أخرى (لا تعلمونها الله يعلمها !!) ، سوى تعبير رسمى عن هذا التقدم ، ومفهوم بحد ذاته أن مثل هذه الاتفاقيات لم تكن تعقد مع إسرائيل الضعيفة ، وإذا تواصل العرب فى الجيل القادم إلى الاعتراف بأن إسرائيل باقية فى الشرق الأوسط إلى الأبد ، من المحتمل أن يطرأ تحول نفسى فى موقفهم بحق إسرائيل فى الوجود ، إننى مؤمن بأن العرب لن يظلوا يضربون الجدار برؤوسهم إلى الأبد"

وهنا نرى طرح العرب ممثلاً فيما يطرحه الرئيس عرفات ، بأن السلام الذى ينفذه أو يتحاور ويتفاوض من أجله هو سلام «**الشجعان**» أو سلام « **الشرفاء**» وعلى الجانب الآخر نرى طرح رئيس وزراء إسرائيل "نتنياهو" الذى يؤكد أن سلام إسرائيل هو "**سلام الردع**" ، وعند تحليل التعبيرين نجد الفرق واضحاً فى الأسلوبين ، أسلوب تناول إسرائيل لأى مشكلة أو قضية وأسلوب العرب ، وهذا يقودنا إلى التعريف السائد بين الاستراتيجية والسلطة ، **فسلام الردع** يقوم على منطق استراتيجى لتفكير الصهاينة ، هذا المنطق الاستراتيجى يعتمد ليس على نتنياهو فقط ، بل يكون على أى رئيس لمجلس وزراء العدو تنفيذه ... إن سلاح الردع الذى يرفعه نتنياهو يعبر تعبيراً صادقاً عن استراتيجية العدو بأن يجعلوا قوتهم تتعاظم أمام قوة عدوهم ، فبالإضافة إلى الرهبة التى ينزلونها فى قلب أعدائهم ، تظل هذه القوة هى الحامية للسلام ... ومعنى سلام الردع ، أى استسلام العدو (العرب) .

هذا هو التفكير الاستراتيجى ، وهذا ليس تفكير نتنياهو وحده ، إنه تفكير بيريز وبيجن وشامير وجولدا مائير .. تفكير كل صهيونى لا يتقلد أى منصب فى إدارة

الصراع العربى - الإسرائيلى ، إذاً هى إستراتيجية دولة أو مؤسسة ، وهذا الأسلوب لا يفهمه العرب ، ليس فهماً للممارسة ، لكن حتى لا يفهموه فهماً للمعرفة وتقييم عدوهم (الصهيونية) ، إنه للأسف وحتى الآن يقيم القادة العرب تصرفات قادة الاستراتيجية (أمريكا) أو قادة الأسطورة (الصهيونية) على ما يبدو منهم من تصرفات أو أفعال ، لأنهم دائماً يقيسون الآخرين على تصرفاتهم أنفسهم ، ولم يدركوا أنهم يتعاملون مع مؤسسات ديمقراطية تعتمد الاستراتيجية تفكيراً وتخطيطاً وممارسة ، أما سلام الشجعان فهو تعبير عن السلطة ، سلام الشرفاء تعبير عن الشخصية التى تتحدث ، فالسيد ياسر عرفات ، كأنه يتحدث عن نفسه بأنه الشريف الشجاع ، أى أنه يريد أن يقول 'لقد أقدمت على السلام بشرف لا لأى دافع آخر كما يدعى البعض بأنى قبضت الثمن !! وأقدمت على السلام بشجاعة وليس كما يدعى البعض بأننى شعرت بالخوف من الانتفاضة والتغير الدولى الجديد بعد انهيار الاتحاد السوفيتى و .. الخ من ملاحظات ، فعبر السيد عرفات عن موقفه أو إحساسه الشخصى ، ونحن لسنا بصدد تحليل موقف السيد عرفات هل هو قبض الثمن ؟ أو سلام الشرفاء ؟! هل هو خائف ، أم سلام الشجعان ؟!

لكننا نحلل أو نقارن بين أسلوب الاستراتيجية وأسلوب السلطة ، الأسلوب المعبر فقط عن طبيعة وآراء وتقدير الحاكم العربى ، وبالتالى فهو سلام مرتبط به شخصياً ، وبإزالة الحاكم من المحتمل أن يزول السلام ، أو أى خطة وضعها ، فإن الدولة أو المؤسسة لم تشاركه ، بل لم تضعها هى (الدولة) ليقوم الرئيس بتنفيذها - فالعكس صحيح فى التفكير العربى ، أو القرار العربى .

والغريب أو المدهش أن العدو (الصهيونية) يعى ذلك جيداً ، هذه الحقيقة الجدلية، وقد عبر عنها ، بل لقد أثارها فى أكثر من مرة مع المتفاوض العربى ، وذلك لعدم ثقته فى استمرار الحاكم العربى الذى يفاوضه ، ففى مفاوضات كامب ديفيد ، وبعد أن حصل السيد "بيجن" رئيس وزراء إسرائيل ، وصاحب التاريخ الإرهابى الدموى الطويل ، والذى وصفه (كما ذكرنا فى كتابنا هذا) زميله بن جوريون مؤسس الدولة

اليهودية ، **بأن بيجن ما هو إلا "نازى" ولو أتيحت له الفرصة لدمر العرب وقتل أطفالهم وحرقهم وكسّر عظامهم ، وعمل بهم أكثر ما عمل هتلر باليهود** ، المهم ، نعود إلى السيد "بيجن" الذى بعد أن حصل على كل ما يريد من الرئيس السادات فى كامب ديفيد وسط ذهول الفريق المصرى الذى كان مع الرئيس السادات والذى تكون من وزير الخارجية المصرى محمد إبراهيم كامل ، وباقة من نجوم الخارجية المصرية منهم الدكتور عصمت عبد المجيد والدكتور أسامة الباز والدكتور بطرس غالى (الأمين العام للأمم المتحدة السابق) وغيرهم والذين شعروا بأنهم لا دور لهم غير ديكور لا أحد يستمتع به فى كامب ديفيد (لاحظ الأسلوب السلطوى فى القرار العربى) ، وعلى إثر ذلك قدم السيد إبراهيم كامل استقالته ، لأنه كما ذكر رأى أن **مصر تباع بدون ثمن !! ومهما كان الثمن !!**

فهل الأوطان تباع !!

نعود لنرى أنه بعد تنازل السادات عن كل شىء مقابل لا شىء !! لبيجن ، وجاء وقت التوقيع ، رفض بيجن التوقيع ، ووقع فقط بالحروف الأولى ، وقال للرئيس السادات :

> **"عفواً سيدى الرئيس ، إنك هنا رئيس مصر لك وفق نظامكم أن توقع على أى شىء تقرره نيابة عن مصر وشعب مصر ، لكن أنا لا أستطيع أن أوقع إلا بعد أن يصادق الكنيست فى القدس على هذه الاتفاقية ، فإن صادق عليها وقعتها ، وإن لم يصادق فأنا آسف حقيقة" !!**

أى أن قادة الأسطورة (الصهاينة) يعرفون تفكيرنا .. وكيف نصنع قرارنا !! وبالتالى كانت أمريكا وإسرائيل فى كامب ديفيد ، لا يلتفتون إلى وزير خارجية مصر، ولا إلى فريق العمل إلا التفاتة العطف !!

وهذا الأسلوب أيضاً جعل من نتنياهو أن يقول بصراحة : **إن الأنظمة العربية هى أنظمة ديكتاتورية ، وأن السلام مع الأنظمة الديكتاتورية هو سلام غير آمن ، لذا ففى الشرق الأوسط يعتبر الأمن (قوة الردع المعتمدة على قوة الحسم) هو العنصر الحيوى**

للسلام ، ولكن مع كل هذا يبقى التفكير العربى على مستوى صناعة القرار تفكيراً ناجح أمن طريقة أسلوب العرب أنفسهم ، فبمجرد فوز نتنياهو على بيريز أصيبت القيادة العربية بهزة شديدة من جراء فوز نتنياهو الذى اعتبروه نتيجة لتصريحاته فى برنامجه الانتخابى عدواً لدوداً للعرب ومعادياً للسلام ، ولم يحاولوا أن يدركوا أن سلام الردع هو استراتيجية إسرائيل يقوم بتطبيقها أى فائز برئاسة الوزارة الإسرائيلية ، وأن الأمن القومى الإسرائيلى فى وجهة نظرهم تحكمه استراتيجية عليا تتمثل فى الهدف القومى للأسطورة الذى يرفعها ويترجمها (عَلَمْ) إسرائيل ذو اللونين الأزرقين أعلى وأسفل الراية الإسرائيلية تتوسطهما نجمة داود ، أى من النيل إلى الفرات ، والعاصمة فلسطين فى المنتصف القدس رمزاً لعاصمة مملكة داود ، أى أن الهدف القومى هو هدف استراتيجى أعلى للجميع - أى حزب - الكل من تحت هذا الهدف القومى ، وإنه بعد الاستراتيجية العليا تأتى مستويات الاستراتيجية ، وهذه تتمثل فى عدد من العوامل التى تقوم عليها الاستراتيجية وتعمل من أجل تحقيقها ، وهذه المرحلة الثانية أيضاً ثابتة وسوف نناقشها بالتفصيل لاحقاً وهذه المرحلة أيضاً لا يختلف عليها أى حاكم أو حزب ، الكل يعمل على تنفيذها ، فعلى سبيل المثال سواء فاز الليكود أو العمل ، فالصهاينة فى أبحاثهم النووية وإنتاج أسلحة الدمار الشامل مستمرون ، وفى مستوى سرقة المياه والصراع على المياه فى المنطقة عازمين ، أى أن كل مستويات الاستراتيجية لا خلاف عليها ، أم المرحلة الثالثة هى مرحلة التكتيك ، وهى مفتوحة على مصرعيها تلعب فيها الأحزاب ، ويرقص عليها رؤساء الوزارات والمتنافسون لكسب أصوات الناخبين ، لكن بشرط خدمة المرحلة العليا ومرحلة المستويات .

لكن للأسف تظل صناعة القرارات العربية غير قابلة لفهم الواقع الإسرائيلى ؛ والذى تتباهى وتفتخر به إسرائيل ، أى أنه لا تخفيه ، وهذا يفسر أن العرب جميعاً أصابتهم الحسرة والندم فور فوز نتنياهو ، واعتبروه هوالعقبة أمام السلام ، وتخيلوا أن كلام نتنياهو عن موضوع سلام الردع شئ من أفكاره ، ولم يدركوا أن هذه هى الاستراتيجية ، لدرجة أن قادة الوطن العربى هبوا جيمعاً لعقد قمة عربية طارئة ،

طالما نادى بها جميع العرب سواء من قادة أو منظمات أو مؤتمرات جماهيرية عربية ، لكن فوز نتنياهو جعل انعقاد القمة العربية فى يونيو 1996 بالقاهرة عملاً ضرورياً ، والأغرب فعلاً أن القادة العرب قرروا أن يعطوا مهلة لنتنياهو حتى يثبت أن ما قاله خلال حملاته الانتخابية من عداء سافر للعرب ما هو إلا دعاية انتخابية من أجل كسب أصوات اليمين المتطرف ، والأمر الغريب أيضاً أن بيريز كان قبل سقوطه بشهر واحد قد ارتكب جريمة «قانا» وهى من أكبر المذابح فى العصر الحديث ، حيث ضربت الطائرات الصهيونية موقعاً للأمم المتحدة مرفوع عليه علم الأمم المتحدة وإسرائيل تعرفه جيداً ، وقامت بقصفه عندما احتمى به المدنيون اللبنانيون خلال الغارات المتكررة من الصهيونية على الجنوب اللبنانى ، فراح ضحية هذه الغارات مئات الأطفال الأبرياء فى أبشع صور الإرهاب ، حيث صورت محطات التلفزة الأجنبية ، وخاصة الفرنسية فظاعة المجزرة التى أبرزت طفلة رضيعة فقدت رأسها تماماً ، وأصبحت مثل الدمية وأطفالاً تناثرت أطرافها وأماً فقدت أبناءها ، ورجلاً عاد ليجد أطفاله الخمسة ووالدتهم بدلاً من استقباله عند عودته من الحقل كالعادة يومياً ، وجد الأسرة كلها قد فارقت الحياة ولم يتعرف على الأطراف التى قد يجزم أنها لأبنائه ... الخ .

كانت هذه آخر أعمال بيريز الذى بكاه العرب يوم سقوطه فى الانتخابات ، كما بكوا رئيسه ورئيس حزبه إسحق رابين عندما تم اغتياله على يد أحد أبناء الجيل النازى الجديد فى إسرائيل ، فبكاه بعض القادة العرب فى منظر مهين ، لقد جمع كلينتون مجموعة من القادة العرب وقادة العالم فى مهرجان جنائزى لم تر إسرائيل ولا العالم مثل هذا الإتقان ، وراح بعض الملوك العرب يبكونه بحدة ، يبكون على قبره كأنه أحد أشقائهم ... هل هذا معقول .. ؟! أيمكن أن يجلس ملك عربى حتى يبكى شهيداً عزيزاً من أبناء مملكته أو شعبه ؟! ، إن للقائد هيبته ، وهكذا يجب أن يكون . لقد ارتدى كلينتون القبعة اليهودية السوداء رمزاً للحداد وكفى تنظيمه الموكب الجنائزى ، أما جلالة الملك حسين فلم يتمالك نفسه وجلس يبكى على قبر رابين ، والذين شاهدوا هذه الصورة لم يعلموا أن بين الرجلين (رابين - حسين)

علاقات قديمة من الصداقة والمودة حتى على مستوى أسرة كل منهما ، وحدث عند توقيع اتفاقية الصلح بين إسرائيل والأردن على المسرح المعتاد فى البيت الأبيض ، وبعد التوقيع لاحظ كليتون أن درجة العلاقة بين الملك حسين واسحاق رابين أكثر وداً من علاقة أى طرف منهما به شخصياً وابتسم وهو يسأل الملك حسين قائلاً له :

"منذ متى وجلالتكم على علاقة باسحق رابين .. أخبرنى صراحة كم مرة تقابلتم قبل هذه المرة ؟!"

ورد عليه جلالته قائلاً :

"عشرون مرة سيادة الرئيس" .!!

وهنا تدخل إسحق رابين مقاطعاً ومصححاً :

"عفواً جلالة الملك ، لقد تقابلنا واحداً وعشرين مرة يا سيادة الرئيس وليس عشرين فقط" .

نعود إلى موضوع صنع القرار العربى وطريقة التفكير فى أحد الأمثلة التى ذكرناها إبان صدمة القادة والشعب العربى من فوز نتنياهو ، والمهلة التى أعطتها له القمة العربية الطارئة فى يونيو 1996، حتى يتخلص من الوعود التى قطعها لشعبه لحظة إلقاء خطبه ضد العرب والسلام فى برنامجه الانتخابى ، ولم يدرك العرب الحقيقة أبداً ، حتى من خلال أول زيارة لنتنياهو إلى الولايات المتحدة يوم 9 - 7 - 1996 أى بعد أقل من شهر من تاريخ القمة العربية التى عقدت من أجله بالقاهرة ، حيث يقول هيكل فى مجلده الثالث من المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل وفى آخر سطور كتابه ص 464 ، 465 :

"خلافاً لما توقعه بعض العرب فإن رئيس وزراء إسرائيل الجديد ذهب إلى المكتب البيضاوى ومعه "قدرة" إسرائيل - يستغنى بها عن كل ما يمكن أن يقول به العرب عن المبادئ والحقوق والقوانين «والشرعية الدولية» كانت حجته الرئيسية حتى وإن لم يذكرها صراحة «هى قدرة مجتمع استطاع

بحضـور الإرادة أن يحـول فكرة أسطوريـة إلى وطن قـومى ، فى حين أن العرب رغم المبـادئ والحقوق والقـوانين و«الشرعيـة الدولية» لم يستطيـعوا بغياب الإرادة إلا أن يحولوا وطناً "حقيقاً" إلى فكرة مشردة ." .

وفى المؤتمر الصحـفى الذى عقده كليـنتون عقب الزيارة ، قـال كلينتون ، لضيـفه النجم اللامع فى سماء واشنطن (نتنياهو) :

"إننى أفـهم أنك مقـيـد بالبـرنامج الذى تقـدمت علـى أسـاسـه للناخب الإسـرائيلى ، وأعـرف أن الأمور تحـتـاج من الأطراف أن تتـأقلم الآن على أوضاع جديدة فى دفع مسيرة السلام" .

لكن للأسف ، لم تسـتطع السيـاسة العـربية التـقاط مـا هدف إليه كليـنتـون ، بل فضلوا أن « **يتأقلموا**» بدلاً من أن "**يعوا**" وانتظر الشعب نتـائج القمة وقـراراتها والتى كان من ضمنها عـقد قمة عربية فى دمشق فى غـضون عام أو بعد عام لتقيـيم اختبار عمليـة السلام فى ظل وجود قـيادة جديدة لإسـرائيل على رأسها شـاب يحمل الدم الجديد للجيـل الجديد القادم من الأسطورة الصهـيونية ، ويبدو ... أننا سننتظر كـثيراً حتى يأتى العام القادم بعد عام 1996 ! !

أو أن السيـاسة العربيـة والساسة العرب ، مـا زالوا حتى الآن لم يعرفـوا بعد ، إن كان نتنيـاهو سوف يرضى عنهم ويـعطيهم 13 ٪ أو 15 ٪ من أرض الضفة الـغربية أم لا ؟ !

وللأسف مـازال أيضاً تفكيـر العرب فى شـخصـية نتنيـاهو ، وليس فى أسطورة الصهيونية ! !

لقد حدد نتنياهو (بصـراحة) فقط سياسة إسرائيل تجاه السلام ، وقـال إنها سياسة الردع .. وهذه ليـست سياسـة نتنياهو ! ، وقـال إنها سـياسة المؤسـسة الصـهيـونية ، سياسة إسرائيل كلها ، فما ذنب نتنياهو إن كان صريحاً معناً ؟ !

ويقول نتنياهو ، يبدو أن العرب لن يتراجـعوا عن المطالبة بالأرض مقابل السلام ،

وكـأنهم يضربون رؤوسـهم فى الحـائط ، وفى كل مـرة سواء كـانوا يريدون الأرض بالحرب أو يريـدونها بالسلام ينطـحون برؤوسهم الصـخر أو الحـائط دون جدوى ، الدماء تسـيل .. دون جدوى ، ... **وأخيـراً ضرب لهم مثـلاً لعلهم يعقلون** ، وانظر إلى التفكيـر الصهيونى حـتى فى أمثالهم ، لقـد أتى بقصة من أستـاذه الصهيونى الكبـير «مـاكس نوردو» زمـيل وصديـق هرتزل ، وفيلـسوف وأديب الحـركـة الصـهيـونيـة السياسية الجديدة وقال نتنياهو للعرب يعظهم لعلهم يتذكرون أويعقلون :

"لقد وصف ، ماكس نوردو فى أحد مؤلفاته ، تجـربة مشهورة أجراها العالم الألمانى «كـارل أوغـست مـبـيـوس» لمعـرفة نظام العـلاقـات بين المفتـرس والفـريسة ، وقـد أجـريت التجـربة على نوعين من الـسـمك جـرى تقـسيم حـوض ماء إلى قـسـمين بواسطة حـاجـز زجاجى . ثم وضـعت فى أحـد الأقـسـام سمكة من نوع كـراكى ، ووضعت فى القـسم الثانى : سـمكة من نوع، "الشبوط" ، ومنذ اللحظة التى شاهدت فـيها سمكة «الكراكى» سمكة «الشـبوط» سـارعت بالهـجوم عليـها حـيث لم تر الحـاجز الزجـاجى ، لذا أصطدمت به بقوة أعادتها إلى الوراء ، مندهشة ، وخرطومها مجروح ينزف دماً ... وكـررت السمكة هجـومها عـدة مرات ، لكنها لم تـنجح سوى فى إلحاق الضرر برأسها وفمها .

وشيئاً فشيئاً بدأت سمكة الكراكى المفترسة تدرك أن قوة خفية وغير معروفة تحمى سمكة الشبوط (الفريسة) وإن كل مـحاولاتها لافتراسها ذهبت هباء . ومنذ تلك اللحظة فـصـاعدا توقف المـفتـرس عن كل مـحاولاته لاصطيـاد الفـريسـة ، عندئذ تم إخـراج الفـاصـل الزجـاجى من حـوض الماء وبدأت سمكتا الكراكى والـشبوط (الصياد والفـريسة) تسبحان مـعاً جنباً إلى جنب ... وأن كل مـا عرفـتـه سمـكة الكراكى هو أنه مـحظور عليـها مـهـاجمـة الشبوط، لان مصيرها سيكون مريراً وسيئاً .

وهذه الحقـيقة الأسـاسـية تنطبق على بنى البشـر ، وهذا هو بالضبط الإدراك الذى بدأ بتعمق شيئاً فشيئاً لدى الأنظمة العربية ، حتى أكثرها تطرفاً بالنسبة

لإسرائيل ، ولكن لا يزال من السابق لأوانه القول إن حقيقة وجود إسرائيل أصبحت مترسخة فى الوعى العربى ، لأنه إذا ما أزيل فجأة الحاجز الدفاعى الواقى لإسرائيل ، ستعود لتصبح فوراً هدفاً للمفترسين المهاجمين ،هذا الحاجز ، نظام الدفاع الإسرائيلى ، يتألف من عدة أسس هامة هى :

الموارد البشرية والطبيعة المتوفرة لدى دولة إسرائيل ، الثروات النفسانية والمادية التى تحميها ، والحاجز الطبيعى الذى يفصل بين إسرائيل وبين الجيوش الضخمة فى الجبهة الشرقية ، هذا الحاجز هو الجدار الواقى للدولة، السور العالى المتمثل بجبال الضفة الغربية وهضبة الجولان" .

ولم يقف نتنياهو عند تحديد قوة أوقدرة إسرائيل بالعوامل المادية التى ذكرها بل أضاف :

"اليوم ، يجب أن نسعى أكثر من أى وقت مضى ، نحو تحقيق هذا الهدف الصهيونى ، لذا يجب علينا عدم إضعاف الفكرة الصهيونية ، بل تقويتها فى المجالات الثقافية والسياسية والعسكرية والاقتصادية ، لكى نستطيع تحقيق الامكانيات الكبيرة المتاحة لها" .

ولكى نعى الدرس ، ونفكر بطريقة الاستراتيجية ، لا بطريقة السلطة ، وحتى لا نضرب رأسنا فى الحائط ، فاقدين القدرة على التمييز ، متجاهلين إمكانيات العدو وقدرته وقوته فإننا نجرى دراسة سريعة لقدرة الصهيونية وقدرة العرب .

القـــوة

"إن السلام الحقيقى والدائم يجب أن يدعمه ويحميه إخلاء منطقة الشرق الأوسط من جميع أسلحة الدمار الشامل"

حسنى مبارك

لقد حدد نتنياهو (استراتيجية إسرائيل) قوة إسرائيل وقدرتها على تكسير أنف الأمة العربية ، فى أى صراع عربى - إسرائيلى تحاول فيه الدول العربية استعادة أرضها المسلوبة ، وإلى حد ما ، فإن الخمسين سنة الماضية بإيجابياتها وسلبياتها هى فى النهاية محصلة نتيجتها أن قوة إسرائيل استطاعت أن تكسر أو تتغلب على قوة العرب ، ويعتمد السيد نتنياهو (إسرائيل) على فرضيات قد تكون خطأ أكثر منها حقيقة ، عندما توهم أو اعتقد أن الأمة العربية ستظل تضرب رأسها فى الحائط دون تفكير ، تاركة الصهيونية تبنى نفسها مستغلة كل إمكانيات الدول العربية فى بناء قوتها ، وللأمانة ، فإن الأمة العربية لو استمرت فى نهجها (سياسة السلطة) ولم تصل إلى (سياسة الاستراتيجية) فى بداية القرن القادم ، فإن أفكار أو رؤية نتنياهو (إسرائيل) ستظل صحيحة ، وتقدير إسرائيل يبقى هو التقدير المعبر عن حالة الأمة العربية ، لذا فإننا سنحاول فى هذا الجزء تسليط الضوء على قوة إسرائيل مقابل قوة العرب وسنحاول شرح بعض الأمثلة التى يمكن أن يلعب الصراع العربى - الإسرائيلى فيها شوطاً كبيراً - أى توازن القوى بين العرب وإسرائيل فى بداية القرن (21) أو مستقبل الصراع العربى - الإسرائيلى .

وهل ستنجح إسرائيل فى القرن القادم ؟! أو على الأقل فى الخمسين عاماً القادمة، كما نجحت فى الخمسين عاماً الماضية ؟

على إجابة هذه التساؤلات يتحدد مصير مستقبل الصراع العربى - الإسرائيلى ، ولأن نجاح الصهيونية أو فشلها يعتمد على توازن القوى ، فإننا كما شرحنا فى الفصل السابق معنى القوة والتى حددناها كالآتى :

أ - قوة مادية ، ب - قوة معنوية

أ - القوة المادية :

1 - القدرة الاقتصادية

2 - القدرة العسكرية

3 - القدرة الحيوية

ب - القوة المعنوية :

1 - الهدف الاستراتيجى

2 - الإرادة القومية

وسوف نختار بعض الجوانب من القدرة المادية والمعنوية فى الصراع العربى - الإسرائيلى ومستقبله .

ومن الأمثلة الهامة أو العناصر الهامة لتوازن القوى أو مستقبل الصراع العربى - الإسرائيلى نختار طبقاً للأهمية :

1 - القدرة العسكرية خاصة أسلحة الدمار الشامل

(السلاح النووى - الكيميائى - الجرثومى)

القدرة الاقتصادية وسنأخذ منها مثالاً حيوياً سنيشأ من أجله الصراع العربى - الإسرائيلى فى القرن القادم على الأقل وهو الموارد المائية .

وسنعرج على الجانب المعنوى لنختار بعض من الهدف الاستراتيجى والإرادة القومية ، حيث أن هذه عوامل واضحة على جانبى الصراع .

السلاح النووى الإسرائيلى

منذ أن جرت أول مقابلة أو مواجهة بين بن جوريون والرئيس الأمريكى الجديد فى ذلك الوقت "جون كيندى" ودار الحديث الكاذب من بن جوريون عن مفاعل ديمونة كما وصفه كيندى الذى قال : "لا أصدق حديث بن جوريون" ومنذ أن وصلت الوثيقة الرسمية (التقرير) رقم (472 / أ) فى 9 - 4 - 1965 (راجع الفصل السابق) من السفارة الأمريكية بإسرائيل إلى الخارجية الأمريكية ومجلس الأمن القومى الأمريكى ، شارحة البرنامج النووى بالتفصيل لمفاعل ديمونة وغيره ، فإن إسرائيل كانت فى خطتها إنتاج السلاح النووى فى عام 1968 حسب تقرير المخابرات الأمريكية ، فإن المخابرات أشارت أيضاً إلى عزم مصر / عبد الناصر على بناء مفاعل نووى قوته 150 ميجاوات ، أى أنه قادر على إنتاج القنابل النووية - وكان كما ذكرنا أن ضُربت مصر فى 1967 لمنعها فى التقدم فى هذا البرنامج، كما تم ضرب المفاعل النووى فى العراق بغارة إسرائيلية يوم 7 / 6 / 1981 ، ثم كانت حرب الخليج لتتأكد إسرائيل تماماً من تدمير حتى العقول البشرية لعلماء العراق ولأجيال العراق فى أكبر عمل إجرامى لم تقترفه أى نازية أو فاشية ضد شعب بكامله تحت سمع وبصر كل العالم المتحضر، كما يسمونه ، وتحت بصر كل الشعب العربى المغلوب على أمره - وأصبح العراق شعباً وأرضاً " خلف القرن العشرين ".

وتأكيداً على امتلاك إسرائيل للسلاح النووى ، وإنتاجها المستمر طيلة السنوات السابقة لضرب المفاعل النووى العراقى ، فى المؤتمر الصحفى الذى عقده "ديان"وزير الدفاع الإسرائيلى الأسبق فى باريس 19 / 3/ 1976 وأعلن فيه عن امتلاك إسرائيل للأسلحة النووية ثم فى محاضرة إلقاها " ديان" فى باريس أيضا فى29 / 3/ 76 وفى مقابلة لديان مع صحيفة هآرتس الإسرائيلية 22 / 8/ 1980 قال :

> " لا أريد أن ادخل فى آية تفاصيل هنا . إن مفهوم النوعية يكفينى ، وهو حقاً مفهوم منوع يتروح من الأسلحة النووية إلى الأسلحة الإلكترونية والأسلحة التقليدية ".

ورأى " ديان " أن إسرائيل لا تستطيع أن تصمد فى المنافسة فى مجال الأسلحة التقليدية مع الدول العربية التى تمتلك عشرات الملايين من العرب والموراد المالية والاقتصادية الضخمة ، واستنتج ديان الحل وهو الخيار النووى الذى لا بديل عنه لإنقاذ حياة إسرائيل .

أما القدرات النووية لإسرائيل فى الستينيات وأوائل السبعينيات كما قدرها كوستر :

المصدر : George H.Quester"Israel and the Nuclear Non- Protiferation treaty "Bulletin of the Atomic Scientists (Chicago) Vol.xxv (June, 1969) p.9

" لقد قدرت كمية البلوتونيوم المنتجة سنويا فى مفاعل ديمونة بثمانية إلى عشرة كليو جرامات من البلوتونيوم المحتوى على 70٪ من النظير المشع بلوتونيوم 239 القابل للانشطار، بافتراض عدم زيادة الطاقة الإنتاجية الأصلية لهذا المفاعل . وعلى هذا الأساس يمكن أن يكون قد أنتج أثناء الفترة الواقعة ما بين 1963 ، 1980 ما يقرب من 100 كجم بافتراض تشغيل المفاعل من 6-8 أشهر فقط فى السنة .

وهذه الكمية بعد إعادة معالجتها تقارب الكمية اللازمة لإنتاج قنبلة نووية واحدة من حجم عشرين كيلو طن .

وفى دائرة الهندسة النووية لزيادة مصادر المعادن المشعة القابلة للانشطار ، فإن الدائرة الهندسية التابعة لجامعة بن جوريون توصلت إلى استحداث وقود نووى يتألف من خليط من اليورانيوم والثوريوم ، وباستخلاص ذلك الوقود يتم إنتاج النظير اليورانيوم 233 القابل للانشطار بدلاً من البلوتونيوم.

المصدر : Innovation (Haifa) , English Eddition, No,103,June (1983)p.2

كما أفادت تقارير كثيرة موثوق بها أيضا بأن إسرائيل قد حصلت على كميات من اليورانيوم المستخدم فى إنتاج الأسلحة النووية بطرق ملتوية ، تقول المصادر أن كمية كبيرة من اليورانيوم المخصب الجاهز لإنتاج القنابل النووية قد اختفت من منشأة

أبولو الواقعة في ولاية بـن سلفانيا الامريكية فى ظروف تشكـل أسا ساً للشك في مشاركة إدارة تلك المنشأة في مؤامرة مع السلطات الحكومية والمخابرات الإسرائيلية .

المصـدر : Elaine Davenport, Paul Eddy,
Peter Gillman , the plumbate Affaire
philadelphia lippincott, (1978)

وفى أبريل 1977 أتهم " بول ل.ليفيتال " الذى كان من الموظفين المساعدين التابعين للجنه عمليات الحكومـة التابعة لمجلس نواب الولايات المتحدة ، بأن كـمية (200) طن من ركاز اليوارنيوم قد اختفت من سفينة، وبأنه من المؤكد أنها سُلِّمتْ إلى إسرائيل .

المصدر : New york Times, January, 27, (1978)

وتقدر كمـيات اليورانيوم المنتجـة من إسرائيل نفسها ، وذلك من خـلال صحراء النقب التى يقع فيهـا مفاعل ديمونة والتى بها كمـيات كبيرة من الفوسـفات ، ووفقا لتـقديـرات الدكتـور شـمعـون يفـتـاح أن تقديـر الكمية من اليـورانيـوم التى يمكن استخراجها من إسرائيل يبلغ 50 إلى 60 طنا سنوياً " حيث قال :

"هذه الكميـة يمكن أن توفـر الوقـود لثـلاث مفـاعـلات نووية ، إذا خـزن اليورانيوم من الآن فصاعدا " .

المصـــدر : Simha Flapan,(Israel Atti-
tude twards the NPT) p.273)

ووفقاً للتقارير الصادرة فى سنة 1980 أن طاقـة الإنتاج لمفاعـــل ديمونة وهو من طـــراز (I.R.R.2) المناسب لإجـراء البحـوث التجريـبية لعلمـية إنتاج البلوتونيوم من الفئـة القابلة للانشطار قد زيدت من 24 ميجاوات إلى 70 ميجاوات.

المصدر Palit and Namboodiri, op,cit. p.148

كمـا ورد فى شهـادة الفنى النووى الإسـرائيلى "مردخـاى فانونو " أنه تم توسـيع مفـاعل ديمونة وأنه يعمل الآن بطاقـة قدرها 150 ميـجاوات لاستـخلاص كمـية من البلوتونيوم معدلها 40 كجم سنوياً وهى كمية تكفى لانتاج عشر قنابل نووية ، ويقوم

نظام للتبريد بإخفاء الكمية المنتجة .

المصدر : Revealed :"the Secrets of Esrael : " Nuclear Arsenal " Sunday times (london) october,5,1986

وفى محاضـرات هامة جدا ألقاهـا اللواء " مناحم عينان " رئيس شعبـة التخطيط فى هيئة الأركان العامة للجـيش الإسرائيلى ، و قد ألقى هذه المحاضرة فى ندوة لمجلة (معراخوت) تحت عنوان " النوعية والكمية "

المصدر : يهوى شفاط هركافى - فى الكمية والنوعية فى الاستراتيجية الإسـرائيلية - الجزء الثانى الناشر : وكالة المنار لـلصحافـة والنشر المحدودة نـيقوسـيا / قبرص الطبعة الأولى (1987) ص 242 : 256

تحدث رئيس شعبة التخطيط (لاحظ فى هذا التاريخ أن نتيانياهو لم يكن قد وصل إلى رئاسة وزراء اسرائيل) عن استـراتيجية إسرائيل فى الحاجـة الملحة إلى نوعية إزاء قيود الكمـية ، فأكد أن السـياسة الإسرائيليـة تقوم على أساس الردع لتحـقيق السلام (سـلام الردع الذى يؤكده نـيتناهو) ، وعليـه اعـتبـره القـادة العرب ارهـابياً وخطيـراً وخارجاً عن تفكير إسرائيل ولم يقتنعوا أو يعوا أن هذه هى استراتيجية إسرائيل سواء كان على رأسها نتياتياهو أو غيره ، فالاستراتيجية شىء ، والعواطف والصداقات بين بعض القـادة العرب وبيـريز شىء آخر ، وحـسبى أن سـياسـة أو تكتيك بيـريز أفظع وأخطر من نتيناهو - فبيـريز ينفذ سياسة الردع الإسرائيلية بتـكتيك خطير يوافق عليه العرب ويقيمون معه "سوق شرق أوسطية" لتـقوية هذه السياسة ، أما نتيناهو فتكتيكه منعدم إذ يقوم على الهـجومية التى مردها ثورة الشباب والإعـجاب بالقوة ، وأن على العرب (من رأيه) أن يمتثلوا إلى ما تريده إسرائيل بالقوة عاجلاً أو أجلاً .

وعودة إلـى محـاضرة رئيس شـعبـة التخطيط الذى يؤكـد على الردع - الإنذار المبكر - ضـمان القـدرة على الحـسم (نفس مـا أعلنه بنيامين تمـاما) ثم يؤكـد على الاستراتيجية النووية لإسرائيل من أجل السلام مؤكداً " على امتلاك إسرائيل للسلاح النووى وذلك لطبيـعة أرضها وجيـشها .. الخ حيث أن كل العوامـل ضدها ، وعليه ولأجل السلام لا بد من الخيار النووى أو الردع النووى .

وأشار الكتاب السنوى لسنة 1972 الصادر عن معهد ستوكهولم الدولى لدراسة شؤون السلم إلى أن دوائر الاستخبارات التابعة للولايات المتحدة مقتنعة بإن اسرائيل صنعت بالفعل تسع قنابل نووية .

المصدر : SIRRI Stockholm,1972

وفى تقرير مؤرخ فى ستبمبر 1974وصادر عن وكالة الاستخبارات المركزية التابعة للولايات المتحدة ، أعربت الوكالة عن اعتقادها بأن إسرائيل أنتجت بالفعل قنابل نووية .

المصدر · Weissman And Krosney, op.
Cit., P.108

وأشار الأستاذ ردوبرت هآر كافى وهو إسرائيلى إلى أن من الجلى أن إسرائيل قد أنتجت أسلحة نووية .

المصدر : Harcavy, op. Cit.,

وورد فى صحيفة ' صاندى تايمز ' أن الفريق العلمى التابع لهذه الصحيفة اللندنية اتصل بخبراء القنابل النووية للتحقق من صحة شهادة ' فانونو '(التى أوردناها سابقا) لأن هذه الشهادة لا تبين أن إسرائيل تمتلك القنابل النووية فحسب، ولكنها تبين أيضا أنها أصبحت دولة نووية كبرى.

المصدر : سبق ذكره تحت شهادة ' فانونو '

ووردت فى تلك الصحيفة أن شهادة فانونو ، والصور التى وفرها والتى تفحّصها الخبراء النوويون فى كل من أمريكا وأوروبا تبين أن إسرائيل استحدثت الطرق المتطورة والبالغة السرية واللازمة لبناء ترسانة هائلة من القنابل النووية ، وهى تؤكد على أن إسرئيل سادس أقوى دولة نووية فى العالم بعد الولايات المتحدة وروسيا والصين وبريطانيا وفرنسا .

المصدر: نفس المصدر السابق بخصوص شهادة "فافونو"

إن العلماء النوويين الذين استشارتهم صحيفة صاندى تايمز فيما يتعلق بصحة شهادة فانونو على اقتناع بصحة هذه الشهادة ، ووفقاً للحسابات التى اجروها تم تركيب ما يترواح بين مائة ومائتى قنبلة نووية ذات قوة تدميرية مختلفة – وذلك عشرة أضعاف القوة المقدرة سابقا لترسانة إسرائيل النووية .

نفس المصدر السابق

ويقول العالم الكبير " ثيودور تيلر " أحد أهم وأكفأ خبراء العالم فى مجال الأسلحة النووية تمرساً " والذى كان يعتبر التلميذ النابغة للأستاذ العالم " روبرت أوبنهايمر " أبو القنبلة الذرية ، وعمل العالم الكبير " تيلر " على التصميم الأول للقنبلة النووية ، ثم ترأس برنامج وزارة الدفاع الأمريكية لتجريب الأسلحة النووية فى شهادته التى أدلى بها فى اكتوبر 1986 بعد فحصه للصور التى التقطها فانونو :

"ينبغى أن لا يكون هناك أى شك فى أن إسرائيل وطيلة عقد على الأقل دولة حائزة بالكامل للأسلحة النووية ، وبرنامج الأسلحة النووية الإسرائيلية أكثر تقدماً بكثير مما يبينه أى تقرير سابق " .

وأضاف تيلر :

" إن شهادة فانونو متسقة اتساقاً تاماً مع قدرة إسرائيل على إنتاج عشر قنابل نووية سنوياً ، وأنه مما ينطوى على المغزى الهام أنها أصغر وأخف وأكثر فاعلية من الأنماط الأولى من الأسلحة التى استحدثتها الدول الخمس العظمى الحائزة للأسلحة النووية " .

المصدر : المرجع السابق فى شهادة فانونو

وقال أيضا الدكتور " فرانك بارنابى " وهو عالم من العلماء الكبار فى المجال الفيزيائى النووى وكان يعمل فى مؤسسة بحوث للأسلحة النووية فى " بيركشير " ، وقد تقاعد مؤخراً بوصفه مديرا " للمعهد السويدى لبحوث السلام الذى يقوم برصد الانتشار النووى ، فى شهادته على الصور التى التقطها " فانونو" :

" بوصفى فيزيائيا نووياً كان من الواضح لى أن التفاصيل والصور التى اطلعت عليها كانت دقيقة " علمياً " واظهرت بجلاء أنه لم يؤد هذه العمليات فحسب ، ولكن فانونو عرف أيضا تفاصيل الطرق ، وأيضا معدلات التدفق فى المصنع التى يوردها تؤكد على وجه الدقة كميات البلوتونيوم المنتجة " .

المصدر : المرجع السابق

وفى 16/ 3/ 1976 أفادت صحيفة " نيوريورك تايمز " بأن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية قدرت أن لدى إسرائيل عشر إلى عشرين قنبلة نووية متاحة للاستعمال ، وفى 12/ 4/ 1976 ورد فى خبر نشر فى " التايم " أن إسرئيل تمتلك ترسانة نووية من (13) قنبلة نووية مركبة ومخزونة ومعدّة للألقاء على قوى العدو (العرب) من طائرات كفير وفانتوم المقاتلة المجهزة تجهيزاً خاصاً أو من قذائف أريحا.

وفى 1976 ورد فى المجلة العسكرية الشهرية شبه الرسمة "فيهر تكنيك" الصادرة فى المانيا أن:

" ما كان حتى الآن يعتبر فى أحوال كثيرة تخميناً صرفاً ثبت فى النهاية أنه حقيقة لا سبيل إلى إنكارها :

تمتلك إسرائيل القنبلة النووية ، وبدقة أكثر (13) قنبلة نووية ، ولكل واحدة منها قوة تفجيرية ذات 20 كيلو طناً وهى تساوى قنبلة هيروشيما " .

ووفقاً " لصحيفة " واشنطن بوست " الصادرة فى 22/ 2/ 1980 نقلت محطة (CBS) خبرا مفاده أنها حصلت على مضامين رئيسية واردة فى كتاب كان سينشره بالعبرية صحافيان اسرائيليان هما : ايلى تايخر وعامى دور أون – وورد فيه أن إسرائيل ما فتئت منذ عشر سنوات على الأقل تصنع قنابل نووية ، ووفقاً لنفس المصدر ذكرت محطة (CBS) أنه يرد فى الكتاب :

" أن إسرائيل لديها ترسانة تضم عدة عشرات من القنابل النووية وبضع قنابل هيدروجينية "

وفى تقارير لوكالة المخابرات الأمريكية ذكر فى كتاب ' دقيقتان فوق بغداد ' .

' أن لدى إسرائيل ترسانة من 200 رأس حربى نووى ، وأن الكثير من هذه الرؤوس تكتيكية لها قوة تفجيرية لا تقل عن عشرين ألف طن ، وأن إسرائيل تستطيع أن توصلها إلى أهدافها عن طريق القذائف والطائرات والمدافع من عيار 155 ملم .

المصدر : Perimutter, Handel , Barjoseph
Op.cit. P.50

إن هذا الرعب النووى الذى وصلت إليه الترسانة النووية الصهيونية فى مدة خمسين عاماً منذ أن قام فريق بدعوة من بن جوريون فى عمل صناعة الأسلحة غير التقليدية عام 1947 أى قبل قيام إسرائيل - فوصلت الآن إلى أكثر من 200 قنبلة نووية وهيدروجينية وصورايخ قاذفة ومحملة برؤوس نووية وموجهة إلى الأقطار العربية ، وهذا هو ما تسمعه من أخبار وتقارير مخابرات عالمية ، وما خفى كان أعظم .!!

وعلى هذا الجانب أو العامل المادى من صنع قوة الدولة نرى انتصاراً ونجاحاً كبيراً قد حققته الصهيونية فى هذا المجال وأن ميزان القوى النووية فى صالح الصهيونية مائة فى المائة ، ولكن ماذا يستطيع العرب أن يفعلوا ؟ !

فى مجال التفوق النووى الإسرائيلى ، وبملاحظة سريعة ، وفى عام 1977 لاحظ " ستيفن روزين "أن أحد مظاهر الفجوة فى مجال العلم والتقنية بين العرب وإسرائيل فقال:

فى عام 1975 كان لإسرائيل 2850 عالماً ' يقوم بالنشر العلمى مقارنة بمجموع 1192 عالماً فى جميع الدول العربية أى بنسبة (4.2 : 1) .

المصدر : Seven,J.Rosen,"Astable system of Nautral Nuclear Deferrence in the Arab-Israel Conflict" American pollti-cal Science Review,December,(1977) vol. Lxxi No4)

ويرى البعض أن ' الفجوة ' النوعية فى التقنية والعلم والصناعات المعقدة ووسائط الاتصال والتعليم زادت على نطاق واسع (بين العرب وإسرائيل وفى

صالح إسرائيل) يبعث على الانذهال فى صالح إسرائيل

المصدر Flapan,op,cit,p.284

كما أن الموارد العربية وهى كبيرة ، وبقدر ما هى مبعثرة ، إلا أنها تستطيع أن تقلل الفجوة بين العرب وإسرائيل فى هذا المجال ، وعلى سبيل المثال :

1- أن تفكير مصر فى الستينيات فى إقامة للصناعات النووية ودخول عصر الذرة، ولو أن ما ذكرته وكالة المخابرات المركزية الأمريكية عن عزم مصر بناء مفاعل قرب الاسكندرية قوته 150 ميجاوات كان صحيحا * ، ولو لم تضرب مصر فى عام 1967 لهذا السبب وغيره من أسباب ، لكانت مصر الآن متفوقة إن لم تكن متعادلة مع قوة اسرائيل النووية .

2- أن ضرب المفاعل النووى العراقى عام 1981 ، يؤكد أيضا على أن العرب لديهم القدرة وهى فى حالة مبعثرة وسلطوية على الدخول فى هذا المجال النووى لوقف الردع الإسرائيلى .

3- أن قدرة الأمة العربية ستبقى فى ظل القطب الواحد وما يسمى بالنظام العالمى الجديد فى توجهها نحو الاتجاه النووى قليلة ما لم تكن معدومة ، وهذا يحتم على الدول العربية التفكير بطريقة مختلفة ، مردها أنه مهما بلغت قدرة كل دولة عربية على حدة (مثل العراق) فإنه من السهل تدميرها من القطب الواحد (الاستراتيجية - والأسطورة) ، لذا فان وحدة الأمة العربية تصبح ضرورة أكيدة لبقائها وعدم إذلالها - على الأقل التوجه باستراتيجية علمية نحو بناء قوة نووية من أجل السلام فى المنطقة .

4- لكى نقاوم سلام الردع الذى يذل الأمة العربية بدون أن يدرى حكامها الذين يقابلون سلام الردع بسلام الشجعان ، ولا ندرى عن أى شجاعة - لكى نقاوم التخلف والفروسية الشخصية المعبرة عن تفكيرنا واستبداله بتفكير علمى استراتيجى نحمى به أنفسنا من سلام الردع لنقيم ونصنع به سلام

العدل والحق على العرب جميعا أن يتبنوا وبسرعة توحيد جهدهم العلمى فى لجنة عربية واحدة للطاقة الذرية ولديهم كل الإمكانيات .

5- أن العمل المنظم والذى يبدو من تشكيل لجان أو هيئات عربية ، لا بد أن يقابله وحدة عربية شاملة وبسرعة قد تكون فرصة عظيمة ، لإنقاذ كرامة ، الحكام والشعب ، والأمة ، قبل أن يذلهم سلام الردع الذى يلوح به نتنياهو أو تلوح به الاستراتيجية الصهيونية .

إن الحل بقدر ما هو سهل .. فإن صعوبته تبدو كبيرة، و أن هذه الصعوبة تأتى من بعض الحكام العرب والسياسة العربية المعتمدة فقط على سياسة السلطة والمتأثرة بالمؤمرات الغربية والأسطورة الصهيونية التى لا تهدأ إلا ببذر الفتن والدسائس بين الحكام العرب .

إن المستقبل لن يرحم هذه العقليات ولن يغفر لها تهاونها فى التفريط عمداً أو بجهل فى هدف الأمة العربية الإستراتيجى والذى يتمثل فى عودة أرضها لإصحابها وأن تجد شعوبها المكان اللائق بها تحت سمائها فى حرية وسلام وليس سلام الردع والذل والهزيمة ، سلام وليس استسلاماً يا قادة الأمة ■

الفصل الثالث عشر

سلاح المياه فى الصراع العربى الإسرائيلى

"إن القرن القادم سيشهد صراعاً خطيراً
على المياه حيث سينتهي الصراع على
النفط الذي كان سمة القرن الحالي ليحل
محله الصراع على الماء"

معمر القذافي

حــرب الميــــــاه

يقول الدكتور جمال حمدان :

" لأن مصر تعتبر دولة المصب بالنسبة لحوض النيل ، فإنها عادت تكون أكثر الدول تأثراً بموجات الجـفاف ، ولولا ما أقـامته مـصر من مشــروعات على النيل عبر تاريـخها كان أهمهـا " السد العالى " لكانت الحالة بهـا أسوأ منها من أى مكان آخر ، ولعلنا نـسترجع التاريخ الحـديث مثلا : نسـوقه فى هذا المجال حيث تكررت موجـات الجفاف لسبع سنوات متتاليـة ، خلال العصر الفاطمى ، وما عرف حينئـذ باسم " الشدة المستنصرية " وأدى ذلك إلى عدم وجود مواد غذائية ، ولجوء السكان لأكل لحوم القطط والكلاب وأكل لحوم البـشر أحيـانا ، وتدهورت الحـالة الاجتـماعـية وزدات الجريمـة والأمراض القاتلة ، وفى النهاية أدت إلى سقوط الدولة بالكامل ".

المصدر : د. جمال حمدان ، شخصية مصر ،. دراسة فى عـبقريـة المكان (القاهرة ، عـالم الكتب) للمجلد الثانى (1981) ص 905 : 906

تعتبر منطقة الشرق الأوسط أو الوطن العربى الواقع جنوب المتوسط من المناطق الفقـيرة بمصادر المياه ، فـغير نهـر النيل الذى يعتبر أكـبر الأنهار فى هذه المنطقـة يليه أنهــار دجلة والفـرات والعـــاصى والليطـانى ونهـر الأدرن (بدون ترتـيب) وبعض

البحيرات والعيون والآبار ،كانت على سبيل المثال لا تكفى سكان هذه المنطقة في يوم من الأيام وحيث أن وادى النيل يعتبر من الأجزاء الغنية فى الوطن العربى تمتعاً بالمياه ، إلا أننا منذ القدم لاحظنا تعرض هذا الجزء الغنى نسبياً بالمياه إلى جفاف مثلما حدث فى العصور القديمة لمصر الفرعونية ، وقد أنبأنا بها القرآن الكريم فى قصة يوسف " سورة يوسف " ، ثم ما أخبرنا به د. جمال حمدان فى وصف تاريخ مصر ، حتى العصر الحديث الذى عايشناه . ففى الفترة من 1978 حتى 1985 تعرضت دول النيل إلى فترة جفاف جعلت دول أعالى ومنبع النيل تفعل كما فعلت مصر فى نهاية العهد الفاطمى ، ولولا " السد العالى " لحدث فى العصر الحديث أكثر مما حدث فى العصر الماضى .

ولأن كمية المياه ومصادرها محدودة ، وربما تقل ، فإنه فى الجانب الآخر نجد أن عدد السكان فى زيادة مستمرة ، مما يصعب معه الوفاء باحتياجات المياه لكل سكان هذه المنطقة ، وكان من أهم المحرضين والمنبهين لهذه المشكلة العقيد معمر القذافى الذى فاجأ الشعب العربى بهذه الحقيقة ، وقال لهم انتبهوا أن الحروب القادمة فى العالم ستقوم من أجل الصراع على المياه بدلا من الصراع على النفط ، ولذا لاحظنا اهتمام القذافى بهذه المشكلة اهتماماً كبيرا على مستوى ليبيا وذلك بإقامة أحد معجزات القرن العشرين وهو " النهر الصناعى العظيم "

كما أننا إذا نظرنا إلى الموقف فى مصر، وهى تعتبر من الدول الغنية بالمياه فى المنطقة نسبياً ، فإننا نرى عام 2000 سيصل تعداد السكان إلى 70 مليون نسمة حيث تمثل مياه النيل بالنسبة إلى الموارد المائية ل 70 مليون نسمة ٪ 97 من إجمالى الموارد المائية لمصر ، ولكى تحافظ مصر على نصيب الفرد من المياه ، فإنها ستكون فى حاجة إلى نحو 77 مليار متر مكعب بعجز22 مليار متر مكعب ، ومهما اتخذ من إجراءات بشأن إعادة الاستخدام ، أو تخفيض معدلات الاستهلاك ، فإن ذلك لن يكون كافياً على الإطلاق لتحقيق أدنى احتياج للسكان ، خاصة لو أخذنا فى الاعتبار موجات الجفاف المتكررة والتى تؤثر على

الموقف المائى المصرى بصورة كبيرة ، كما ذكرنا سابقا.

هذه هى الصورة المبسطة للوضع المائى فى مصر ، ونأمل أن نحتفظ بها فى الذاكرة للعودة اليها فيما بعد .

المصدر : فتحى على حسن : المياه وأوراق اللعبة السياسية فى الشرق الأوسط / مكتبة مدبولى (1997) ص 13

وبالرجوع إلى الأساطير الصهيونية الدينية والسياسية فقد وضع الصهاينة الماء على رأس الأسطورة وفى عمق جوهرها ، أو دارت فكرة الأسطورة حول الماء أو بمعنى آخر انطلقت فكرة الأسطورة من الماء بجانب الأرض "**أعطى لنسلك هذه الأرض من النهر الكبير إلى نهر النيل**" ، وكان علم اسرائيل أيضا يعبر عن الماء فاللون الأزرق الذى يميز العلمّ بخطين متوازيين بينهما نجمة .. داود يدلان على الماء (نهر النيل والفرات) .

وأصبح شعار إسرائيل "**أرضك يا اسرائيل من الفرات إلى النيل**" ، معنى ذلك أن اسرائيل حددت هدفها القومى المحدد بين نهرى النيل والفرات .

لذا نجد ثيودور هرتزل الناطق الرسمى باسم الحركة الصهيونية السياسية الاستعمارية الجديدة فى روايته " الأرض الجديدة .. الأرض القديمة " يصف مستقبل المجتمع اليهودى الذى سيقوم على استيطان فلسطين واستعمارها على النحو التالى :

" إن المؤسسين الحقيقين للأرض الجديدة - القديمة هم مهندسو الماء . فعليهم يعتمد كل شىء ، من تجفيف المستنقعات إلى رى المساحات المجدبة ، وإلى إنشاء معامل توليد الطاقة الكهربائية من الماء ".

المصدر : Arthur Ruppin,"The Agricultural Colonization of the Zionist Organisation in Palastine, london (1926)P.3

كما كتب اليهودى الأمريكى "هوراس ماير كالن" فى كتابه "الصهيونية والسياسة العالمية " بالحرف الواحد :

" إن اقتصاد فلسطين ، وعدد الناس الذين يمكنها إعالتها ، ومكانتها الثقافية

وتنظيمها الاجتماعى ، يجب أن تعتمد إلى حد بعيد على درجات التصنيع التى يمكنها تحقيقها ، والتصنيع يعتمد على الطاقة ، وفى فلسطين خلال المرحلة الحاضرة من السيطرة التقنية على الطاقة ، لا يمكن لهذه الطاقة إلا أن تنحصر بالطاقة المائية . فالطاقة المائية هى مسألة حدود ، والحدود الشمالية بنوع خاص .. أن مستقبل فلسطين بأكمله هو بأيدى الدولة التى تبسط سيطرتها على الليطانى واليرموك ومنابع الأردن "

المصدر : Horace Meyer Kallen . "Zionism and World Politics" A study in History and Social Pcychology,London (1921) p. 288-289.

هذا على الصعيد القومى أو الاستراتيجية العليا للصهيونية ، أما على الصعيد السياسى صعيد تنفيذ السياسة الاستراتيجية ، فقد تقدم الصهاينة بمذكرة رسمية إلى مؤتمر السلام بفرساى فى 3/ 2/ 1919 عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وتنفيذاً لوعد بلفور كما سبقت ووصفت الصهيونية أن هذه المذكرة تشمل أضيق وأقل شئ من الأرض التى تحتاجها اسرائيل لاقامة وطن قومى عليها ، وقد حدد الصهاينة حدود دولتهم المنشودة بالحدود التالية ، ولاحظ فيها حرص الصهاينة على أن تضمن الحدود أهم مصادر المياه فى منطقة الشام والاردن، وجاء فى المذكرة تحديد حدود الوطن القومى لليهود :

" خط يبدأ على البحر المتوسط ويقع جنوب ميناء صيدا مباشرة ، ويجرى باتجاه شمالى شرقى ، صاعداً ، سفوح جبل لبنان ليشمل القسم الأكبر من نهر الليطانى ومنطقة تجمع مياه نهر الأدرن باكملها حتى مصادره فى أقصى الشمال بالقرب من راشيا (لبنان) ومن هناك تجرى الحدود إلى قمة جبل الشيخ ، وتتجه شرقاً لتسير مع منطقة مجرى روافد اليرموك باتجاه سكة حديد الحجاز على مسافة 20 كم إلى الجنوب من دمشق . وعند هذه النقطة تسير الحدود جنوبا موازية لخط سكة حديد الحجاز ، وتسير إلى القرب منها مباشرة ، حتى تصل إلى خليج العقبة ، أما الحدود الجنوبية الغربية فتقرر

بمفاوضات مع الحكومة المصرية .

المصدر : د. حسن عبد القادر صالح :حرب المياه
بين العرب وإسرائيل مجلة شؤون عربية ،
العدد 55 (1988) ص60 .
نقلاً عن Sayegh.F.A.Zionist Coloniolist
in Palastine, Beirut, (1965) P82-83

مرة أخرى التفكير الصهيونى أو الاستراتيجية الصهيونية مقابل التفكير العربى أو السياسة الفردية .

الاستراتيجية والسلطة فى الصراع المائى

مما تقدم ، نجد أن الصهيونية السياسية عندما قررت بناء على أوامر الاستراتيجية الغربية فى تنفيذ المخطط أو الهدف بفصل شرق الوطن عن غربه ، وذلك باحتلال فلسطين لمنع تكوين الدولة العربية الكبرى التى كما ذكرنا بالفصيل من الممكن أن تهدد الاستراتيجية الدولية الغربية كما حدث عندما امتدت الدولة العربية إلى جنوب فرنسا ، لكن الأسطورة كان هدفها أكبر ، مستمدة أصول هذا الهدف من الأساطير الدينية وهى أن تكون أرض إسرائيل من الفرات إلى النيل .

واعتبرت السياسة الصهوينة أن هذا الهدف هو استراتيجتها العليا ، وبدأت تعمل من أجل تنفيذه بنجاح على أرض الواقع بداية من أول القرن العشرين حتى نهاية القرن العشرين (الوقت الحالى) .

وفى كل تقدم تحرزه السياسة الصهيونية ، يكون هناك جملة من الالتزامات أو ما يسمونه بالأمن القومى لإسرائيل وأهم عامل من عوامل الأمن القومى لأى دولة هو (الماء) .

وأصبحت سياسة إسرائيل واضحة ، كما أنها رادعة فى الصراع على المياه التى تحتاجها ، ونسى العرب الهدف الإستراتيجى للصهيونية ، أو حاولوا أن يتناسوه ، فعلى الرغم من وضوح أسلوب إسرائيل فى ضرورة حصولها على المياه ، وأن هذه

المياه هى المياه الموجودة بالمنطقة، وأن المنطقة هى الوطن العربى و (أنهاره - بحيراته - المياه الجوفية) بدأ العرب لا يعيرون أهمية هذا الهدف أو ذاك الصراع إلا عندما يحدث على أرض الواقع ويصحون فيجدون سيطرة أو سرقة إسرائيل المياه العربية ، فيبدأ العرب بالصياح والاستنكار والتهديد واللجوء إلى القانون والشرعية ، فى زمن أن القانون والشرعية لا يساوى شيئاً أمام غطرسة القوة المهيمنة على العالم والتى تمد إسرائيل بجزء منها ، ويصبح الأمر واقع الحال ، ويرضى العرب وتتعالى صيحات السلام أو الاستسلام ، ثم تبدأ فترة تالية ، يعود فيه الصهاينة إلى كسب أرض جديدة أو مياه جديدة ، ويعود العرب إلى الاستنكار والصياح ثم الحرب على أكبر افتراض وبعدها الهزيمة ثم السلام أو الاستسلام وهكذا ، وهكذا " فإن استمر الصراع العربى الإسرائيلى على هذه الوتيرة فإن سلاح المياه سيتحول نهائياً فى يد الصهيونية ويصبح سلاحاً أخطر من السلاح النووى على الأمة العربية وفى صالح إسرائيل .

فسياسة إسرائيل أو استراتيجية إسرائيل هى السيطرة على المياه العربية ومنابعها حتى خارج حدود الوطن العربى ويمكن بإلمامة سريعة سرد المطامع الصهيونية فى :

1 - السياسة الإسرائيلية أو الصراع العربى الاسرائيلى حول نهر الأردن .

2 - الصراع العربى - الإسرائيلى لنهر الليطانى (المياه اللبنانية)

3 - الصراع العربى - الإسرائيلى حول مياه الأرض المحتلة (فلسطين - هضبة الجولان - .. الخ)

4 - الصراع العربى - الإسرائيلى حول نهر النيل

5 - الصراع العربى - الإسرائيلى حول دجلة والفرات

وتعتمد هذه السياسة فى مجملها على تحقيق الهدف الاستراتيجى لإسرائيل .

مزيداً " من الأرض ، مزيداً من المهاجرين اليهود الجدد إلى أرض الميعاد - حاجة أرض الميعاد إلى مياه تكفى الأرض والبشر والنشاط الاقتصادى لهذه الإعداد المتزايدة .

أولا : نهر الأردن والمؤامرة الصهيونية :

لقد احتل نهر الأردن حيزاً كبيراً فى أحداث الصراع العربى الإسرائيلى ، ومن الممكن أن نقول إن محاولة الصهيونية لسرقة وتحويل مجرى هذا النهر كان من أسباب اجتماع أول قمة عربية بعد قمة أنشاص - المشتبه فيها - وعلى ضفاف نهر الأردن يمكن أن يحوى التاريخ كل مآسى الصراع العربى - الإسرائيلى أو كل تاريخ هزائم العرب المتكررة ، ونسافر إلى بداية المؤامرة .

فى عام 1938 تدارست الحركة الصهيونية طريقة الاستفادة من نهر الأردن وكيفية توصيل مياهه إلى صحراء النقب (لاحظ أن الخطط الصهوينة ترمى منذ فترة إلى احتلال النقب رغم الخطوط التى رسمها صناع هذه الحركة الصهيوينة (أمريكا - بريطانيا) .

وحولت مذكرة إلى الوكالة اليهودية لتنفيذها .

فى عام 1944 ذكر " لاودرميلك " وهو صهيونى أمريكى متخصص فى صيانة الموراد المائية ، فى كتابه الشهير **"فلسطين أرض الميعاد"** رسم خطة لاستقدام أربعة ملايين مهاجر يهودى جدد إلى فلسطين ، واقترح سحب المياه من نهر الأردن العلوى واليرموك والزرقاء لرى الغور على جانبى وادى الأردن ونقل المياه الفائضة المتوقعة فى أنابيب إلى صحراء النقب وقال لاودرميلك :

" وإذا وجد بعض العرب المتخلفين (فى نظره) **- أنهم لا يحبون العيش فى بلاد صناعية ، فبالاستطاعة نقلهم بسهولة إلى سهول وادى الفرات ودجلة حيث هناك أرض واسعة لأعداد هائلة من المهاجرين "**

المصدر : والتر كلادى لودرميلك " فلسطين أرض الميعاد" الناشر : أخوان هاربر ، نيويورك (1944) ص178-227

وتتضح فكرة الصهيونية العالمية التى عبر عنها لاودرميلك عام 1944 والقائمة على استلاب فلسطين كاملة بالإضافة إلى عدة أراض مجاورة كمرحلة أولى لتحقيق

الحلم الصهيونى ، وأهم ما يلفت النظر فى الاستراتيجية أو الحلم الصهيونى الذى نفذه الصهاينة منذ أول القرن العشرين حتى نهايته (وقتنا الحاضر) أنها تعتمد على تهجير الفلسطينيين ، كل الفلسطينيين ، إلى العراق (ما بين النهرين) ، وهنا نشير إلى أن الحركة الصهوينة وهى جادة جدا فى تنفيذ مخططها تريد أن تثأر لماضيها السحيق عام 536 ق. م عندما قام البابليون بتهجيرهم من فلسطين التى احتلوها منذ عام 1195 ق. م حتى تهجيرهم أو طرد هؤلاء المحتلين إلى بلاد ما بين النهرين عام 536 ق.م – فأرادوا أن يثأروا من الفلسطينيين الذين لا ذنب لهم والذين قبلوا أو رضخوا لاحتلال الصهاينة لوطنهم طيلة ما يقراب من 650 عاماً .

والجدير بالذكر أن هذا المخطط الصهيونى الذى أفصح عنه لودرميلك فى كتابه **"فلسطين أرض الميعاد"** يتردد الآن فى تصريحات بعض المسئولين الصهاينة ، **وأن المخطط القادم بعد القضاء على أى مقاومة عراقية ، وتقسيم العراق هو نقل الفلسطينيين إلى العراق .**

هذا جزء من الاستراتيجية الصهيونية ، التى قد يعلمها الحكام والقادة والمثقفون والمفكرون العرب، لكن دون أن تجد استراتيجية مقابلة من الجانب العربى – استراتيجية الدفاع العربى عن وجودهم فقط – لكن للأسف ، الأحداث العربية لم تثبت ذلك ابداً ، فذاك هو " عمانوئيل نيومان " رئيس لجنة أراضى فلسطين ومسحها، فى مقدمته لتقرير تلك اللجنة عام 1948 يقول :

" إنه لمن حسن الحظ أن الذين كانوا مسئولين عن وضع تفاصيل مشروع التقسيم ، كانوا على علم ومعرفة بوجهات النظر الأساسية لمشروع لودرميلك ، وأنهم اتخذوه إلى حد بعيد كقاعدة حدود على أساسها تعين حدود المناطق العربية والمناطق اليهودية "

المصدر : على محمد على " إسرائيل والشرق الأوسط " دراسة للاحداث التى وقعت فى الشرق الأوسط نتيجة لقيام دولة غاصبة فيه . الدار القومية للطباعة والنشر ص 287 .

وقد أخذ الصراع العربي - الإسرائيلي في التأجج مع بدء إسرائيل تنفيذ خطتها السبعية في عام 1953 بتحويل مياه نهر الأردن خارج مساره باتجاه النقب ، وإزاء هذا الموقف تقدمت سورية في 12/ 10/ 1953 بشكوى إلى مجلس الأمن الدولي ، بدون جدوى طبعا !

المصدر: د. حامد سلطان - "الأنهار الدولية في العالم العربي" المجلة المصرية للقانون الدولي ص 36

وفي 27/ 3/ 1954 كان العدوان الثلاثي المائي على سورية والعرب من أجل اسرائيل ، حيث تقدمت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا لتقديم مشروع قرار ضد قرار سورية في مجلس الأمن الدولي ، ووافق عليه المجلس لولا اعتراض الاتحاد السوفيتي آنذاك على مشروع القرار، لكن إسرائيل كعادتها قامت بتنفيذ ما تريد رغم قرارات المنظمة الدولية وبناء على وقوف الاستراتيجية الغربية من ورائها من جهة ، وعلى الضعف والتشتت العربي من جهة أخرى.

وفي 16 / 10 / 1953 حتى 30/ 9/ 1955، أرسل الرئيس الأمريكي إيزنهاور مبعوثه " إريك جونستون " ليقايض العرب على حل الصراع العربي الإسرائيلي على المياه مقابل إبرام معاهدة سلام مع إسرائيل ، وعندما فشلت المساعي، قدم جونستون حله في إعطاء اسرائيل كمية من نهر الإردن مقدارها 394 مليون متر مكعب ، في حين يكون نصيب الأردن 77 مليون متر مكعب ، وسوريا 45 مليون متر مكعب ، ومع ذلك الظلم فقد رفضت إسرائيل هذا الحل !!

وفي الخطة العشرية التي وضعتها شركة تاهال الإسرائيلية (1950-1966) بالتعاون مع خبراء المياه الأمريكيين ، (لاحظ هذه الشركة ، فهي شركة صهيونية أمريكية يديرها الموساد بالتعاون مع المخابرات الأمريكية ، وسوف يأتي ذكرها فيما بعد)، وأعلنت الشركة عن لسان مديرها الدكتور الصهيوني الأمريكي "إبيل ولمان" أنهم ينوون سحب 700 مليون متر مكعب من نهر الأردن بدلا من 540 متر مكعب، وعندما نشرت صحيفة جيروزاليم بوست تلك الخطة بتفاصيلها، بدأ العرب

يفكرون فى الرد ، فعـقد مجلـس جامعة الـدول العربية اجـتماعـاً لذلك الغرض فى 29/ 2/ 1960 ، وبعد سـتة أشـهر فى 28/ 8/ 1960 عهـد مجلس الجامـعة إلى اللجنة العسـكرية الدائمــة - أحد أجـهزة معاهدة الدفاع العربى المشـترك - بوضع مخطط شامل لجميع الاحـتمالات لإنقاذ نهر الأردن ، واحتمال الـرد الإسرائيلى على عملية الإنقاذ العربية لنهر الأردن،وعلى إثره اجتمعت هيئة الأركان العربية فى 22/ 4/ 1961، ثم من بعدها مـجلس الدفاع العـربى الذى عقد دورته الثـالثة فى 10/ 6/ 1961، وقرر تشكيل قيادة عامة مشتركة للدول العربية ، ودعوة الدول العربية إلى إعداد قوتها .

المصدر : جامعة الدول العربية - قرار مجلس الدفاع
رقم 15 بتاريخ 18/ 6/ 1961

لكن الصهيونية لـم تقف مكتوفة الأيدى ، لا فى تنفيذ برنامجها أو تطبيق سياستها فقـط التى كانت تسـير فـيهـا بقوة ، لكن المؤامـرات الصهـيونيـة مع الدوائر الغربـية الأمريكية (الاسـتراتيجية والأسطورة) امتـدت أيضاً لتقوض هذه الصحـوة العربية ، والتفكيـر الاستراتيجى العـربى الذى يؤكد عزم العـرب فى ظل قيادة واعيـة تقودها مصر لأول مرة فى الصراع العربى - الإسرائيلى .

وتذكرت الصهيونية كلمات بن جوريون مؤسس دولة إسرائيل عندما قال :

"يا ويلنا لو ظهـر قائد من هذه الأمة (الأمـة العربية) يـقودها نحو وحـدتها وتحقيق حلمها" .

وعلى الفور كانت المؤامرات الصهيونية والإمـبريالية قد أثمرت ، حيث عزم قائد العراق عـبد الكريم قـاسم على غزو الكويت فى يـونيه 1961 ، وانشـغلت الجامـعة ، وانشغل قـادة الأمة بهذه الـكارثة الخطيرة فى أمن الوطن العـربى ، وكونت الجامـعة "قوات أمن الجامـعة العربية" لمنع غـزو الكويت ، ومع أن قادة العرب نجـحوا فى عام 1961 بمنع العـراق من تنـفيـذ خـطتـه مما حـول دون اسـتكمـال المخطط الصـهـيـونى الإمبـريالى بدخول القـوات الدولية إلى الكويت واحـتلال منطقـة الخليج وإلى الأبد كما حـدث عام 1990 ، إلا أنه وعلى أثر فشل المخـطط الصهيـونى الإمبريالى ، فـقد نجحت المؤامرة الثانية وهى مؤامرة الانفصـال التى قام بها الانفصاليون فى سورية فى

سبتمبر 1961 ، وتعطلت الاستراتيجية العربية أو التفكير العربى الجاد لوقف تحويل وسرقة نهر اليرموك وأوشكت إسرائيل على الانتهاء من برنامجها الذى شكل خطورة كبيرة على الأمن القومى العربى .

وفى الفترة من 13 – 17 / 1 / 1964 عقد مؤتمر القمة العربى الأول (بعد مؤتمر أنشاص البريطانى) بدعوة من جمال عبد الناصر حيث افتتح عبد الناصر المؤتمر بقوله :

"كان من المفروض أن يتم وضع الخطة فى شكلها العام وتقدير القوات وتخصيص أنصبة الدول العربية فى بحر أربعة شهور من تشكيل هيئة الأركان على أن توضع القوات العربية تحت تصرف هذه القيادة وتمنح جميع التسهيلات والمعلومات التى تتطلبها لإنجاز عملها ، غير أن شيئاً من هذا (المفروض) لم يتحقق ، ومضت ثلاثون شهراً لقيت خلالها قرارات مجلس الدفاع الإهمال ثم النسيان ، فى حين أن العدو يغذّ السير فى تنفيذ مشروعه بشأن مياه الأردن" .

المصدر : د . هيثم الكيلانى – الدور العسكرى المحتمل فى مسألة المياه الإقليمية العربية – الإدارة العامة للشئون العسكرية (القاهرة) الأمانة العامة لجامعة الدول العربية – إبريل 1992 – ص 16

ولأول مرة فى التاريخ العربى الحديث وخاصة فى الصراع العربى – الإسرائيلى ، يتخذ مؤتمر القمة العربى الأول الذى عقد عام (1964) المشار إليه ، تبنى استراتيجية عربية ، لم يعتمد فيها على مجرد رد الفعل إزاء تحويل مياه نهر الأردن بل اعتمد فيها على الخطر الصهيونى نفسه ، وأن الوجود الصهيونى يتعارض مع الوجود العربى ذاته، حيث أن الصراع العربى الإسرائيلى ليس صراعاً على أرض أو حدود أو مياه أو غيرها بل يعتمد على الفكرة الصهيونية النابعة من الأسطورة الصهيونية الدينية أن أرض الميعاد (إسرائيل) من الفرات إلى النيل ، وأن وجود الأمة العربية خطر يهدد حلم الصهيونية ، وعليه فإن الخطة أو الحلم الصهيونى تقوم على سياسة إبادة العرب والاستيلاء على أرض الأجداد – الذين طردوا من مصر عام 1230 ق . م ثم طردوا من فلسطين عام 536 ق . م – وضرورة العودة إلى أرضهم (حسب الأساطير التى

وضحناها بالتحليل الكافى والأدلة التاريخية فى الفصول السابقة من هذا الكتاب) .

حيث قرر مؤتمر القمة العربى (1964) الأول :

"إن قيام إسرائيل هو الخطر الأساسى الذى أجمعت الأمة العربية بأسرها على دفعه . وبما أن وجود إسرائيل يعتبر خطراً يهدد الأمة العربية ، فإن تحويلها لمياه الأردن سيضاعف من أخطارها على الوجود العربى ، لذلك فإن على الدول العربية أن تضع الخطط اللازمة لمعالجة الجوانب السياسية والاقتصادية والإعلامية ، حتى إذا لم تحقق النتائج المطلوبة ، كان الاستعداد العسكرى العربى الجماعى القائم ، بعد استكماله ، هو الوسيلة الأخيرة العملية للقضاء على إسرائيل نهائياً" .

المصدر : جامعة الدول العربية - مؤتمرات القمة العربية - قراراتها وبياناتها - القرار رقم (11) د. أ. بتاريخ 17/ 1/ 1964 - ص 23

كما عالج مؤتمر القمة العربية الأول (1964) أيضاً موضوع نهر الأردن ، بجانب كونه جزءاً من الاستراتيجية العربية ، لمزيد من الإطلاع على القرارات ارجع إلى :

المصدر: السابق - القرارات ذات الأرقام 12 ،13،14، على التوالى بتاريخ 17 /1/ 1964 -ص23-25

وفى القمة الثانية التى عقدت بالاسكندرية 5 - 11 / 9 / 1964 أى بعد القمة الأولى بثمانية أشهر فقط ، مما يؤكد جدية القادة العرب على تنفيذ القرارات الخطيرة التى تعبر عن أول استراتيجية عربية والتى كانت قد تحددت فى ثلاثة محاور :

١ - إنشاء قيادة عربية موحدة للجيوش العربية بقيادة الفريق على على عامر، حسب قرارات وتوصيات مجلس الدفاع العربى المشترك .

٢ - إنشاء هيئة فنية لاستغلال مياه نهر الأردن وروافده يرأس مجلس إدارتها الأمين العام لجامعة الدول العربية .

٣ - تخصيص الاعتمادات المالية لكل من البندين السابقين .

حيث اتخذت قمة الاسكندرية 5 - 11 / 9 / 1964 برئاسة عبد الناصر أيضاً خطة

عمل لتنفيذ قرارات القمة الأولى (القاهرة 13 - 11 / 1 / 1964) وذلك وفق التالى :

"هدف قومى نهائى : وهو تحرير فلسطين من الاستعمار الصهيونى التى تجرى فيه روافد نهر الأردن ، كما قرروا البدء بتنفيذ قرارات الهيئة القومية لاستغلال مياه نهر الأردن وروافده فوراً"

المصدر : المرجع السابق - القرار رقم (18) بتاريخ 11/ 9 / 1964 - ص 30 - 31

وأن يتم حشد القوى المخصصة من العراق وسورية والسعودية لنجدة الأردن ولبنان فى حالة حصول عدوان إسرائيلى خلال تنفيذ هذه القرارات .

. كما تلتزم سائر الدول العربى بأن تكون قواتها متأهبة لرد العدوان فوراً ، ومنح مؤتمر القمة العربى القائد العام للقيادة العربية العسكرية المشتركة حق التصريح المطلق بالتحركات العسكرية من دولة إلى أخرى .

المصدر : المرجع السابق - القرار رقم (19) بتاريخ 11/ 9/ 1964 - ص 31 - 32

واستقرت جامعة الدول العربية على تحويل كل من نهر الحصبانى وبانياس إلى نهر اليرموك ، وذلك لقطع الطريق على خطة إسرائيل ، ووضعت القيادة العليا الخطط الدفاعية اللازمة .

وأيضاً لم تقف إسرائيل مكتوفة الأيدى أمام الاستراتيجية العربية التى بدت أمام الصهيونية كأول عمل عربى منظم ؛ حيث أعلن "ليفى أشكول" رئيس وزراء إسرائيل عام 1965 :

"أن أى محاولة لحرمان إسرائيل من المياه التى اكتسبت فيها حقها قانونياً بمقتضى مشروع جونستون ، تعتبر عملاً عدوانياً" .

المصدر : د . أحمد عباس عبد البديع - أزمة المياه من النيل إلى الفرات - ص 148 - عن / فتحى على حسين - المياه وأوراق اللعبة السياسية فى الشرق الأوسط - مرجع سبق ذكره ص 183

ولم يمنع طبعاً مجرد تهديد ليفى أشكول القادة العرب من المضى قدماً فى تنفيذ الاستراتيجية العربية الأولى ، ففى الفترة من 13 - 17 / 9 / 1965 انعقدت القمة العربية الثالثة فى الدار البيضاء / المغرب وأقرت :

"الاستمرار فى أعمال المشروع العربى الموحد لاستثمار مياه نهر الأردن وروافده وفقاً للخطة المرسومة وطبقاً لما تقرر بشأن الحماية العسكرية المطلوبة"

المصدر : جامعة الدول العربية - مرجع سابق -
القرار رقم (34) بتاريخ 17 / 9/ 1965 - ص 41

أمام استمرار القيادة العربية فى تنفيذ خطتها بخصوص المياه العربية وأيضاً الاس- اتيجية العربية ، وبعد الإنذار الإسرائيلى والرد عليه من القمة العربية فى الدار البيض / 9 / 1965 ، لم تقف إسرائيل ولا الإمبريالية (الأسطورة والاستراتيجية) مكتوفتى الأيدى ، لذلك فإن تلك الفترة من 1965 - 1967 شهدت أسوأ فترة فى التاريخ العربى ، حيث مؤامرة اليمن - إلى الوقيعة العربية بين السعودية ومصر إلى درجة أن الملك فيصل كما ذكرنا سابقاً طلب من أمريكا التخلص من عبد الناصر صراحة ، إلى تدخل إسرائيل بإذن من العرب فى لعبة اليمن فأحدثت القيادة العربية أو الملوك العرب أول اختراق صريح فى جدار المحرمات والمقدسات العربية باشتراك إسرائيل مع العرب ضد عبد الناصر فى اليمن فى الخطة التى شرحناها سابقاً "خطة مانجو" ثم المؤامرة على اللحاق المصرى بعصر الذرة ، وعداء جونسون لعبد الناصر الذى قاد السيمفونية العربية منذ (1964 القاهرة) حتى (1965 الدار البيضاء) ، وكانت كل هذه المؤامرات فى الصف العربى الذى مُزِّق بفعل الصهيونية تمزيقاً أكيداً ، فوقعت حرب 1967 انتقاماً من دور مصر فى صنع الاستراتيجية العربية التى تجرأت لأول مرة لتعلن عام 1964 فى مؤتمر القمة بالقاهرة أن **وجود إسرائيل هو نقيض لوجود الأمة العربية** ، وبالتالى أحست الصهيونية بالخطر على وجودها وحلمها - فكان لا بد من أمريكا والصهيونية أن تقوما بالهجوم على مصر عام 1967 .

وللأسف أننا نرى النتيجة التى حدثت عام 1967 ، فبينما كانت المنظومة العربية قد

وصلت إلى تكوين قيادة عربية موحدة فى عام 1964 بقيادة الفريق على على عامر - وجدنا أن هجوم 1967 على كل من مصر - سورية - الأردن ، فلا قيادة عربية ، ولا تنسيق عربى ، ولا إرادة عربية وحلّت محلها الخديعة والتآمر .. و (... ! !) فكانت الهزيمة (النكسة) .

ولم تنعقد القمة الرابعة إلا بعد النكسة فى الخـ ـوم 1967 وهى القمة التى اشتهرت باللاءات الثلاثة :

"لا صلح ولا استسلام ولا اعتراف بإسرائيل)

وتقهقرت الاستراتيجية العربية ، بل انعدمت ، وعبرت على أنها لم تكن استراتيجية ، بل كانت عواطف وراء قائد مثل عبد الناصر ، سرعان ما اخترقت الصهيونية هذا التعاطف وحولته إلى عداء بين بعض الحكام العرب وعلى رأسهم الملك فيصل وبين عبد الناصر ، أى بين دولتين كبيرتين من الدول العربية أو بين السعودية (النفوذ الأمريكى) وبين قائد المسيرة العربية ، فانكشفت الخطط العربية التى أكدت أنها بعيدة جداً عن كونها استراتيجية ، حيث أن كل ما حدث من تناغم وإصرار كان على مستوى القادة فقط ولم يشارك فيه الشعب العربى بمؤسساته الشعبية وبثقافته ومفكريه ، فكان من السهل عند حدوث اختراق أو اختلاف بين الحكام العرب أن ينهار كل شىء .

وللأسف ضاع العمل العربى المشترك بين القادة العرب ، كما ضاع المشروع العربى لإنقاذ مياه نهر الأردن ووصل إلى نهايته المأساوية والمخزية عقب نتائج حرب 1967 حين احتلت إسرائيل مواقع المشروع العربى فى جنوبى سوريا (هضبة الجولان) والضفة الغربية ، واستولت على آلياته وباتت كل مياه نهر الأردن وروافده فى يدها .

وانتقل العرب من موقع التخطيط لإنقاذ مياه نهر الأردن إلى موقع الدفاع عن وجودهم أصلاً .

ثانياً : نهر الليطانى والمؤامرة الصهيونية :

وجه حاييم وايزمان رئيس الحركة الصهيونية ذلك الوقت فى 29 / 12 / 1919 رسالة إلى قائد الاستراتيجية حينذاك "لويد جورج" رئيس وزراء بريطانيا ، وبعد طبعاً وعد بلفور فى 2 / 11 / 1917 جاء فيها :

"إن مستقبل فلسطين الاقتصادى كله يعتمد على موارد مياهها للرى والقوى الكهربائية وتستمد موارد المياه بصورة رئيسية من منحدرات جبل حرمون ومن منابع نهر الأردن ومن نهر الليطانى ...

....

لهذه الأسباب ، نرى من الضرورى أن يضم حد فلسطين الشمالى وادى "لبطانى إلى مسافة 25 ميلاً فوق المنحنى ومنحدرات جبل حرمون الجنوبية ـمان السيطرة على منابع الأردن وإعادة تخريج هذه المنطقة" .

وقد نُشرت هذه الرسالة لأول مرة فى مجلة جويش - أوبزرفر (Jewish Observer) فى 16 / 11 / 1973 .

المصدر : Jewish Observer, Middele East Review, No. 67, November, 16, 1973, P.22

وانصبت الدعاية الصهيونية تركز على أن مياه الليطانى تذهب هباءً إلى البحر ، كما أكد ذلك ليفى أشكول فى تصريحاته لجريدة الليموند الفرنسية فى 8 / 7 ، 8 / 8 / 1976 ثم الخطط الصهيونية القديمة التى تلت رسالة وايزمان إلى رئيس وزراء بريطانيا ابتداء من خطة عام 1943 - مشروع هايز وساتييج مبعوثى الوكالة اليهودية عام 1948 لتحويل مياه الليطانى ، ثم مشروع كوثون 1954 الذى جاء بخطط مفصلة لمشروع الليطانى بحصول إسرائيل على 400 مليون متر مكعب تاركة للبنان أقل من من 200 مليون متر مكعب .

المصدر : د . أحمد الطفيلى - دور المياه فى عملية تسوية الشرق الأوسط - سلسلة محاور استراتيجية (بيروت) كمبيونشر للدراسات - يناير / فبراير 1992 (العدد الخامس) ص 64

وكنتيجة لنكسة 1967 ، تقدمت إسرائيل لاحتلال الجنوب اللبنانى عام 1978 فيما وصف بحرب الليطانى .

المصدر : محسن خضر ، حروب الماء بين العرب وإسرائيل ، مجلة اليقظة العربية - القاهرة - العدد الثالث - السنة الثالثة - مارس 1978 - ص 99

ويؤكد محمود رياض أمين عام جامعة الدول العربية هذه الحقيقة فيرى :

"إن العدوان الإسرائيلى على لبنان 1978 لم يكن لتأمين الجليل الأعلى كما يدعون ، ولكن الهدف الأهم هو الاستيلاء على الجنوب اللبنانى واستغلال مياه الليطانى لمواجهة مطالب إسرائيل المائية المتزايدة" .

المصدر : المرجع السابق - ص 99

ثم تلى الاحتلال الإسرائيلى لجنوب لبنان عام 1978 والاجتياح الصهيونى الكامل للبنان عام 1982 ، وفى أوائل عام 1986 استكملت إسرائيل إنجاز جميع الخطوات اللازمة لقضم منطقة واسعة من الأراضى اللبنانية فى منطقة مرجعيون وحاصبيا ويبلغ طول هذه المنطقة 15 كم بعرض يصل إلى خمسة كيلو مترات ، ويقع فى نطاقها منبع الوزانى .

ثالثاً : المؤامرة الصهيونية ومياه الأرض المحتلة .

وقد سيطرت إسرائيل بالكامل على مياه الأرض المحتلة (فلسطين) ، حيث أوضحت دراسة للجامعة العبرية عن موارد المياه فى الوطن العربى أن الحديث الإسرائيلى عن الاحتفاظ بالضفة الغربية لأهمية مياهها ظلت موضع تداول الأحزاب الصهيونية ، فقد جاء فى بيان "تكتل الليكود" أن 40 ٪ من موارد إسرائيل المائية تأتى من الضفة الغربية ، ولهذا لا تستطيع أن تضع هذه الثروة فى أيدى أناس لنا شك كبير فى نواياهم تجاهنا .

المصدر : لجنة الموارد المائية فى الوطن العربى "دراسة الموارد المائية فى الوطن العربى ص 30 عن - فتحى على حسين "المياه وأوراق اللعبة السياسية فى الشرق الأوسط / مرجع سابق - ص 192

كمـا تعتبر هضـبة الجولان المصدر الأول للمـياه فى فلسطين المحتلة حـيث يوجد عدد كـبير من الأودية العمـيقة شـديدة الانحدار حفرتهـا السيول والأمطار الشـتوية الغـزيرة ، وهى تتـجه من الشـرق إلى الغـرب وإلى الجنوب الغـربى ، وتنتـهى على الضفاف الشـرقية لبحيرة طبـريا ، والجانب الأيمن لنهر اليرموك مُشكِّـلةً روافـد مائية طبيـعية وتهطل على الجـولان أمطار سنوية تتراوح بين 1500 – 1700 ملم التى تكون فيما بعد منابع نهر الأردن الرئيسية الثلاث البانياس والحصبانى والوزانى .

المصدر : اللجنة الاقتصادية والاجتمـاعية لغربى آسيا "الاسكوا" "السـياسـات والممارسـات الإسـرائيليـة المتـعـلقـة بالأرض والميـاه فى الأرض الفلسـطينـيـة والأراضى العربية المحتلة الأخرى – ص 16

ويؤكد نتنياهو على أهمية هضبة الجولان فيقول :

"إن معظم العـمق الاستراتيـجى والثروة المائيـة وهما عنصران هامـان أيضاً لدى الحديث عن مسـتقبل هضبـة الجولان .. فالجولان تسيـطر على مصادر نهر الأردن وبحيـرة طبرية ، أى على 40 ٪ من احتيـاطى المياه فى إسرائيل ، والتنازل عن هذه السـيطرة عـلى الجولان ، يـعنى أن نضع بأيدى السـوريين القوة لتجفيف إسرائيل" .

المصدر : نتنيـاهو – مكان تحت الشـمس – مصـدر سبق ذكره – ص 346

وهذا يعنى أيضاً للقارئ العربى أن يعى هذه الحقائق أن هذه الأمة (الأمة العربية) فى يدها بالمسـتقبل ، أو كـان بيدها خنق إسـرائيل أو (تجفـيف) إسرائيل كـما ذكر نتـنياهو بالضبط ، ويعنى أيضاً أن يكون القـارئ العربى ملماً بأية تسوية فى المستـقبل قد تفرض عليه من قبل قـادته نزولاً إلى "سلام الردع" وما سوف تحتـويه هذه التنازلات ، حيث أن 40 ٪ على الأقل من مياه إسـرائيل فى هضبة الجولان ، وهذا هو السبب لتدمـير المشروع العربى الذى أقرته القمة العربية ، وضربته الصهيونية واحتلته فى عام 1967 .

وإن كان القادة العـرب أدركوا المخاطر والمؤامرات الصـهيونية على مـصادر المياه

العربية متأخرين تأخراً كبيراً ، فبينما بدأت الصهيونية تفكر فى ذلك عام 1919 وبدأت فى التنفيذ الفعلى بعد استيلائها على الأرض فى ظل حرب النكبة ، وإعلان قيام دولة اسرئيل 15 / 5 / 1948 ، إلا أن القادة العرب أدركوا هذا الصراع والأطماع أخيراً فقط فى عام 1964 عند أول قمة عربية ، كإدراك حقيقى مقرون بالعمل ، وكان قد سبقت القمة الشكوى السورية لمجلس الأمن والعدوان الثلاثى الأمريكى البريطانى الفرنسى على شكوى سورية فى 28 / 3 / 1954 .

كما أن الفكر العربى تنبه أخيراً لهذه القضية ، ومن الكتب الوثائقية فى هذا الصدد كتاب كامل زهيرى "النيل فى خطر" الصادر فى مارس 1984 ، وأيضاً كتاب د. مفيد شهاب و د . عبد العظيم أبو العطا والأستاذ دفع الله رضا عن نهر النيل ، "الماضى والحاضر والمستقبل" الصادر عام 1985 .

وإذا كانت هذه المراجع معظمها منصب على الموقف الفكرى أو موقف المثقفين العرب المتأخر حيال الصراع العربى - الإسرائيلى ، فإننا نجد معظمها منصب حول موضوع المؤامرة الصهيونية على نهر النيل .

المؤامرة الصهيونية على نهر النيل ؟!

ونبدأ على عجالة وبإلمامة سريعة عن المطامع الصهيونية فى نهر النيل منذ أن اعتبر الصهيونية فى أساطيرهم أنهم طردوا من مصر ومن نهر النيل وعلقوا على الكنيست (وطنك يا أسرائيل من الفرات إلى النيل) ، إلى محاولة هرتزل عام 1903 بتأجير سيناء والعريش من خديوى مصر لمدة 99 عاماً وتحويل مياه النيل إلى سيناء (وقد تحدثنا فى الفصول السابقة من هذا الكتاب عن المضمون السياسى لهذه الفكرة وهى الفكرة التى أدت إلى إزاحة هرتزل بموته عام 1904) أما الآن فإننا نتحدث عن الجانب المائى، فقد أوفد بالفعل هرتزل لجنة مكونة من ستة أشخاص برئاسة "ليوبولد كسلر" (1864 - 1944) وهو مهندس صهيونى من جنوب أفريقيا ، ترأس الجمعية الصهيونية فى الترنسفال ما بين عام 1899 إلى عام 1901 أما الأعضاء الآخرون فهم جولد سميث،

وجورج ستفنسن ، وس . سوسكين ، ود . هليل يوف مدير المستشفى اليهودى فى يافا والخامس هو أوسكار مرمورك . وكلهم من الصهاينة البارزين وذلك لدراسة توصيل مياه النيل إلى سيناء ثم من بعد سيناء إلى فلسطين والنقب .

المصدر : فتحى على حسين - المياه وأوراق اللعبة السياسية فى الشرق الأوسط - مصدر سبق ذكره - ص 145 - 146

حيث قال هرتزل بناء على تقرير هذه اللجنة فى لقائه مع اللورد كرومر المندوب السامى البريطانى فى مصر وأيضاً لبطرس باشا غالى :

"نحن نطلب فقط من النيل مياه الشتاء الزائدة التى تجرى عادة إلى البحر ولا يستفاد منها" .

المصدر:كامل زهيرى-النيل فى خطر-كتاب الأهالى رقم(17) - طبعة ثالثة - يناير 1989 ص91 - 92

وفى أعقاب حرب أكتوبر 1973 ، أوضح "اليشع كالى" مدير التخطيط المائى طويل المدى لشركة تاهال الإسرائيلية أن :

"فى الحقيقة أن القيود القائمة بالنسبة لنهر الليطانى غير موجودة إزاء نهر النيل ، فالنيل يعطى أكثر من الليطانى بنحو مائة مثل . وأن النقل منه إلى وسط مناطق الاستهلاك المستقبلية فى إسرائيل مثل قطاع غزة - النقب الشمالى الغربى ومدن النقب الجنوبية ومناطق الصناعة الجديدة بالنقب عن طريق قناة مكشوفة عبر سيناء ، وكذلك أنابيب تمر تحت قناة السويس ، قد يكون رخيصاً وفى المدى البعيد يمكن حل جميع مشكلات المياه فى إسرائيل باستخدام 1 ٪ من مياه النيل (أى 800 مليون متر مكعب) سنوياً من أصل 80 مليار متر مكعب متوسط التدفق السنوى" ،

المصدر : د . مهندس منير أشلق - الموارد المائية فى الأرض العربية المحتلة ، وأطماع العدو الصهيونى فيها - اتحاد المهندسين العرب - التكامل العربى فى مجال ترشيد وتطوير استخدامات المياه الزراعية ، الأمانة العامة دمشق ص 121 / عن طريق فتحى على حسين - مصدر سبق ذكره - ص 149

وفى عام 1974 طرح اليشع كالى مشروعه على أنه مشروع "صيانة السلام" الذى بدأه السادات فى أعقاب حرب 1973 ثم ظهر مشروع "كالى" بوضوح فى أوراق العمل الرسمية فى مباحثات السلام بين مصر وإسرائيل .

المصدر : جريدة معاريف الإسرائيلية 27/ 9/ 1998

وخلال مباحثات كامب ديفيد وفى عام 1979 قدم الخبير الإسرائيلى "شاؤول أولوزوروف" النائب السابق لمدير هيئة المياه الإسرائيلية مشروعاً "للسادات" يهدف إلى جر مياه النيل إلى إسرائيل ، عبر شق ست قنوات تحت مياه قناة السويس ، تقوم بدفع المياه إلى نقطة سحب رئيسية فى سيناء قرب "بالوظة" ويتم رفع المياه بالضخ إلى ارتفاع عشرات الأمتار لتدفع بقوة الثقل على طول ساحل سيناء ، وتتوزع قنوات فرعية لرى أراضى سيناء ، وفى الطرف يتم نقل المياه إلى شمالى النقب . وبإمكان هذا المشروع نقل واحد مليار متر مكعب لرى صحراء النقب منها 150 مليون متر مكعب لقطاع غزة .

المصدر : ميخائيل غراتى - مشروع يؤر أو النيل
الأزرق الأبيض - ها آرتس 21 / 9 / 1979

خامساً : مؤامرة السادات على نهر النيل (مشروع ترعة السادات الإسرائيلية) :

وقد بدأت فكرة هذا المشروع عندما اقترحه الرئيس السادات فى حيفا حيث صرح السادات فى 6 / 9 / 1979 :

"أن صحراء النقب ستستفيد من مياه النيل التى تروى سيناء"

المصدر : د . عبد العظيم أبو العطا وآخرون - نهر النيل الماضى والحاضر والمستقبل - دار المستقبل العربى ، القاهرة - طبعة أولى 1985 - ص 93

وفى 16 / 12 / 1979 أوضحت مجلة أكتوبر المصرية أن الرئيس السادات قد أعطى فى 27 / 11 / 1979 إشارة البدء فى حفر "ترعة السلام" فيما بين فارسكور والتينة عند الكيلو 25 طريق الاسماعيلية - بورسعيد لتتجه تحت قناة السويس إلى سيناء لتروى

نصف مليون فدان وأضافت المجلة :

"أن الرئيس السادات التفت إلى المختصين وطلب منهم عمل دراسة علمية كاملة لتوصيل مياه نهر النيل إلى مدينة القدس لتكون فى متناول المؤمنين المترددين على المسجد الأقصى ومسجد الصخرة وكنيسة القيامة وحائط المبكى".

المصدر : مجلة أكتوبر - العدد 164 بتاريخ 16/ 12/ 1979

وتبريراً لموقفه ، قال السادات :

"ونحن نقوم بالتسوية الشاملة للقضية الفلسطينية سنجعل هذه المياه مساهمة من الشعب المصرى ، وباسم مئات الملايين من المسلمين تخليداً لمبادرة السلام" .

المصدر : المرجع السابق .

وتمادياً فى تغطية المشروع (كما يقول فتحى على حسين / مرجع سابق ص 153) فإن السادات أراد أن يتمادى فى موقفه ويلبس تصريحاته أو مؤامرته على النيل ، إن لم تكن على الأمن القومى العربى ، واختراقاً واضحاً له ، فيقول السادات :

"باسم مصر وأزهرها العظيم وباسم دفاعها عن السلام تصبح مياه النيل هى " آبار زمزم" لكل المؤمنين بالأديان السماوية الثلاثة .. وكما كان مجمع الأديان فى سيناء بالوادى المقدس (طوى) رمزاً لتقارب القلوب فى وجهتها الواحدة إلى الله سبحانه وتعالى ، فكذلك ستكون هذه المياه دليلاً جديداً على أننا دعاة سلام وحياة وخير" .

المصدر : نفس المرجع السابق

ولم يكتف الرئيس السادات بتصريحاته الصحفية ، فأدلى بحديث للإذاعة والتليفزيون المصرى يوم 25 / 12 / 1979 أكد فيها على نفس ما صرح به للصحافة المصرية وغير المصرية ونقلتها مجلة أكتوبر .

المصدر : د . عبد العظيم أبو العطا وآخرون - مرجع سابق ص 102

وكان بطبيعة الحال أمام هذا الاختراق الصريح لجدار الأمن العربى وخرقاً لمكانة النيل التى تقترب من القداسة لدى الشعب العربى المصرى ، الذى ما زال يحتفل احتفالاً رسمياً بعيد "وفاء النيل" ، وكانت تقدم له القرابين (عروس النيل) وسط تقديس كامل وحافل ولم يلغ أو يقطع الشعب المصرى عادته إلا مع الفتح الإسلامى فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن طريق "عمرو بن العاص" فاتح مصر .

ولقد أحس الشعب العربى فى مصر أن السادات مسَّ جزءاً كبيراً وهاماً من مقدساته ، وأن السادات فى نظر شعبه ارتكب المحرمات ، ومع تصاعد المعارضة المصرية ، أراد السادات أن يطمئن ويهدئ الشعب فألقى الدكتور مصطفى خليل رئيس وزراء مصر آنذاك بياناً أمام مجلس الشعب فى جلسة 17 / 1 / 1980 أنكر فيه أن مصر تفكر فى فى مثل هذا الموضوع وقال :

"إن مياه النيل لن تروى إلا الأراضى المصرية"

المصدر : محسن عوض – مصر وإسرائيل .. خمس سنوات من التطبيع – دار المستقبل العربى – القاهرة 1984 ص 137

ولكن سرعان ما انكشف (كذب) رئيس وزراء مصر السيد مصطفى خليل والذى أدلى ببيان رسمى أمام مجلس الشعب قائلاً :

"إن مياه النيل لن تروى إلا الأراضى المصرية ".

فإن السادات سرعان ما كشف بل أكد على موقفه ، حيث أوضح السادات فى رسالته المنشورة بجريدة الأهرام فى 13 / 8 / 1980 أن عرض تحويل مياه النيل إلى القدس عبر النقب إنما يرجع إلى محادثات "أسوان" فى يناير 1979 وتقول رسالة السادات التى أرسلها إلى "بيجين" والمنشورة فى جريدة الأهرام فى 13 / 8 / 1980 :

"..... ولعلك تذكر أيضاً أننى عرضت أن أمدكم بمياه يمكن أن تصل إلى القدس مارة عبر النقب حتى أسهِّل عليكم بناء أحياء جديدة للمستوطنين فى أرضكم . ولكنك أسأت فهم الفكرة وراء اقتراحى وقلت : إن

التطلعات الوطنية لشعبكم غير مطروحة للبيع . وفى الواقع لم يدر هذا بخلدى ، إذ عرضت عليكم تعاوناً قد يؤدى إلى الخروج بحل مرضٍ للطرفين . ورغم أن إزالة المستوطنات غير القانونية لا يجب أن تتعلق على أى شرط ، فإننى على استعداد للذهاب إلى هذا المدى لحل هذه المشكلة باعتبار ذلك إسهاماً آخر لمصر من أجل السلام" .

المصدر : الأهرام 13 / 8 / 1980

وقام بيجين بالرد على رسالة السادات حيث جاء فى رده :

"أعتقد يا سيادة الرئيس أن حديثنا القصير فى العريش كان على النحو التالى:

1 - اقترحتم نقل مياه النيل إلى النقب ، وفى ذلك الحديث لم تذكروا نقل الماء إلى القدس مطلقاً .

2 - ومن ناحيتى لم أذكر أن التطلعات القومية لشعبى ليست للبيع ، وأعتقد أن مثل هذه اللهجة فيها تجاوز كبير لم أستخدمه مطلقاً فى أحاديثنا . لقد أخذتم المبادرة وقدمتم لى اقتراحاً مزدوجاً .. قلتم يجب أن نتصرف بحكمة وروية ، وأنا على استعداد لأدعكم تحصلون على الماء من النيل لرى النقب ودعنا نحل مشكلة القدس ، فإن حلها حل لكل شىء .

وكان ردى يا سيادة الرئيس : أن نقل الماء من النيل إلى النقب فكرة عظيمة ، ورؤية عظيمة حقاً ، ولكننا يجب أن نفرق دائماً بين القيم التاريخية والخلقية مثل القدس ، وبين النواحى المادية ، فلنفصل بين الموضوعين ، القدس من ناحية وماء النيل من ناحية أخرى" .

المصدر : رسالة مناحم بيجين فى 4 / 8 / 1980
المنشورة فى الأهرام 19 / 8 / 1980

ورغم تعنت ورد بيجين العنيد والذى يحمل العجرفة والإذلال ، عاود الرئيس السادات عرضه من جديد فى رسالة أخرى يقول فيها :

"ولقد ذهبنا إلى حد أن نعرض عليكم شريان الحياة - مياه النيل - إذا نجحنا

فى التوصل إلى حل لمشكلتى القدس والمستوطنات ، وما كان بوسع أحد آخر أن يفعل مثل هذا من أجل التسوية الشاملة ، ولقد تطوعنا بعرض هذه الفكرة عليكم ، بالرغم من التجاوزات التى نتعرض لها من أشقائنا العرب، وسوء الفهم الذى نلقاه من جانبكم ، ولكن هذا هو دورنا الذى قدر لنا أن نلعبه فى المنطقة وهذا هو التزامنا بالسلام" .

المصدر : الأهرام 16/ 8/ 1980

وكأن السادات يعاود ترديد قول شكسبير فى مسرحية تاجر البندقية كما ذكرنا سابقاً :

"إن العالم مسرح يا جراتشيانو ...... (بيجين)" !!
ولكل امرئ دور على خشبته ..... !!
ولكن دورى يا جراتشيانو ..... (بيجين) !! ... دور حزين

وكأن السادات ، سلك مسلك بلفور ، فهو يعطى وعد السادات بحق إسرائيل فى النيل ، وكما يقول فتحى على حسين فى كتابه المياه وأوراق اللعبة السياسية فى الشرق الأوسط (مصدر سبق ذكره ص 157)

"إن هذا النيل الذى أصبح معبوداً أيام الفراعنة ، بل وتكونت حوله أساطير إيزيس وأوزوريس ، ووصل فيه التقديس إلى إلقاء الأحياء فى مجراه قرباناً، وَرُفِعَ الغرقى فيه إلى مرتبة القديسين .. وهذا النيل الذى ارتبط الماء فيه بالدماء حتى وصف هيرودوت مصر بأنها هبة النيل ...
وهذا النيل الذى دارت حول مشروع السد العالى إحدى الحروب كاد يتعرض للهوان . فمشروع السادات هذا جعل جهد الصهيونى ثيودور هرتزل وحلم سليله اليشع كالى ، كاد يكلل بأمل فى النجاح على يد (متطوع) يبيع ما لا يملك ، ويتصرف فيما لا يحق له التصرف فيه . وتبلغ المأساة ذروتها عندما تنسب هذه الفعلة إلى مصر ، ومصر براء من ذلك الإثم العظيم" .

والعقل يقف حائراً لا يجد وصفاً أو سبباً لخرق السادات جدار الأمن العربى ، فحوالى 96 ٪ من أرض مصر صحراوية ، والزيادة فى عدد السكان تتراوح ما بين

2.3 ٪ - 2.5 ٪ سنوياً مما سيصل بسكان مصر إلى حوالى 70 مليون نسمة حتى عام 2000 الأمر الذى يستلزم استصلاح (5) ملايين فدان حتى عام 2000 ، بالإضافة كما ذكرنا سابقاً أن هناك عجزاً فى احتياجات مصر للمياه ، حيث أن مصر تستدين حالياً من حصة السودان فى المياه .

كما أن العدو الصهيونى ، وبعد فشله فى الحصول على وعد السادات فى مياه النيل لرحيل السادات قبل أن ينفذ وعده ، فإن الصهيونية بذلت جهوداً مكثفة للتغلغل فى منابع النيل والضغط على مصر ، إما بإعطائها مياه النيل أو بالدخول إلى أثيوبيا لإقامة خمسة سدود والتأثير على حصة مصر والسودان من المياه ، وبالفعل ذهبت شركة تاهال الإسرائيلية (لاحظ أن هذه الشركة ورد اسمها سابقاً فى إقامة مشاريع سرقة وتحويل المياه العربية لنهر الأردن والليطانى وغيرهما) .

وفى تقرير يوليو 1991 كشف تقرير لجنة الشؤون العربية بمجلس الشعب المصرى عن حقيقة الوجود الإسرائيلى فى منابع النيل حيث ذكر التقرير :

1 - وجدنا أصابع إسرائيل تدعم مويس تشومبى حاكم إقليم كاتانجا الكونغولى الملاصق لمنابع النيل .

2 - وجدنا أصابع إسرائيل فى أوغندا ...

3 - وجدنا أصابع إسرائيل فى أثيوبيا ، حيث المنابع الرئيسية للنيل 85 ٪ من مياهه ...

وتنفذ الآن ستة مشروعات سدود على منابع النيل هناك .

4 - وجدنا أصابع إسرائيل فى جنوب السودان ذاته ودورها مع جون جارانج ..

"أى أصابع إسرائيل تحاول أن تخترق دفاعات مصر الجنوبية ، وتحاول أن تحاصر منابع حياتنا ، وكل هذا باستراتيجية واضحة المعالم ضد مصدر الحياة لمصر .."

المصدر : تقرير لجنة الشئون العربية بمجلس الشعب المصرى - أزمة المياه فى المنطقة العربية - ص 11

وفى لقاء للفضائية المصرية مع العقيد معمر القذافى ، أوضح القذافى :

"أن الهدف من السلاح النووى الإسرائيلى هو الضغط على مصر حتى ترضخ ، وإلا يقوم بضرب منابع النيل الأزرق بالقنابل النووية وتحويل مساره ليعود مرة أخرى ويصب فى بحيرة فكتوريا ، وبالتالى يتم تجفيف نهر النيل ومنع المياه عن مصر والسودان"

المصدر : حديث القذافى للفضائية المصرية
يوم 8/ 6/ 1998 ■

الفصل الرابع عشر

قوة التصور... وقدرة التبصر

هناك لحظات فى تاريخ الأمم تستوجب
من رجالها أن يقفوا فعلاً دفاعاً عن رؤى
كبيرة من أجل مستقبلها .

بداية ..ونهاية

"نحن نسعى إلى تكوين جماعات مصالح في كل عاصمة عربية وبحيث نتمكن معاً من تحقيق مصالحنا المشتركة دون حاجة إلى قرارات سياسية"

"وزير المالية الإسرائيلي"

إن مستقبل الصراع العربي - الإسرائيلي لا يمكن الحكم عليه بالعواطف أو الانفعالات ، وأيضاً لا يمكن الحكم عليه بالتشاؤم والمعلومات الكثيرة المتطايرة هنا وهناك ، ولكن مستقبل أي صراع يكمن في تحديد قوته وطبيعة قدرته ، هذا بالإضافة إلى قوى أخرى غير محددة في قواميس علم الاجتماع ، إما أن تكون قوى تمتاز بها جماعة عن جماعة أخرى ويصعب تعميمها أو قوى موجودة أصلاً في تاريخ جماعة أخرى وهي صفة من خصائصها .

وعلى مدى قرن من الزمان مضى من صراع مرير وطويل بين العرب (الفريسة) وبين الصهيونية (الأسطورة) ، كانت الغلبة فيه إن لم يكن (دائماً) ، (فغالباً) للأسطورة ، ولو حسبنا أو أجرينا المعلومات التي تحدد عوامل قوة كل فريق سواء من

العرب ، أو الصهيونية ، وأدخلناها فى عقل آلى متميز ، فى بداية القرن العشرين لكانت النتيجة فى صالح العرب ، إذ كيف لمجموعات من اليهود مبعثرة ومشتتة يجمعهم حلم أو توحدهم أسطورة .. ويستطيعون أن يحققوا حلمهم فى النهاية ضد أمة عربية هى أقدم وأعرق أمة فى التاريخ البشرى ، منها انطلقت الحضارات ، وعليها نزلت الأديان جميعها - أى أمة - اختارها الله فعلاً لهداية وقيادة البشرية على كوكب الأرض .

لكن النتيجة مع ذلك كانت مخالفة لكل التوقعات وانتصرت (الأسطورة) واتخذت مكانها الأول فى ترتيب حلمها (فلسطين) وتعد العدة لاستكمال أسطورتها من الفرات إلى النيل .

هذه كانت البداية .. وكانت حقيقة بقدر ما هى غير متوقعة .. أو بقدر ما هى مفاجأة ، فإنها مرعبة ، وعندما نصل إلى تحديد (النهاية) ، أو على الأقل مستقبل الصراع العربى - الإسرائيلى ، فإن التخمين أو العاطفة أو التشاؤم أو حتى المعلومات عن قوة الطرفين ، ليس بالضرورة أن تعطى النتيجة الحقيقية لهذا الصراع . إن الصراع العربى - الإسرائيلى قد يأخذ وقتاً أكثر مما بدأ ، أو قد ينتهى بنهاية القرن القادم أو قبله أو بعده ، ولكن فى كل الأحوال ، وعند الارتكاز إلى العلم وليس المعلومات أى إلى الحقائق وليست الأخبار ، عندها فقط تظهر معالم القوة النهائية أو المحصلة النهائية لقدرة طرف من الأطراف .

وإذا بدأنا من الآن تحليل الواقع ، أو بداية من القرن القادم (21) الذى لا يفصلنا عنه إلا قليل من الشهور (18) شهراً ، فإن البداية أى بداية التفوق هى فى صالح الأسطورة (الصهيونية) ، وقد تستمر أو تطول أو تقصر وهذا يتم بناءً على عدة عوامل تم ذكرها سابقاً عند تعريفنا أو تعريف علماء علم الاجتماع لمعنى القوة أو القدرة ، مضافاً إليها عوامل من نوع خاص لا تندرج تحت العمومية فى التعاريف العامة لعلماء علم الاجتماع ، وإنما تمتاز بخصائصها إما الأسطورة أو العرب .

فأما الأسطورة فقد كان بجانب قوتها المادية والمعنوية (المادية وتشمل : الكتلة

الحيوية ، القدرة الاقتصادية) ، القدرة العسكرية والقدرة السياسية والمعنوية وتشمل : (الهدف الاستراتيجى - الإرادة القومية) ، قوة أخرى صنعتها الأساطير الدينية للصهيونية ، وظلت هذه الأساطير فى وجدان التراث الدينى والعاطفى كامنة فى عقيدة كل يهودى أو كل من يدين بالدين اليهودى - وحيث أن الديانة اليهودية ، هى الديانة الوحيدة التى :

1 - لم يكن لها وطن محدد أو دولة معينة ، أو على الأقل دولة واحدة معظم سكانها يدينون بالديانة اليهودية .

2 - عانى أفرادها من الاضطهاد والتشتت بحكم عدم انتمائهم لوطن واحد .

3 - لها تاريخ طويل فهى أول ديانة سماوية مكتوبة ، ومع ذلك فتاريخها يطاردها بين الأمم إذ قامت على اغتصاب أرض الغير فى بداية تكوينها (يشوع بن نون) ، فتميزت أو وصفت بالدم والقتل للأقوام الأخرى .

4 - تتميز بالعنصرية وتدعى القومية أى قائمة على التمييز العنصرى والتصفية العرقية .

5 - أكسبت كل يهودى بالإضافة إلى ما ذكرناه سابقاً صفة شعب الله المختار - حتى ولو كان دخل الديانة اليهودية أمس فقط .

كل هذه الأساطير جعلت الحنين إلى (صهيون) زمن مملكة داود واستعمار اليهود لفلسطين ، الذى لم يدم أكثر من 600 عام فقط ، حنيناً عاطفياً من نوع امتزجت فيه العاطفة بالعقيدة فكونت عقدة أو أسطورة أرض الميعاد . وعندما أرادت الدول الكبرى (الاستراتيجية) أن تحقق هدفها بفصل شرق الوطن عن غربه عند التقاء الجنوب الغربى للبحر المتوسط بشرقه - أى عند حطين - (فلسطين) كانت الحركة الصهيونية السياسية إحدى حركات المخابرات الغربية التى كانت لديها كل عقد وعقائد وأساطير اليهود من جهة وكل أمل فى التخلص من اليهود الذين زادوا فى أوروبا من جهة أخرى .

وعلى مدى قرن كامل ، ومنذ بداية هذا القرن والمخابرات الغربية (الاستراتيجية الغربية) وهى تعد بنشاط هذه المجموعة التى سموها الصهيونية والتى دربوها وأعطوها كل مقومات الرحيل إلى فلسطين لاستعمارها - فسبقتهم العناصر الدينية، ثم العلمية ، ثم الاقتصادية للاستيطان بفلسطين ، ثم وعد بلفور ... الخ حتى وقتنا هذا .

إن القوة التى نتحدث عنها هنا والتى مكنت الأسطورة من أن تفوز طيلة القرن الماضى فى صراعها مع أصحاب الأرض (العرب) هى قوة من نوع آخر .. قوة الاعتقاد والإصرار فى الأسطورة .. قوة التمسك بأن يكون لك وطن .. قوة الحلم الذى تحول فجأة إلى واقع يدفعه وتعمل على تحقيقه أكبر القوى فى العالم آنذاك (نابليون - بالمرستون - دزرائيلى - تشرشل - روزفلت - ستالين - ترومان - إيزنهاور - جونسون ... حتى بوش وكلينتون) .

إن هذه القوة التى خلقت من أمثال هرتزل - ووايزمان وبن جوريون وبيجين وإسحاق شامير وجولدا مائير ... الخ سفاحين ودمويين وقتلة فى سبيل الحصول على وطن أى وطن حتى فى لحظة ما حاولوا أن يحصلوا عليه فى أوغندا أو العريش أو فى أى بلد من بلاد أمريكا اللاتينية ... الخ .

إنه الحنين أن يكون للأسطورة وطن .
فأسطورة بلا وطن ستظل كالحلم بلا ليل .

إن طبيعة تكوين تلك النماذج البشرية ، بما لاقته من ظلم سبقتها فى أوروبا وتشرد سبق أجدادهم فى كل مكان جعل منهم وحوشاً عند أول فرصة قدمتها لهم الدوائر الاستعمارية (الاستراتيجية الغربية) .

وبموت إسحاق رابين أحد هذه النماذج ، إن لم يكن آخرها يكون قد مات جيل وأخذ سر هذه القوة معه - وظهر جيل جديد ، يعيش - نتنياهو - كمثال وسطه يريد أن يحافظ على سر هذه القوة التى ماتت .

إن عجلة التاريخ لا تتوقف ، وإن الماضى بأحداثه وصناعته لا يمكن تكراره لنسخ حاضر منه - لذلك فإن المجتمع الإسرائيلى يأخذ طريقاً آخر - لقد أصبح لديه وطن، فأصبحوا مثل كل البشر - وأصبح هذا الوطن - بدون حلم - فسقط جزء كبير ، إن لم تكن كل القوى الخفية التى حركت جيلاً بكامله من الصهاينة المرتزقة الذين تحولوا إلى وحوش فى إبادتهم للعرب .

وبالتالى ستدخل الصهيونية صراعها مع العرب فى القرن القادم وهى فاقدة هذه القوة ، التى لا يمكن لتنياهو أو غيره مهما ألف من كتب تحت الشمس أو فوقها أن يعيد عجلة التاريخ إلى الوراء .

لذا فإن القوة الإسرائيلية فى القرن القادم ستكون القوة التى ينطبق عليها التعريف العام لعلماء علم الاجتماع ستدخل الصراع الذى لا تريد أن تنهيه إلا عند الفرات والنيل بقوتها المادية والمعنوية .

وقوة إسرائيل المادية هى قوة ليست بالهينة ، بل أحرزت فى بعض مكوناتها نصراً على العرب ، فعلى سبيل المثال القدرة العسكرية لإسرائيل أثبتت حتى الآن تفوقها ، وليس التفوق فى نتيجة معركة فحسب ، لكن تفوقها تفوق نوعى - ويكفى أن إسرائيل كما تقول المعلومات ، أصبحت الدولة السادسة فى النادى النووى بعد كل من أمريكا وروسيا وبريطانيا وفرنسا والصين تأتى (إسرائيل) .

إن هذا التفوق فى القدرة العسكرية بفعل امتلاكها أسلحة الدمار الشامل ، بالإضافة إلى التفوق النوعى فى أكثر من مجال من مجالات القدرة العسكرية جعل إسرائيل تعلن بثقة فرض "سلام الردع" ، وجعل صدى هذا السلام المخيف يرتد من ارتعاش بعض القادة العرب : **ونحن كشجعان نقبل سلام الردع ؟؟**

وبالتالى تكون إسرائيل قد تفوقت على العرب فى القوة المادية فى عامل واحد فقط وهو "القوة العسكرية" .

أما العوامل الأخرى وهى :

– الكتلة الحيوية

– القدرة الاقتصادية

فذلك هو مسار تحليلنا :

ونأخذ أولاً : القدرة الاقتصادية

إن قوة إسرائيل الاقتصادية ، كما عبر عنها العلامة «يشياهو ليبوفيتز» الاستاذ بالجامعة العبرية فى القدس :

«إن قوة القبضة اليهودية تأتى من القفاز الأمريكى الفولاذى الذى يغطيها ومن الدولارات التى تبطنه» .

المصدر : اليهودية وإسرائيل ص 253

إن إسرائيل بعد قيامها مباشرة ، ونتيجة للأموال الطائلة التى دفعتها فى احتلالها لفلسطين والخسائر فى السلاح والإعداد وإقامة دولة جديدة ، لم تسعفها كل أموال اليهود من تبرعات ولا كل الدعم الذى وصلها من أمريكا .

وهناك قصة تؤكد مهزلة الاقتصاد الإسرائيلى من البداية ، عندما استغاث بن جوريون بناحوم جولدمان زعيم الصهيونية فى ذلك الوقت يطلب منه التصرف بانقاذ إسرائيل من الإفلاس قبل أن تبدأ – ووردت فكرة لجولدمان أن يطلب من ألمانيا تعويضاً ، ووافق بن جوريون يقول جولدمان :

"جاء إلىّ وزير الخارجية الإسرائيلى فى صيف عام 1951 ، بصفتى رئيساً للوكالة اليهودية ، وطلب منى دعوة المنظمات اليهودية الكبرى فى الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى ودول الكومنولث وفرنسا ، إلى مؤتمر يهدف لدعم المطالب الإسرائيلية وإيجاد السبل الكفيلة بتلبيتها" .

المصدر : جولدمان «سيرة ذاتية» ص 263

ويقول جولدمان أيضاً :

"وقد شكلت المبالغ التى دفعتها ألمانيا عاملاً أساسياً فى نمو إسرائيل الاقتصادى خلال السنوات الأخيرة . ولا أدرى ما كان يمكن أن تؤول إليه إسرائيل فى بعض اللحظات الحرجة التى مرت باقتصادها ، لو لم تلتزم ألمانيا بتعهداتها ، فما كان لخطوط الهاتف ونظم الرى والموانئ وقطاعات بأكملها فى الصناعة والزراعة أن تصل إلى ما هى عليه حالياً لولا التعويضات الألمانية . وفى النهاية ، فقد تلقى مئات الآلاف من ضحايا النازية اليهود مبالغ طائلة خلال السنوات الأخيرة بفضل قانون التعويضات".

المصدر السابق : ص 286

ويقول جولدمان :

«عندما ذهبت صبيحة وصولى إلى مكتب رئيس الوزراء «دافيد بن جوريون» استقبلنى بحفاوة قائلاً : «لقد تسنى لكلينا أن نشهد تحقيق معجزتين : إنشاء دولة إسرائيل وتوقيع الاتفاقية مع الألمان . أنا المسئول عن المعجزة الأولى ، وأنت عن الثانية» .

المصدر السابق : ص 284

وقد اعترف «بنحاس سابير» عندما كان وزيراً للمالية فى حديثه أمام مؤتمر أصحاب المليارات اليهودى فى القدس عام 1967 بأن دولة إسرائيل حصلت على 7 مليار دولار فى الفترة من 1949 إلى 1966 .

المصدر : مجلة الاقتصاد الإسرائيلى - سبتمبر 1967 - العدد 6

وقد ثبت بالفعل ، أن متوسط ما ترسله المنظمات اليهودية الأمريكية إلى إسرائيل سنوياً مليار دولار ، وتعتبر هذه المساهمات فى الولايات المتحدة بمثابة «تبرعات خيرية» مما يعنى خصمها من الوعاء الضريبى الأمريكى للمتبرع ، أى أنها تقع على عاتق دافعى الضرائب فى أمريكا ، وهو تهرب من ناحية ومن ناحية أخرى ، مساعدة إسرائيل .. (يهود) !!

وبمقارنة أخرى نجد أن حجم المعونات التى حصلت عليها البلدان المتخلفة فى الفترة من 1951 إلى 1959 ، لم تتجاوز 3,164 مليار دولار ، بينما حصلت إسرائيل التى كان عدد سكانها آنذاك 1,7 مليون نسمة على 400 مليون دولار خلال نفس الفترة .

أى أن إسرائيل حصلت خلال 18 سنة على ما قيمته 7 مليار أى ما يزيد عن إجمالى الدخل القومى للدول العربية المجاورة مجتمعة (مصر وسوريا ولبنان والأردن) والذى بلغ ستة مليارات دولار عام 1965 .

المصدر : من إحصائيات الأمم المتحدة المنشورة فى : الوضع الحالى لرؤوس الأموال البعيدة المدى ، والمعونات الحكومية (1951 - 1959) أورده جورج كورم فى كتابه مالية إسرائيل 1968)

حتى القوة العسكرية وبناؤها لم تأت من الاقتصاد الإسرائيلى ، وهذه المعلومات معروفة للعامة ، ولكن سنعطى مثالاً واحداً ففى عام 1980 ، تمت الموافقة على بيع أسلحة لإسرائيل بمبلغ مليار دولار وبمجرد تسليم الشحنة ، تم إسقاط المبلغ المتفق عليه ، ومن خلال المعونة المقدمة لإسرائيل سنوياً تزداد بما مقداره الديون المترتبة على الأسلحة .

المصدر : ت.ستوفر ، صحيفة كريستيان مونيتور 20/ 12 / 1981 عن : جارودى سبق ذكره ص 313

وفى الفترة من 1948 إلى عام 1982 ، حصلت الدولة الصهيونية على زهاء (11) مليار دولار فى صورة هبات ومستندات

المصدر : خلاصة إحصاءات إسرائيل (الكتاب السنوى) والتقارير السنوية لمصر فى إسرائيل عن جارودى سبق ذكره ص 314

وقد تزايد اعتماد الاقتصاد الإسرائيلى على الاعتمادات الخارجية وأصبح عاجزاً عن الوفاء ببقاء وسياسة وطموح ساسة إسرائيل :

"عندما وقعت حرب يونيو 1967 كان العجز الخارجى قد وصل إلى 70 مليون دولار ، بينما تجاوز المليار دولار فى مطلع السبعينيات ، كما لم تعد

المساعدات المالية من يهود العالم تكفى لسد الاحتياجات الأساسية للاقتصاد الإسرائيلى ، ولهذا كان من الضرورى الاستنجاد بالحكومة الأمريكية حتى وصلت ديون إسرائيل أكثر من 20 مليار دولار عام 1982

المصدر : جاك بندلاك : الاعتمادات الخارجية لإسرائيل - الناشر إيكونوميكا ، باريس . 1982

ويقول جارودى :

"يجدر فى النهاية أن نستمع إلى رأى العلامة "يشياهو ليبوفيتز» والذى ألف كتاباً مهما عن "عقيدة الميمونيين" (ترجم إلى الفرنسية عام 1922 ، وصدر فى باريس عن منشورات دوسير) ، كما أشرف لمدة 20 عاماً على تأليف الموسوعة العبرية . ويوجز ليبوفيتز فى كتابه : إسرائيل اليهودية (1987) موقفه من الصهيونية السياسية ، باعتباره يهودياً تعرضت عقيدته الصهيونية الدينية لهزة عنيفة (وهو الذى عاش فى فلسطين منذ عام 1934 يقول :

«لقد تعفن نظامنا من جذوره ص 235 وذلك لسببين :

1 - إن الشر يتولد من كل ما يتصل بمسألة الأمة والدولة فإذا ما نُظر إلى الدولة والأمة باعتبارهما غاية فى ذاتها ، فإن ذلك يعنى «رفض اليهودية مادامت دولة إسرائيل قد أصبحت أكثر أهمية» .

«إن النزعة القومية تدمير لجوهر الإنسان ، فدولة إسرائيل ليست مجرد دولة تمتلك جيشاً ولكنها جيش يمتلك دولة» .

2 - تبعية هذه الدولة للولايات المتحدة الأمريكية :

"إذ قد يصيبنا الانهيار التام فى ليلة واحدة ، من جراء البلادة التى جعلت وجودنا مرهوناً بالمساعدات الاقتصادية الأمريكية ، فكل ما يهم الأمريكيين هو الحفاظ على جيش من مرتزقة أمريكيين يرتدون زى الجيش الإسرائيلى" .

"إن قوة القبضة اليهودية تأتى من القفاز الأمريكى الفولاذى الذى تعطيها ، ومن الدولارات التى تبطنه !!"

وبهذه النصائح التى يقدمها العلامة اليهودى ليبوفيتنز إلى اليهود ، ويؤكد فيها

على حقائق مجردة منها :

1 - أن الدولة الصهيونية ليست دولة ، بل مجرد جيش يحكم مجموعة من اليهود في شكل دولة فاقدة كل مقومات الدولة .

2 - أن الجيش الإسرائيلي (الدولة الإسرائيلية) يمكن أن ينهار في أي لحظة لأن طبائع البشر فيها قد تعودوا على المعونات الأمريكية (1000 دولار) سنوياً لكل فرد .

3 - أن إسرائيل وجيشها هم مجموعة مرتزقة يرتدون الزي العسكري الأسطوري، وهم ينفذون سياسة أمريكا في المنطقة ليس إلا ، وعندما تستغني عنهم أمريكا ستنهار هذه المؤسسة التي تشبه (CIA) في الولايات المتحدة الأمريكية ".

وهذا يعود بنا إلى :

1 - إن المعلومات التي أوردناها تؤكد أنه ليست هناك دولة بمفهوم الدولة ، بل هناك مؤسسة أو شركة تقوم بانشاء مصانع ومدارس .. الخ وسلاح نووي وجرثومي ، وإن مجلس إدارة هذه الشركة هي أمريكا .

2 - إن طبيعة البشر (الصهاينة) الموجودين بفلسطين قد أصابتهم البلادة ، وأنهم الآن جيل آخر غير الجيل الذي أسس إسرائيل ، هذا الجيل الذي يعيش على المعونات والهبات والمساعدات ولم يعرف التضحية لن يستطيع أن يصنع قوة مقابل قوة العرب .

3 - أيضاً ليست هناك قوة اقتصادية إسرائيلية تواكب خطتها .

ثانياً : الكتلة الحيوية : (الديموجرافيا)

الكتلة الحيوية كأحد عناصر قياس القوة ، ويعني بها الإقليم والسكان ، فالإقليم

هو عبارة عن المساحة من حيث الحجم والموقع الاستراتيجى من عدمه ، الحدود الطبيعة للدولة ، أما السكان فهو يشمل العدد ، الكثافة ، العمل ، المستوى الصحى المستوى التعليمى إلى آخره .

أو بمعنى آخر سنحلل هنا العامل الديموجرافى بما يسمى إسرائيل (فلسطين المحتلة كأرض + الصهيونية عليها كبشر) .

ودون أن ندخل فى تفاصيل كثيرة حيث أن معظم الشعب العربى وغير العربى يدرك التفوق الساحق فى هذا الجانب المهم جداً من القوة المادية ، حيث يعتبر هو العمود الفقرى للقوة فى أى دولة .

فإن موقع الوطن العربى الاستراتيجى الذى هو فى حد ذاته يعتبر محيطاً لفلسطين المحتلة فبقدر ما للوطن العربى من موقع استراتيجى هام ، فإنه فى الوقت نفسه يشكل خطراً طبيعياً على ما يسمى بإسرائيل ، حيث الدول العربية جميعها تحيط بإسرائيل ، أى أن حدود ما يسمى بإسرائيل هى حدود يحيط بها العرب من كل جانب ، وبالتالى فإن الموقع هو فى صالح العرب تماماً ، أما السكان فهم 200 مليون عربى مقابل 5.5 مليون إسرائيلى أيضاً لا يمكن مقارنته .

لكن الأهم من ذلك ، والشئ الهام الذى يؤكد أن المستقبل فى غير صالح إسرائيل تماماً هو ما يذكره علماء إسرائيل أنفسهم :

فى يونيو 1967 نشرت صحيفة هآرتس نبوءات العالم الدكتور "يهوذا دون" القائلة:

> **"إن المناطق المحتلة والمحررة جلبت لإسرائيل 1.4 مليون عربى وهذا يشكل شحنة ثقيلة جداً من المشاكل والالتزامات وبخاصة فى ضوء حقيقة أن نسبة التكاثر الطبيعى المتوقع سنجعل عدد الشعبين متساوياً فى غضون 14 عاماً "**

المصدر : نتنياهو - مصدر سبق ذكره ص 354

كما أن صحيفة "جيروزليم بوست" وصفت كلا من "دوف فريد هندر»

و«كلافين جـولد شتاين» ، إنهمـا من أكبر الديمغرافـيين فى إسرائيل ، وأوردت على لسانهما فى عام1974 :

"إنه مع الحـد الأقـصى من الاسـتيطان اليـهـودى (الاحـتـفـاظ بكل المناطق المحتلة) قد يصبح السكان اليهود أقلية واضحة فى المستقبل فى عام 2000"

المصدر السابق : ص 354

أما البروفـسور أدنون سوفر ، الذى وصـفته صحـيفة «شيكاغـو تريبون» بأنه أهم خبير إسرائيلى فى مجال الديمجرافيا قال عام 1978 :

"إنه حتـى عام 2000 ستـصل نسبـة السكان العرب فى أرض إسـرائيل إلى 46٪ وأضاف : إن هذه الإحصائية لا تكذب .. وإذا استمر الوضع على ما هو عليه الآن ، فتختفى إسرائيل بصورتها الحالية".

ويعلق نتـنيـاهو رئيس وزراء إسـرائيـل الحـالى على هؤلاء العلـمـاء بأن ها هى إسرائيل لـم تخـتـف حتى الآن ، وإن السكان العـرب لـم يصلوا إلى ما تنبـأ به العلماء متحـدياً العلماء أو متحدياً العلم - وهذا يدل على مكـابرة وعقلية غير موضـوعية . فهـو يعلم أنه لولا يهود المهجـر الذين وصلوا بعد تفكك الاتحاد السـوفيتى وأفريقـيا لأصبح رأى العلماء حقيقياً !!

ولولا الطرد وهدم المنازل والتـشريد لأصـبح العلم حقـيقـياً فـالعلم لا يكذب يا رئيس الوزراء .

العلم هو الذى أوجد لك قنابل نوويـة وهيدروجينة ، فلماذا تقف ضـده عندما لا يكون فى صـالحك **(من المضـحك أن نتنيـاهو سـمى هذا العلم وعلمـاءه بالعلم الأسـود والتقارير السوداء)** .

كما أن الإحصائيات لديهم (الصهاينة) كما يذكر نتنياهو :

"إن خوف اليـهود من المشكلة السكانية ينبـع أساساً من مصـدر واحد هو : نسبـة الولادة العالية فى أوساط العـرب فى إسرائيل التى تصل إلى خمـسة

أولاد للأسـرة الواحدة أى حـوالى ضعف حـجم الأسـرة اليهـودية – وهذا معناه أن نهاية إسرائيل الدولة اليهودية ليست بعيدة".

المصدر السابق ص 328

هنالك معلومة إحصائية أخرى :

"إن السكان العـرب أكثـر شبـاباً من اليهـود الأمر الذى سـيجـعل تكاثرهم الطبيعى فى المسـتقبل أعلى أى أن المعركة حـالياً تدور حول الرحم – وهذه المعركة سيخسرها اليهود".

المصدر السابق ص 358

(ولذلك نجـد أن الصـهـاينة يقـومون بـتعـقـيم طالبـات وطلبـة المدارس الثـانوية الفلسطيـنية فـى الأرض المحتلـة حيث كـثـرت عـدة شكاوى من الغـازات الخـانقـة وحالات الإغـماء للبنات فى المدارس ، دون أن يلـتفت أحد لهـذه الجريمة ، كـما أن معظم المعتقلين يتم تعقيمهم دون أن يشعرون) .

لهذا يقول نتنياهو :

"إن الهدف الرئيسى للحركة الصهيونية (إزاء هذا الوضع الخطير) هو تجميع الشعـب اليهودى فى دولـة إسرائيل .. إن كل شخـص يهاجر من إسـرائيل يعتـبر خـسـارة حقـيقيـة فعلاً .. بقـدر عدد الإسرائيليـين الذين هاجروا من إسـرائيل منذ قـيامـها 15 – 5 – 1948 بحوالى 400 ألف نسمـة أى حوالى 10٪ من مجموع السكان اليـهود حالياً ، ويعتبر هذا الرقم كبـير جداً بالنسبة لدولة لا تزال تبذل الكثير من أجل زيادة عـدد سكانها (أمام العرب حتى لا تفنى) ".

المصدر : المرجع السابق ص 361 – 362)

ولكى ينقذ نتـانياهو إسرائيل من القدر المحـتوم عليها بالفناء والذى أكـده معظم العلماء اليهود والصهاينة أنفسهم يضع نتنياهو ويأمل فى بعض الآمال إذ يقول :

«واليوم أيضاً لا تزال الهجرة اليهودية تنطـوى على إمكانيات ضخمة لتقوية

الدولة فى المستقبل ، إذ يوجد فى جمهوريات الاتحاد السوفياتى المستقلة حوالى 2 – 3 مليون يهودى ..

لقد أصبح من شبه المؤكد الآن أن جميع يهود روسيا وأوكرانيا وجمهوريات أخرى سيهاجرون إلى إسرائيل لو زادت خطورة الوضع الاقتصادى والسياسى هناك ، وإذا استطاعت إسرائيل توفير فرص عمل مناسبة لهم ، فهنالك ما يزيد على مليون يهودى فى روسيا قدموا حتى الآن طلبات هجرة إلى إسرائيل» .

المصدر : السابق ص 363

ونختم هذا الجانب من تحليل نتنياهو للهروب من الواقع حيث يقول :

«إن تاريخ الصهيونية ، هو تاريخ هجرة اليهود إلى أرض إسرائيل» وهذا هو العنصر الذى سيحسم مستقبل الدولة السكانى ، لذا فإن المفتاح لمستقبل الدولة والحل لكافة مشاكلها السكانية ، يكمنان فى استمرار هجرة اليهود إلى إسرائيل حتى تصبح مأوى للجماهير اليهودية التى شاهدها مؤسسو الحركة الصهيونية فى أحلامهم . ولهذا فإن النضال من أجل الهجرة اليهودية ، هو نضال من أجل بقاء إسرائيل» .

المصدر : نتنياهو سبق ذكره ص 363

ويؤكد نتنياهو على نقده للذين يؤمنون بأن الواقع والمستقبل هو نهاية دولة إسرائيل بدون حروب عسكرية أو سياسية أو اقتصادية فيقول :

«إن العفريت الديمجرافى ، ليس من نتاج الواقع إنما هو تعبير عن الانهزامية لدى أولئك الذين فقدوا إيمانهم . بما أنهم هم أنفسهم لا يرون الطرق المؤدية إلى انتصار الصهيونية ، أعربوا عن استعدادهم للإعلان عن هزيمتهم ، والانسحاب حتى لو كان هذا الانسحاب إلى دولة لا يتجاوز عرضها بضعة كيلو مترات ظهرها إلى البحر ، وأصابعها ممدودة إلى الزر النووى» .

المصدر : المصدر السابق ص 382

ومن النظر إلى الحقائق العلمية التى خرجت من مراكز أبحاث ودراسات الصهيونية نفسها ، هذا طبعاً بالإضافة إلى العديد من الأبحاث حول هذا الموضوع (عالمياً) وليس (عربياً) ، لكننا أثرنا أن نأتى به من أفواههم وعقولهم ليكون القارئ العربى أو حتى غير العربى مدركاً تماماً لحيادنا وسلامة تحليلنا فى سرد الحقائق التى تنكشف وانكشفت من تفكير الصهيونية إزاء هذه المشكلة الخطيرة التى أكدت انتهاء دولة إسرائيل فى المستقبل ، لذا فهم يقاومون ، كما قرأنا من أفكارهم السياسية والعلمية ، وكما أورده رئيس وزراء إسرائيل ويبنون استراتيجيتهم على أساس :

1 – إن الدعوة إلى السلام والذى أطلقوا عليه سلام الردع ليست حتى من أجل سلام الردع (الاستسلام) بل من أجل التخلص من الفلسطينيين الموجودين فى الضفة الغربية ، لأن وجودهم فى الضفة الغربية واستمرار بقاء الضفة الغربية جزءاً من إسرائيل – فهذا معناه – أن عدد السكان العرب سيصبح يوماً ما أكثر من عدد اليهود وفقاً لأبحاثهم – وحيث إن إسرائيل دولة ديمقراطية فهذا معناه حكم العرب لإسرائيل وفى المستقبل نهاية الدولة اليهودية .

لذا فإن أحد الحلول فى نظرهم ، ويتزعم هذا الحل حزب العمل هو "سلام الردع" والتخلص من العرب فى الضفة الغربية مع بقاء الضفة أرضاً فقط بدون مسئولية بشر جزءاً أمنياً هاماً لحماية الجبهة الشرقية لإسرائيل– وبذلك تكون إسرائيل قد تخلصت من الفلسطينيين ، وأنقذت دولة إسرائيل .

2 – إن الحل الآخر وهو يتزعمه حزب الليكود وهو ترحيل أو طرد أو تهجير الفلسطينيين جميعاً بالقوة إلى العراق ليأخذوا بثأرهم الأسطورى من البابليين ، ومن ثم ينقذون دولة إسرائيل .

3 – أما الحلم الصهيونى ، فكما ذكره نتنياهو يتلخص فى المساومة والمماطلة تحت تهديد القوة والتلويح "بسلام الردع" عشرات السنوات ، يتم خلالها تحقيق الحلم الصهيونى وذلك بتجميع كل يهود العالم فى إسرائيل لتصبح عشرة

ملايين فى المستقبل القريب وعشرين مليوناً فى المستقبل البعيد .

وبذلك يضمن عدم اختفائها أو إبادتها إبادة طبيعية .

والخلاصة فى هذا الصراع يتضح أن :

1 - الدعوة بقبول السلام المفروض على العرب ..هو بمثابة مساعدة إسرائيل فى إنقاذ نفسها من «الخنق الديمجرافى» و«الخنق الجغرافى» كما ذكر رئيس وزرائها بالضبط .

ومن هنا يتضح حجم المؤامرة الخطيرة على العرب من جراء دعاوى السلام .. سلام الردع .. أو سلام الشجعان .!!

2 - أن مستقبل الصراع العربى الإسرائيلى يعتمد فى قدرة العرب على جعل المناخ الاقتصادى والسياسى فى إسرائيل غير مستقر - أى على عدم تشجيع أى هجرة إلى إسرائيل وجعل يهود العالم لا يفكرون فى الهجرة إلى بلد غير آمنة وليس بها فرص للعمل .

إن إشاعة السلام هو فى حد ذاته أكبر دعاية للهجرة اليهودية وهى مساهمة من مروجى هذه الفكرة لقوة إسرائيل .. إن هذا يعتبر من الأعمال الخطيرة ضد الأمن القومى العربى .

3 - إن قدرة الأمة العربية الإعلامية والثقافية والسياسية والدبلوماسية ، وإرادة الأمة كلها ، يجب توظيفها توظيفاً علمياً ومقنعاً مع العالم أجمع فى إقناعه بعدم بناء المستوطنات وعدم السماح بمزيد من المآسى والظلم الذى وقع على العرب الفلسطينيين من جراء الهجرة اليهودية .

هذا من جانب القوة المادية والمعنوية للصهيونية فى التحليل الذى قدمناه ، وهو أيضاً مزدوج حيث أن ثبات ضعف هذه القوة يبرز من جانب آخر فى الميزان قوة العرب والعكس صحيح ، لكن هناك أيضاً فى المقابل تحليلاً للوطن العربى سواء فى القوة المادية أو القوة المعنوية .

ونوجز هذا التحليل فى :

(ا) لقد أوردنا ونحن نناقش القوة المادية للصهيونية عدة نقاط أثرت على الجانب العربى فى ميزان القوى وهى أيضاً جانب من القوة غير المرئى التى لم تحدده تعريفات القوة فى علم الاجتماع وناتج من طبيعة العرب أنفسهم أيضاً أو من خصائصهم ومنها : أن العرب أخذوا وقتاً طويلاً متأثرين ببعض القوة المادية الصهيونية والتى تجلت فى المعارك الحربية ، ثم الاستسلام بعدها من القادة تحت وهم السلام فأفرزت جدلاً كبيراً وواسعاً فى المجتمع العربى مبنياً على التصورات .. وأخذت التصورات كقوة دافعة ترمى مجموعة كبيرة من العرب إلى هوة واسعة من التصورات فكثيراً من العرب أمام المعطيات المذكورة (قوة عسكرية - قوة تقنية - قوة نووية ... الخ) أخذوا يتصورون لأنفسهم بعيداً عن تصور واحد أو تفكير واحد للأمة وهذا التصور ، خلق روحاً من الانهيار والاستسلام ، وإن كان إلى الآن فى مجموعة أو مجموعات قليلة ، إلا أنها مجموعات أيضاً مؤثرة ، سنذكر بعضاً منها :

أ - مجموعة المثقفين أو ثقافة السلام :

من الطبيعى أن الثقافة تعبر عن المجتمع ، ومرآة تعكس الحالة السياسية والاقتصادية للمجتمع ، والمجتمع العربى زخر بكثير من عمالقة الأدب والفكر والشعر ، إلا أن معظم هؤلاء العمالقة مع عظمة أفكارهم وآدابهم ، لم يستطيعوا التعبير الصادق عن الصراع العربى - الإسرائيلى ، وقد يكون ذلك ناتجاً من المدارس الفكرية التى تكونوا فيها ، حيث أثر الشمال الأوروبى خاصة فرنسا على جذب كل الأدباء والمفكرين العرب منذ عهد محمد على وحتى وقت قريب ، فالادباء والمفكرون كانت تطلعاتهم إلى باريس تحديداً ، سواء من أدباء ومفكرى مصر أو الشام أو حتى شمال أفريقيا القريب أصلاً من أوروبا المتأثر بها حتى الآن .

وقد يكون أدباء ومفكرو الأمة ، بعد تكوينهم فى باريس أو غيرها ، أن معظمهم أو بعض منهم لا يدرك طبيعة الصراع العربى - الإسرائيلى ، خاصة فى بداية القرن

العشرين ، إما لسرية هذا الصراع ، أو لطبيعة أنظمة وأدوات الحكم السائدة فى العالم ، كما أن ثورة المعلومات كانت لم تولد بعد . وسواء كانت هذه الأسباب مجتمعة أو سبب واحد فإن تقصيراً كبيراً قد حدث من بعض المثقفين والأدباء والمفكرين فى حق المجتمع ، فبات المجتمع بدون أرضية ثقافية مؤهلة لأحداث العالم خاصة الصراع العربى - الإسرائيلى ، وهذا بعكس أو بمقارنة بالمجتمع الأوروبى الذى عبر مثقفوه من أدباء وكتاب عن نتائج الحرب العالمية الثانية تعبيراً يكاد يرسم صورة حقيقية لواقع الصراع وتنافس القوى فى أوروبا إبان تلك الفترة ، وكان من أهمها أن المثقفين أو الكتاب والأدباء صوروا هتلر كما صوروا زعماء بريطانيا وأمريكا وغيرهم تصويراً حقيقياً لم يتأثر بالدعاية السياسية السائدة فى تلك الفترة ، كما عبر المفكرون عن الصهيونية واليهودية تعبيراً صادقاً ، وكنا قد أفردنا تحليلاً واسعاً عن دور الأدب أو الحركة الأدبية فى أوروبا قبل وبعد الحرب العالمية الثانية ، كما أفردنا عن رؤية المفكرين الأوروبيين للصهيونية الدينية «اليهودية» كما كانت محاكمة هتلر فى رواية «جورج ستاينر» وهو مؤلف وعالم لغوى بريطانى (يهودى) يعمل حالياً أستاذاً فى جامعتى كامبردج وجينيف (سبق ذكره مع أعماله) ونذكر هنا بنهاية المسرحية التى كتبها هذا المؤلف عندما قال هتلر فى نهاية محاكمته :

«أيها السادة أعضاء المحكمة . لقد أخذت عقائدى منكم إن جرائم الآخرين فاقت جرائمى .. إن الرايخ هو الذى ولد إسرائيل .. هذه هى كلماتى الأخيرة .. فى وسط التردد وعدم اليقين تظل الأمور معلقة حتى يحين وقت كشف كل الأسرار »

المصدر : جورج ستاينر - سبق ذكره - مكرر

وكما قال ستاينر ، فى وسط التردد وعدم اليقين تظل الأمور معلقة حتى يحين وقت كشف كل الأسرار ، فإن هذا هو التعبير الصادق عن حالة مجتمعنا بما فيه مثقفوه الذين لم يحاولوا بأدبهم إثراء العقل أو بتبصير العقل العربى على الأقل فى صراعه مع الصهيونية ، وكانت النتائج أن الشعب العربى تمزق أكثر من مرة إثر هول المفاجأة .. ففى كل هزيمة يفاجأ الشعب العربى بها لأن الأرضية الثقافية والفكرية لم

تتناول هذا الصراع منذ بداية القرن العشرين وحتى عام 1945 تناولاً يستحق الذكر ، بل على العكس نشطت الحركة الأدبية والثقافية فى معظمها معبرة عن الحالة الوطنية على مستوى القطر العربى ، وليست على مستوى الحالة القومية ، فنشطت الثقافة المناوئة للاحتلال الانجليزى فى مصر ، والاحتلال الفرنسى فى سوريا وهكذا .

وكان من مظاهر هذا التقصير أو هذه الحالة فى فشل معظم المثقفين والأدباء والكتاب (طبعاً لم نقل جميعهم فقد كان من بينهم من يستحق التقدير مثل المازنى وغيره) أن التكوين الفكرى والسياسى لزعماء الأمة كان غير ناضج ، لأنه لا توجد أرضية ثقافية تغذيه ، بل كانت كل أفكار الزعماء السياسيين العرب مستقاة من الأدب والفكر الأوروبى ، تعالوا لنرى بعضاً منهم :

أ - الزعيم الوطنى مصطفى كامل الذى يعتبر مثالاً للتضحية والوطنية فى تاريخ مصر الحديث ، والشاب الذى استطاع فضيحة وكشف الأساليب الوحشية للاستعمار الانجليزى ... الخ نجده يذهب إلى ثيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهوينية الحديثة أو الناطق الرسمى لهذه الحركة ويطلب منه أن يتعاون معه ضد الاحتلال الإنجليزى لمصر ؟

المصدر : هيكل - المفاوضات السرية - مرجع سبق ذكره ص 67

ثم يستهزئ هرتزل بهذه الواقعة ويقول :

"سليل الفراعنة الذين اضطهدونا يطلب مساعدتى أنا اليهودى" .

وأجزم لا أحد يستطيع التشكيك فى وطنية مصطفى كامل شهيد الوطن وزعيم الزعماء ، لكن هذه الهفوة لم تحسب على الزعيم مصطفى كامل بقدر ما تحسب على مثقفى الأمة إبان تلك الفترة ، فالثقافة العربية عن الصراع العربى - الصهيونى كانت معدومة، على الرغم أن أوروبا أيضاً كانت تعج بآلاف الكتب التى ظهرت عن الحركة الصهيونية ، وكلها كتب أو معظمها من تأليف الصهاينة عن أطماعهم وأساطيرهم وخططهم لاحتلال فلسطين .

ونسوق مثالاً آخر لزعيم آخر وهو مصطفى النحاس وقد ذكرنا سابقاً هذه الواقعة عندما قال لمفتى فلسطين الذى جاءه طالباً المساعدة :

«يا أخى لماذا لاتسوون أموركم مع اليهود عندكم وتريحونا جميعاً من وجع الدماغ»

المصدر : هيكل سبق ذكره ص 217

ونذهب إلى أبعد من ذلك فى قمة الهرم الأدبى والفكرى فى مصر ، الدكتور طه حسين (عميد الأدب العربى) الذى ذهب إلى القدس بناء على تكليف من لطفى السيد رئيس جامعة الملك فؤاد (القاهرة الآن) لحضور حفل افتتاح الجامعة العبرية فى القدس بدعوة من مدير هذه الجامعة الصهيونية الدكتور «ماجنس» وألقى الدكتور طه حسين كلمة جامعة الملك فؤاد فى الاحتفال بافتتاح الجامعة الصهيونية .

المصدر: هيكل سبق ذكره ص 156

وسنكتفى بهذه الأمثلة ، فالأمثلة كثيرة جداً ولسنا هنا بصدد كتابة كتاب عن دور الأدب العربى فى الصراع العربى - الصهيونى (فسوف نصدره قريباً) .

ولا يعنى أن هذه الأمثلة بها مساس أو تجريح لأى شخص منهم ، إنهم زعماء ومفكرون لهم تاريخهم المشرف ، ولكن قصدنا أن نبين أن حالة الأدب والفكر العربى لم تدخل المعركة ولم تهيئ الشعب ، بل إن عميدها نفسه كان جاهلاً بمعنى ذهابه إلى لقاء كلمة جامعة فؤاد فى افتتاح الجامعة العبرية (الصهيونية) وهو عميد الأدب العربى !!

كل هذا التحليل يسوقنا إلى حداثة التأثير الشعبى وثقافته بالصراع العربى - الصهيونى ، مما جعل الشعب العربى فى لحظة من لحظات تعاظم الأدب والثقافة ودخولهما المعركة يعيش فى حالة من «عودة الوعى» و«فقدان» الوعى ، مرة أخرى .

وعلى أثر نتائج الجولة الأولى للصراع العربى - الصهيونى ، والتى بدأت فى مطلع القرن العشرين وانتهت بنهايته أو بمرور خمسين عاماً على إقامة الدولة اليهودية (الصهيونية) ، وعلى فرض سلام الردع على الأمة العربية ظهرت مجموعة

من المثقفين تدعو إلى ما يسمونه "بثقافة السلام" ، وللأسف فإن هؤلاء المثقفين الذى يتزعمهم أستاذ مثل «لطفى الخولى» الذى اشتهر فى وقت تعاظم الفكر العربى ودخوله المعركة أو دخوله الصراع العربى الصهيونى كان من أبرز نجوم المفكرين البارزين فى تثقيف الشعب وتوعيته بدوره ، وحجم المؤامرة التى تحاك ضده ، ثم ينقلب هذا المفكر أو السياسى إلى النقيض مكوناً «جماعة مثقفى كوبنهاجن» مع الصهيونية وبعض الأدباء والكتاب العرب من فلسطين والأردن وإسرائيل فى جو تآمرى واضح ، لدرجة أن مخطط هذا التكوين المشبوه هو رجل مخابرات من الموساد، لا علاقة له لا بالفكر ولا بالثقافة !!

وهنا لا نهاجم ولا نريد أن نهاجم الاستاذ لطفى الخولى ، فإن هذا هو فكره ...!! وحرية التفكير هى أحد مقاييس تقدم الأمم .. !!

ولكن من حقنا إن نطرح أيضاً الحقائق ، هل كان الاستاذ لطفى الخولى غائباً عن الوعى من قبل وعاد إليه وعيه الآن ؟!

مثلما عبر أيضاً من قبل الاستاذ «توفيق الحكيم» !!

أم أن الأستاذ لطفى الخولى كان فى السابق يقول عن (جهل) ؟!

وبذلك نتمنى أن يكون أيضاً لطفى الخولى يفكر عن (جهل) الآن !! لأن الجهل أقل جرماً من الخيانة على سبيل الفرض !!

2 – مجموعة رجال الأعمال المتعاونون مع الصهيونية اقتصادياً «التطبيع» :

كما عبر وزير المالية الإسرائيلى الذى قال :

«نحن نسعى إلى تكوين جماعات مصالح فى كل عاصمة عربية وبحيث نتمكن معاً من تحقيق مصالحنا دون حاجة إلى قرارات سياسية»

المصدر : هيكل – حوارات حول الأزمة – سناء السعيد – مصطفى بكرى – الناشر : دار الحسام (القاهرة) 1997 ص 34

أو كما طرح بيريز مشروع الشرق الأوسطية ، الذى أخذ فى الإعلام شوطاً كبيرا، وكانت الحركة الثقافية خاصة فى مصر لها دور كبير فى إسقاطه قبل أن يسقط بيريز نفسه أمام نيتيناهو ، ولكن مع سقوط هذا المشروع شعبياً ، إلا أنه لم يسقط على مستوى السلطة الحاكمة فى الوطن العربى ، بل مازال أحد أدوات السلطة فى ترغيب أو تطويع نتنياهو ، وإن كانت بعض القيادات العربية كما عبر عنها وزير خارجية مصر 'عمرو موسى' فى اجتماع (عمان) لتطبيق مشروع بيريز 'السوق الشرق أوسطية' حينما **قال أو استعمل لفظ "المهرولون" باتجاه إسرائيل سيضعفون موقف المفاوض العربى فى مباحثات السلام** - وأنبرى من الوزراء العرب والقادة العرب من أعطوه درساً قاسياً قائلين **إن مصر هى التى فتحت لنا هذا الباب ، فلماذا تلوموننا الآن فى السباق والهرولة باتجاه "إسرائيل"** !!

أى أن القيادة العربية الموزعة على عروشها لكل منها سياستها 'الهرولية' على مستوى القمة والحكومات العربية ، إلا أن بعض رجال الأعمال العرب ، وحسب تصوراتهم التى يتصورونها قد هرولوا هم الآخرون بحثاً عن الشراء والمال والقوة ، فجرت عدة اتفاقيات اقتصادية ، وتبادل للسلع والصناعات الصهيونية حتى الغذاء الصهيونى ، وحتى موالح فلسطين الشهيرة ، فتاجر بعض رجال الأعمال فى كل شىء وكأنهم قد عزموا على بيع الأمة للصهيونية .

ولم يقتصر موضوع التطبيع على التطبيع الاقتصادى بعد التطبيع السياسى الذى تتزعمه بعض الحكومات العربية ، بل إن التطبيع أو التطويع أخذ أبعاداً أخرى مثل التطبيع الثقافى بزعامة لطفى الخولى وآخرين من أجل اختراق العقل العربى وتمزيق فكرة القومية العربية والوحدة العربية وإعلان العقل العربى لاستسلامه وقبوله ثم تعاونه أو الموافقة على عبوديته لدى اليهود (الحذاق) فى كل شىء !!.

وإن هذه المجاميع من الشعب العربى تلعب دوراً خطيراً فى إنقاذ الصهيونية أو «دولة إسرائيل» من الفناء الطبيعى لأنها ظاهرة أصلاً غير طبيعية ، والصهاينة وعلماؤهم ، وعلماء الاستراتيجية فى الغرب يعرفون ذلك جيداً وحذروا «إسرائيل»

من مستقبلها ومن طموحاتها وعـدوانها المستمر ، لأنه غير منطقى ولا علمى أن تهزم الأسطورة أمة بكاملها ، وإن هـزمتها هزيمة عسكرية فى مـرة أو مرتين أو ألف .. فإن دائماً منطق العلم «البقاء للأقوى والأصلح» ، وإن قوة الصـهيونية محكوم عليها من داخلها بالانهيـار ، لذلك فإن تلك المجموعات التى تقـود التطبيع ، إنما تعمل دون أن تدرى (ونتمنى هذا) أو تدرى (وسـيكون مصيـرها مصيـر كل خائن لأمتـه) لصالح إطالة عـمر «إسـرائيل» بضع سنوات فـوق عـمرها الافـتـراضى الذى حدده علمـاء الغرب وعلماء الصهيونية .

لقد تصـورنا كثيراً ، فلتكن مـرحلة لها سلبيـاتها وإيجابيتـها لكن علينا أن نغض الطرف عن الانحـراف نحو «التـصور» فـقط إننا بحاجـة إلى قوة «تبـصر» نـدرك ما حولنا، فـقد مـضى زمن طويل أخذ منا كل شىء حـتى تصوراتنا الخـاطئة والصـائبة وعلينا أن نركز فى تبصرنا نحـو المستقبل ، لنبنى استراتيجـيتنا حول فكرة بقائنا على أرضنا أسياداً عليها ■

الفصل الخامس عشر

مصـــــر أولاً ...... وأخيراً

«أنــا إن قــــــــدر الإلــه ممــاتــي

لا تــري الـشــــرق يـرفـع الـرأس بـعـــدي»

من قصيدة مصر تتحدث عن
نفسها للشاعر حافظ إبراهيم

مصر أولاً :

تظل مصر تلعب الدور الكبير أو المحور الأساسى فى منطقة الشرق الأوسط ، سواء كان فى العهود القديمة والحديثة ، فمنها التاريخ والحضارة الأولى للإنسانية ، وخلال تلك الحضارة كان مولد بنى إسرائيل ونموهم فى حوض النيل «دلتا النيل» ومن مصر خرجوا وفى أرضها تاهوا (40) عاماً وعنوان أساطيرهم الدينية سلّط إشعاعه على هبة النيل وأساطيرهم السياسية تقول "أرضك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل" .

ففى الدين والأسطورة والتاريخ يكمن العداء الصهيونى لمصر .

وإن كانت (الأسطورة) موقفها العقائدى المبنى على العقد والخرافات قد جعل من مصر عدواً وأرضاً يجب أن يعود إليها ، فإن (الاستراتيجية) الغربية من نابليون بالمرستون دزرائيلى إلى وقتنا الحاضر أرادت أن تعزل مصر عن شرق الوطن العربى، إذاً الهدف هو مصر سواء من الاستراتيجية أو الأسطورة .

ومن المدهش أن الكثير خاصة فى مصر يعتقدون أن قدر مصر كأكبر بلد عربى هو الذى يجعلها تقف مع القضية الفلسطينية ، ولم يعلموا أن مصر هى المستهدفة الأولى ، فخطة الدول الغربية هى فصل وعزل مصر عن شرق الوطن كما ذكرنا ووقع اختيار نابليون على فلسطين عند خطابه أمام أسوار القدس وندائه التاريخى إلى يهود العالم ثم قيادة هذه الاستراتيجية عبر بالمرستون فدزرائيلى حتى الآن ، إذاً

الهدف هو مصر ، خوفاً منها ، من مكانتها وقدرتها ، كما يؤكد التاريخ على تكوين الدولة العربية الواحدة ، فكان قرار تكوين مجموعة من المرتزقة ، استقرت الإمبراطورية الإنجليزية على اليهود واختارتهم لاستيطانهم الدائم فى فلسطين ، وتأسست الحركة الصهيونية السياسية لهذا الغرض وتم احتلال فلسطين أو اغتصابها ، بمعنى ان اغتصاب فلسطين هو من أجل عزل مصر ، بمعنى آخر أن فلسطين بموقعها كانت ضحية مصر ، وهذا يسوقنا إلى موضوع هام عزف عليه كثير من دعاة عزل مصر من كتاب ومثقفين حينما ادعوا أن مصر ليست عربية ، و.. ، و ..

حقيقى أن الشعوب على استعداد للتضحية بجانب الأشقاء ، والوقوف بجانب الأصدقاء، لكن عندما تصل التضحية إلى (الدم) فيكون لها نهاية ، فالتضحية بالدم ليست إلا لحماية الوطن والأرض والعرض ، وليست من أجل الجيران مهما كانوا الجيران .

لقد غاب عن معظم صناع القرار والمثقفين والمفكرين هذه الحقيقة ، وخاضت مصر غمار الحروب الإسرائيلية واقعة تحت ظن أنها تدافع عن الشعب الفلسطينى فقط ، وتقف معه فيما تعرض ويتعرض له وكانت دوافعها هى رباط الإخوة والجوار وفى أحسن تقدير أنه دفاع عن أمن مصر وحدود مصر مع فلسطين .

عندما اقترب تفكير الاستراتيجية الغربية (بالمرستون - دزرائيلى) من تحقيق هدفها ، كانت دوافعها قوية ، إذ برهن «محمد على» والى مصر آنذاك على صحة النظرية التى قامت على الاستراتيجية ، فبمجرد توليه حكم مصر بعد الحملة الفرنسية على مصر وفشلها وفشل استراتيجية نابليون ، فإن محمد على وبعد تحرره من جهل حكم الإمبراطورية العثمانية ، استطاع أن يبنى جيشاً قوياً ، وبالقدرة والقوة التى تتمتع بها (مصر) ذهب محمد على بمصر إلى الشام شرقاً والسودان والجزيرة جنوباً حتى كان على وشك إسقاط الإمبراطورية العثمانية نفسها بعد هزيمته للأسطول العثمانى ، وانضمام الأسطول بقيادته وأفراده وسفنه إلى دولة مصر ، فأصبحت الدولة العربية الكبرى فى عهد محمد على أكبر برهان على نظرية الاستراتيجية ،

وأكبـر دليل على أن هناك قـوة فى الوطن العربى سـتعـيد من جـديد الدولة العربـية الواحدة التى احتلت أوروبا ، لذلك أسرع بالمرستـون / دزرائيلى بضرورة محاصرة مصـر (محمد عـلى) وضرب مصر فى أول حـصار بحرى من نوعـه يشهده العـصر الحديث (القرن التاسع عشر) وهزم محمد على ... وتمت محاصرته .. وتـم الاستيلاء على سوريا وفلسطين ولبنان .. الخ

وبدأت الإمبراطورية (الاستراتيجية) فى تنفيذ أهدافها فكانت مصر أولاً ، ثم ثانياً باحتلالها عام 1882 حيث لـم تكتف الإمبراطورية بعزل مصر عن شرق الوطن وغربه.

وعندما قـرب تحقيق الهـدف بزرع كيان استـيطانى أوروبى فى فلسطين (حطين) لفصل الوطن الـعربى وتمزيقه وعـزل مصر ، كـانت أيضاً مـصر أولاً .. فتم احـتلال مـصر تحت حـجج واهية بـأن أحمـد عرابى تمرد على خـديوى مـصر ، كـما كـانت حجتهم الأولى عند عزل مصر بأن والى مصر تمرد على السلطان العثمانى .

وبدأ تنفيـذ الهدف الصهيونى أولاً مـن مصر ، حيث بدأ مع الاحتـلال الإنجليزى لمصر مساران هامان :

الأول : زيادة الاستيطان الصهيونى فى فلسطين عن طريق إقامة المستوطنات (راجع الفصل الخامس من هذا الكتاب)

الثانى : خلق قاعدة قوية من اليـهود (الصهيونية) فى مصر تتـحكم فى اقتصادها وتدير دفة سياستـها ، حتى يتسنى لها اغتصاب فلسـطين على مبدأ مصر أولاً وأخيـراً ، ولكى نتأكـد من هذه الفرضـيات ، تعـالوا بنا إلى تاريخ اليهود فى مصر .

اليهود فى مصر

مصـر مثلها مـثل كل دول العالم ، كان بهـا بعض من اليهود ، والشـعب المصرى منذ حضارته القديمـة حتى الآن لم يعرف التعصب الدينى مطلقاً ، وحـتى بعد انتشار المسيحـية والاحتلال الرومانى لمصـر ، عاش الشعب المصرى كـالغريب على أرضه ،

ولم يأخذ الشعب مكانته الطبيعية فوق أرضه ويمسك بمصيره ويحدد مستقبله إلا بعد الفتح الإسلامى لمصر ، وظلت مصر بعد الفتح الإسلامى بلد التسامح الدينى ، فعاشت المسيحية مع الإسلام فى تعانق أسرى لم يحدث فى شرق وغرب الكرة الأرضية ، وكان بينهم أيضاً عدد صغير من اليهود ، تمتعوا بهذا التسامح ، وظل عدد اليهود يزيد أو ينقص وفقاً لطبيعة اليهود أنفسهم وميلهم إلى التنقل والهجرة بحثاً عن التجارة فى أى مكان باعتبارهم لا وطن لهم إلا (النقود) والذهب ، فأينما يكون الذهب تجد اليهود ، وحتى عصر "الخديوى إسماعيل" وقبل الاحتلال البريطانى لمصر مباشرة ، كان عدد اليهود فى مصر لا يزيد عن سبعة آلاف نسمة كان أغلبهم أيضاً من يهود الأندلس بعد طرد العرب منها .

ومع بداية الاحتلال الانجليزى لمصر (لتحقيق الهدف) فإن إعداد اليهود (الصهاينة) أخذت فى التزايد وفق المخطط الموضوع (مصر أولاً) ، ففى إحصاء 1907 وصل عدد اليهود فى مصر (من سبعة آلاف عام 1880) فجأة إلى 38635 نسمة، وفى عام 1927تضاعف العدد تقريباً حيث وصل تعداد الصهاينة فى مصر إلى 63550 نسمة وظهرت فى تلك الفترة السيطرة شبه الكاملة على اقتصاد مصر ، وبرزت العائلات اليهودية الشهيرة لتسهيل اقتصاد وسياسة وإعلام مصر، وبل وتصنع ثقافة مصر آنذاك ومن هذه العائلات اليهودية :

«قطاوى» و«موصيرى» و«منشه» و«شيكوريل» و«سوارس» و«رولو» و«ساسون» وغيرها .

المصدر : هيكل - مصدر سبق ذكره ص 152 .

وأخذت هذه العائلات على عاتقها تحقيق الحلم الصهيونى بداية من مصر ، تحت شعار "مصر أولاً وأخيراً" فأولاً قامت هذه العائلات بتحقيق ما طُلب منها حيث استقبلت ثيودور هرتزل أو بنيامين هرتزل عند زيارته لمصر عام 1902 للتخطيط لإقامة وطن قومى لليهود فى مصر (العريش / سيناء) وتحويل النيل إلى هذا الوطن ، وكما ذكرنا فقد نجح فى إقناع الخديوى توفيق بهذا الاقتراح ، وذلك عن طريق العائلات

اليهودية فى مصر آنذاك ، كما أسس هرتزل مع العائلات اليهودية فى مصر أول جمعية صهيونية فى مصر ، وكان مقرها مدينة الاسكندرية ورأسها "إدجار سوارس"، ونشط سوارس فى استقبال المرتزقة الصهاينة القادمين من أوروبا لاغتصاب فلسطين ، فكانت (مصر أولاً) يتم فيها استقبال هؤلاء المرتزقة وتدريبهم وتأهيلهم فى معسكر «القبارى» بالإسكندرية وتعليمهم اللغة العبرية ثم زرع الأفكار الصهيونية (العقد والعقائد الأسطورية للصهيونية السياسية الجديدة) .

وعلى سبيل المثال فى ديسمبر 1915 بلغ عدد اليهود الذين وصلوا إلى ميناء الإسكندرية (11277) مرتزقاً وقررت السلطات البريطانية تسهيل دخولهم إلى مصر ، وتولى «إدجار سوارس» إقناع السلطان «حسين كامل» سلطان مصر ، كما أقنع أيضاً رئيس مجلس وزراء مصر «حسين رشدى» وقد وافق السلطان كما وافق رئيس وزراء مصر .

المصدر : هيكل : سبق ذكره ص 152

ومع الدروس والتدريب العسكرى واللغة العبرية ، كانت هناك عملية تعبئة صهيونية كبيرة لهؤلاء المرتزقة على أيدى قيادة الصهيونية نفسها آنذاك ، من أمثال «فلا ديمير جابوتنسكى» الأب الروحى للإرهاب الصهيونى والذى تتلمذ على يديه «مناحم بيجن» .

كما تسجل الوثائق البريطانية أنه فى يوليو 1916 توجه «موسى قطاوى» رئيس الطائفة اليهودية فى مصر إلى مقابلة الجنرال «ماكسويل» القائد العام للقوات البريطانية طالباً السماح بتشكيل كتائب يهودية تدخل ضمن إطار جيش الجنرال «اللنبى» الذى كان يستعد للزحف على العثمانيين فى فلسطين ، والشام ، ووافق الجنرال ماكسويل ، والتحقت قوات المرتزقة الصهيونية بجيش الجنرال اللنبى وهى تعلق نجمة داود على مقدمة قبعاتها.

المصدر : هيكل : سبق ذكره ص 153

وهنا نلاحظ ملاحظتين :

1 - أن الجنرال ماكسويل قد وافق على ذلك لأنه فى نفس الوقت قد وافق مجلس الوزراء البريطانى على مشاركة الفيلق اليهودى فى الحرب العالمية الأولى وقبل نهايتها مباشرة ، كما ذكرنا بالوثائق فى الفصول السابقة من هذا الكتاب .

2 - أن الصهيونية فى (مصر) أرادت أن تشارك بالمرتزقة الصهاينة الذين تم تدريبهم فى مصر بمعسكر القبارى بالاسكندرية وأصرت الصهيونية على تعليق نجمة داود على قبعة الصهاينة ليكتسبوا حقاً تاريخياً (حسب زعمهم) فى تحرير فلسطين من الأتراك العثمانيين (وقد تحقق لهم هذا بالفعل) .

وأكثر من ذلك كان التحفيز لاغتصاب فلسطين يتم أولاً من (مصر) أقرب قاعدة لفلسطين جغرافياً ، وأهم مصدر يمكن أن يُفشل أو يضرب المخطط الصهيونى - لذا فمن (مصر) بعد السيطرة عليها ، انطلقت الصهيونية فى مخططها ، حيث دعا «فيلكس منشة» إلى اجتماع الجمعيات الصهيونية فى مصر إلى تكوين اتحاد عام للصهيونية فى مصر وأعلن **"حان الوقت إنشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين"** .

وفى سبيل ذلك قرر المؤتمر الصهيونى فى مصر :

أ - جمع التبرعات لتنظيم ومساعدة الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

ب - العمل على إنشاء الجامعة العبرية فى (القدس) ، وجمع التبرعات ، لا لتكون قلعة متقدمة للاستيطان تعمل على نشر اللغة العبرية ودراسة الأرض .... الخ .

جـ - إنشاء مركز طبى متقدم فى القدس ، مستشفى (هداسا) الطبى والتعليمى فى القدس .

ولم يقف الحد عند ذلك لمخطط اليهود فى مصر ، فعقدت العائلات اليهودية فى مصر مؤتمراً عاماً للمنظمات الصهيونية فى مصر وفلسطين يوم 14 - 8 - 1918 ترأسه رئيس المنظمة العالمية الصهيونية «حاييم وايزمان» وتم فيه :

وضع الخطط الكفيلة بتنفيذ وعد بلفور الذى صدر فى 2 - 11 - 1917 ، وذلك

على مستوى الدول العربية ومن هذه الخطط :

1 - يتولى وايزمان تنفيذ قبول العرب لوعد بلفور ، خاصة عرب المشرق (الشريف حسين وعائلته ، وعبد العزيز آل سعود وعائلته) .

2 - يتم تعيين الصهيونى المدرب سياسياً «حاييم ناحوم أفندى» حاخاماً جديداً لمصر بدلاً من الحاخام «رافاييل هارون بن سيمون» لعجزه عن فهم الأساطير الصهيونية السياسية الجديدة ، ولقدرة الحاخام الجديد «حاييم ناحوم أفندى» على تنفيذ هذه السياسة بمصر .

وقد نجح «وايزمان» كما ذكرنا فى الفصول السابقة فى إبرام أول معاهدة صلح واعتراف بوعد بلفور ، واعتراف بأحقية اليهود فى فلسطين مع الملك فيصل بن الشريف حسين «راجع نص الاتفاقية بالفصل السابع من هذا الكتاب» وفى حين أنه لم ترد فى الوثائق أى أحداث عن مقدرة وايزمان فى استخلاص اعتراف من أسرة آل سعود بأحقية الصهيونية فى فلسطين بناءً على وعد بلفور ، مثل حصولهم على ذلك من أسرة الشريف حسين ، فإننا نعود إلى ما نفذه حاييم ناحوم أفندى على مستوى مصر لنرى :

1 - أصبح حاييم ناحوم أفندى مقرباً ثم صديقاً .. ثم مستشاراً خاصاً للملك "فؤاد الأول" ملك مصر .

2 - بعدها أصبح حاييم ناحوم عضواً فى مجلس الشيوخ المصرى **وعضواً بارزاً فى مجمع اللغة العربية** (هل تصدق ذلك) ؟! وصديقاً مؤثراً فى النخبة السياسية الثقافية والفكرية فى مصر داخل القصر الملكى وخارجه .

3 - تم تعيين «يوسف قطاوى» باشا وزيراً للمالية فى أكثر من وزارة فى عهد الملك فؤاد .

4 - دخول عدد من اليهود لعضوية مجلس النواب ومجلس الشيوخ المصرى ، من بينهم "رينيه قطاوى" و"دى بتشونو" بك .

5 – أصبحت زوجة «يوسف قطاوى» باشا كبيرة وصيفات الملكة «نازلى» .

تمت السيطرة والاختراق لعرش مصر والقصر الملكى وسيطرة العصابات الصهيونية عليه تماماً ، فمن حاييم ناحوم كمستشار خاص وصديق للملك ، إلى زوجة يوسف قطاوى وزير المالية ككبيرة الوصيفات للملكة ، أضف إلى ذلك تقدم الصهيونية لمضجع الملك ، حيث اتخذ من مدام «سوارس» عشيقة له ، وهو أمر لاحظه «بيرس لورين» المندوب السامى البريطانى فى مصر آنذاك ، وكتب فى تقاريره إلى لندن أكثر من مرة عن الاختراق الصهيونى لعرش مصر .

المصدر : هيكل – سبق ذكره ص 155

6 – على الجانب الاقتصادى والمالى والإعلامى وهى الجوانب التى برع فيها اليهود ، استطاع «أوزوالدفينى» يهودى قادم من جنوب أفريقيا إلى مصر ، أن يؤسس شركة الإعلانات الشرقية والتى صدرت عنها مجموعة من الصحف الإنجليزية والفرنسية من بينها «الايجيبشيان ميل » و«الإجيبشيان جازيت» و«البورصة إجيبشيان» وسيطرت هذه الشركة بالكامل على سوق الإعلانات الناشئ فى مصر ، وأصبح لها نفوذ كبير على الصحف المصرية ، هذا إلى جانب بعض الشركات الزراعية «كوم أمبو» و«أراضى البحيرة» و«شركة الشيخ فضل الله» وغيرها من شركات الأموال التى وصلت إلى حد مشاركة اليهود فى تأسيس أول بنك وطنى مصرى هو بنك مصر ، حيث كان من بين المؤسسين أسماء «شيكوريل» و «موصيرى» ، حتى وصلت سيطرة اليهود على 39 ٪ من مقاعد مجالس إدارات جميع الشركات المالية والصناعية والزراعية فى مصر فى فترة ما بين الحربين الأولى والثانية .

المصدر : هيكل – سبق ذكره – ص 155

وعلى صعيد تأثير تلك العوامل فى المجتمع السياسى والثقافى المصرى ، فإن اليهود بتلك القوة الاقتصادية والسياسية استطاعوا أن يجمعوا حولهم التالى :

أ - نخبة من الساسة المصريين المتصلين أكثر من غيرهم ، إما بالقصر أو بالنشاط الاقتصادى وكان من أبرزهم «إسماعيل صدقى» باشا الذى أصبح وزيراً للمالية ورئيساً لوزراء مصر عدة مرات ، والذى اعترض فيما بعد على دعوة الملك فاروق لمفتى القدس الحاج «أمين الحسينى» للإقامة فى مصر .

ب - على صعيد الثقافة والفن ، بجانب التأثير على الصحف المصرية ، كما ذكرنا آنفاً ، فإن فرقة «الهابيما» المسرحية الصهيونية التى أنشأها الصهاينة فى فلسطين كانت تأتى لتؤدى عروضها فى مصر فى ذلك الوقت ، وكذلك فرقة «الفيلهارمونية» الموسيقية الصهيونية ، والتى أصبحت فيما بعد الأوركسترا الأولى فى «إسرائيل» بعد إنشاء الدولة الصهيونية .

جـ - وعلى صعيد الجامعات المصرية كانت هناك صلة وثيقة بين جامعة الملك فؤاد (جامعة القاهرة حالياً) وبين الجامعة العبرية فى القدس كما ذكرنا سابقاً من سفر الدكتور «طه حسين» نيابة عن مدير جامعة الملك فؤاد «لطفى السيد» تلبية لدعوة الدكتور« ماجنس» مدير الجامعة العبرية بالقدس ، وذلك يوم افتتاح هذه الجامعة العبرية التى أنشأها يهود مصر فى مؤتمرهم الصهيونى الأول .

د - وعلى الصعيد الاجتماعى ، فإن "شيكوريل" تغلغل فى أعماق سيدات مصر وكان أشهرهن الثلاثى اللامع وقتها الملكة "نازلى" و«الليدى كليرن» زوجة السفير البريطانى فى مصر والسيدة «زينب الوكيل» زوجة مصطفى النحاس يلبسن جميعاً مما يستورده شيكوريل لهن وقت الحرب العالمية الثانية ، بالإضافة طبعاً إلى أميرات القصر والأسرة المالكة وسيدات "المجتمع الراقى".

هذا بالإضافة إلى نشر الرذيلة والبغاء فى المجتمع المصرى إبان الحرب العالمية الثانية تحت شعار التطوع للترفيه عن جنود الحلفاء ، حيث مارست سيدات بريطانيا ت ويهوديات مع قلة من المجتمع المصرى الذى رفض الاختراق

الصهيونى لأخلاقه ، وكان من أخطر الاختراقات الاجتماعية للحركة الصهيونية وتأثيرها القوى على «المجتمع الراقى» فى مصر هو تبرع أميرة مصرية «نازلى حليم» بمزرعة كبيرة لها على طريق المنصورية بالقرب من رمز الحضارة المصرية (الأهرامات) لتكون معسكراً لتدريب شباب «هاتشومير هاتسعير» وهى حركة حراس المستعمرات الاستيطانية فى فلسطين .

المصدر : هيكل - سبق ذكره - ص 157

ورأت الحركة الصهيونية أنها أتمت سيطرتها لها بالكامل على قمة المجتمع المصرى اقتصادياً وسياسياً وثقافياً ، فبدأت تفكر فى كيفية السيطرة على قاعدة المجتمع ، حيث لا يكفيها التأثير السياسى والاقتصادى والثقافى من أهل القمة على أهل القاعدة فى المجتمع المصرى ، فعملت الصهيونية بمفهومها السريع على التغلغل أيضاً فى قاعدة المجتمع المصرى ، وكونت منظمات شيوعية تعمل داخل العمال المصريين والقاعدة الشبابية المصرية ، ومن هذه الحركات أو المنظمات الشيوعية النشطة :

1 - حركة "حدتو" (حركة ديمقراطية للتحرر الوطنى) وكان يتزعمها يهودى من أصول رأسمالية هو "هنرى كورييل" .

2 - حركة "طليعة الطبقة العاملة" وكان يتزعمها "ريمون دويك" يهودى مصرى .

3 - حركة "إسكرا" ("الشرارة" على اسم جريدة "لينين" الشهيرة) وكان يتزعمها هيلل شوارتز (يهودى من أصل ألمانى) .

المصدر : هيكل - سبق ذكره - ص 198

وبعد الحرب العالمية الثانية أعيد ترتيب الحركة الصهيونية فى مصر تحت اسم "الاتحاد الصهيونى العام" وحضر فى عام 1943 وتحدث فيه كل من "دافيد بن جوريون" مؤسس دولة إسرائيل بعدها بخمس سنوات ، كما تحدث فيه "إسحاق بن زفى" الذى أصبح هو أيضاً رئيساً لأول دولة صهيونية فى قلب الوطن العربى

"إسرائيل" ، وفى نفس الفترة فإن "أبا إيبان" الذى أصبح هو الآخر وزيراً لخارجية إسرائيل ، كان مقيماً بمصر ومن أبرز المتحدثين باسم الجيش البريطانى فى القاهرة ، وقام خلال تلك الفترة بترجمة عدد من الكتب لكبار المثقفين والأدباء والمفكرين المصريين ، كان من بينهم "توفيق الحكيم" الذى ترجم له "أبا إيبان" كتابين هما : "عودة الروح" و "شهر زاد" .

واستمراراً للتغلغل الثقافى فى مصر ؛ فإن أسرة "موصيرى" أنشأت مجلة باسم "مجلة إسرائيل" كانت تصدر فى ثلاث لغات فى نفس الوقت : عبرية وفرنسية وعربية ، بل كان هناك عدد من اليهود بين مؤسسى نقابة الصحفيين المصريين ، وأكثر من ذلك كان أهم شخصية فى جريدة الأهرام المصرية - بعد رئيس تحريرها - هو "حاييم إدجمان" مدير الإعلانات فى الأهرام ، كما كان "إيلى بوليتى" أهم شخصية فى جريدة "المصرى" وعند إنشاء أخبار اليوم 1944 كان مراسلها فى لندن هو "جون كيمحى" ابن عم "دايفيد كيمحى" مسئول "الموساد" المشهور ووكيل الخارجية فيما بعد ، ومؤسس "كوبنهاجن" العصر الحالى مع "لطفى الخولى" ، كما أن مراسل أخبار اليوم أيضاً فى "نيويورك" كان "جوزيف ليفى" الذى ظهر فيما بعد أنه هو الآخر من أبرز رجال تنظيم المخابرات التابع للوكالة اليهودية ، واستمراراً لتأكيد التغلغل الثقافى والفكرى للصهيونية فى المجتمع المصرى ، فإن الدكتور "ماجنس" مدير الجامعة العبرية الذى كان قد التقى بالدكتور "طه حسين" ممثل رئيس جامعة القاهرة "الملك فؤاد سابقاً" الذى لبى دعوة "ماجنس" بتكليف ونيابة عن "لطفى السيد" رئيس جامعة القاهرة "فؤاد سابقاً" ، قد لمح تطلع الدكتور "طه حسين" عميد الأدب العربى فى التوجه المصرى الشمالى (التوجه لحوض البحر المتوسط) هذا التوجه الثقافى والفكرى الذى التقطه "ماجنس" أيضاً فى فكر عميد الأدب العربى خاصة فى كتابه الهام "مستقبل الثقافة فى مصر" **الذى أوضح فيه انتماء مصر إلى "مجتمع البحر المتوسط"** ، وعلى الفور قاد "ماجنس" الدعوة إلى المفكرين والأدباء المصريين يدعوهم إلى المشاركة وبحث مستقبل **"مجمع البحر المتوسط"** وتوافق ذلك مع استعداد أسرة "هرارى" لإصدار مجلة "الكاتب المصرى" التى رأس تحريرها الدكتور

"طه حسين" وكانت تدعو إلى نفس الدعوة "**انتماء مصر إلى تجمع البحر المتوسط**" (مع ملاحظة أن الحركة الصهيونية ألحت إلى ذلك فى بعض أدب أو كتب "طه حسين" وإصداره لمجلة الكاتب المصرى أيضاً تحت هذا الهدف ، فأرادت أن تعمق الفكرة خاصة عندما يقودها بدون قصد أو (...) عميد الأدب العربى ، الذى عبر عن جيله وفترته الثقافية ولم يكن أبداً متعاوناً أو متآمراً كما أراد مدير الجامعة العبرية أن يستفيد منه .

***

وعندما حلّ الملك (فاروق الأول) محل الملك "فؤاد الأول" فإن مستشار والده الحاخام ناحوم أفندى قام بالاتصال بالملك الشاب الجديد ، وتكررت لقاءاته مع رئيس الديوان الملكى بالنيابة "حسن يوسف" باشا ، بل لقاءاته وصلت إلى الملك وتكررت وكتب عنها حسن يوسف باشا تقريراً أودع فى سجلات قصر عابدين جاء فيها قول ناحوم للملك فاروق :

> **"المسيحيون تركوا "القدس" وذهبوا إلى روما ، والمسلمون غيروا توجههم (قبلتهم) عنها وذهبوا إلى "مكة" وأما اليهود فقد بقوا طوال العمر يبكون ضياعها" .**

وبسرعة كما كان الملك فؤاد أصبح الملك فاروق عرشه ومضجعه الملكى يُخترق بواسطة عاهرات اليهود ، فكانت "إيرين كيونيللى" اليهودية عشيقة لملك مصر الشاب وأخرى علا سيطها وشهرتها وهى "يولندا هامر" التى أصبحت عشيقة أيضاً للأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية حينذاك الشاب "تقى الدين الصلح" بالإضافة إلى عشيقها الملك فاروق .

وخلال تلك الفترة ، وعلى طريق السيطرة الصهيونية على مقاليد الأمور فى المجتمع المصرى من القاعدة إلى القمة عقد اتحاد المنظمات الصهيونية فى مصر مؤتمراً كبيراً فى شهر فبراير 1944 فى الإسكندرية وفى بيت أحد كبار تجار القطن اليهود فيها وهو "البير روزانو" وكان منظم الاجتماع هو "إيلى بوليستى" (مدير مكتب جريدة

"المصرى" فى الإسكندرية وقتئذ) وكـان خطيب المؤتمر الرئيسى هو الدكتور "فيلكس التمان" الذى أصبح رئيساً للاتحـاد الصهيونى وكان الإنذار الذى أعلنه رئيس الاتحاد (التمان) :

"الوقت قد حـان لقيام دولة اليـهود فى فلسطين ، وإذا فشلنا فى تحـقيق هذا الهدف سلماً فإننا سوف نحققه بالحرب" .

وفى صيف 1944 تقدم رئيس هذا الاتحاد إلى رئيس وزراء مصـر وقتها "مصطفى النحاس" باشا يطلب منه الاعتراف بالاتحاد كممثل للشعب اليهودى فى مصر ، لكن الوقفـة الوطنية لمصـطفى النحاس أن أمـر وزير داخليتـه "حسن رفعت" باشـا بوقف نشاط هذا الاتحاد ورفض طلبهم .

وكان الإرهـابى "جابوتنسكى" المحـرك لكل هذا العمل بمصـر ، وفى رد انتقـامى على "النحاس" الذى كان مـشغولاً فى ذلك الوقت بالتحضـير لمؤتمر رؤساء الوزراء العرب للإعلان عن قيام جـامعة الدول العربية وإعداد مشروع ميثاق الجـامعة العربية والذى كان سيعـقد فى قصر "أنطونياس" بالإسكندرية ، خطط مع جماعـة "شتيرن" وهى أحد المجـموعات الإرهابية التى كـونها تلميـذه "بيجين" فى فلسطين وذلك من أجل نسف قصر "أنطونياس" يوم الاحتفال بتوقيع ميثاق جامعة الدول العربية .

ونتيـجة لفشل خطة "جـابوتنسكى" ، فقد حولهـا لاغتيـال اللورد "موين" الوزير البريطانى المقيم فى الشرق الأوسط انتقاماً لتصريح أدلى به فى مجلس اللوردات عن معـارضته لمشـروع هجرة مائة ألف يهـودى من أوروبا لفلسطين وتم اغتيـال "موين" أمام مدخل بيته الذى كان يستأجره من يهودى هو "داود عدس" فى الزمالك .

وتولت عائلتـا "موصيرى" و "قطاوى" ترتيب لقـاءات مع ساسة مصـريين شارك فيـها "دافيـد بن جوريون" أول رئيس وزراء لإسرائيل و "مـوشى شرتوك" أول وزير خارجيـة لإسرائيل و "ناحوم جولدمـان" رئيس المجلس الصهيونى العـالمى و "إلياهو ساسون" مدير المخابرات فى الوكالة اليهودية للقسم العربى والشرق .

المصدر : هيكل - سبق ذكره - ص 160 - 161

كانت طلقات الرصاص التى اغتالت الوزير البريطانى "موين" فى القاهرة ، كأنها طلقات بإيذان تحـرك الشعب المصـرى الذى كان شاهداً من قـبل صامتـاً على جرائم وعبث الصـهاينة بملكه وعـرشه وقـصره وحكومـته واقتـصاده .. وكل شىء ، فـبدأ الشعب بعد أن سـمع اعترافات قـاتلى "موين" من عصابة شتـيرن ، إلى تناول بعض الصحف والأقلام المصرية بجرأة موضوع الاحتلال الصهيونى لفلسطين - وأمام هذا الضغط الشعـبى حاولت الحكومة وحاول قـبلها الملك تخفيف هذا الضـغط والتوجه شرقاً نحو الأرض التى تغـتصب ، حيث دعا الملك "مفتى القـدس" للإقامة" (بمصر) وبعـدها دعا إلى عـقد المؤتمـر الأول للقمـة العربيـة فى أنشـاص من أجل فلسطين ، وعلى الفور شهد صيف 1946 تحركاً يهودياً وصـهيونياً غير مسبوق بالـقاهرة ، فبعد يومين من اجتماعات أنشاص ، طلب حـاييم أفندى مقابلة مع الملك فاروق ، كما أن إلياهو ساسون (لاحظ أن إلياهو ساسون هو والد مـوشى ساسون الذى أصبح سفيراً لإسرائيل بالقاهرة فـيما بعد) اجتـمع برئيس وزراء مصر "إسماعـيل صدقى" باشا ، كما اجـتمع بعدد من الساسة المصـريين منهم "محمود فهـمى النقراشى" و "مصطفى النحاس" باشا ، كـما أن "رينيه قطاوى" رتب له اجتـماعاً مع عدد من المـثقفين وقادة الرأى فى مصر ، كما أن ساسون عقد عدة اجتماعات مع "حسن يوسف" باشا وكيل الديوان الملكى .

كل هذا فى محاولة كما ذكرنا فى فصولنا السابقة من أجل البقاء على عزل مصر سياسياً واقتصادياً وثقافياً وفكرياً عن الشرق .. عن (فلسطين) .

لكن كانت النكبة فى 15 / 5 / 1948 إيذاناً بانفجـار طاقة كبيـرة مكبوتة فى قلب الشعب أشعلهـا ثوار الجيش بعد عودتهم من الفـالوجا ، ليعلنوا للعالم إسقـاط عهد تعفنت أركانه جميـعها وقيام ثورة 23 يوليو 1952 لينبلج عهد جديد يقضى على كل عائلات اليـهود الذين لم يدركوا أصلاً أن عـهداً جديداً قد بدأ ، فـبدت التفجـيرات اليهـودية فى مصـر والاسكندرية ، وما كـان إلا أن هرب اليهـود بأموالهم من مـصر وتطهر الشعب المصرى - لكن هذا لم يدم طويلاً فمصر أولاً وأخيراً .

وأخيراً عـادوا مع التى تعلقت بيد السادات عند ركوبه الطـائرة عائداً من القدس إلى القاهرة ينتظره الدكتور اللواء محمـد عبد الوهاب بالأناشيد والزغاريد ، تعلقت اليهودية بيد السادات خارقة البـروتوكولات ، وأخذت "خاتمه" وأعطته "خاتمها" وفى حديث للسادات مع الأستاذ أحمد بهاء الدين الكاتب الراحل عن هذه الواقعة يقول:

"المهم أنها أخـذت دبلتى (خاتم) الذهب وأعطتنى دبلة لا أعـرف إن كانت ذهباً أو معدناً" .

المصدر : أحمد بهاء الدين : حوارات مع السادات

***

وكأن جملة الرئيس الراحل أنور السادات التى قـالها للراحل الكاتب أحمد بهاء الدين (بدون قصـد) تعنى كل شىء وتصور كل شىء .. فـقد أخذ اليـهود كل شىء (الذهب) وأعطوا السادات (لا شىء) المعدن ... !!

وبرحيل السـادات بدأ فصل جـديد من الصراع العـربى الإسرائيلى أطلقـوا عليه الحكام العرب صراع السلام أو حـرب السلام ووصفها وزراء الخارجـية العرب بأنها حـرب أشـد ضـراوة من الحـرب المسلحـة بالحـديـد والنار حـتى الحـرب النووية والهيدروجينية .

ولم يدرك القادة العـرب أن عملية السـلام هى إنقاذ لوجود إسرائيل كـما أوضح علماء إسرائيل وعلماء علم الديمغرافيا فى فصلنا السابق من هذا الكتاب ، ولم يعلم القادة العرب أن الصهاينة يعلمون جيـداً أن السلام هو الحل الوحيد لبقاء إسرائيل - ومع ذلك فإن الصـهاينة ولطبيعـتهم التى هى أصلاً ضـد السلام لا يريدون أن يؤمنوا بالحقـيقـة العلميـة التى لن تجدى فـيهـا أسلحة نووية أو هيـدروجينية أو أى أسـلحة أخرى.

إن سلام الردع الذى تنتهجه إسرائيل لن يفضى فى النهاية إلى أى سلام حقيقى ، إنه سـلام الخوف الذى يفـرضه القـوى على الضعـيف فى لحظة من اللحظات ، وإن

هذا القوى الذى يعلم أنه مريض بمرض عضال سيودى بحياته ينكر حق الضعيف الذى لا يعلم أن المستقبل كله معه وفى صالحه .

إن مثل هذا السلام "الاستسلام" الذى يحاول فرضه قادة الصهيونية ، هى محاولات بائسة حتى لو قبلها معظم الحكام العرب .

ومهما حاول قادة إسرائيل وعلى رأسهم نتنياهو أن يخيف القادة وحتى لو خاف بعض القادة من كلماته - :

"فى ضوء التقدم التكنولوجى العسكرى والقنابل الذكية والصواريخ ، وغيرها من أسلحة الدمار ، يتوجب على كل زعيم عربى يصر على الخروج إلى الحرب ، أن يأخذ فى الحسبان النتائج المحتملة للحرب وهى :

- قد يجد جيشه مدمراً .

- قد يجد عاصمته مدمرة .

- ونظام حكمه فى خطر .

- وربما يفقد حياته أيضاً .

المصدر : نتنياهو - سبق ذكره - ص 391

- فلن يصل إلى نتيجة إطلاقاً .. إنها محاولات اليائس الذى يبحث عن حل فلا يجد أمامه أى منفذ ، فتراه يضرب هنا وهناك .. هذه هى اللحظات الأخيرة ..

إن المستقبل بعلمه يؤكد أن قوة العرب المادية كما ذكرنا أكبر بكثير من قوة الصهيونية المادية (مع وجود تفوق للصهيونية فى مجال القدرة العسكرية) .

وإن القوة المعنوية للعرب ، أصبحت أعلى بكثير من القوة المعنوية للصهيونية .

وأن تهديد نتنياهو باستعمال أسلحة الدمار (السلاح النووى السلاح الكيميائى والجرثومى - والقنابل الذكية) ، تهديد له معنى ، وبقدر ما هو تهديد للقادة العرب ، فهو تهديد أصلاً موجه للشعب العربى - الذى يرفض سلام الردع (الاستسلام) وهنا المفروض أن يكون الرد للشعب ....

وأخيراً نجرؤ على الكلام .. نحن الشعب

نحن الشعب العربى الذى نرفض سلام الردع (الاستسلام) وذلك للأسباب التالية والتى كنا قد وضحنا جزءاً منها :

1 - أن الشعب العربى يدرك وسوف يدرك أكثر وأكثر أن إسرائيل بإقدامها على اغتصاب فلسطين ، ثم قيامها فى فترة ما بين الحربى العالميتين الأولى والثانية، ثم بعد الحرب الثانية بفتح أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين على مصراعيها ، لدرجة مشاركة بعض الحكام العرب فى هذه الهجرة ، ثم بالإعلان عن دولة صهيونية تسمى "إسرائيل" فى 15 / 5 / 1948 ، وخوض غمار عدة حروب كان آخرها 1982 ضد لبنان فإنها قد أوقعت نفسها فى خطر كبير .

2 - أن وجود بضعة يهود حتى لو وصلوا إلى عشرة أو عشرين مليون يهودى كما يدعون أو يحلمون ، فإن هذه القلة سوف تذوب وسط مئات الملايين من العرب .

لهذا نجرؤ على الكلام ونقول لا للاستسلام .

3 - أن علماء الديمغرافيا بما فيهم الصهاينة والأمريكيون وكل علماء الغرب يؤكدون أن مستقبل إسرائيل فقط سينهار لأن الأغلبية فى المستقبل للجنس العربى الذى سيسود كماً وكيفاً .

وهم يحذرون الإسرائيليين للهروب من مستقبل فناء إسرائيل بحلين :

الأول : ويتبناه المتشددون الصهاينة وهو يعتمد على طريقين للهروب من فناء إسرائيل :

أ - تهجير الفلسطينيين إلى العراق بعد تقسيم وتشتيت العراق .

ب - محاولة دعائية كبرى لجلب اليهود من أوروبا وخاصة روسيا ودول الكتلة الشرقية السابقة .

الثانى : ويتبناه العقلاء وغير المتشددين والمدركون لمصير إسرائيل ويعتمد على التخلص من الفلسطينيين وذلك عن طريق :

أ - إبرام معاهدات سلام معهم تعطى 'عرفات' الشعب الفلسطينى وتأخذ إسرائيل الأراض .

بمعنى : أن وجود الشعب الفلسطينى بدون إعطائه 'لعرفات' أو إخراجه خارج أسوار الحكم الإسرائيلى سيخلق لها مشكلة كبرى يحذر علماء الصهاينة منها ، حيث أن الشعب الفلسطينى سيكبر وسيزداد أكثر من اليهود وفق معدلات المواليد ، وبحكم الديمقراطية التعددية لإسرائيل سيكون للعرب رأى فى الحكم ، وخطوة خطوة وفى خلال الخمسين عاماً القادمة سيكون الشعب الفلسطينى هو الذى يحكم رغماً عن الصهاينة ، وسوف يكون رئيس وزراء إسرائيل عربى فى خلال الخمسين عاماً القادمة .. وسوف تكون أسرار الأسلحة النووية مع هذا الرئيس العربى .... !!

وفى نهاية القرن الواحد والعشرين سيصبح اليهود للمرة الثانية والثالثة والرابعة والأخيرة أقلية فى فلسطين .. هذا هو تفكير العلماء والعقلاء الذين التقطوه وفهموه بدلاً من مقاومته ورفضه .

لذلك أقدم الداهية 'بيريز' على اتفاقيات 'أوسلو' ووافق الإرهابى 'رابين' على اتفاقيات 'أوسلو' ؛ لأنهم يريدون الأرض (فلسطين) دون الشعب ؛ فعرفات .. ومن هو بعد 'عرفات' و 'الحكام العرب' يأخذون الفلسطينيين حتى وهم داخل فلسطين (إسرائيل) وإسرائيل تتخلص من هذا الكابوس الذى يطاردها .

لذلك كانت دعاوى السلام ، ولكن مع ذلك فإن قادة إسرائيل المتشددين والمتعقلين متفقون فى طرح سلام الردع .

وسلام الردع كما تعنيه استراتيجية إسرائيل - وليس نتنياهو فقط - هو سلام السلاح النووى والجرثومى والكيميائى .

فمتى يكون للعرب هذا السلاح ؟!

إن السلام الحقيقى والقائم على العدل لن يتأتى إلا بامتلاك العرب السلاح الرادع ليقابل السلام الرادع ويحوله إلى السلام العادل ؛ هذا السلام العادل الذى سيعمل على حل القضية الفلسطينية حلاً عادلاً ، والحل لمشكلة فلسطين ومع تنازل من الجانب العربى هو حل هذه القضية على غرار جنوب أفريقيا - فبادئاً ذى بدء يعود أولاً كل المشردين واللاجئين الفلسطينيين من المخيمات والقصور خارج حدود فلسطين إلى كل المدن الفلسطينية ، ومن ثم تحدث المعايشة والسلام والحرية والديمقراطية فى بلد واحدة هى فلسطين وعلى الشعب الفلسطينى والأمة العربية أن تتحمّل خمسة ملايين يهودى هاجروا عليها - وبذلك على الدول الأوروبية والولايات المتحدة أن تعوض الشعب الفلسطينى وأيضاً تنقذ هؤلاء المهاجرين اليهود بتقديم البرامج الاستثمارية والمعونات لبناء اقتصاد يتحمل هؤلاء المهاجرين ، وإلا فليعودوا إلى أوطانهم .

إن أوروبا بالذات تدرك ذلك جيداً ؛ فهى همها الأول وكجزء من استراتيجيتها التى ابتدعتها لاغتصاب فلسطين بالإضافة إلى عزل مصر وفصل الوطن العربى شرقه عن غربه ، كان من ضمن أهدافها إبعاد اليهود عن أوروبا إلى مكان آخر .

لكن هذا الحل العادل الذى يزرع سلاماً حقيقياً ينبت العدل والحرية والرخاء لن يتحقق فى ظل الضعف العربى الآن - صحيح أن المستقبل بيد العرب دون أن يدروا لكن الحاضر بما فيه من مآسٍ وعذاب من يتحمله ؟!

القضية الآن ليست فى الشعب الفلسطينى فقط الذى كسَّر (رابين) عظام أطفاله - لكن المشكلة تتعدى أيضاً الفلسطينيين - المشكلة تخص الشعب العربى بكامله .

إن اغتصاب فلسطين لم يكن عذراً أو ظلماً أو قدراً أوقع على الشعب العربى الفلسطينى ، إن اغتصاب فلسطين الهدف منه (مصر) ثم لماذا مصر ؟!

لأن مصر تقود الأمة العربية إلى تقدمها !!

إذن المقصود هم العرب - الأمة العربية !!

وفى الوقت الحاضر فإن الشعب العربى وليس الفلسطينى فقط يدفع الثمن باهظاً!!

فإن كان الأطفال الفلسطينيون أبطال الانتفاضة قد قام الأرهابيان "رابين وبيريز" بتكسير عظامهم انتقاماً منهم - فإن الأطفال اللبنانيين تقطعت رؤوسهم وأجسامهم فى (قانا) أيضاً على يدى "بيريز" !!

وإن أطفال العراق يُحملون فى مواكب جنائزية جماعية إلى القبور !!

فلا غذاء .. ولا دواء .. ولا أخلاق من الدول التى زرعت إسرائيل فى فلسطين - ولم تكتف فزرعت الموت فى أطفال العراق .

والأطفال الليبيون الذين تناثرت أشلاؤهم وهم نيام يومى 15 ، 16 أبريل 1986 عندما أغارت طائرات حلف الأطلنطى عليهم ليلاً وعلى قائد عربى هو وأسرته (القذافى) واستشهدت ابنته (الرضيع) بالتبنى فى هذه الغارة الوحشية الهمجية .

كما أن الحصار المفروض على الجماهيرية ؛ لأن "القذافى" قال : لا .. لسلام الردع .. لا .. للاستسلام .. لا .. لمؤتمر مدريد الذى لا يهدف إلا لتطبيع القادة العرب مع القادة الصهاينة ، فحقت عليه اللعنة الصهيونية الأمريكية وطبق على الشعب العربى الليبى الحصار بموت الأطفال الصغار والكبار .. تحت حجج واهية وقد أعلنت محكمة العدل الدولية أخيراً بطلان هذه الحجج .

ولم يقف الحصار عند ليبيا والعراق فقط ، بل شمل الحصار السودان أيضاً .. وامتد ليطول سورية وغداً يمتد من المحيط إلى الخليج .

ومصر أخيراً ..

حيث المتفحص لخريطة الحصار المفروض على الأمة العربية من قبل الولايات المتحدة والصهيونية العالمية والدول الغربية يرى أن الهدف أولاً وأخيراً هو مصر فحاصروا غرب مصر (الجماهيرية) وهى العمق الاستراتيجى الغربى لمصر بما لديها من مساحات وساحل طويل على المتوسط .

وحاصروا شرق مصر منذ 15 / 5 / 1948 بإقامة "إسرائيل" وتم عزل شرق مصر ، بالإضافة إلى ما بعد هذا إلى جر العراق وهى أقوى قوة عربية (قدرة اقتصادية - قدرة عسكرية - قدرة حيوية) .

وحاصروا جنوب مصر (السودان) وهو الجزء الذى ظل متحداً مع مصر على طول التاريخ أكثر من انفراده أو انفصاله .

أما الشمال : فهو محاصر طبيعياً بالأساطيل الأمريكية والغربية .

إنه حصار على مصر .. فلم يكتفوا بعزل مصر عندما اخترعوا دولة إسرائيل لكن الآن الشعب العربى كله يدفع الثمن .. فإن كان المستقبل لنا لطبيعة الوطن العربى .. أى قوة الوطن العربى كما يعرفها العلماء كأى قوة فى العالم (قدرة اقتصادية - قدرة عسكرية - قدرة حيوية (سكان وموقع جغرافى) ، فإن الحاضر الذى نعيشه تحت كابوس "سلام الردع" ، تحت كابوس الحصار .. لابد أن يقاومه الشعب العربى .

إن المقصود بسلام الردع هو تخويف العرب للخضوع والاستسلام حتى تستطيع الصهيونية أن تقوم بالدعاية لجلب يهود جدد - فهذه مسألة حياة أو موت .

انطلاقاً من هذه الأوضاع يعتبر أى حاكم عربى يعطى لإسرائيل الفرصة المباشرة أو غير المباشرة فى وضع يمكنها من استجلاب يهود جدد أو يقوم بهذا العمل أى فرد حتى من الشعب العربى .. هو خيانة أكيدة للأمة العربية وبقائها .

إذن نحن نجرؤ على الكلام ونقول : إن الشعب العربى هو ضد سلام الردع (الاستسلام) وضد السلام القائم على الحكم الذاتى دون الأرض لإنقاذ إسرائيل .

إن أى عمل دعائى يروجه الصهيونيون دون أن يكون سلاماً حقيقاً وعادلاً كما طرحنا .... هو تشجيع لمزيد من الهجرة اليهودية لإسرائيل ، وهو بالتالى خيانة للحق والوجود العربى .

وحتى نُسهم حقيقة فى السلام ، وحتى نحل الصراع العربى الإسرائيلى ، فإن اللغة الوحيدة التى فهمها الصهيونيون هى لغة القوة .

فليكن الرد العربى الرادع ضد السلام الصهيونى الرادع .

يقول الكاتب الصحفى "جمال بدوى" رئيس تحرير جريدة الوفد المصرية منتقداً الضعف العربى فى الرد وذلك فى مقاله بجريدة الوفد المصرية يوم 1/ 6/ 1998 تحت عنوان "أهل الكهف وجهاً لوجه أمام قنابل إسرائيل الذرية" :

"لا توجد دولة عربية تملك برنامجاً للتسليح النووى ، والدولة الوحيدة التى كانت فى طريقها إلى للمجال الذرى هى العراق .."

"وترضية للولايات المتحدة ، اضطرت مصر للتوقيع على اتفاقية حظر الانتشار النووى سنة 1995 . وبمقتضاها أصبحت مصر خاضعة للتفتيش على منشآتها وأراضيها ، وانسد أمامها الباب لتحقيق التوازن العسكرى مع إسرائيل ، وفى مقابل ذلك تبنت مصر الدعوة إلى إخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل .. وهى دعوة نبيلة وإنسانية فى عالم لا يعرف النبل والإنسانية .. وذهبت دعوة مصر صرخة فى واد غير ذى ضمير أو أخلاق .. ولم تجرؤ دولة فى العالم على أن ترفع صوتها وتطالب بتطهير منطقة الشرق الأوسط من السلاح النووى ، وهؤلاء الكبار الذين يزعمون قيادة العالم الجديد ليس فيهم من رجل رشيد يقول الحق .. ولو فعل يكون مصيره الاغتيال .. أو النفى .. أو للمحاكمة بتهمة معاداة السامية .. كما فعلوا مع جارودى ، فى (أجعص) دولة تنتسب إلى الحرية والعدالة والمساواة !!"

"مرة أخرى .. ماذا يحدث إذا قامت إسرائيل بتفجير نووى ؟

- ماذا سيفعل الأقطاب العرب إذا وضعتهم إسرائيل أمام هذه المفاجأة المتوقعة ؟؟

- هل أعدوا العدة لهذا اليوم العصيب ؟

لا أظن .. فالأقطاب العرب لا يزالون يلهثون وراء أوهام السلام التى بددتها حكومة إسرائيل .. وكل جهودهم مركزة الآن فى إقناع أمريكا

وحلفائها بالضغط على الوفد الإسرائيلى كى يسمح لبعض قطرات المياه أن تجرى فى نهر السلام العظيم .. وأن يتعطف ويتكرم بالتنازل عن 13٪ من أراضى الضفة .. وبعدها تهدأ النفوس .. وترفرف أعلام السلام !!"

"الواضح أن الأقطاب العرب لا يشغلون أنفسهم بالتفكير فى المستقبل ، وما عسى أن يحمله من مفاجآت كثيبة لا تخطر على بالهم ، إنهم يسيرون على نفس الوتيرة التقليدية .. أسلوب رد الفعل على أفعال يرتكبها الطرف الآخر .. ولم يحاولوا تجريب الإمساك بزمام المبادرة والحركة والتعامل مع الطرف الآخر بمنطق الندية .. والمفاجأة .. وتعطيل خطوط تفكيره" .

"إن عدونا لا يهدأ .. ولا ينام .. ويبنى خططه وبرامجه على أساس أننا فى سبات عميق .. مثل أهل الكهف الذين استيقظوا من النوم فوجدوا أنفسهم خارج قطار الزمن !"

المصدر : جمال بدوى - جريدة الوفد - العدد 3515
السنة (12) القاهرة 1 / 6 / 1998 الصفحة الأولى .

إن مستقبل الصراع العربى - الإسرائيلى ولمدة خمسين سنة قادمة على سبيل الافتراض ، وقبل أن يرى قادة الصهيونية أنفسهم فى نهاية القرن القادم (21) فناء "إسرائيل" طبيعياً فإن مستقبل هذا الصراع يمر بمرحلة خطيرة قد تؤثر على هذه الأجيال العربية الحالية وربما الجيل القادم .

إن مسألة الرد العربى الرادع على السلاح الإسرائيلى النووى الرادع والسلاح التقنى الرادع والدعم الأمريكى لإسرائيل الرادع للعرب يكمن فى تفرق العرب وتمزيق الفكرة القومية فى السبعينيات من هذا القرن ، فقد تم تمزيق الفكرة العربية بدون رحمة إثر هزيمة 1967 وسلام أو استسلام 1978 - واجتياح لبنان 1982 ثم حرب الخليج وتدمير العراق من جانب آخر .. كل هذا ساعد الذين قاموا باغتيال "الفكرة" الفكرة التى هى أصل العرب بجانب الدين الواحد واللغة الواحدة والدم الواحد والأصل الواحد والهدف الواحد والمصير الواحد .. الخ تم اغتيالها .

وأصبح الحديث عن القومية العربية وضرورة تحقيق الوحدة العربية منذ السبعينيات من هذا القرن وإلى وقت قريب مضى ضرباً من الجنون .

هل هناك أمة تغتال "وجودها" ؟!

تعالوا بنا لنرى كيف تم التفكير لاغتيال فكرة الأمة (وجودها .. وحدتها) ..

يقول "بن جوريون" رئيس وزراء إسرائيل فى تقدير أفكاره :

"إذا نجحنا فى توجيه ضربة قاصمة إلى مصر ، فإن مصر لن يكون أمامها إلا أن تعقد معاهدة صلح مع إسرائيل ، وإذا حدث ذلك فإن بقية الدول العربية سوف تلحق بها ، بل إن بعضها قد يسبق إذا ما ظهرت إشارة مبكرة" .

المصدر : هيكل - مصدر سبق ذكره ص 290

إذن أصبح التفكير الصهيونى واضحاً .. الهدف هو مصر فإن تغلبوا على مصر تغلبوا على الأمة العربية .. وإذا أجبروا مصر على عقد معاهدة سلام .. فإن الدول العربية كلها ستجرى وراء مصر للتوقيع ، وقد يسبقونها (الهرولة) .

معنى ذلك أن مستقبل الصراع العربى الإسرائيلى مرهون بقوة مصر وقوة مصر مرهونة بوجود العرب وراءها .. وأخيراً نصل إلى مصر .. فهى البداية بخمسين عاماً من الصراع مع الصهيونية.. وهى النهاية لصراع عربى إسرائيلى قد يمتد قرناً آخر من الزمان .

ودعم مصر هو دعم العرب.. ودعم العرب لمصر ودعم مصر للعرب هو نهاية الصراع أو الدفاع عن الفكرة (الأرض) (الوجود)..(الحياة).. بقاء الأمة.. (وحدة الأمة).

أما إن ذهبت مصر تلهث وراء السلام مدَّعية فقدان الأمل فى العرب .. ضعفت مصر وضاعت الأمة وقد حدث هذا فى السبعينيات .. وتم تعديل جزء من هذا الانكسار فى التسعينيات .. لكن الانحراف أو الاعوجاج ما زال لم يستقم بعد .. إنها فى حاجة أكيدة إلى دعم الأمة لها .. !!

تعالوا بنا نرى التمزق العربى كيف يدمر القوة العربية ، نأخذ مثالاً : العراق ..

هذا البلد كان على وشك الدخول إلى العصر النووى ولو نجح فكان رادعاً يعيد

توازن القوى فى الصراع العسكرى فى الوقت الحاضر ..

ولكن ما النتيجة ؟!

1 - تم ضرب المفاعل النووى عام 1981 بالذراع الإسرائيلية الطويلة التى كانت فى هذه الفترة تضرب الأمة العربية من أقصى الغرب (تونس) إلى أقصى الشرق (العراق) .

لأن العراق أدخل نفسه مع إيران فى حرب قذرة قال عنها الصهيونى الدكتور "زئيف بونين" المدير العام لهيئة تطوير الوسائل القتالية (رفائيل) :

"إن السلام مع مصر ، والحرب الإيرانية - العراقية ، وفرا مهلة نستطيع خلالها التفرغ لبناء المستقبل" .

المصدر : يهو شفاط هركافى (وآخ) - محاضرة للدكتور زئيف بوين - "الكم... الاستراتيجية الإسرائيلية ، الجزء الثانى - ترجمة وكالة المنار للصحافة (نيقوسيا) قبرص - الطبعة الأولى 1987 ص 153

أى فى حرب لم يستفد منها إلا العدو الصهيوني ، وعلى أثرها انقسم الوطن العربى قادة وشعبا بين مؤيد ومعارض لهذه الحرب بين العرب والمسلمين !!

ولم تستطع العراق أن ترد بضرب مفاعل ديمونة !!

وبعدها تم تدمير قدرات العراق نهائياً ، ليست فقط القدرات العسكرية النووية أو التدميرية المحرمة ، بل كل قدرات العراق . وقد وافقت حكومة العراق ورئيس العراق على ذلك مرغمين من أمريكا . نتيجة لغزو الكويت وما لحق بالعراق من أثرها - والأهول أن الجيوش العربية كانت وجهاً لوجه فى هذه الحرب العراقية / الدولية .

والعبرة .. أن العراق لو كان يقوم ببرنامجه النووى فى إطار تنسيق عربى حتى ولو على المستوى السرى أو الاستراتيجى للعرب ، ما كان يحدث للعراق ما حدث .

ولو كان تصورنا خاطئاً لأنه لا توجد أسرار ولا توجد استراتيجية للعرب - كما

قال بن جوريون :

"أصدرت الجامعة العربية 17 قراراً سرياً عرفنا منهم عشرة والباقية (7) سوف نعرفهم من شرق الأردن"

المصدر : مذكرات بن جوريون – سبق ذكره

فإننا نعود ونقول إن (التمزق العربى) أى عدم وحدة العرب فى اتحاد على الأقل أو وحدة شاملة على الأكثر هى التى صنعت بالعراق وغير العراق هذا .

نأخذ مثالاً عاماً آخر ..

هل لو كانت الدول العربية فى حالة من الاتحاد العربى أو الوحدة العربية – كانت ستتجرأ أمريكا بفرض عقوبات على أى دولة عربية ؟

طبعاً القارئ يعرف الإجابة ..

وربما نضيف له أن الدول العربية نفسها تحاصر أشقاءها بأمر من أمريكا ..

لقد طرح "معمر القذافى" برنامجاً لإنقاذ الأمة العربية وصفه كبار المفكرين والسياسيين فى الأمة العربية ، كما وصفه عدد كبير من جماهير الأمة العربية بأنه أدنى شىء يوحد العرب أو ينقذ العرب فى الوقت الراهن وعلى مدى نصف القرن القادم ..

ويُقال أيضاً أن فى مؤتمر القمة العربى يونيه 1996 كما ذكر الأستاذ محفوظ الأنصارى (رئيس تحرير جريدة الجمهورية) وقتها :

"إن القائد معمر القذافى لم يوافق على السلام المطروح بين العرب وإسرائيل على القمة وبعد محاضرة ألقاها الزعيم القذافى – كما ذكر محفوظ الأنصارى – فى ملوك ورؤساء القمة العربية يونية 1996 عن الصراع العربى الإسرائيلى وضرورة وحدة العرب .. الخ ، وبعد ضغط من "حسنى مبارك" رئيس القمة – وافق القذافى بشرط أن توافق القمة على مشروع "الاتحاد العربى" ووافقت القمة العربية يونية 1996 على مشروع

الاتحاد العربي وأحالته إلى جامعة الدول العربية لدراسته ومن ثم عرضه على القمة العربية القادمة لتطبيقه - لكن للأسف .. ما زال المشروع تحت الدراسة .. وربما يأخذ وقتاً طويلاً بطول التفرق العربي أو التوجس العربي ، أو زرع الخوف العربي - العربي .. أو (الله يعلم) .

إن الخطر الأكبر الذى يواجه إسرائيل هو تيار القومية العربية .. الفكرة العربية والحركة التاريخية لهذه الفكرة .. هذا هو الخطر قبل أى دولة عربية بالذات ، مهما كان تعداد سكانها ومصانعها وحقولها وجيوشها وترسانات سلاحها .

إن إسرائيل تعرف أنه ليس هناك أقوى من فكرة جاء وقتها .. ومن تيار بدأت حركته .

إن التعامل مع دولة بالذات له حساباته المعروفة التى يمكن تقديرها .. أما التعامل مع تيار تاريخى فإن الحسابات مجهولة والمفاجآت قائمة فى أى وقت وفى أى مكان.

إن "أبا إيبان" وزير خارجية إسرائيل الأسبق يقول فى مذكراته التى نشرها أخيراً :

"إن "دافيد بن جوريون" - وهو مؤسس إسرائيل الفعلى - لم يكن يشعر بالانقباض إلا فى تلك الفترة من نهاية الخمسينيات إلى منتصف الستينيات حين كان تيار القومية العربية يندفع كالإعصار يغير خريطة الشرق الأوسط".

المصدر : هيكل - حديث المبادرة - الناشر دار الشروق - القاهرة 1997 - ص 155 - 156

إن التاريخ يقدم لنا نماذج حية لهذا النوع الفريد من القوة وأشهر نموذج له دولة الفاتيكان ، لقد أصبح "جوزيف ستالين" مثار سخرية الدنيا كلها حينما حذروه من قوة الفاتيكان فتساءل :

- كم فرقة عسكرية يملكها البابا فى الفاتيكان ؟!

وذهل الذين سمعوه ، وأجابوه بأن البابا لا يملك فرقاً عسكرية .. بل إن دولة

الفاتيكان كلها ليس فيها دبابة واحدة أو مدفع واحد أو مسدس واحد .. ومع ذلك فإن القوة التى يمتلكها "بابا" الفاتيكان واصلة إلى كل أطراف الدنيا .

ولقد كان هذا النوع من القوة - مع اختلاف الظروف بالطبع - هو مصدر قوة وقدرة مصر الحقيقية فى الخمسينيات والستينيات من هذا القرن .. كانت قيمتها أن الفكرة .. التيار .. الحركة التاريخية تجسدت فيها .

لم تعد مصر مجرد دولة تحكم على ضفاف النيل .. وإنما أصبحت مصر قوة غير محدودة - تؤثر فى منطقة شاسعة بين المحيط والخليج .

المصدر : هيكل - سبق ذكره - ص 156

ويقول بن جوريون فى مذكراته يوم 29 / 1 / 1949 :

"الهزيمة العربية كاملة ، لكنى أتخوف طوال الوقت من نداءات فى العالم العربى تدعو إلى إنشاء حركة شبية وتدريبها ، وتوحيد قيادة الجيوش العربية ، وتقيم مصانع للسلاح ، وتطبق عقوبات اقتصادية علينا ، وتلغى الامتيازات التى تمكن الامبريالية من السيطرة على العرب ، وإنشاء تنظيمات عمالية ، وتعزيز الصناعة والقيم العصرية ، وفتح مؤسسات للتعليم العالى ، وإزالة الحدود الجمركية بين البلاد العربية ، وتنظيم دعاية فعالة فى العالم ، هذا هو الطريق الذى يحلم به العرب .

وأنا أتخوف طوال الوقت من أن يقوم زعيم عربى بقيادتهم عليه . إنهم يتجاهلون العقبات الداخلية والخارجية [illegible] الوحدة . والويل لنا إذا كنا لا نعرف كيف نستغل هذا الوقت [illegible]

المصدر : مذكرات دافيد بن جوريون - [illegible] 1949 - مرجع سبق ذكره

وأخيراً نجرؤ على الكلام :

الويل لنا .. إن لم ندرك الوقت الذى كاد يحرب عنا ..

والويل لنا .. إن لم نحقق حلمنا "الحلم العربى" هذا الحلم الذى يعرفه عدو

العرب .. فيصبح فكرة العرب وليس حلم العرب .

الويل لنا .. إذا دخلنا القرن القادم كما خرجنا منه مفككين غير متحدين .

الويل لنا .. إذا وضعنا أى استراتيجية غير استراتيجية الوحدة العربية .

الويل لنا .. إذا سبقت دعاوى السلام - ضرورة الوحدة العربية .

وأخيراً الويل لنا .. إن لم ندرك معانى التاريخ لنرى به المستقبل .. مستقبل وجود الأمة العربية .. مستقبل طفل يبتسم على أرضه فى سلام .

وبين (الاستراتيجية) .. و(الأسطورة) قبل الختام لنا كلام

إن القادة العرب مثلهم مثل أى قادة ، قد يُصيبونْ .. أو يُخطئون .. ينتصرون أو يُهزمون .. فهذه هى محصلة لتوازن قوى .. ودورات عجلة التاريخ .

لكن بعض القادة العرب يخطئون عندما يتصورون أن حل القضايا التاريخية مرهون بهم وعليهم وحدهم دون غيرهم متناسين حركة التاريخ وكيف صنع هذه القضايا المعقدة .

إن أى حاكم عربى يظلم نفسه عندما يحمل موروث تاريخ شهد على صنع مؤامرة (استراتيجية الغرب) ويتصدى لها فى زمن عمره الشخص البسيط قياساً بعمر القضية الفلسطينية (المؤامرة) المسلوبة بفعل عقدة الأساطير المسلحة بالاستراتيجية الغربية .

ولذلك فإن بعض القادة العرب يخسرون عندما يتوهمون أن حل القضية الفلسطينية لا بد أن يحدث أو يقع على أيديهم سواء بالحرب أو السلام - إن هذا بقدر ما هو ظلم لأنفسهم ، فإنه السير بعكس حركة التاريخ . لأن عمر الصراع العربى الإسرائيلى كان قبلهم وسيبقى بعدهم حتى يستطيع الشعب العربى وحده لا نيابة عنه أن يحسم هذا الصراع باستراتيجية هدفها هو وجود الشعب نفسه "القومية العربية"

إن العرب دخلوا إلى هذا الصراع وهم غير مستعدين أو واعين بأبعاده ، بل كانت الأمة كلها وفى غفلة منها وجدت نفسها أمام استراتيجية كبرى من نابليون لبالمرستون لدزرائيلى لتشرشل وروزفلت بالإضافة إلى أساطير وعقد خرافية تأسست عليها الصهيونية (فكرة الصهيونية) أى وجدوا أنفسهم (الأمة والقادة) أمام استراتيجية وفكرة / أسطورية ، ومع ذلك حاولوا ... حل هذا الصراع .. فكانت النكبة 1948 .

وعندما أُرهقوا من جولات الحرب والهزيمة أرادوا أن يستسلموا أيضاً بطلب السلام .. وفى الحالتين وقعوا فى الخطأ .. فتشردوا .. وتبعثروا .. وفى محاولات فردية لكل منهم ، فقدوا بل ضلوا الطريق .

وبقصد أو بدون قصد أصروا أن يحلوا فى زمنهم مشاكلهم التى ترتبت عن الصراع العربى - الإسرائيلى فبدأوا يقايضون بالتنازل والاعتراف للصهيونية بفلسطين مقابل سلامهم وسلامة عروشهم .

حتى عرفات نفسه وهو فى حصاره الفكرى والنفسى بالإضافة إلى الحصارات المادية والمعنوية الأخرى ، قبل بمدريد وأوسلو مقتنعاً بأن هذا سيجعل لشعبه المشرد موطن قدم فى فلسطين ، لظنه أن العصر والمتغيرات الدولية والإقليمية والمحلية لا تعطيه بديلاً .. ولأنه مثل بعض العرب قرر أن الحل لا بد أن يأتى على يديه .. فقفز فوق التاريخ متجاهلاً أحداثه .. وشهداءه .

تاريخياً من الممكن أن يكون الرجل فى لحظة من اللحظات صورة إنسانية لوطن.

لكن مصير الوطن لا يمكن أن يكون مرهوناً لطبيعة وقرار رجل .

إن السلطة الشعبية والإرادة القومية نقيض اختزال الوطن فى رجل .. واختزال الدولة أو الأمة فى قرار يأمر به. ■

تم بحمد الله
الاثنين 1 / 6/ 1998
الساعة 08 ، 6 صباحاً

المحتويات

الإهداء 5

لمسة وفاء 7

ما قبل الكتاب 9

مدخل 13

الفصل الأول : الساميون – العبريون – الإسرائيليون – اليهود 17

الساميون 21

العبريون (العبرية) 26

الإسرائيليون (بنو إسرائيل) 30

المرحلة الثانية فى حياة بنى إسرائيل (يشوع بن نون) 38

اليهود أو اليهودية 42

الفصل الثانى : الصهيونية 49

الشتات الأول (الشتات البابلى) 59

الشتات الثانى (الشتات الهللينى) 60

الشتات الثالث (الشتات الرومانى) 61

الفصل الثالث : الأساطير الصهيونية الدينية وأثرها فى الحركة الصهيونية السياسية 67

الأساطير الصهيونية 71

عقدة / أسطورة الأرض الموعودة 72

عقدة / أسطورة شعب الله المختار 80

عقدة / عقيدة التمييز العنصرى والتطهير العرقى 84

عقدة / عقيدة السامية وأسطورة الاضطهاد 99

الفصل الرابع : الاستراتيجية والأسطورة 107

الاستراتيجية 111

ظاهرة الوطنية 111

ظاهرة القوة العسكرية 111

ظاهرة الاحتلال والاستحواذ 112

الوجود اليهودى فى أدب أوروبا (اليهود فى الفكر الأوروبى) 112

أرض بلا شعب لشعب بلا أرض 121

الفصل الخامس : الأساطير تصنع التاريخ 131

الإمبراطورية البريطانية (بالمرستون) 135

قرار فرض الحصار على مصر (محمد على) 140

المنشورات السرية وأسطورة الأرض الموعودة 144

الصهاينة يتربعون على عرش الإمبراطورية البريطانية (دزرائيلى) 151

الفصل السادس : الإعلان الرسمى عن ميلاد الحركة الصهيونية السياسية 159

الصهيونية ... نهاية قرن وبداية قرن جديد 163

أسطورة / خرافة زعامة هرتزل 168

الفصل السابع : خريطة جديدة للعالم جغرافيا (مغتصبة) وتاريخ (مفترى عليه) 183

وعد بلفور 187

وعد الشرف 190

الفصل الثامن : الصهيونية ... أسباب ونتائج الحرب العالمية الثانية 207

الصهيونية والانتفاضة الفلسطينية الأولى 211

الحركة الصهيونية والثورة البلشفية 215

خرافة الصهيونية السياسية (العداء للفاشية) 222

الصهيونية والنازية أصول مشتركة وفكر متجانس 224

الفصل التاسع : أسطورة الإبادة الجماعية ومحرقة الملايين الستة (الهولوكوست) 233

خرافة التاريخ وحقيقة الأسطورة 237

بقرة صهيونية خير من يهود العالم 249

الهولوكوست 253

الفصل العاشر : القادة ... خمسون عاماً من الصراع 267

المملوك المزركش ... والنيل المتوحش 271

النكبة ولعبة الثلاث ورقات 279

مؤتمر أنشاص وبلودان 284

قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم فلسطين 288

جولدا فى عمان 293

12 مايو يوم الخيانة العربية 299

صنع القرار وكيفية تنفيذه 308

الهدف 310

النكبة مستمرة (1) 323

النكبة مستمرة (2) 325

الفصل الحادى عشر : لوزان ... مدريد ... أوسلو 329

الاتصالات مستمرة 333

خطة ألفا 337

ناصر يقترب من الاستراتيجية بغية نسفها 341

اغتيال كيندى 344

أهداف شخصية 348

رحيل ناصر 361

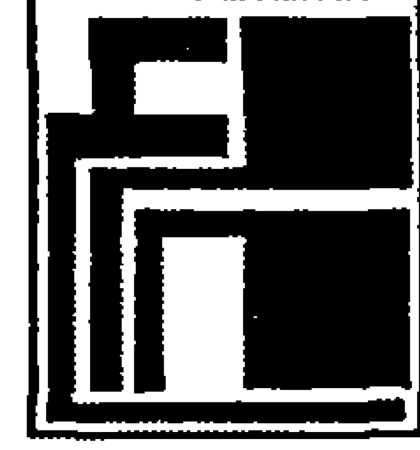
من جنيف إلى مدريد 363

السادات يحاول غزو ليبيا 368

ووصل الركب إلى مدريد 371

صدام يغزو الكويت 374

الفصل الثانى عشر : مستقبل الأمة قرن جديد من الصراع العربى – الصهيونى .. 377
سلام الردع ... وسلام الشرفاء 381
القوة 397
السلاح النووى الإسرائيلى 399
الفصل الثالث عشر : سلاح المياه فى الصراع العربى – الإسرائيلى 409
حرب المياه 413
الاستراتيجية والسلطة فى الصراع المائى : 417
نهر الأردن والمؤامرة الصهيونية 419
نهر الليطانى والمؤامرة الصهيونية 428
المؤامرة الصهيونية ومياه الأرض المحتلة 430
المؤامرة الصهيونية على نهر النيل 431
مؤامرة السادات على نهر النيل 433
الفصل الرابع عشر : قوة التصور وقدرة التبصر 441
بداية ونهاية 445
القدرة الاقتصادية الإسرائيلية 450
الكتلة الحيوية (الديموجرافيا) 454
مجموعة المثقفين (ثقافة السلام) 461
الفصل الخامس عشر : مصر أولاً .. وأخيراً 469
مصر أولاً 473
اليهود فى مصر 475
وأخيراً نجرؤ على الكلام 489
ومصر أخيراً 492
بين الاستراتيجية ... والأسطورة قبل الختام .. لنا كلام 501



مؤسسة المسيرة العربية للثقافة والنشر والإعلام

مؤسسة عربية ثقافية وبحثية مستقلة تعنى بقضايا الوطن المتعلقة بالوحدة العربية والدراسات المستقبلية حول التحديات التى تواجه الأمة العربية فى كافة المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والثقافية وبحوث الإعلام والرأى العام.

أهداف المسيرة العربية

المسيرة العربية مؤسسة ثقافية عربية مستقلة أسستها الجماهير العربية لتكون أول مؤسسة جماهيرية ثقافية فكرية سياسية اقتصادية عربية تعنى بالآتى:

١ - السعى لابراز أسس التكامل العربى فى مختلف المجالات لتكون البداية الصحيحة للمشروع العربى الوحدوى.

٢ - السعى لنشر الوعى القومى الوحدوى من خلال قاعدة متكاملة من الدارسات فى كافة المجالات تكون أساساً علمياً لأى مشروع وحدوى.

٣ - اعتبار المسيرة العربية أداة ثقافية عربية وآلية العمل الجماهيرى لمثقفى الأمة ورجالها باعتبارها لسان حال المثقف العربى الملتزم بقضايا أمته العربية.

٤ - تحصين العقل العربى ضد الغزو الثقافى الصهيونى الغربى الذى يشكل خطورة على العقل والتراث والفكر العربى.

مطابع مؤسسة دار الشعب ـ للصحافة والطباعة والنشر
٩٢ شارع قصر العينى ـ القاهرة ت : ٣٥٥١٨١٠ ـ ٣٥٥١٨١٨ ـ ٣٥٤٣٨٠٠



دكتور على إبراهيم

* كاتب عربى ليبى
* حاصل على نوط الواجب (1980) ووسام الفاتح العظيم (1992)خلال رئاسته لإتحاد الصيادلة العرب(1989-1995)
* الأمين العام للجبهة القومية للاتحادات المهنية والنقابية العربية
* الأمين العام لاتحاد الصيادلة العرب
* أصدر مجلتى الحقيقة والمثابة بكندا (82-1984)
* أصدر عديداً من المجلات والكتب العلمية والمهنية

ان السياسى يبدأ من (الواقع) ولا شىء غيره، فى حين أن الفيلسوف يبدأ من (المجرد) ولا شىء قبله، لكن

هذا الكتاب

يبدأمن التاريخ ولا شىء قبله أو غيره...

وفى واقعية وتجرد وحياد يترك للتاريخ المتدفق بالأحداث أن ينساب فى جُرأة ليرسم على صفحاته (غياب) أمة جُردَت من قوتها المادية والمعنوية فى صراعها مع الإستراتيجية الغربية والأساطير الصهيونية على مدى قرن مضى من الزمان وحتى الآن.

وعند عودة الأمة من الغياب إلى الحضورالتاريخى، تصورت أن الحضور فى التاريخ هو الإعتراف بالأمر الواقع أو مسايرة التيار الغالب فى التاريخ اللحظى لعودتها، لذلك **فهذا الكتاب** يطرح مستقبل الصراع العربى الإسرائيلى مؤكداً على أن العودة للنفس مقدمة ضرورية للعودة من الغياب إلى الحضور التاريخى الحى والفعال.

ولذلك يؤكد **هذا الكتاب** على أن بعض القادة يخسرون عندما يتوهمون أن حل القضية الفلسطينية لابد أن يحدث أو يقع فى زمن سلطانهم سواء بالحرب أو السلم.

إن هذا بقدر ما هو ظلم لأنفسهم، فإنه الإنتحار التاريخى لهم لأن عمر الصراع العربى الإسرائيلى نشأ قبلهم وسيبقى بعدهم، حتى يستطيع الشعب العربى أن يمسك بفكرته (القومية العربية) ويحسم بها الصراع من أجل وجوده.

الناشر

مؤسسة المسيرة العربية
للثقافة والنشر والإعلام

٣٤ عمارات العبور - صلاح سالم

